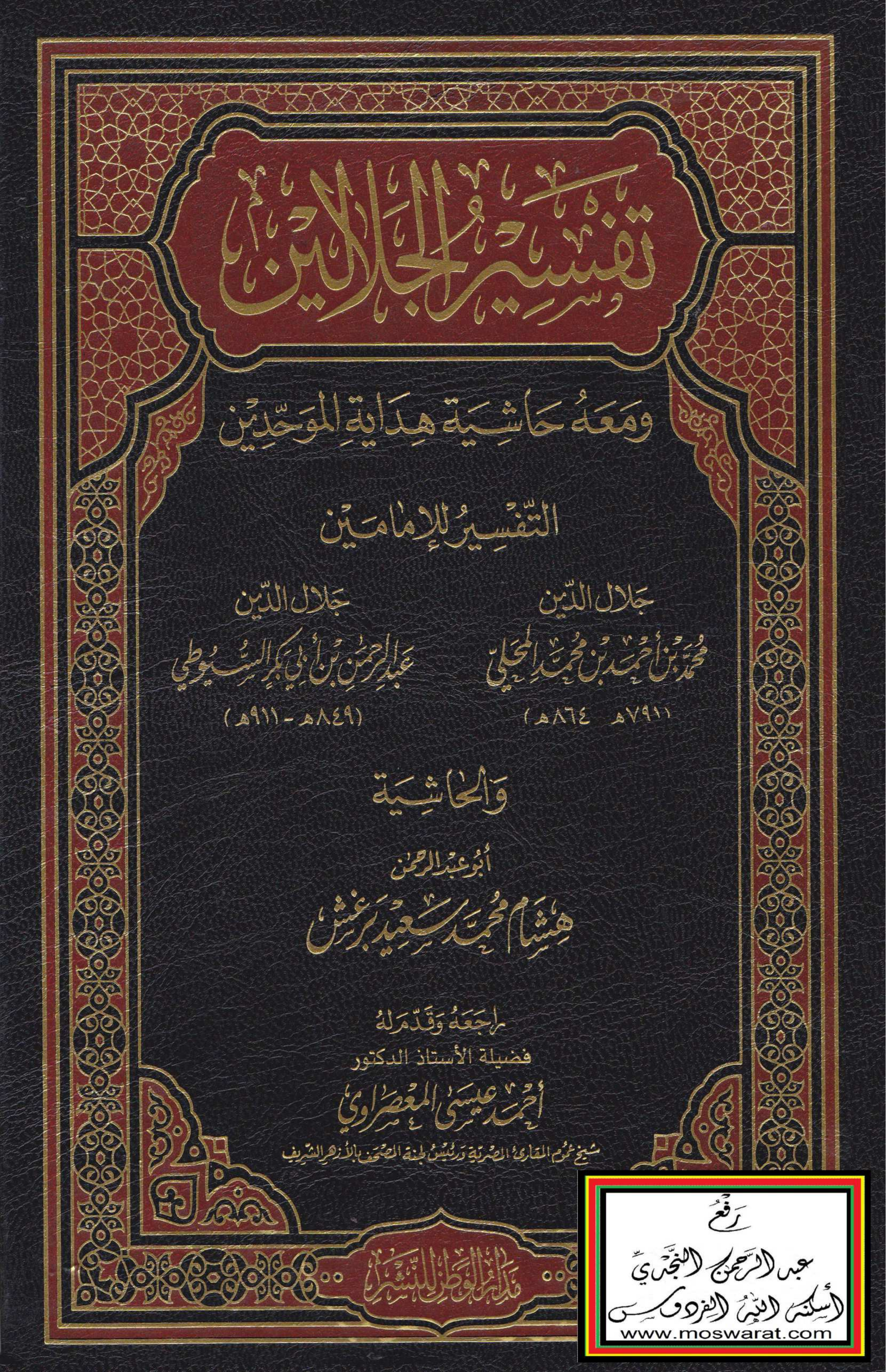


تفسير الجلالين
ومعه حاشية هداية الموحدين
التفسير للإمامين
جلال الدين
محمد بن أحمد بن محمد المحلي
(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)
جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)
والحاشية
أبو عبد الرحمن
هشام محمد سعيد برغش
راجعه وقدم له
فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد عيسى المعصراوي
شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف
مدار الوطن للنشر
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

طبعة عام
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



المملكة العربية السعودية – الرياض
المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨
ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) – ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني **www.madaralwatan.com**

البريد الإلكتروني pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٨/٢٢٤٧٧

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين
محمد بن أحمد بن محمد المحلي
(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)

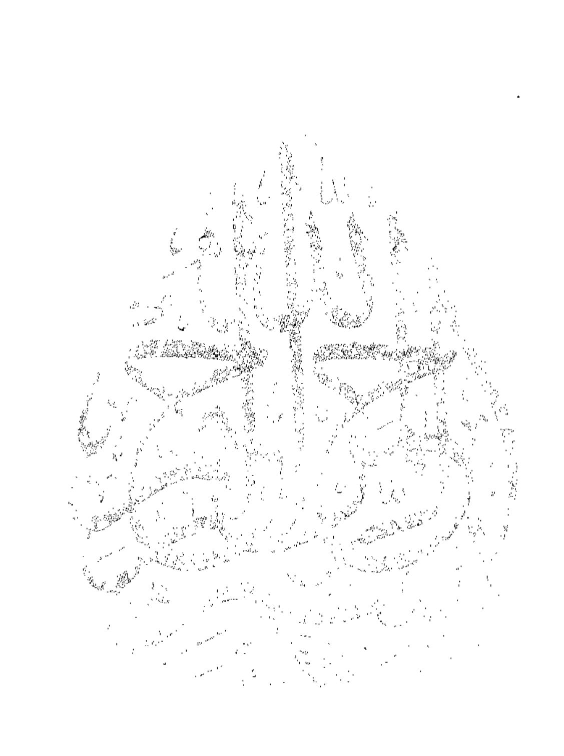
جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن
هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له
فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد عيسى المعصراوي
شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف





تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد عيسى المعصراوي

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١ - ٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷻ النبوة بنبينا ﷺ مختتمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشريعة الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكملة ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷻ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنًا ثمرة كتبه التي أولاها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢ - ٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَهُ ... يُهْدِي إِلَىٰ عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا
كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا ... يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدركها إلا البصائر الجلية، وأطايب ثمره لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفائه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[(١)]، فالخيرية تتأتى بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجلّ المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يُفهم به كلام اللّه تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالًا مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًّا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)[1].

ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وتتميم ما فاته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتتمة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبعات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخريج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيها للأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة إن شاء الله.

واللَّه أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف

واستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي (٢/٨٥).


المقدّمة

المقدمة

الحمد للَّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمده سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعد - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لُبُّ لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفذاذ وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وأُلفت فيه حواشٍ وشروح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبيه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، **وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:**

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرا الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين».

وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين».

كما قام الشيخ صفي الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح اللَّه صدري لاقتراح أحد الفضلاء ـ جزاه اللَّه خيرًا ـ عليَّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أبين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صدري لذلك، فاشتغلت به على عجزي آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

١ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي مع حاشية الصاوي.

٢ـ طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.

٣ـ طبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٤١٦هـ.

٤ـ طبعة دار البشائر الإسلامية ـ دمشق ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥ـ طبعة دار السلام ـ الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦ـ طبعة دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، المسمى (قرة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.

وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

* * *

التعريف بالتفسير والمفسرَيْنِ

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما اللَّه تَعَالَى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» ـ اختصارًا ـ نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «**بُغية الوعاة في تراجم اللُّغويين والنُّحاة**» عند ترجمته للإمام موفَّق الدين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسِّر، المتوفَّى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جوَّد فيه الإعراب وحرَّر أنواع الوقوف[١]، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس، قلت[٢]: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز[٣]، وتفسير البيضاوي، وابن كثير».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمةً ولا خاتمة للقسم الذي فسره، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسره، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد ألف هذا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:

الأول هو: أبو عبد اللَّه: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحَلِّي»، نسبة إلى «المحلَّة الكبرى» ـ مدينة في مصر ـ المتوفَّى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فسَّر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين ـ أبي بكر ـ الأسيوطي، أو: السُّيوطي» ـ نسبة إلى «أُسيوط أو سُيوط» بضم الهمزة والسين ـ على خلاف بين العلماء ـ

---

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيَّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقبيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلت» أي: الجلال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام ٤٦٨هـ.

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفَّى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسَّر التتمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، ـ وقد وَهَمَ صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلّي ـ. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلَّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجلِّ كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جمٌّ غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجهت هممهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وأُلفت فيه حواشٍ وشروح كثيرة؛ توضح مُجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١ـ حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفَّى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّيِّرين على تفسير الجلالين» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢ـ حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفَّى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ البحرين ومَطْلِعُ البَدْرَيْن على الجلالين» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣ـ حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفَّى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبعَ جزءٌ منها.

٤ـ حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمل»، المتوفَّى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥ـ حاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألَّفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوتي الصاوي»، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفَّى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦ـ حاشية للشيخ سلام اللَّه الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧ـ حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفَّى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات ـ مخطوطة ـ.

٨ـ حاشية للشيخ سعد اللَّه بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَّي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».

٩ـ حاشية للشيخ مصطفى الدُّومي، المعروف بالدُّوماني، ثم الصالحاني، المتوفَّىٰ في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء النَّيريْنِ لفهم تفسير الجلالين».

١٠ـ حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيبي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفَّى عام (١١٠١هـ).

١١ـ شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبدالباقي اليازجي، المتوفَّى عام (١١٢١هـ).

١٢ـ حاشية للشيخ عطية اللّه بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفَّى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين النيِّرين في حلِّ ألفاظ الجلالين».

١٣ـ حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التَّطْواني الحائك، المتوفَّى عام (١٢٣٧هـ).

١٤ـ حاشية للشيخ عبد اللّه بن محمد النَّبَراوي المصري، المتوفَّى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.

١٥ـ حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم التِّرمَانيني ـ نسبة إلى «تِرمانين» إحدى قرى حلب ـ المتوفَّى عام (١٢٩٣هـ).

١٦ـ حاشية للشيخ محمد بن عبد اللّه الحسيني الزّواك الحُديدي الزَّيدي، المتوفَّى عام (١٣١١هـ).

١٧ـ حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفَّى عام (١٠٣٦هـ).

١٨ـ «مَسَرَّة العينين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفى عام (١٣٠٥هـ)[١].

١٩ـ «قرَّة العينين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.

٢٠ـ هذا المختصر الذي سميته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين».

* * *

(١) نقلًا عن مقدمة القاضي كنعان في قرة العينين بتصرف يسير.

منهج العمل في الكتاب

١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفي الرحمٰن، وعند وجود اختلاف جوهري، أو سقط، أعتمد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا ـ مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.

٢- تتبعت ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينتُ عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقفتُ فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.

وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب بما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدي.

كما استفدت كثيرًا بما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرته لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:

أـ «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبدالرحمن آل خميس.

ب ـ «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.

جـ ـ تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الجلالين؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.

د ـ «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.

إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحها.

٣ ـ بينتُ ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء اللَّه الكرام أو الملائكة، وذكرتُ أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.

٤ ـ قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.

٥ ـ كما اجتهدتُ في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعتريها من لبس أو غموض.

٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشكلة.
وقد جعلتُ الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلتبس عليه بغيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.

٧- بينتُ أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السبعي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.

٨- تعقبتُ ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.

٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجًا مختصرًا، مع بيان درجتها من الصحة والضعف - إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما -؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو الشيخ الأرناؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيثمي وابن حجر وغيرهما.

١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفيًا بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
واقتصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمدًا في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالبًا -. فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسند.
واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علقت عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية.
جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.

١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطِّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطررت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدتُ ما اعتمداه من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [ ].

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصتُ خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بثنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يسّر الله عز وجل إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

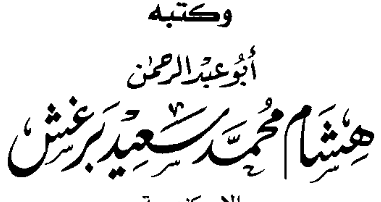
وأسأل الله عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده الموحدين.

اللّهم آنس به في القبر وحشتي، وفرِّج به يوم القيامة كربتي، ويمِّن به يوم النشور صحيفتي، وثبت به على الصراط محجتي...

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه



الإسكندرية

ليلة الجمعة/ غرة جمادي الأولى ١٤٢٨ هـ

dr_hesham_barghash@hotmail.com

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين
محمد بن أحمد بن محمد المحلي
(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)

جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

والحاشية
أبو عبد الرحمن هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له
فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عيسى المعصراوي
شيخ عموم المقارىء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَبْعُ آياتٍ بالبسملة إن كانت منها، والسابعة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إلى آخرها. وإن لم تكن منها؛ فالسابعة ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ﴾ إلى آخرها، وَيُقَدَّرُ في أولها: «قُولُوا»؛ ليكون ما قبل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مناسبًا له بكونها من مقول العباد](*)(١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية قُصِدَ بها الثناءُ على اللَّه بمضمونها على أنه ـ تَعَالَى ـ: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌ لأَنْ يحمدوه، و(اللَّه) عَلَمٌ على المعبود بحَقٍّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالك جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطْلَقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولي(٢) العلم على غيرهم، وهو(٣) من العلامة؛ لأنه علامة على موجده.

[٣] ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة؛ وهي: إرادة الخير لأهله(٤).

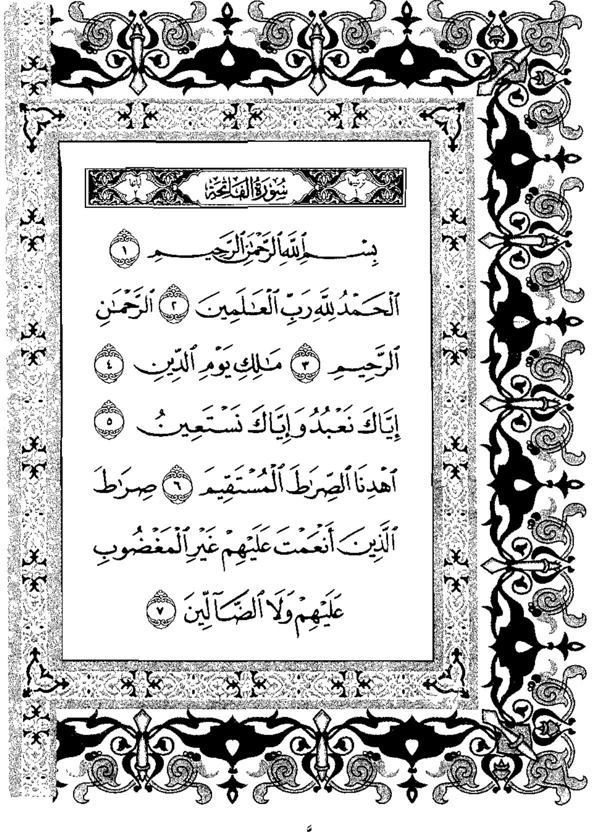
[٤] ﴿[مَلِكِ](٥) يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهرًا فيه لأحد إلا للَّه ـ تَعَالَى ـ؛ بدليل ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾(٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَالِكِ﴾ فَمَعْنَاهُ: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوف بذلك دائمًا؛ كـ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾(٧)؛ فَصَحَّ وقوعُهُ صفةً لمعرفةٍ.

[٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدنا إليه، وَيُبْدَلُ مِنْهُ(٨):

[٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية، وَيُبْدَلُ مِن ﴿الَّذِينَ﴾ بِصِلَتِهِ(٩): ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم: اليهود ﴿وَلَا﴾ وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾(١٠) وهم: النصارى. ونكتةُ البدلِ إفادةُ أن المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى. واللَّه أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وَسَلَّم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

***



(*) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما أنزل اللَّه ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي ـ كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولًا، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها»ـ كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل ـ من حيث وضع نُسخ الجلال (أي السيوطي) ـ: أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن المحلي هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير المحلي منضمًا بعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولو» على تقدير نائب فاعل لـ«غُلِّب».

(٣) أي: العالَم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب المُتَأَوِّلَة من أشعرية ومعتزلة وغيرهما، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ، ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام لمن يرحمه.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَالِكِ﴾

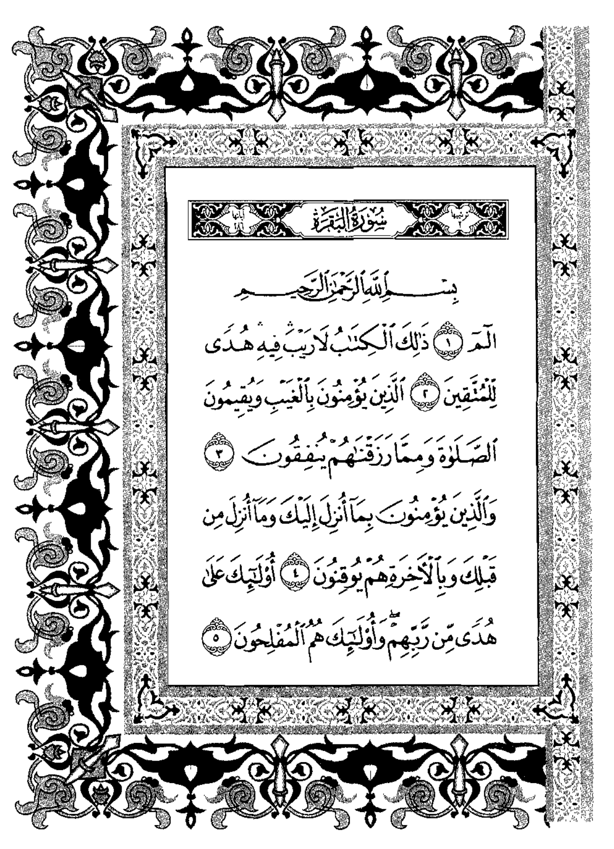
(٦) غافر: ١٦.

(٧) غافر: ٣.

(٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وفائدته التوكيد والتنصيص على أن صراط المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكَدِ وجه وأبلغه.

(٩) أي: إن ﴿غَيْرِ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾، وقيل: هي نعت للَّذِينَ.

(١٠) فَائِدَةٌ: آخِرُ الفاتحةِ قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وأما لفظ «آمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقًا؛ بل هو سُنَّةٌ، وهو اسمُ فِعْلٍ؛ بمعنى: «اللهم استجب».



سُورَةُ البَقَرَةِ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية](*)

مقدمة السيوطي رحمه الله(١):

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمدًا موافيًا لنعمه مكافئًا لمزيده، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نمط مِن ذِكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَٰبُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خبر مبتدؤه ﴿ذَٰلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثانٍ؛ أي: هادٍ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون(٢).

[٥] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين ﷺ إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك! قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيَّهُ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦﴾، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

---

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلّي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات يسيرة توفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسره المحلي من آيات.

(٢) أي: علمًا قطعيًا لا شك فيه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه(١)، ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف.

[٧] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ طبع عليها واستوثق؛ فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ أي: مواضعه؛ فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ غطاء؛ فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ قوي دائم.

[٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ رُوعِيَ فيه معنى ﴿مَن﴾، وفي ضمير ﴿يَقُولُ﴾ لفظها.

[٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية، ﴿وَمَا [يُخَادِعُونَ](٢) إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأن وَبَالَ خداعهم راجع إليهم؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيَّهُ على ما أبطنوه، وَيُعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد؛ كـ«عاقبت اللص»، وذكر الله فيها تحسين(٣)، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ [يُكَذِّبُونَ]﴾ بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾(٤).

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ أي: لهؤلاء: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله - تَعَالَى - ردًّا عليهم: [١٢] ﴿أَلَآ﴾ للتنبيه ﴿إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾ الجهال؛ أي: لا نفعل كفعلهم. قال - تَعَالَى - ردًّا عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ أصله «لقيوا»؛ حذفت الضمة؛ للاستثقال ثم الياء؛ لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

[١٥] ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ يجازيهم باستهزائهم(٥)، ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ يمهلهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يترددون تحيرًا، حال(٦).

[١٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: ما ربحوا فيها؛ بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقالون وهشام وورش بتسهيل الهمزة الثانية، لكِنِ الأكثرون عن ورش إبدالها ألفًا خالصة والمد قدر ألف، فإذا كان بعدها ساكن مد للساكنين. وفصل أبو عمرو وقالون وهشام من طريق الحلواني بين الهمزتين بالألف. وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، إلا ما يأتي النص على خلافه وبيانه إن شاء الله. وأجمعوا على عدم الفصل في قوله - تَعَالَى -: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ﴾ وسهل همزتها الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرا الباقون ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾. (٣) أي: للكلام، وكأنه إجابة سؤال تقديره: كيف يُخَادَع الله؛ أي: يحتال عليه وهو يعلم الضمائر؟! فيجاب عنه بما ذكر.

(٤) والتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والتخفيف قراءة الباقين.

(٥) وهذا تأويل، والصواب في هذا ونحوه إثباته على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير أن يشتق له اسم أو صفة؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع ولا مستهزئ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. قال ابن القيم: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكرًا وكيدًا واستهزاءً وخداعًا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة... وقيل - وهو أصوب -: بل تسمية ذلك حقيقة على بابه...» [إعلام الموقعين (٣/ ٢١٣، ٢١٨)]. ومن ذلك ما أخبر - سُبْحَانَهُ - أنه يفعله بالمنافقين في قوله: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وهذا عدل منه - سُبْحَانَهُ -، وحكمة، وإنصاف.

(٦) أي: إن جملة ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ في محل نصب على الحال، إما من الضمير في ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ أو من الضمير في ﴿طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ أنارت ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ فأبصر واستدفأ وأَمِنَ ممن يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه، وجُمِعَ الضمير مراعاة لمعنى ﴿ٱلَّذِى﴾[1]، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين؛ فكذلك هؤلاء أَمِنُوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

[١٨] هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول ﴿بُكْمٌ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه[2] ﴿عُمْىٌ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه[3] ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صيوب من صاب يصوب أي: ينزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي: السحاب[4] ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿وَبَرْقٌ﴾ لمعان سَوْطِهِ الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم؛ لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ علمًا وقدرةً؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ وقفوا، تمثيلٌ لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبَهُم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ شَاءَهُ ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذُكِرَ.

[٢١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ وَحِّدُوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئًا ﴿وَ﴾ خَلَقَ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عقابَهُ، ولعلَّ: في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ خَلَقَ ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ حال[5]، بساطًا يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفًا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾ أنواع ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء في العبادة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الخالق ولا تخلقون، ولا يكون إلهًا إلا من يخلق.

[٢٣] ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: المنزل، و(من) للبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. و«السورة قطعة لها أول وآخر، أقلها ثلاث آيات»[6]، ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن محمدًا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك؛ فإنكم عربيون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى -: [٢٤] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما ذُكِرَ لعجزهم ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ذلك أبدًا؛ لظهور إعجازه، اعتراض[7]، ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾ بالإيمان بالله، وأنه[8] ليس من كلام البشر ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذُكِرَ، لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِّئَتْ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يُعذبون بها، جملة مستأنفة[9] أو حال لازمة[10].

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين. (٢) أي: قولاً مطابقًا للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون ظاهرًا. (٣) أي: رؤية نافعة.

(٤) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصيب.

(٥) أي: من الأرض، وهذا بناءً على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: «خَلَقَ» المتعدي لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَيَّرَ»، وأن ﴿فِرَٰشًا﴾ المفعول الثاني.

(٦) بيان لحالها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آيتان لعجزوا أيضًا.

(٧) أي جملة: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٨) أي: وبأنه.

(٩) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(١٠) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله: «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ﴾ أَخْبِرْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ حدائق ذات أشجار ومساكن ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أي: تحت أشجارها وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: المياه فيها، والنَّهَر الموضع الذي يجرى فيه الماء؛ لأن الماء يَنْهَرُه أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ أُطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي﴾ أي: مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبله في الجنة[1]؛ لتشابه ثمارها، بِقَرِينَةِ ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ أي: جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا لونًا ويختلف طعمًا ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ من الحور وغيرها[2] ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكلِّ قَذَرٍ[3] ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ماكثون أبدًا، لا يفنون[4]، ولا يخرجون. وَنَزَلَ[5] ردًّا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾[6]، والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾[7]: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ[8] أَن يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَّا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثان؛ أي: أيَّ مثلٍ كان، أو زائدة لتأكيد الخسة[9]، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾ مفرد البعوض؛ وهو صغار البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: أكبر منها؛ أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ تمييزٌ[10]؛ أي: بهذا المثل، وما استفهامُ إنكارٍ مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبرُهُ؛ أي: أي فائدة فيه؟ قال - تَعَالَى - في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته.

[٢٧] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، و«أن» بدل من ضمير «به» ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِٱللَّهِ وَ﴾ قد ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ نطفًا في الأصلاب ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أَنْكَرُوهُ: [٢٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ بعد خلق الأرض أي: قَصَدَ[11] ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه؛ أي: صيرها؛ كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾[12] ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجملاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً - وهو أعظم منكم - قادر على إعادتكم؟!.

---

(١) أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الدنيا، وقوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: أي يشبه ثمر الدنيا في الصورة.

(٢) أي نساء الدنيا، وهن يكن أجمل من الحور العين - كما جاء به الحديث.

(٣) كالنفاس والمخاط والبصاق.

(٤) أي: ولا يمرضون.

(٥) أي: قوله - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٦) الحج: ٧٣.

(٧) العنكبوت: ٤١.

(٨) ومعنى ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ أي: لا يستنكف، وقيل: لا يخشى.

(٩) فليست زيادة محضة، وكذا أي زائد في القرآن عند من يقول به.

(١٠) أي: من اسم الإشارة تمييز نسبة، وهي نسبة التعجب والإنكار إلى المشار إليه.

(١١) وكذا فسره ابن كثير هنا، فقال: أي قصد إلى السماء، والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بـ«إلى». اهـ. وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في صحيحه؛ حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية: معنى ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: علا وارتفع، واختاره الطبري. وقال ابن عثيمين: «إن لأهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهما : أنها بمعنى ارتفع إلى السماء... القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت... وهذا الكلام ليس صرفًا للكلام عن ظاهره؛ وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء؛ فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به...» القواعد المثلى لابن عثيمين ص ٥٧، ٥٨.

(١٢) فصلت: ١٢.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

[٣٠] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم(١) ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يريقها بالقتل؛ كما فَعَلَ بَنُو الجْاَن، وكانوا فيها، فلما أفسدوا أرسل اللَّه عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقول: سبحان اللَّه وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة(٢)، والجملة حال(٣)؛ أي: فنحن أحق بالاستخلاف(٤) ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي؛ فيظهر العدل بينهم، فقالوا(٥): لن يخلق ربنا خلقًا أكرم عليه منا ولا أعلم؛ لسبقنا له(٦)، ورؤيتنا ما لم يره(٧)؛ فخلق اللَّه ـ تَعَالَى ـ آدم من أديم الأرض؛ أي: وجهها؛ بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وَعُجِنَتْ بالمياه المختلفة، وَسَوَّاهُ، ونفخ فيه الروح؛ فصار حيوانًا حساسًا بعد أن كان جمادًا.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أي: أسماء المسميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والقُصيعة، والفسوة والفُسيَّة والـمِغْرفة(٨) بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: المسميات، وفيه تغليب العقلاء(٩) ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيتًا: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المسميات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أني لا أَخْلُقُ أَعْلَمَ منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دَلَّ عليه ما قبله. [٣٢] ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ إِيَّاهُ ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي: الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ المسميات؛ فَسَمَّى كُلَّ شيءٍ باسمه، وَذَكَرَ حكمته التي خُلِقَ لها ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ ـ تَعَالَى ـ لهم مُوَبِّخًا: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما غَابَ فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ إلخ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تُسِرُّونَ من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

[٣٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء(١٠) ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع من السجود ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تَكَبَّرَ عنه، وقال: أنا خير منه، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في علم اللَّه. [٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر؛ لِيَعْطِفَ عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء ـ بِالْمَدِّ ـ، وكان خَلَقَهَا من ضلعه الأيسر ﴿ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها؛ وهي: الحنطة أو الكرم أو غيرهما(١١) ﴿فَتَكُونَا﴾ فَتَصِيرَا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ العاصين. [٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليسُ أَذْهَبَهُمَا، وفي قراءة(١٢): ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ نَحَّاهُمَا ﴿عَنْهَا﴾ أي: الجنة؛ بأن قال لهما: «هَلْ أَدُلُّكُمَا عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ»، وَقَاسَمَهُمَا باللَّه إنه لهما لمن الناصحين؛ فَأَكَلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ إلى الأرض؛ أي: أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضًا ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم. [٣٧] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أَلْهَمَهُ إياها، وفي قراءة(١٣) بنصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ أي: جاءَهُ؛ وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾(١٤) الآية، فَدَعَا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبِلَ تَوْبَتَهُ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

---

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل، كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾... وليس المراد هنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط؛ كما يقوله طائفة من المفسرين...؛ إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. اهـ.

(٢) أي: لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للتعدية والتعليل؛ أي: ننزهك لك، لا طمعًا ولا خوفًا؛ وإنما لِذَاتِكَ فقط.

(٣) أي: جملة قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٤) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله، ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من العناء؛ حيث وقعت المشورة من اللَّه لهم.

(٥) أي: سرًّا.

(٦) فنحن أكرم.

(٧) فنحن أعلم.

(٨) سقط من الأصل: «حتى القصعة والقصيعة، والفسوة والفسية والمغرفة» ـ والمثبت من نسخة حاشية الصاوي على الجلالين، وفي هذا إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء؛ شريفة وخسيسة، وحكمتها أيضًا.

(٩) أي: في الضمير في: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ تغليب «العقلاء»؛ وهم: الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ حيث لم يقل: «عرضها».

(١٠) وحكى القرطبي عن الجمهور: أن المراد هنا هو السجود بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(١١) الأَوْلَى أَلا تُعَيَّنَ من غير دليل قاطع.

(١٢) لحمزة.

(١٣) لابن كثير.

(١٤) الأعراف: ٢٣.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟
ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

[٣٨] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كَرَّرَهُ؛ ليَعْطِفَ عليه ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إنْ» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فآمَنَ بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بأن يدخلوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ كتبنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ماكثون أبدًا، لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آبائكم من الإنجاء من فرعون، وفلق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ الذي عَهِدْتُهُ إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عَهِدْتُ إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ خافُونِ في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ من أهل الكتاب؛ لأن خَلْفَكُمْ تَبَعٌ لكم؛ فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عَرَضًا يسيرًا من الدنيا؛ أي: لا تكتموها خوفَ فَوَاتِ ما تأخذونه من سَفَلَتِكُم[1] ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ خافُونِ في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟﴾ تخلطوا ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تفترونَهُ ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ نَعْتَ محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه. وَنَزَلَ في علمائهم - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حَقٌّ -: [٤٤] ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القولِ العملَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءَ فِعْلِكُمْ فترجعون، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ الحبس للنفس على ما تَكْرَهُ ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أَفْرَدَهَا بالذِّكْرِ؛ تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ، بَادَرَ إلى الصلاة»[2]. وقيل: الخطاب لليهود لَمَّا عَاقَهُمْ عن الإيمانِ الشَّرَهُ وحبُّ الرياسةِ؛ فَأُمِرُوا بالصبر وهو الصوم؛ لأنه يكسر الشهوة، والصلاةِ؛ لأنها تُورِثُ الخشوعَ وتنفي الْكِبْرَ ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة.

[٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيهم.

[٤٧] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

[٤٨] ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالتاء[3] والياء ﴿مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتقبل ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[4] ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعُونَ من عذاب الله.

---

(١) أي: عامتكم.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

[٤٩] ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ أي: آباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم اللّٰه على آبائهم؛ تذكيرًا لهم بنعمة اللّٰه ـ تَعَالَى ـ؛ ليؤمنوا ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُذيقونكُم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده، والجملة حال من ضمير ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيانٌ لِمَا قبله ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يَسْتَبْقُونَ ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له: إن مولودًا يُولَدُ في بني إسرائيل يكون سببًا لذهاب ملكك ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ العذاب أو الإنجاء[1] ﴿بَلَآءٌ﴾ ابتلاء[2] أو إنعام[3] ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٥٠] ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فلَقْنا ﴿بِكُمُ﴾ بسببكم ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ بألف ودونها[4] ﴿مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه ـ عند انقضائها ـ التوراةَ؛ لتعملوا بها ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ الذي صَاغَهُ لكم السَّامِرِيُّ إِلَهًا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتخاذه؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ مَحَوْنَا ذنوبكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم.

[٥٣] ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير؛ أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عبدوا العجل: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إِلَهًا ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لِيَقْتُلِ البريءُ منكم المجرمَ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفقكم لفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء؛ لئلا يبصر بعضكم بعضًا فيرحمه؛ حتى قتل منكم نحو سبعين ألفًا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى؛ لتعتذروا إلى اللّٰه من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الصيحة؛ فَمُتُّمْ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ما حَلَّ بكم.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك.

[٥٧] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حَرِّ الشمسِ في التِّيهِ ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجبين[5] والطير السماني بتخفيف الميم والقصر، وقلنا: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ولا تَدَّخِرُوا. فكفروا النعمةَ وادخروا؛ فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وَبَالَهُ عليهم.

---

(١) أي: من حيث عدم الشكر عليه؛ فصار بلاء.

(٢) راجع للعذاب.

(٣) راجع للإنجاء.

(٤) بدون ألف لأبي عمرو.

(٥) مادة صمغية حلوة؛ كالعسل تسقط على الشجر؛ كما يسقط الطَّلُّ.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ
خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ
مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ
أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التِّيهِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعًا لا حجر فيه ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾ مُنْحَنِيِيْنَ ﴿وَقُولُوا۟﴾: مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أن تَحُطَّ عنا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ﴾ وفي قراءة بالياء(١) والتاء(٢) مبنيًّا للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم(٣) ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾ عذابًا طاعونًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم؛ أي: خروجهم عن الطاعة؛ فهلك منهم في ساعة سبعون ألفًا أو أقل.

[٦٠] ﴿۞ وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طَلَبَ السُّقْيَا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقد عطشوا في التِّيهِ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ وهو الذي فَرَّ بثوبه، خفيف مربع كرأس الرجل رخام، أو كذَّان(٤)، فضربه(٥) ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ موضع شربهم؛ فلا يشركهم فيه غيرهم. وقلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها(٦)، من عَثِيَ بكسر المثلثة: أفسد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئًا ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾ لِلْبَيَانِ ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أخس ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ أشرف؛ أتأخذونه بَدَلَهُ؟ والهمزة للإنكار، فَأَبَوْا أن يرجعوا فَدَعَا اللَّهَ ـ تَعَالَى ـ؛ فقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جُعِلَتْ ﴿عَلَيْهِمُ﴾(٧) ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي: أَثَرُ الفقرِ؛ من السكون والخزي؛ فهي لازمةٌ لهم ـ وإن كانوا أغنياء ـ لزومَ الدرهم المضروب لسكته(٨) ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كزكريا ويحيى ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ أي: ظلمًا ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحدَّ في المعاصي، وَكَرَّرَهُ(٩) للتأكيد.

(١) لنافع.

(٢) لابن عامر.

(٣) جمع سته؛ وهو: الدبر؛ أي: أدبارهم.

(٤) الْحَجَر اللَّيِّنُ.

(٥) يحكي كثير من المفسرين ـ ومنهم: ابن كثير ـ هنا أقوالاً كثيرة وغريبة في وصف الحجر، ومن أين جيء به، وكلها لا دليل عليها، وَتَعَارُضُهَا يُدَلِّلُ على عدم صحتها، والظاهر أنها من الإسرائيليات، ثم لا حاجة لنا في العلم بذلك، بل لعل القول الأرجح ما ذكره الزمخشري ـ وحكاه عنه ابن كثير ـ بقوله: «...ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد؛ أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة».

(٦) أي: لأن معناها قد فهم من عاملها، وحسن ذلك اختلاف اللفظين؛ كما في قوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [براءة: ٢٥].

(٧) أي: وعلى ذرياتهم وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ إلى يوم القيامة.

(٨) الكلام على القلب؛ أي: لزوم السكة للدرهم؛ والمراد بالسكة: أثرها؛ لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم، فكذلك لا يخلو يهودي من آثار الفقر.

(٩) أي: اسم الإشارة؛ وهو لفظ: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالأنبياء من قبل(١) ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى(٢) ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُوعِيَ في ضمير ﴿ءَامَنَ﴾ و﴿عَمِلَ﴾ لفظُ ﴿مَنْ﴾ وفيما بعده معناه.

[٦٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل اقْتَلَعْنَاهُ من أصله عليكم لَمَّا أبيتم قبولها، وقلنا: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار أو المعاصي.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أعرضتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الهالكين.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟﴾ تجاوزوا الحد ﴿مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بصيد السمك، وقد نهيناهم عنه، وهم أهل أيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ مبعدين؛ فكانوا وهلكوا بعد ثلاثة أيام.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: تلك العقوبة ﴿نَكَٰلًا﴾ عبرةً مانعةً من ارتكابِ مِثْلِ ما عملوا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: للأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ اللَّه، وَخُصُّوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بخلاف غيرهم.

[٦٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ - وقد قُتِلَ لهم قتيلٌ لا يُدْرَى قاتلُه، وسألوه أن يَدْعُوَ اللَّهَ أن يُبَيِّنَهُ لهم؛ فدعاه -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مَهْزُوءًا بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ أمتنع ﴿بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ المستهزئين. فلما علموا أنه عزم

[٦٨] ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أي: ما سِنُّها ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: اللَّه ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ مُسِنَّةٌ ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌۢ﴾ نَصَف ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من السنين ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به من ذبحها.

[٦٩] ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديد الصفرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ إليها بحسنها؛ أي: تعجبهم.

---

(١) أي: قبل بعثة محمد ﷺ، وأما من آمن بعيسى وأدرك محمدًا ﷺ ولم يؤمن به فإنه كافرٌ خالدٌ مخلدٌ في النار - كما في سورتي المائدة والبينة، وكما صَحَّتْ بذلك الأحاديثُ.

(٢) وقال مجاهد: الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى. (الطبري ٢/١٤٦). وقيل: قوم يعبدون الملائكة. وقيل: قوم يعبدون الكواكب. وقيل غير ذلك. وقال ابن كثير : وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه... : أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه. اهـ. تفسير ابن كثير (١/١٠٠).

قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٠] ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة؟ ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ لكثرته؛ فلم نَهْتَدِ إلى المقصودة ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث: «لو لم يستثنوا لما بينت لهم لآخر الأبد»(١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ غير مذللة بالعمل ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة ﴿ذَلُولٞ﴾ داخلة في النفي(٢) ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٞ﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لَّا شِيَةَ﴾ لون ﴿فِيهَاۚ﴾ غير لونها ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ نَطَقْتَ بالبيان التام، فطلبوها؛ فوجدوها عند الفتى الْبَارّ بأمه؛ فاشتروها بملء مسكها(٣) ذهبًا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها، وفي الحديث: «لَوْ ذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ كَانَتْ، لأَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»(٤).

[٧٢] ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ فيه إدغام الدال في التاء؛ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ﴾ مظهر ﴿مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراض(٥) وهو أول القصة(٦).

[٧٣] ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ﴾ أي: القتيل ﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذَنَبِهَا؛ فحيا، وقال: قتلني فلان وفلان لابْنَيْ عمه. ومات؛ فَحُرِمَا الميراث وَقُتِلا، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ تتدبرون؛ فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة؛ فتؤمنون.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ أيها اليهود؛ صَلُبَتْ عن قبول الحق ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل، وما قبله من الآيات ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ﴾ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة(٧) بالتحتانية، وفيه التفات عن الخطاب.

[٧٥] ﴿۞ أَفَتَطۡمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾ أي: اليهود ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ﴾ طائفة ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ أحبارهم ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ يغيرونه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار؛ أي: لا تطمعوا؛ فلهم سابقة بالكفر.

[٧٦] ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ أي: منافقو اليهود ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بأن محمدًا ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لِمَنْ نَافَقَ ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: عَرَّفَكُمْ في التوراة من نَعْتِ محمد ﷺ ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ ليخاصموكم، واللام للصيرورة ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ في الآخرة، ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتِّبَاعِهِ مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتهوا؟! .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، قال: قال ابن جريج: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أُمِرُوا بِأَدْنَى بَقَرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَدَّدُوا شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَايْمِ اللَّهِ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَتْ لَهُمْ آخِرَ الأَبَدِ» اهـ. فالحديث فيه انقطاع.

(٢) أي: ليست مذللة لعمل ولا مثيرة للأرض.

(٣) الجلد.

(٤) ذكره ابن كثير كما تقدم وضعفه.

(٥) أي: جملة معترضة بين المعطوف؛ وهو: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ﴾ الآية [البقرة: ٧٣]، والمعطوف عليه؛ وهو: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ [البقرة: ٧١].

(٦) وإنما أَخَّرَهُ ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها ببعض.

(٧) لابن كثير.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

قال ـ تَعَالَى ـ: [٧٧] ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير(١)، والواو الداخل(٢) عليها للعطف ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَرْعَوُوا(٣) عن ذلك؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظنًّا ولا علم لهم.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: مختلقًا من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ﴾ من الدنيا؛ وهم اليهود غَيَّرُوا صفةَ النبيِّ في التوراةِ وآيةَ الرجمِ وغيرهما، وكتبوها على خلاف ما أُنْزِلَ ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرشا(٤).

[٨٠] ﴿وَقَالُوا۟﴾ لَمَّا وَعَدَهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ﴾ قليلةً، أربعين يومًا، مدة عبادة آبائهم العجلَ ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حُذِفَتْ منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقًا منه بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ﴾ به؟ لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَىٰ﴾ تمسكم وتخلدون فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركًا ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بالإفراد(٥) والجمع؛ أي: استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركًا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ رُوعِيَ فيه معنى «مَنْ». [٨٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التوراة وقلنا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالتاء والياء(٦) ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خبر بمعنى النهي، وَقُرِئَ(٧): ﴿لَا تَعْبُدُوٓا۟﴾ ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برًّا ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ﴾ قولًا ﴿[حَسَنًا]﴾ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمد، والرفق بهم، وفي قراءة(٨) بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات(٩) عن الغيبة؛ والمراد آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ عنه؛ كآبائكم.

---

(١) أي: على سبيل التوبيخ؛ حيث اعتقدوا أن المنافق يؤاخذ والكافر الأصلي لا حجة عليه، وله عذر قائم عند ربه.

(٢) أي: والواو الداخل الاستفهام عليها للعطف على محذوف تقديره: أيلومونهم على التحديث بما ذكر، ولا يعلمون...إلخ.

(٣) أي: يَنْكَفُّوا وَيَنْزَجِرُوا.

(٤) بكسر الراء وضمها: جمع رشوة؛ بتثليث الراء.

(٥) بالإفراد؛ أي: باعتبار ذات الشرك. والجمع؛ أي: باعتبار أفراده، وقرأها نافع بالجمع (خطيئاته) والباقون بالإفراد (خطيئته).

(٦) بالياء لحمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) قراءة شاذة، وقاعدة المفسر غالبًا أنه يشير للشاذة بقوله: قرئ، والسبعية بقوله: في قراءة.

(٨) بفتح الحاء والسين لحمزة والكسائي، جعلاه صفة لمصدر محذوف، تقديره: وقولوا للناس قولاً حسنًا.

(٩) وحكمته الاستلذاذ للسامع وعدم الملل منه، وهو من المحسنات.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ
فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضًا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضًا من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قَبِلْتُمْ ذلك الميثاق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بقتل بعضكم بعضًا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ [تَظَّاهَرُونَ]﴾[1] فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها[2]؛ تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ وفي قراءة[3]: ﴿أَسْرَىٰ﴾: ﴿[تَفْدُوهُمْ]﴾[4]، وفي قراءة: ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشأن[5] ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾، والجملة بينهما[6] اعتراض؛ أي: كما حُرِّمَ تركُ الفداء، وكانت قُرَيْظَةُ حالَفُوا الأوسَ، والنضيرُ الخزرجَ؛ فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أُسِرُوا فدوهم، وكانوا إذا سُئِلُوا: لِمَ تقاتلونهم وتفدونهم؟! قالوا: أُمِرْنَا بالفداء. فَيُقَالُ: فَلِمَ تقاتلونهم؟! فيقولون: حياء أن يُسْتَذَلَّ حلفاؤنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو تركُ القتلِ، والإخراجُ، والمظاهرةُ ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هوان وذل ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة، ونفي النضير إلى الشام، وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء[7].

[٨٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بأن آثَرُوهَا عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعُونَ منه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناهم رسولًا في إثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة «جبريل» لطهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تحب ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتِّبَاعِهِ، جواب كلما، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبي استهزاءً: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ جمع أغلف؛ أي: مغشاة بأغطية؛ فلا تعي ما تقول. قال ـ تعالى ـ: ﴿بَل﴾ لِلإِضْرَابِ[8] ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم[9] ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل جدًّا.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) أي: بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارعة، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي.

(٣) لحمزة.

(٤) لحمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (تُفادوهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿أَسْرَىٰ﴾ بالإمالة مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ فقط، و﴿أُسَٰرَىٰ﴾ بالإمالة وعدمها مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ و﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾.

(٥) ويقال: ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفردًا ـ ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعًا ـ، وتأخير مرجعه، وكونه جملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.

(٦) الجملة هي قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المعطوف؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الآية، والمعطوف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾؛ لأنها حال.

(٧) بالياء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).

(٨) أي: الإبطالي.

(٩) أي: كما ادعوا من أنها مغطاة، فهذا هو الخلل.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقولون: اللّهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ حسدًا وخوفًا على الرياسة، وجواب «لمَّا» الأولى دَلَّ عليه جواب الثانية ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئًا؛ تمييز لفاعل «بئس». والمخصوص بالذم ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ أي كفرهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ مفعول له لـ﴿يَكْفُرُواْ﴾؛ أي: حسدًا على ﴿أَن [يُنزِلَ] ٱللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد(١) ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الوحي ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتنكير للتعظيم ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة، قال - تعالى -: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة، وقد نُهِيتُمْ فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتخاذه.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما تؤمرون به سماعَ قبولٍ.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي خالَطَ حُبُّهُ قلوبَهُمْ؛ كما يخالط الشراب ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾(٢) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ بالتوراةِ عبادةَ العجلِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم؛ المعنى: لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل؛ والمراد: آباؤهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

(١) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

[٩٤] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ﴾ خاصة ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ تعلق بتمنيه[1] الشرطان، على أن الأول قيد في الثاني[2]؛ أي: إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، والموصل إليها الموت، فتَمَنَّوْهُ. [٩٥] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم. [٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ﴾ لام قسم ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ المنكرين للبعث عليها؛ لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ «لو» مصدرية؛ بمعنى: «أن»، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يود» ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَحۡزِحِهِۦ﴾ مبعده ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ النار ﴿أَن يُعَمَّرَۗ﴾ فاعل «مزحزحه»؛ أي: تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء والتاء[3]؛ فيجازيهم. وسأل ابن صوريا[4] النبيَّ أو عمرَ عمن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: «جبريل»؛ فقال: هو عدونا، يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمَنَّا؛ لأنه يأتي بالخصب والسلم[5]. فنَزَلَ: [٩٧] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ فليمت غيظًا ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ﴾ بأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشۡرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[*]. [٩٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها، بلا همز وبه، بياء ودونها[6] ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام[7]، وفي قراءة: ﴿ميكائيل﴾ بهمزة وياء[8]، وفي أخرى بلا ياء[9] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أوقعه موقع «لهم» بيانًا لحالهم. [٩٩] ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ أي: واضحات، حال؛ ردٌّ لقول ابن صوريا للنبيِّ: ما جئتنا بشيء[10] ﴿وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ كفروا بها. [١٠٠] ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ﴾ اللَّهَ ﴿عَهۡدٗا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبيَّ أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ﴾ بنقضه، جواب «كلما»، وهو محل الاستفهام الإنكاري؟! ﴿بَلۡ﴾ للانتقال ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾. [١٠١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب اللَّه.

(*) ما جاء في نزول الآية (٩٧) وما بعدها: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي اللَّه ﷺ يومًا فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي. . . الحديث وفي آخره: قالوا: وأنت الآن فحدثنا؛ من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك. قال: «فإن وليي جبريل ﷺ، ولم يبعث اللَّه نبيًا قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندها نفارقك؛ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك. قال: «فما يمنعكم من أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا. قال: «فعند ذلك قال اللَّه عز وجل: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾. إلى قوله عز وجل: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فعند ذلك ﴿بَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ﴾ الآية. المسند (١/٢٧٨) - (إسناده صحيح) شاكر (٢٥١٤).

---

(١) في العبارة قلب، والأصل تعلق تمنيه بالشرطين؛ لأن «تَمَنَّوا» هو الجواب، وهو متعلق بالشرطين.

(٢) حَاصِلُهُ: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيدًا في الثاني؛ بمعنى: أنه من تمام معناه.

(٣) ظاهره أنهما سبعيتان، وليس كذلك، بل التاء عشرية قرأ بها يعقوب، واختلف فيما زاد عن السبعية؛ هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنعان؟ والمعتمد الأول.

(٤) واسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

(٥) انظر: مسند أحمد (٢٥١٠). وروى البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عن أنس نحو هذا في عبد الله بن سلام قبيل إسلامه وليس فيه أنه سبب نزل الآية..

(٦) جَبْرِيل وجَبْرَئِل وجَبْرَئيل، لابن كثير، ثم شعبة ثم حمزة والكسائي على الترتيب، جِبْرِيل لنافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص.

(٧) والنكتة: شَرَفُهُما وعِظَمُهُما وكون النزاع فيهما.

(٨) لحمزة والكسائي وشعبة وابن كثير وابن عامر.

(٩) لنافع.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (١/١٨١)].

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ عطف على «نبذ»[١] ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ أي: تَلَت ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ من السحر، وكانت دَفَنَتْهُ تحت كرسيه لما نزع ملكه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تَعْلَمُ الغيبَ؛ فجمع سليمانُ الكتبَ ودفنها، فلما مات دَلَّتِ الشياطين عليها الناسَ؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم[٢]. قال ـ تعالَى ـ تبرئةً لسليمان وردًّا على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحرًا ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ أي: لم يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَـٰكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف[٣] ﴿ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أي: أُلْهِمَاهُ من السحر[٤]، وَقُرِئَ بكسر اللام[٥]، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أُنْزِلا؛ لتعليمه ابتلاءً من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ له نصحًا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بَلِيَّةٌ من الله إلى الناس؛ ليمتحنهم بتعليمه؛ فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كفر، وَمَنْ تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتَعَلُّمِهِ. فإن أبَى إلا التعليم عَلَّمَاهُ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ بأَنْ يُبَغِّضَ كُلاً إلى الآخر ﴿وَمَا هُم﴾ أي السحرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا۟﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها و«مَن» موصولة ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئًا ﴿شَرَوْا۟﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: الشارين؛ أي: حظها من الآخرة إن تعلموه؛ حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ حقيقةَ ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأُثِيبُوا؛ دَلَّ عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسم ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟﴾ للنبي: ﴿رَٰعِنَا﴾ أمر من المراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سَبٌّ من الرعونة[٦]، فَسُرُّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي؛ فَنُهِيَ المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا۟﴾ بدلها: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تؤمرون به سماعَ قبولٍ ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«من» للبيان ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ﴾ زائدة ﴿خَيْرٍ﴾ وحي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حسدًا لكم ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾[٧] نبوته ﴿مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿ٱتَّبَعُوا۟﴾ لا يصلح أن يكون جوابًا؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعثة الرسول ﷺ، فالأحسن عطفه على جملة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، فهو بيان لسوء حالهم.

(٢) هذه التفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما وجدوه منها من سحر ونحوه ظاهرها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَـٰكِنِ﴾ ورفع ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) وقيل: ﴿مَآ﴾ نافية؛ أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأنباري: وهذا الوجه ضعيف جدًّا؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحمق، والجهل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عربية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللائق بجلاله ـ سُبْحَانَهُ ـ، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة فخلاف الظاهر.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

ولما طعن الكفار في النسخ، وقالوا: إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدًا، نزل: [١٠٦] ﴿۞ مَا﴾ شرطية ﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: نزل حكمها؛ إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة[1] بضم النون من أنسخ؛ أي: نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿أَوْ [نَنْسَأْهَا]﴾ نؤخرها؛ فلا ننزل حكمها، ونرفع تلاوتها، أو نؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز[2] من النسيان[3]؛ أي: نُنْسِكَهَا؛ أي: نمحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ يفعل ما يشاء ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَلِىٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أتاكم. ونزل لمَّا سأله أهلُ مكةَ أن يوسعها ويجعل الصفا ذهبًا[4]: [١٠٨] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَ ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ أي: سأله قومه ﴿مِن قَبْلُ ۗ﴾ من قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وغير ذلك؟ ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يأخذه بدله بترك النظر في الآيات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ مفعول له، كائنًا ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: حملتهم عليهم أنفسهم الخبيثة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿ٱلْحَقُّ ۖ﴾ في شأن النبي ﴿فَٱعْفُوا۟﴾ عنهم؛ أي: اتركوهم ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾ أعرضوا، فلا تجازوهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ طاعة؛ كصلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١١] ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ جمع هَائِدٍ ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ؛ أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى[5]، ﴿تِلْكَ﴾ القولة ﴿أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

[١١٢] ﴿بَلَىٰ﴾ يدخل الجنة غَيْرُهُمْ ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: انْقَادَ لأمره، وَخُصَّ الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء؛ فَغَيْرُهُ أَوْلَى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

---

(١) لابن عامر.

(٢) أي: مع ضم النون ﴿ننسها﴾ لنافع وعاصم وحمزة والكسائي، والقراءة المفسرة (نَنْسَأها) لابن كثير وأبي عمرو.

(٣) الأَوْلَى أن يقول: من الإنساء؛ لأنه مصدر الرباعي الذي الكلام فيه.

(٤) واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة، فالحق أن يقال: إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء؛ لأن السياق في مخاطبة اليهود، ويكون قوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٥٤٨/١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١)، وفي إسناده محمد بن أحمد؛ مجهول.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ
وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ
كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ
قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍّ بِهِ، وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍّ بِهِ، وكفرت بموسى ﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك؛ أي: قالوا لكل ذي دين: ليسوا على شيء ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين؛ فيدخل المُحِقُّ الجنةَ والمُبْطِلُ النارَ. [١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخبارًا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت[1] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي: أخيفوهم بالجهاد؛ فلا يدخلها أحد آمنًا ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت: [١١٥] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾[2] أي: الأرض كلها؛ لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[3] قبلته التي رضيها[4] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ يسع فضلُهُ كلَّ شيءٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه[*].

[١١٦] ﴿وَقَالُوا۟﴾ بواو وبدونها[5]، اليهودُ والنصارى وَمَنْ زعم أن الملائكة بنات اللَّه: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. قال ـ تعالَى ـ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له عنه ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا، والملكية تنافي الولادة، وعبر بـ«ما» تغليبًا لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ مطيعون، كلٌّ بما يُراد منه، وفيه تغليب العاقل. [١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ موجدهم لا على مثال سَبَقَ ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي: إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة[6] بالنصب[7] جوابًا للأمر.

[١١٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: كفار مكة[8] للنبي ﷺ: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحناه على صدقك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعنت وطلب الآيات ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقتراح آية معها تعنت. [١١٩] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لم يجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار؛ أي: الكفار ما لهم لم يؤمنوا؟! إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم «تسأل» نهيًا[9].

(*) ما جاء في نزول الآية (١١٥): أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول اللَّه ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤) جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت. وأخرج الترمذي: عن عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفره في ليلة فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣) سورة البقرة. (حسن) صحيح الترمذي (٥٨٤، ٢٣٥٧).

(١) اختار القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف. (٢) انظر الحديث وتخريجه في أسباب النزول.

(٣) وفيه إثبات لوجه الله ـ تَعَالَى ـ على الوجه اللائق به ـ تَعَالَى ـ، وأن لله وجهًا لا تشبهه الوجوه.

(٤) وهذا قول مجاهد وتبعه الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعًا ولا عرفًا...، بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه...، وأيضًا فمن المعلوم أن قبلة الله التي نَصَبَهَا لعباده هي قبلة واحدة...، فكيف يقال: أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها فهي قبلة الله؟!... وحمل الآية على استقبال المسافر في التنفل، وعلى الراحلة، وعلى حال الغيم ونحوه بعيد جدًّا عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها وما قصد بها...، والآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب ـ تَعَالَى ـ وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]، فنبهنا بذلك على ملكه لما بينهما، ثم ذكر عظمته ـ سُبْحَانَهُ ـ وأنه أكبر وأعظم من كل شيء؛ فأينما وَلَّى العبد وجهه فثم وجه الله، ثم ختم باسمين دالين على السعة والإحاطة؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، وأيضًا هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له ولدًا، فقال ـ تَعَالَى ـ بعدها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١١٦]، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سيق الكلام لأجلها... فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقلًا عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٧)] بتصرف. فتفسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه.

(٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بـ«أن» مضمرة بعد فاء السببية.

(٨) تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، وقيل: ويمكن أن يكون كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة. (٩) مع فتح التاء لنافع.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

[١٢٠] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها فرضًا[1] ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعك منه.

[١٢١] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي؛ يقرءونه كما أنزل، والجملة حال، و«حق» نصب على المصدر، والخبر: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي: بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١٢٢] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقدم مثله.

[١٢٣] ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعُونَ من عذاب الله.

[١٢٤] ﴿۞ وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ اختبر ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ وفي قراءة: ﴿[إبراهام]﴾[2] ﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ بأوامرَ ونَوَاهٍ كلفه بها؛ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وفرق الشعر، وقلم الإظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أدَّاهُنَّ تامات ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أولادي: اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ بالإمامة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين منهم؛ دَلَّ على أنه ينال غير الظالم

[١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعًا يثوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنًا﴾ مأمنًا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره؛ كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ هو الحَجَرُ الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكانَ صلاةٍ بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الخاء خبر[3] ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد، المصلين.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه؛ فجعله حرمًا، لا يُسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختَلَى خلاه[4] ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقةً لقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿وَ﴾ أرزق ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بالتشديد والتخفيف[5] في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصًا ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

---

(١) أي: على فرض وقوعه.

(٢) لابن عامر، سوى النقاش عن الأخفش، وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعًا منها خمسة عشر في هذه السورة.

(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.

(٤) أي: حشيشه.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

[١٢٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبنيه، متعلق بـ«يرفع» ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم، يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين ﴿لَكَ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ و«من» للتبعيض، وأتى به؛ لتقدم قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿وَأَرِنَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعًا وتعليمًا لذريتهما.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه[1].

[١٣٠] ﴿وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخترناه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخُلة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العُلى.

[١٣١] واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ انقَدْ لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّىٰ﴾ وفي قراءة[2]: ﴿وَأَوْصَىٰ﴾ ﴿بِهَآ﴾ بالملة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه قال: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ نَهى عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت.

ولَمَّا قال اليهود للنبي: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بَنِيهِ باليهودية؛ نَزَل: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضورًا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله[3] ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عَدُّ إسماعيلَ من الآباء تغليبٌ، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، و«أم» بمعنى همزة الإنكار[4]؛ أي: لَمْ تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟!.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوبَ وبَنِيهما، وأُنِّثَ؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سَلَفَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جزاؤه، استئناف ﴿وَلَكُم﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يُسْأَلونَ عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

(١) الأولى: التعميم في مُتَعَلَّق الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شئونه؟ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجزائه، وإرساله رسله، وإنزاله كتبه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع قصرا فيه المصنفان الحكمة على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) لنافع وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها كما هنا، وتارة تفسر بها وبـ«بل»، وتارة تفسر بـ«بل» وحدها.

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ۗ﴾ «أو» للتفصيل، وقائل الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾ حال من إبراهيم، مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُولُوٓا۟﴾ خطاب للمؤمنين: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ من الإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ﴾ «مثل» زائدة ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ﴾ خلاف معكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي النضير وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدر مؤكد لـ﴿آمَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي: صَبَغَنا اللَّه؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛ كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبيًّا، لكان منا. فنَزَلَ: [١٣٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ تخاصموننا ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ أن اصطفى نبيًّا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفي مَنْ يشاء ﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا﴾ نُجازَى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ تُجازَوْنَ بها؛ فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعملَ دونكم؛ فنحن أَوْلَى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء والياء(١): ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ أي: اللَّه أعلم، وقد برَّأ منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾(٢) والمذكورون معه تبعٌ له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾ أخفى على الناس ﴿شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ﴾ كائنة ﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وهم: اليهود؛ كتموا شهادةَ اللَّهِ في التوراة لإبراهيم بالحنيفية(٣) ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

(*) فائدة: أخرج مسلم عن عبد اللَّه بن عباس أن رسول اللَّه ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

(١) بالياء لنافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.
(٢) آل عمران: ٦٧.
(٣) أي: ولمحمد ﷺ بالرسالة؛ حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوها.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

[١٤٢] ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الجُهَّالُ ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ﴾ أَيُّ شَيْءٍ صَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ والمؤمنين ﴿عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؟ والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ أي: الجهات كلها؛ فَيَأْمُر بالتوجه إلى أيِّ جهةٍ شَاءَ لَا اعتراض عليه ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايتَهُ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم(١)، دَلَّ عَلَى هَذَا: [١٤٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ يا أمة محمد ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ خيارًا عدولاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يوم القيامة: أن رسلهم بلغتهم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلۡنَا﴾ صَيَّرْنَا لَكَ الآنَ ﴿ٱلۡقِبۡلَةَ﴾ الجهة ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ أَوَّلاً؛ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أُمِرَ باستقبال بيت المقدس؛ تَأَلُّفًا لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهرًا، ثم حُوِّلَ ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيصدقه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شَكًا في الدين، وظنًّا أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنها ﴿كَانَتۡ﴾ أي: التولية إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس(٢)؛ بل يثيبكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل(٣) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفة شدة الرحمة، وَقَدَّمَ الأبلغ للفاصلة(٤).

[١٤٤] ﴿قَدۡ﴾ للتحقيق(٥) ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾ تَصَرُّفَ ﴿وَجۡهِكَ فِي﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِۖ﴾ متطلعًا إلى الوحي ومتشوقًا للأمر باستقبال الكعبة، وكان يود ذلك؛ لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أَدْعَى إلى إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحولنك ﴿قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ تحبها ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطۡرَ﴾ نحو ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ أي: الكعبة ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ﴾ خطاب للأمة ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ في الصلاة ﴿شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: التولي إلى الكعبة ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمۡۗ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا [تَعۡمَلُونَ]﴾(*) بالتاء(٦)، أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء؛ أي: اليهود من إنكار أمر القبلة.

[١٤٥] ﴿وَلَئِنۡ﴾ لام القسم ﴿أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَّا تَبِعُواْ﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿قِبۡلَتَكَۚ﴾ عنادًا ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ قَطْعٌ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾ أي: اليهود قبلة النصارى، وبالعكس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذٗا﴾ إن اتبعتهم فرضًا ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(*) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُصلي نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ (٢) سورة البقرة باب (٢).

---

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره، وأخرجه البخاري في التفسير من حديث البراء (٤٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم نحرير، ولا يقال: نحرير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لا لرؤية الله، وهو خطاب تودد.

(٦) لابن عامر، وحمزة، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمدًا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته؛ كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه [١٤٧] ﴿ٱلْحَقُّ﴾ كائنًا ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تَمْتَرِ.

[١٤٨] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهَهُ في صلاته، وفي قراءة[1]: ﴿مُوَلَّاهَا﴾ ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة؛ فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر[2] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء[3]، تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ كرره؛ للتأكيد[4] ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود: يجحد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين: يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بالعناد؛ فإنهم يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آبائه. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ ﴿نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق.

[١٥١] ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ«أُتم»؛ أي: إتمام كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ محمدًا ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

[١٥٢] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: مَعْنَاهُ أُجازِكُم. وفي الحديث عن الله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ»[5] ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية.

[١٥٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟﴾ على الآخرة ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ خصَّها بالذِّكرِ؛ لتكررها وعِظَمِها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالعون.

---

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضًا ونفلاً، ولكن السنة خصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغرابة الحكم حينئذٍ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم ﴿أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لحديث بذلك(1) ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه. [١٥٥] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ للعدو ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بالهلاك ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ﴾ بالجوائح؛ أي: لنختبركم؛ فننظر أتصبرون أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة. هم [١٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ﴾ مِلْكًا وعبيدًا، يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازينا، وفي الحديث: «مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ آجَرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا»(2)، وفيه أن مصباح النبي ﷺ طُفِئَ؛ فاسترجع؛ فقالت عائشة: إنما هذا مصباح!! فقال: «كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنَ فَهُوَ مُصِيبَةٌ»(3) [رواه أبو داود في مراسيله].

[١٥٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾ مغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ﴾ نعمة(4) ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب.

[١٥٨] ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ أعلام دينه، جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَبَّسَ بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا ۚ﴾ بأن يسعى بينهما سبعًا، نزلت لما كره المسلمون ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما، وعليهما صنمان يمسحونهما، وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض؛ لِمَا أَفَادَهُ رفع الإثم من التخيير. وقال الشافعي وغيره: ركن، وَبَيَّنَ ﷺ فريضته بقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»(5) [رواه البيهقي وغيره]، وقال: «ابْدَءُوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»(6) يَعْنِي الصَّفَا [رواه مسلم] ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ وفي قراءة(7): بالتحتية وتشديد الطاء مجزومًا، وفيه إدغام التاء فيها ﴿خَيْرًا﴾ أي: بخير؛ أي: عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلِيمٌ﴾ به(*).

ونزل في اليهود: [١٥٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة.

[١٦٠] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ عَمَلَهُمْ ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ مَا كَتَمُوا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. [١٦١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ قيل: عَامٌّ. وقيل: المؤمنون. [١٦٢] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمْهَلُونَ لتوبةٍ أو لمعذرةٍ. وَنَزَلَ - لَمَّا قَالُوا: صِفْ لَنَا رَبَّكَ -(8): [١٦٣] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ لا نظير له؛ لا في ذاته ولا في صفاته ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾. وطلبوا آية على ذلك؛ فَنَزَلَ:

(*) ما جاء في نزول الآية (١٥٨): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: سألت عائشة ﵂ فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة! قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؛ قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ الآية، قالت عائشة ﵂: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما. ثم أخبرت أبا بكر بن عبدالرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته. ولقد سمعت رجالًا من أهل العلم يذكرون أن الناس - إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٧٩) وجوب الصفا والمروة.

---

(١) وهو قوله ﷺ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ». مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود.
(٢) مسلم (٩١٨) بنحوه من حديث أم سلمة. (٣) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٣٣). (٤) وهذا تأويل كما هو مذهبه في الصفات، والصواب إثبات هذه الصفة وغيرها - الثابت بالكتاب والسنة - لله على الوجه اللائق به - سُبْحَانَهُ -، ومن لازمها إنعامه على من يرحم. (٥) ورواه أحمد في المسند (٢٧٤٧٤) من حديث حبيبة بنت أبي تجزأة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦٨). (٦) ضعيف بهذا اللفظ بصيغة الأمر، وصح بلفظ «نبدأ بما بدأ الله به» وبلفظ «أبدأ بما بدأ الله به» عند مسلم وغيره (مسلم ١٢١٨).
(٧) لحمزة والكسائي. (٨) ذكره الواحدي في الوسيط (١/٢٤٥) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٩٠).

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ فرّق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها جنوبًا وشمالاً، حارةً وباردةً ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى -، يسير إلى حيث شاءَ اللهُ ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالات على وحدانيته - تعالى - ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَندَادًا﴾ أصنامًا ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: كحبهم له ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ [تَرَى]﴾(١) تبصر يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول(٢)؛ يبصرون(٣) ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا، و﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي: لأن ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿يَرَى﴾ بالتحتانية، والفاعل ضمير السامع(٤)، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، و«أن»(٥) وما بعدها(٦) سدت مسد المفعولين(٧)، وجواب «لو» محذوف؛ والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذابِ اللهِ وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة، لَمَا اتخذوا من دونه أندادًا.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي: الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿تَبَرَّأَ﴾ ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ الْوُصَلُ التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعةً إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ اليوم، و«لو» للتمني، و«نتبرأ» جوابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ حال؛ ندامات(٨) ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بعد دخولها.

ونزل فيمن حرَّمَ السوائبَ ونحوها: [١٦٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة؛ أي: مُستلَذًّا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الإثم ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ القبيح شرعًا ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (يرى).

(٢) أي: بضم الياء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (يَرَوْنَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يبصرون، وعلى الثانية: يُبْصَرُونَ.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو «أن» الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما وقوعها موقع المفعولين لعلم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع ندامة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَ﴾ يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق؟! والهمزة للإنكار.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ يصوت ﴿بِمَا﴾[1] ﴿لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ أي: صوتًا، ولا يفهم معناه؛ أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهائم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه[2]، هم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة.

[١٧٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا ما بعدها؛ وهي: مَا لَمْ يُذَكَّ شَرْعًا، وألحق بها بالسنة ما أبين من حيٍّ؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّمَ﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ خُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره تَبَعٌ له ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: ذُبِحَ على اسم غيره، والإهلالُ رفعُ الصوتِ، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارجٍ على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدٍّ عليهم بقطع الطريق[3] ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته؛ حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويلحق بهما كل عاص بسفره؛ كَالآبِقِ وَالْمَكَّاسِ[4]؛ فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتمل على نعت محمد ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، يأخذونه بدله من سفلتهم، فلا يظهرونه؛ خوف فوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مآلهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غضبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم من النار.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أي: ما أشد صبرهم!! وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأي صبر لهم.

[١٧٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار، وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نَزَّلَ﴾؛ فاختلفوا فيه؛ حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك ـ وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن؛ حيث قال بعضهم: شعر. وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة ـ ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

---

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره ـ أيضًا ـ: المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالناعق على البهائم. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: في الميتة. أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما أبيح له اضطرارًا؛ أي: لا يشبع منها.

(٤) الآبق: العبد الهارب من سيده، و «المكّاس»: «المَكس»: بفتح الميم: الخيانة، والمراد به: الذي يأخذ الضريبة ظلمًا.

۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ
بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ
فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

[١٧٧] ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نَزَلَ رَدًّا على اليهود والنصارى؛ حيث زعموا ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذَا البر، وقرئ[1] بفتح الباء؛ أي: البار ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أي: الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي﴾ فَكِّ ﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة، وما قبله في التطوع ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ اللَّهَ أو الناسَ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح[2] ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وقت شدة القتال في سبيل اللَّه ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اللَّه.

[١٧٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ وصفًا[3] وفعلًا[4] ﴿الْحُرُّ﴾ يُقتَلُ ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يُقتَلُ بالعبدِ ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ وَبَيَّنَتِ السُّنةُ أَنَّ الذكرَ يُقْتَلُ بها[5]، وأنه تُعْتَبَرُ المماثلةُ في الدِّينِ؛ فلا يُقْتَلُ مسلم ولو عبدًا بكافر ولو حرًّا[6] ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دَمِ ﴿أَخِيهِ﴾ المقتولِ ﴿شَيْءٌ﴾ بأن ترك القصاص منه، وتنكير ﴿شَيْءٌ﴾ يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه[7] ومن بعض الورثة، وفي ذكر ﴿أَخِيهِ﴾ تَعَطُّفٌ[8] دَاعٍ إلى العفو، وإيذانٌ بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان[9]، و«مَنْ» مبتدأ شرطية أو موصولة، والخبر: ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ أي: فَعَلَى العافي اتباعٌ للقاتلِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما، وهو أحد قولي الشافعي، والثاني: الواجب القصاص، والدية بدل عنه؛ فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورجح ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَاءٌ﴾ الدية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: العافي؛ وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مطل ولا بخس ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيل ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم؛ حيث وسع في ذلك، ولم يحتم أحدًا منهما؛ كما حتم على اليهود القصاص، وعلى النصارى الدية ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة بالنار، أو في الدنيا بالقتل.

[١٧٩] ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي: بقاءٌ عظيمٌ ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول؛ لأن القاتل إذا علم أنه يُقْتَلُ ارْتَدَعَ؛ فَأَحْيَا نفسَهُ وَمَنْ أراد قتلَهُ؛ فشرع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل؛ مخافة القود. [١٨٠] ﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه[10] ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالًا ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوعٌ بـ«كُتِبَ»[11]، ومتعلقٌ بـ«إذا» إن كانت ظرفيةً[12]، ودالٌّ على جوابها إن كانت شرطيةً، وجواب[13] «إنْ»: أي فليوص ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل بأن لا يزيد على الثلث، ولا يُفَضِّل الغنيَّ ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللَّه، وهذا منسوخ بآية الميراث، وبحديث: «لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[14] [رواه الترمذي].

[١٨١] ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي: الإيصاء من شَاهِدٍ وَوَصِيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي: الإيصاء الْمُبَدَّل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر[15] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولِ الْمُوصِي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلِ الْوَصِيِّ؛ فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

---

(١) أي شذوذًا.
(٢) وليس المراد أنه يقدر عامل من مادة «مدح» فقط؛ بل المراد أنه معمول لفعل محذوف كأخص أو أذكر أو أمدح؛ وهو للتنبيه على فضيلة الصبر.
(٣) بأن يكون القاتل مثل المقتول أو أدنى منه، وإلا فلا قود.
(٤) أي: فلو قتل بسيف فإنه يقتل به، أو بغيره فبغيره.
(٥) كما عند البخاري (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢) من حديث أنس؛ أن النبي ﷺ أمر برضِّ - دقِّ - رأس يهودي بين حجرين؛ لرضِّه رأس جارية.
(٦) كما عند البخاري (٣٠٤٧)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي مرفوعًا: «لا يُقتل مسلم بكافر».
(٧) أي: القصاص، ولو شيئًا يسيرًا كعشره، وذلك إذا كان الولي واحدًا وعفا عن بعض القصاص.
(٨) أي: من الله ﷻ.
(٩) خلافًا للخوارج القائلين بقطع الإيمان بالمعاصي.
(١٠) أي: علاماته؛ كالأمراض الشديدة والجراحات التي يظن منها الموت عادة.
(١١) أي: على أنه نائب فاعل.
(١٢) أي: محضة، لم يكن فيها معنى الشرط، بل المراد منها الوقت والزمن. وتقدير الكلام: «كُتب عليكم الوصيةُ إذا حضر؛ أي وقت حضور الموت».
(١٣) أي: ودال على جواب «إن».
(١٤) صحيح سنن الترمذي (٢٢١٨).
(١٥) أي: مع مراعاة معنى «من»، ولو راعى لفظها لقال: على الذي بدله. ولو أضمر لقال: عليه.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ مُخففًا ومُثقَّلاً[١] ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق خطأً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين المُوصِي والمُوصَى لَهُ بالأمر بالعدل ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصيَ؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام، أو بـ«صوموا» مقدرًا ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان؛ كما سيأتي، وَقَلَّلَهُ تسهيلاً على المكلفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حين شهوده ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرًا سفرَ القصرِ، وأجهده الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لكبر أو مرض لا يُرْجى برؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةُ﴾[٢]، وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدرة[٣] -، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسِخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال؛ هاديًا من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ﴾ آيات واضحات ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد[٤] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيْضًا؛ للأمر بالصوم[٥] عَطَفَ عَلَيْهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد[٦] ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللَّهَ على ذلك.

وسأل جماعةٌ النبيَّ ﷺ: أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيَهُ أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيَهُ؟ فَنَزَلَ:

[١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[٧] منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

---

(١) بفتح الواو وتشديد الصاد لحمزة والكسائي وشعبة.

(٢) لنافع وابن ذكوان، ومع جمع ﴿مِسْكِينٍ﴾ لنافع وابن عامر.

(٣) أي: لفظة «لا» غير مقدرة في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير «لا» تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.

(٤) فإنه يعم المسافر وغيره والمريض وغيره.

(٥) أي: صوم القضاء؛ يعني: من غير تقييد بتتابع أو غيره.

(٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.

(٧) أخرجه ابن جرير والبغوي في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الصُّلب بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الصُّلب بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده (٣٥٢/١). وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٤٨١/٣).

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

[١٨٧] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ بالجماع، ونزل نسخًا لما كان في صدر الإسلام على تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء[1] ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾[2] تخونون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام؛ وقع ذلك لعمر وغيره[3]، واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ ﴿وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ﴾ إذ أحل لكم ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أَبَاحَهُ مِنَ الجماعِ أَوْ قَدَّرَهُ مِنَ الولدِ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ الليلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: الصادق؛ بيان للخيط الأبيض، وبيان الأسود محذوف؛ أي: من الليل؛ شَبَّهَ ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش[4] بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم ﴿وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ متعلق بـ﴿عَـٰكِفُونَ﴾، نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حَدَّهَا لعباده؛ ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من «لا تعتدوها» المعبر به في آية أخرى[5] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّنَ لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمَهُ[*]. [١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ أي: يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ الحرام شرعًا؛ كالسرقة والغصب ﴿وَ﴾ لا[6] ﴿تُدْلُوا۟﴾ تلقوا[7] ﴿بِهَآ﴾ أي: بحكومتها[8] أو بالأموال رشوةً ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون.

[١٨٩] ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ جمع هلال: لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً، ثم تزيد حتى تمتلئ نورًا، ثم تعود كما بَدَتْ، ولا تكون على حالة واحدة؛ كالشمس[9]؟! ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ﴾ جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم، ومتاجرهم، وَعِدَدَ نسائهم، وصيامهم، وإفطارهم ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ عَطْفٌ على الناسِ؛ أي: يُعْلَمُ بِهَا وَقْتُهُ؛ فلو استمرت على حالة، لم يُعْرَفْ ذلك ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام؛ بأن تنقبوا فيها نقبًا تدخلون منه وتخرجون، وتتركوا الباب، وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه بِرًّا ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللَّهَ بترك مخالفته ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ في الإحرام ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون[**].

وَلَمَّا صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية، وَصَالَحَ الكفارَ على أن يعود العام القابل وَيُخْلُوا له مكة ثلاثة أيام، وَتَجَهَّزَ لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وَكَرِهَ المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نَزَلَ: [١٩٠] ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حَدَّ لَهُمْ، وهذا منسوخ بآية براءة[10]، أو بقوله:

(*) ما جاء في نزول الآية (١٨٧): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل اللَّه: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة: (٢) باب (٢٧). وأخرج أيضًا عن البراء رضي الله عنه قال: «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صِرْمة الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءت امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه. فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. البخاري - كتاب الصوم (٣٠) باب (١٥).

(**) ما جاء في نزول الآية (١٨٩): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: «نزلت هذه الآية فينا؛ كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن =

(١) أي: دخول وقتها أو بعد النوم ولو قبلها، كما حصل لقيس بن صِرْمَةَ؛ فغشي عليه نصف النَّهار من الجوع، رواه البخاري (١٩١٥) وسيأتي في أسباب النزول. (٢) لم يقل: «تخونون»؛ لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان؛ وهو: تحرك الإنسان للوقوع في الخيانة. (٣) رواه أحمد في المسند (١٥٣٦٨) من حديث كعب بن مالك، وأبو داود في سننه (٢٣١٣) من حديث ابن عباس بنحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٠٢٨).

(٤) بقية الليل أو ظلمة آخر الليل، والمراد باستداده معه اتصاله به على سبيل التعاقب. (٥) هي الآية ٢٢٩ من هذه السورة. (٦) إشارة إلى أن ﴿تُدْلُوا۟﴾ مجزوم عطفًا على النهي، ويؤيده قراءة أُبي: ﴿وَلَا تُدْلُوا﴾ بإعادة «لا» الناهية. (٧) أي: تسرعوا وتبادروا؛ أي: لا تسرعوا بالخصومة على الأموال إلى الحكام؛ ليعينوكم على إبطال حق أو تحقيق باطل. (٨) أي بإقامة الدعوى بها باطلًا.

(٩) وهذه صيغة سؤالهم. (١٠) وهي قوله - تعالى -: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [براءة: ٣٦]، قال ابن كثير بعد أن حكى هذا القول: «وفي هذا نظر، لأن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ إنما هو =

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

[١٩١] ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: من مكة، وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظم ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم والإحرام الذي اسْتَعْظَمْتُمُوهُ ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه، وفي قراءة: بلا ألف في الأفعال الثلاثة[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القتل والإخراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. [١٩٢] ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [١٩٣] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شركٌ ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، لا يُعْبَدُ سواه ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الشرك؛ فلا تعتدوا عليهم؛ دَلَّ على هذا: ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وَمَنِ انتهى فليس بظالم؛ فلا عدوان عليه. [١٩٤] ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ المحرم مقابل ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فكلما قاتلوكم فيه، قاتلوهم في مثله، رَدٌّ لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمع حرمة؛ ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يُقْتَصُّ بمثلها إذا انْتُهِكَتْ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ سَمَّى مقابلته اعتداءً؛ لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. [١٩٥] ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أنفسكم، والباء زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك؛ بالإمساك عن النفقة في الجهاد(*)، أو تركه؛ لأنه يقوي العدو عليكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يثيبهم[2].

[١٩٦] ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أدوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنِعْتُمْ عن إتمامها بعدو ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليكم؛ وهو: شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي: لا تتحللوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ المذكور ﴿مَحِلَّهُ﴾ حيث يَحِلُّ ذبحه؛ وهو: مكان الإحصار عند الشافعي؛ فيُذبح فيه بنية التحلل، ويفرَّق على مساكينه، ويَحْلِق، وبه يحصل التحلل. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ كقمل وصداع، فَحَلَقَ في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي: ذبح شاة، و«أو» للتخيير، وألحق به مَنْ حَلَقَ لغير عذر؛ لأنه أَوْلَى بالكفارة، وكذا مَنِ استمتع بغير الحلق؛ كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ العدوَّ، بأن يذهب، أو لم يكن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام[3] ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾[4] أي: إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه؛ وهو: شاة يذبحها بعد الإحرام به، والأفضل يوم النحر[5] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي؛ لفقده أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في حال الإحرام به؛ فيجب حينئذٍ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجة، والأفضل قبل السادس؛ لكراهة صوم يوم عرفة، ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وطنكم مكة أو غيرها، وقيل: إذا فرغتم من أعمال الحج، وفيه

= من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾» البخاري - باب (١٨) كتاب العمرة (٢٦). **وفي رواية عن البراء قال:** كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٢٩).

(*) ما جاء في نزول الآية (١٩٥): أخرج أبو داود عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مَهْ مَهْ، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة!! فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هلمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؛ فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا، ونصلحها، وندع الجهاد... أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٣). =

= تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم؛ كما قال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾؛ ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: لتكون همتكم منبعثة على قتالهم كما أن همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصًا. وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي...؛ من المُثْلَةِ، وَالْغُلُولِ، وَقَتْلِ النساءِ والصبيانِ والشيوخِ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبانِ، وأصحابِ الصوامعِ، وتحريقِ الأشجارِ، وقتلِ الحيوانِ لغير مصلحة...».

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) وهذا مذهب الأشاعرة وأمثالهم من المبتدعة الذين يؤولون الصفات بدعوى أنها توهم نقصًا في حق الخالق ﷻ، أما أهل السنة فيثبتونها لله على ما يليق بجلاله، من غير أن يقتضي ذلك نقصًا أو تشبيهًا، كما يثبتون لازمها؛ وهو: إرادته - سُبْحَانَهُ - إكرامَ أهلِ محبتِهِ وإثابَتَهُم، وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

(٣) متعلق بـ«تمتع». (٤) متعلق بمحذوف؛ أي: واستمر تمتعه وانتفاعه بالمحظورات إلى الحج. (٥) هذا قول الشافعي. والجمهور على أن وقت ذبحه يوم النحر، فلا يجوز ذبح الهدي قبله كالأضحية.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا
رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ
خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ
وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ
رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ
﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

التفات عن الغيبة(١). ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على مَنْ تمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان؛ فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني: لا، والأهل كناية عن النفس(٢)، وَأُلْحِقَ بالمتمتعِ ـ فيما ذكر بالسنة ـ الْقَارِنُ؛ وهو: مَنْ أحرم بالعمرة والحج معًا أو يُدْخِلُ الحجَّ عليها قبل الطواف(٣) ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خَالَفَهُ.

[١٩٧] ﴿ٱلْحَجُّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة، وقيل: كله ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا [رَفَثٌ](٤)﴾ جماع فيه ﴿وَلَا [فُسُوقٌ](٥)﴾ مَعَاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصام ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾ وفي قراءة: بفتح الأولين(٦)، والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم به.

وَنَزَلَ في أهل اليمن ـ وكانوا يحجون بلا زاد؛ فيكونون كَلًّا على الناس(٭) ـ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ما يُتَّقَى به سؤال الناس وغيره ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوي العقول.[١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقًا ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج، نَزَلَ رَدًّا لكراهتهم ذلك(٭٭) ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: قُزَح(٧). وفي الحديث: «أَنَّهُ ﷺ وَقَفَ بِهِ، يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَدْعُو؛ حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا»(٨) [رواه مسلم] ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ قبل هداه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾ يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: من عرفة؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة؛ ترفعًا عن الوقوف معهم، و«ثم» للترتيب في الذكر ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم(٭٭٭).[٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ أَدَّيْتُمْ ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ عبادات حجكم؛ بأن رَمَيْتُمْ جمرةَ العقبةِ وَطُفْتُمْ وَاسْتَقْرَرْتُمْ بِمِنى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة(٩) ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ من ذكركم إياهم، ونصب ﴿أَشَدَّ﴾ على الحال من ذكر المنصوب بـ«اذكروا»؛ إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ نصيبًا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فَيُؤْتَاهُ فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيب [٢٠١] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله: [٢٠٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِّ﴾ ـنْ أَجْلِ ﴿مَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحديث

= وأخرج البخاري عن حذيفة: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قال: نزلت في النفقة. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).

(٭) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾. البخاري ـ كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا۟...﴾.

(٭٭) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأثموا، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾. البخاري ـ كتاب البيوع (٣٤) باب (١).

(٭٭٭) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب =

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع ﴿مَن﴾، ولو روعي اللفظ لقيل: إذا رجع، بضمير الغيبة.

(٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن التوطن يكون بذلك.

(٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤) ، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فلا رفثٌ ولا فُسُوقٌ ولا جدالَ﴾ بتنوين ورفع «رفث» و «فسوق». وقرأ بقية السبعة: ﴿فلا رفث ولا فسوقَ ولا جدالَ﴾.

(٦) أي: «رَفثَ» و«فُسُوقَ» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر. (٨) مسلم (١٢١٨).

(٩) عن ابن عباس ﷺ قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأنزل الله: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ =

۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

بذلك[1].

[٢٠٣] ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من مِنًى ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بَاتَ لَيْلَةَ الثالثِ ورمى جماره ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخيرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللَّهَ في حجه؛ لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقًا حلو الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحب له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه اللَّه في ذلك، وَمَرَّ بِزَرْعٍ وَحُمُرٍ لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً[2]؛ كما قال ـ تَعَالَى ـ: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أي لا يرضى به[3].

[٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ الذي أُمِرَ باتقائه ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى﴾ يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: يبذلها في طاعة اللَّه ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيب لَمَّا آذاهُ المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله[4] ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. وَنَزَلَ في عبداللَّه ابن سلام وأصحابه لما عظموا السبت[5] وكرهوا الإبل[6] بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى [ٱلسَّلْمِ]﴾ بفتح السين وكسرها[7]؛ الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ حال من ﴿[ٱلسَّلْمِ]﴾؛ أي: في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنُ العداوةِ.

[٢٠٩] ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ مِلْتُمْ عن الدخول في جميعه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٢١٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخولَ فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمره[8]؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [9] أي: عذابه ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ تَمَّ أمرُ هلاكهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ـ بالبناء للمفعول والفاعل[10] ـ في الآخرة؛ فيجازي كُلاً بعمله.

= يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر اللَّه نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي اللَّه عنها أن هذه الآية نزلت في الحمس: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع إلى عرفات» البخاري ـ كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ...﴾. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٥٥ رقم ١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/٥٥٧). وحسنه صاحب الاستيعاب (١/١٤٢، ١٤٣).

(١) لقد سها الجلال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفه نصف النهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة ...»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في عقاب مانعي الزكاة في المحشر ـ قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد ...» البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو من السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مثله من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نبه على ذلك القاضي كنعان في «قرة العينين على تفسير الجلالين».

(٢) أخرجه الطبري (٢/٣٢٤) في تفسيره عن السدي مرسلًا، وضعفه جدًا في الاستيعاب (١/١٤٤، ١٤٥). (٣) وهذا من تأويل صفة المحبة التي يثبتها أهل السنة لله عَزَّ وَجَلَّ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٤) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١/١٤٦ـ ١٤٨).

(٥) أي: احْتَرَمُوهُ بتحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (٢/١٨٩) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسل ضعيف كما في الاستيعاب (١/١٤٨).

(٦) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٧) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقون بالكسر. (٨) وهذا تأويلٌ تَأْبَاهُ النصوصُ وكلام السلف، وهو مذهب المبتدعة، أما الذي عليه السلفُ أهلُ السنة والجماعة: أن الإتيان والمجيء صفتان من صفات الفعل له ـ سُبْحَانَهُ ـ، وهما من أفعاله الاختيارية التي يثبتونها لله ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزهًا عن جميع التشبيه الذي يخطر في عقول المعطلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٧٩)]. (٩) النحل: ٣٣. (١٠) قوله: (بالبناء للمفعول) يعني من الرجع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من =

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

[٢١١] ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتًا: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ كم استفهامية معلقة(١) ﴿سَلْ﴾ عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي «آتينا»(٢)، ومميزها(٣): ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ ظاهرة؛ كفلق البحر وإنزال المن والسلوى، فبدلوها كفرًا ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات؛ لأنها سبب الهداية ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ كفرًا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بالتمويه(٤)؛ فأحبوها ﴿وَ﴾ هُمْ ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لفقرهم؛ كبلال وعمار وصهيب؛ أي: يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك؛ وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا في الآخرة أو الدنيا؛ بأن يملك المسخورُ منهم أموالَ الساخرين ورقابهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا؛ بأن آمن بعضٌ وكفر بعضٌ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَن كفر بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿أَنزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ من الدِّين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: الكتاب؛ فآمن بعضٌ وكفر بعضٌ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد، و﴿مِنۢ﴾ متعلقة بـ﴿ٱخْتَلَفَ﴾، وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيَۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ﴾ بإرادته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايتَهُ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. وَنَزَلَ في جهد أَصحاب المسلمين: [٢١٤] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَ ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لَم ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾ شبه ما أتى ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ﴾ من المؤمنين من المحن؛ فتصبروا كما صبروا ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أُزْعِجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع(٥)؛ أي: قال ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استبطاءً للنصر؛ لتناهي الشدة عليهم: ﴿مَتَىٰ﴾ يأتي ﴿نَصْرُ ٱللَّهِۗ﴾ الذي وُعِدْنَاهُ فأُجِيبُوا من قِبَلِ اللَّه: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه

[٢١٥] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ أي: الذي ينفقونه، والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخًا ذا مال، فسأل ﷺ عمَّا ينفق وعلى مَنْ ينفق(٦)؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ﴿مَآ﴾، شامل للقليل والكثير، وفيه بيان المُنْفَق الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

= الرجوع؛ فرجع يستعمل لازمًا ومتعديًا، وقرأها ابن عامر وحمزة والكسائي بالبناء للفاعل والباقون بالبناء للمفعول.

(١) التعليق: هو إبطال العمل لفظًا لا محلاً، والإلغاء: إبطاله لفظًا ومحلاً، فتكون جملة: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ في المعنى في محل المفعول الثاني لـ﴿سَلْ﴾. والتعليق مختص بأفعال القلوب، والسؤال وإن لم يكن من أعمال القلوب، إلا أنه سبب للعلم، والعلم منها، فأعطي حكمها من نصب المفعولين وصحة التعليق.

(٢) أي: إن ﴿كَمْ﴾ هي المفعول الثاني لـ«آتينا»، ومفعول «آتينا» الأول هو: الهاء من الضمير «هم»، وهذا مذهب الجمهور.

(٣) إنما زيدتْ؛ ليعلم بها أن مدخولها وهو قوله: ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ مميز لا مفعول ثان لـ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾.

(٤) الباء سببية؛ أي: بسبب التمويه؛ أي: الزخرفة والبهجة.

(٥) بالرفع قراءة نافع، والنصب بـ (أن) مضمرة، و﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى: إلى، وهي تنصب المضارع بعدها إذا كان مستقبلاً، والرفع باعتبار ما بعدها حالاً مقارنًا لما قبلها، أو أن الفعل بعده ماض؛ بمعنى: أن القول والزلزال قد مضى.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٣/١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فهو موضوع، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٨٥/١) نحوه، دون تسمية السائل، وعزاه لعبد بن حميد.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

[٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ مكروه ﴿لَّكُمْ﴾ طَبْعًا لمشقته ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها؛ فلعل لكم في القتال ـ وإن كرهتموه ـ خيرًا؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه ـ وإن أحببتموه ـ شرًّا؛ لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فبادروا إلى ما يأمركم به.

وَأَرسَل النبيُّ أولَ سراياه وعليها عبد الله بن جحش[١]؛ فقاتلوا المشركين وقتلوا ابنَ الحضرمي آخِرَ يومٍ من جمادى الآخرة، وَالْتَبَسَ عليهم برجب؛ فَعَيَّرَهُمُ الكفارُ باستحلاله؛ فنزل[٢]: [٢١٧] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدلُ اشتمال[٣] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم وزرًا[٤]، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ[٥]، منع للناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ بالله ﴿وَ﴾ صد عن[٦] ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر المبتدأ[٧]: ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقيد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله؛ فيثاب عليه، ولا يعيده كالحج مثلاً، وعليه الشافعي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. وَلَمَّا ظن السريَّة أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نَزَلَ[٨]: [٢١٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ فارَقُوا أوطانهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ القمار، ما حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَآ﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم، وفي قراءة: بالمثلثة[٩]، لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وَقَوْلِ الفحش ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كَدٍّ في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شَرِبَهَا قَوْمٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة(*) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلِ﴾: أنفقوا ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ أي: الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة: بالرفع[١٠] بتقدير «هو» ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما بيَّنَ لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(*).

(*) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود ـ كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسيأتي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

---

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرج نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٢٩/٥ رقم ٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهر؛ إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه.

(٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأً كفعل السرية؛ فلا إثم فيه.

(٥) أي: مع ما عطف عليه، وجملتها أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ لأنه أفعل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجردًا من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

(٧) أي: وما عطف عليه ـ كما سبق.

(٨) أخرجه بنحوه ابن اسحاق في السيرة (٢٣٩/٢، ٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كثير، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٠) لأبي عمرو، خبر لمحذوف تقديره: هو.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

[٢٢٠] ﴿فِي﴾ أمر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ وما يلقونه من الْحَرَجِ في شأنهم؛ فإن وَاكَلُوهُمْ يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعامًا وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أموالهم؛ بتنميتها، ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إِخْوَانُكُمْ في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه؛ أي: فلكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها؛ فيجازي كُلاً منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لَضَيَّقَ عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه[*]. [٢٢١] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ تتزوجوا أيها المسلمون ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ أي: الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حرة؛ لأن سبب نزولها العيب[١] على من تزوج[٢] أَمَةً، وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الْكِتَابِيَّاتِ بآية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ تُزوِّجوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لماله وجماله ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها؛ فلا تليق مُنَاكَحَتُهُمْ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته؛ فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. [٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض أو مكانه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قذرٌ أو محله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطأهن ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: وقته أو مكانه[٣]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء[٤]؛ أي: يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض؛ وهو: الْقُبُلُ، ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ويكرم[٥] ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأقذار[٦][**]. [٢٢٣] ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي: محل زرعكم الولدَ ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: محله؛ وهو: الْقُبُلُ ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، وَنَزَلَ ردًّا لقول اليهود: «من أتى امرأته في قُبُلِهَا؛ أي: من جهة دُبُرِهَا جَاءَ الولدُ أَحْوَلَ»[٧][***] ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ العملَ الصالحَ؛ كالتسمية عند الجماع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة.

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي: الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ عِلَّةً مَانِعَةً[٨] ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: نُصْبًا[٩] لها بأن تكثروا الحلفَ[١٠] به ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ فَتُكْرَهُ اليمينُ على ذلك، ويسن فيه الحنث، ويكفِّر بخلافها على فعل البرِّ ونحوه، فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى: لا تمتنعوا من

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٢٠): أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: لما أنزل اللَّه ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الأنعام: ١٥٢] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فما يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول اللَّه ﷺ فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرابهم بشرابه. أبو داود ـ كتاب الوصايا (١٢) باب (٧) مخالطة اليتيم في الطعام ...

(**) ما جاء في نزول الآية (٢٢٢): أخرج مسلم: عن أنس رضي الله عنه: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ...﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول اللَّه ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه. مسلم ـ كتاب الحيض (٣) باب (٣) جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله.

(***) ماجاء في نزول الآية (٢٢٣): أخرج البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابرًا رضي الله عنه قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا =

(١) أي: التعييب من المسلمين. (٢) يشير إلى ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٥ عن ابن عباس أن الآية نزلت في عبد الله بن رواحة رضي الله عنه؛ كانت عنده أمة سوداء فأعتقها وتزوجها؛ فأبوا عليه ذلك وعابوه؛ فأنزل اللَّه: ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾. وضعف إسناده في الاستيعاب (١٦٨/١)؛ قال: فيه أسباط بن نصر؛ ضعفه النسائي وأبو زرعة وأبو نعيم وغيرهم.
(٣) فهو مصدر ميمي يصلح للحدث والزمان والمكان. (٤) بتشديد الطاء وفتحها وفتح الهاء، قراءة حمزة والكسائي وشعبة. (٥) وهذا تأويل لصفة المحبة ببعض لوازمها، وسبق بيان المذهب الحق في ذلك وإثباته وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ. (٦) الحسية والمعنوية. (٧) البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥) من حديث جابر. وانظر ما جاء في نزول الآية. (٨) المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله سببًا مانعًا لكم من البر والتقوى؛ يُدعى أحدكم إلى بر أو صلة رحم فيقول: قد حلفت بالله لا أفعله؛ فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح.
(٩) أي: غرضًا مانعًا من فعل البر. (١٠) هذا تفسير آخر للآية؛ أي: لا تكثروا الحلف وإن كنتم بَارِّينَ متقين مصلحين؛ لما فيه من ابتذال اسمه ـ تَعَالَى ـ في كل شيء، وكان المناسب أن يقول: «أو أن =

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

فِعْلِ ما ذُكِرَ من البرّ ونحوه إذا حلفتم عليه، بل ائتوه وكفروا؛ لأن سبب نزولها الامتناعُ من ذلك ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

[٢٢٥] ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ نحو: واللَّه، وبلى واللَّه؛ فلا إثم عليه، ولا كفارة(*) ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾ أي: قصدته من الأيمان إذا حنثتم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي: عليه؛ بأن لا يفيئوا؛ فليوقعوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم، المعنى: ليس لهم بعد تربص ما ذُكِر(١) إلا الفيئة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾(**) تمضي من حين الطلاق، جمع قَرء؛ بفتح القاف(٢)؛ وهو: الطهر(٣)، أو الحيض(٤)، قولان، وهذا في المَدْخُولِ بِهِنَّ، أما غيرهن؛ فلا عدة عليهن؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾(٥) وفي غير الآيسة والصغيرة: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: فعدتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(٦) كما في سورة الطلاق، والإماء: فعدتهن قَرْءان بالسُّنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن، ولو أَبَيْنَ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ﴾ بينهما؛ لا إضرار المرأة(٧)، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، و﴿أَحَقُّ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم من نكاحهن(٨) في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿مِثْلُ ٱلَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ شرعًا؛ من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ فضيلة في الحق؛ من وجوب طاعتهن لهم لما سَاقُوهُ من المهرِ والإنفاقِ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلْكِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دَبَّرَهُ لخلقه.

[٢٢٩] ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ أي: التطليق الذي يُرَاجَعُ بَعْدَهُ ﴿مَرَّتَانِۖ﴾ أي: اثنتان ﴿فَإِمْسَاكُۢ﴾ أي: فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحُۢ﴾ أي: إرسالهن ﴿بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْـًٔا﴾ إذا طلقتموهن(٩) ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي: الزوجان ﴿أَ﴾ نْ ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: أن لا يأتيا بما حَدَّهُ لهما من الحقوق، وفي قراءة: ﴿يُخَافا﴾(١٠) بالبناء للمفعول، فـ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بدلُ اشتمال من الضمير فيه، وقرئ: بالفوقانية في الفعلين(١١) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ نْ ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ﴾ نفسها من المال ليطلقها؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بَذْلِهِ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

[٢٣٠] ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوجُ بعد الثِّنْتَيْنِ ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾ ويطأها؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان(١٢) ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

= حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾: أنزلت في قوله: لا واللَّه، وبلى واللَّه. البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).

(**) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرج أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها أنها طلقت على عهد رسول اللَّه ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل اللَّه عز وجل حين طلقت أسماء بالعـــدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطلقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) بـاب (٣٦) (في عدة المطلقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= تكثروا...» بدلاً من قوله: «بأن تكثروا». (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما ضبطه المفسر بالفتح فقط مع أنه يصح فيه الوجهان بالضم والفتح؛ لأجل جمعه في الآية على «قروء»؛ فمفردها: «قَرء»، أما «قُرء» فجمعها «أقراء». (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في [زاد المعاد (٤/٢٢٥)].

(٥) الأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فتحرم الرجعة إذ ذاك. (٨) صوابه أن يقول: فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتهن كما عبر به غيره. (٩) أي: وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحمزة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا
طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ
أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربْنَ انقضاءَ عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول لأجله ﴿لِّتَعْتَدُواْۚ﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء، والتطليق، وتطويل الحبس[1] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾ مَهْزوءًا بها بمخالفتها[2] ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولا يخفى عليه شيء.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء؛ أي: تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن؛ لأن سبب نزولها: أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فأراد أن يراجعها؛ فمنعها معقل بن يسار؛ كما رواه الحاكم[3](*) ﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ﴾ أي: الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ شرعًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ترك العضل ﴿أَزْكَىٰ﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتبعوا أوامره.

[٢٣٣] ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي: ليرضعن ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِۖ﴾ صفة مؤكدة[4]، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي: الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كُنَّ مطلقات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ أي: بسببه بأن تُكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ أي: بسببه بأن يكلف فوق طاقته، وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف[5] ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ أي: وارث الأب؛ وهو: الصبي؛ أي: على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَۗ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فطامًا له قبل الحولين، صادرًا ﴿عَن تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما؛ لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مراضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إليهن ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي: أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ بالجميل؛ كطيب النفس ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٣٢): أخرج البخاري عن الحسن قال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه؛ قال: زوجت أختًا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها؛ فقلت له: زوجتك وأفرشتُكَ وأكرمتُكَ فطلقتَها، ثم جئت تخطبها؟! لا والله لا تعود إليك أبدًا، وكان رجلًا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه. البخاري - كتاب الطلاق (٢٧)، باب (٧٥) نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث.

---

(١) أي: العدة.

(٢) أطلق الاستهزاء وأراد المخالفة.

(٣) رواه البخاري (٤٥٢٩)، والحاكم (٢/٢٨٠).

(٤) وفائدتها اعتبار الحولين من غير نقص.

(٥) وتنبيهٌ على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه والإشفاق عليه؛ فلا ينبغي أن يُضِرَّا به أو يَتَضَارَّا بسببه.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

[٢٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ﴾ يموتون ﴿مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ﴾ أي: ليتربصن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بَعْدَهُمْ عن النكاح ﴿أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ بآية الطلاق، وَالأَمَةُ على النصف من ذلك بالسُّنَّة(1) ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض لِلْخُطَّاب ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ شرعًا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم﴾ لَوَّحْتُمْ ﴿بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان ـ مَثَلاً ـ: «إنك لجميلةٌ، وَمَن يجد مثلك، وَرُبَّ راغب فيك» ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ﴾ أضمرتم ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحًا ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ أي: ما عرف شرعًا من التعريض، فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي: على عَقْدِهِ ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُۥۚ﴾ بأن ينتهي ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من العزم وغيره ﴿فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٞ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٣٦] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة(2): ﴿[تُمَاسُّوهُنَّ]﴾ أي: تجامعوهن ﴿أَوۡ﴾ لم ﴿تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾ مهرًا، و﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية؛ أي: لا تَبِعَةَ عليكم في الطلاق زَمَنَ عدمِ المسيسِ والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ﴾ الضَّيِّقِ الرزقِ ﴿قَدَرُهُۥ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَٰعَۢا﴾ تمتيعًا ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ شرعًا، صفة ﴿مَتَٰعَۢا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكِّد(3) ﴿عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ المطيعين.

[٢٣٧] ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَعۡفُونَ﴾ أي: الزوجات؛ فَيَتْرُكْنَهُ ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ وهو الزوج؛ فيترك لها الكل، وعن ابن عباس: الولي، إذا كانت محجورةً فلا حرج في ذلك ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

---

(1) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعًا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان». رواه الترمذي (١١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر موقوفًا ومرفوعًا وصحح الموقوف كما في التلخيص الحبير (٢١٣/٢).

(2) لحمزة والكسائي.

(3) في النسخة المطبوعة: «مؤكدة»، والمثبت من الصاوي.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

[٢٣٨] ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾(*) هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفردها بالذِّكْرِ؛ لِفَضْلِها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَٰنِتِينَ﴾ قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كُلُّ قُنُوتٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ»(١) [رواه أحمد وغيره]، وقيل: ساكتين؛ لحديث زيد بن أرقم: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلاةِ حَتَّى نَزَلَتْ، فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلامِ»(٢) [رواه الشيخان]. [٢٣٩] ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ من عدو أو سيل أو سبع ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل؛ أي: مشاة، صلوا ﴿أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ﴾ جمع راكب؛ أي: كَيْفَ أَمْكَنَ؛ مستقبلي القبلة أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ من الخوف ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ قبل تعليمه؛ من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى: مثل، و﴿مَا﴾ مصدرية أو موصولة.

[٢٤٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةٗ﴾ وفي قراءة: بالرفع(٣)؛ أي: عليهم ﴿لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ وليعطوهن ﴿مَّتَٰعًا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿ٱلۡحَوۡلِ﴾ من موتهم، الواجب عليهن تربصه ﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ﴾ حالٌ؛ أي: غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ شرعًا؛ كالتزين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٞ﴾ في صُنْعِهِ، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرًا السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي(٤) ـ رحمه الله ـ.

[٢٤١] ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ﴾ يُعْطَيْنَهُ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدر(٥) ﴿عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الله ـ تعالى ـ، كرره لِيَعُمَّ الممسوسة أيضًا؛ إذ الآية السابقة في غيرها.

[٢٤٢] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما يبين لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ تتدبرون.

[٢٤٣] ﴿۞أَلَمۡ تَرَ﴾ استفهام تعجيب(٦) وتشويق(٧) إلى استماع ما بعده؛ أي: ينته علمك(٨) ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ أربعةٌ أو ثمانيةٌ أو عشرٌ أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفًا(٩) ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم؛ ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر؛ بدعاء نبيهم «حِزْقِيل» ـ بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي ـ؛ فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبًا إلا عَادَ كالكفن، واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ والقصد من ذِكْرِ خبرِ هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال؛ ولذا عطف عليه: [٢٤٤] ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٞ﴾ بأحوالكم فمجازيكم.

[٢٤٥] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بأن ينفقه لله ﷻ عن طيب قلب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة(١٠):

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٣٨): أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة. ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها، فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ وقال: «إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين» أبو داود ـ كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٩٧).

وأخرج مسلم عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية: (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ) فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ فقال رجل كان جالسًا عند شقيق له: هي إذن صلاة العصر؟ فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله. والله أعلم. مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب (٣٦) (الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام. مسلم ـ المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد بنحوه (٣/٧٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩). (٣) لنافع وابن كثير والكسائي وشعبة.

(٤) أي: أربعة أشهر وعشرًا. (٥) وتقديره: أحقه. (٦) أي: إيقاع للمخاطب في العجب، ويستفاد من الآية أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية.

(٧) أي: إيقاعه في الشوق؛ لأن ما سيق بعد الطلب ألذ مما سيق بلا تعب، وعطف التشويق على التعجيب من عطف المسبب على السبب. (٨) فيه إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديته بـ«إلى»؛ أي: ألم ينته علمك إلى كذا. (٩) ذكر المفسر ستة أقوال، أصحها الثلاثة الأخيرة؛ لأن ألوفًا جمع كثرة، ومبدؤه بعد العشرات.

(١٠) لابن كثير ـ بالتشديد ـ مع الرفع، ولابن عامر ـ بالتشديد ـ مع النصب، ولحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو بالرفع مع التخفيف ومع إثبات الألف، ولعاصم بالنصب مع التخفيف وإثبات الألف.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة ـ كما سيأتي ـ ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاءً ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحانًا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم(٥).

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ الجماعة ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَىٰٓ﴾ أي: إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو: شَمْويل ﴿ٱبْعَثْ﴾ أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ﴾ معه ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر(١) ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَ﴾ نْ ﴿لَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ خبر «عسى»، والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَ﴾ نْ ﴿لَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ بسبيهم وقتلهم، وقد فعل بهم ذلك قومُ جالوت؛ أي: لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ عنه وجبنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت ـ كما سيأتي ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فمجازيهم، وسأل النبي(٢) ربه إرسال ملك؛ فأجابه إلى إرسال طالوت.

[٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾؟ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دباغًا أو راعيًا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذٍ وأجملهم وأتمهم خلقًا ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له.

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آيةً على ملكه: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء، أنزله على آدم واستمر إليهم؛ فغلبهم العمالقة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدمونه في القتال، ويسكنون إليه(٣)؛ كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ وهي نَعْلا موسى وعصاه وعمامة هارون، وقفيز من المَنّ الذي كان ينزل عليهم، ورُضَاض(٤) من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حالٌ من فاعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت؛ فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد؛ فاختار من شبابهم سبعين ألفًا.

---

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أنس ﷺ قال: لما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ و﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، وحائطي الذي كان بمكان كذا وكذا، والله لو استطعت أن أسرها لم أعلنها، قال: «اجعله في فقراء أهلك» أحمد ـ المسند (١٤١/٣) وأصله في الصحيحين مطولًا، وسيأتي في سورة آل عمران، الآية (٩٢)، وانظر رواية الترمذي عند الآية (١١) من سورة الحديد.

---

(١) أي بفتح السين وكسرها، والكسر قراءة نافع.

(٢) أي النبي المذكور في الآية السابقة.

(٣) الكلام عن التابوت وهيئته وتوارثه... إلخ لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ، وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وأمثالهما، والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: الأول: ما علم صحته بالنقل الصحيح، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده؛ فهذا صحيح مقبول، الثاني: ما علم كذبه من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل؛ فهذا لا يصح قبوله ولا روايته، الثالث: ما سكت عنه؛ لا هو من قبيل الأول، ولا قبيل الثاني؛ فهذا نتوقف فيه لا نكذبه ولا نصدقه.

(٤) رُضاض (بضم الراء): أي فتات.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حرًّا شديدًا وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيعُ منكم والعاصي؛ وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ [غَرْفَةً]﴾ بالفتح والضم[1] ﴿بِيَدِهِۦۚ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها؛ فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ﴾ فاقتصروا على الغرفة، روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا۟﴾ أي الذين شربوا[2]: ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ أي: بقتالهم، وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ بالبعث؛ وهم: الذين جاوزوه: ﴿كَم﴾ خبرية؛ بمعنى: كثير ﴿مِّن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ بإرادته ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي: ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ أي: اصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ﴾ أي: داود ﴿ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾ كصنعة الدروع، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّۚ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد بـ«إن» وغيرها رد لقول الكفار له: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[3].

---

(١) أي: فتح الغين وضمها، والفتح قراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالضم.

(٢) أي: العصاة، وعلى هذا التفسير يكون قولهم تبريًا لنكولهم، وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده، وبعض المفسرين - ومنهم المصنف - أن العصاة لم يعبروا النهر، بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التخلف منادين ومسمعين لطالوت والمؤمنين معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ﴾ الآية؛ ولذا قال المصنف: ...وجبنوا ولم يجاوزوه. ويحتمل أن يكون القائلون هم طائفة ممن عبروا مع طالوت ولم يشربوا من النهر، ولكن حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم فشجعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل واليقين الراسخ.

(٣) الرعد: ٤٣.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا
بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ
ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ
بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ نعتٌ أو عطفُ بيانٍ(١)، والخبر: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي: محمدًا ﷺ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ على غيره؛ بعموم الدعوة، وختم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكاثرات، والخصائص العديدة ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هدى الناس جميعًا ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ بعد الرسل؛ أي: أممهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضًا ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق مَنْ شاءَ، وخذلانِ مَنْ شاءَ.

[٢٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ زكاته ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا [بَيْعَ]﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا [خُلَّةَ]﴾ صداقة تنفع ﴿وَلَا [شَفَاعَةَ]﴾ بغير إذنه؛ وهو: يوم القيامة، وفي قراءة: برفع الثلاثة(٢) ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بالله، أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لوضعهم أمرَ الله في غير محلِه.

[٢٥٥] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ الدائم بالبقاء ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ نُعَاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ أي: لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: لا يعلمون شيئًا من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أن يعلمهم به منها؛ بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قيل: أحاط علمه بهما. وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته(٣). لحديث: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيتَ فِي تُرْسٍ»(٤) ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فوق خلقه بالقهر(٥) ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٢٥٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البينات أن الإيمانَ رُشْدٌ والكفرَ غَيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام(*)(٦) ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام، وهو يطلق على المفرد والجمع(٧) ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا ٱنفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل.

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٥٦): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجلبت بنو النضر كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾. المقلاة: التي لا يعيش لها ولد. أبو داود ـ كتاب الجهاد (٩) باب (١٢٦) في الأسير يكره على الإسلام. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٣٣).

---

(١) أو بدل؛ لأن المحلى بـ«أل» بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة.

(٢) والقراءة المفسَّرة بالفتح من غير تنوين لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون برفع الثلاثة.

(٣) الصحيح أن الكرسي موضع القدمين الشريفتين كما صحت بذلك الآثار عن ابن عباس وغيره، وأما تفسيره بالعلم فهو قول ضعيف وينسب إلى ابن عباس، والمحفوظ عنه ما تقدم.

(٤) رواه ابن جرير (٣/ ١٠) عن ابن زيد عن أبيه مرفوعًا به. وابن زيد هو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة من رجال الشيخين، يروي عنه ابن وهب وغيره. وأبوه محمد بن زيد ثقة مثله روى عن العبادلة الأربعة . فالحديث منقطع. وجاء نحوه عن أبي ذر مرفوعًا بلفظ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» وهو في الصحيحة (١٠٩).

(٥) والواجب إثبات العلو لله ـ سُبْحَانَهُ ـ بأقسامه الثلاثة، وهي علوه بذاته فوق عرشه، وعلوه بالقهر والغلبة فوق خلقه، وعلو شأنه بتعاليه عن جميع النقائص والعيوب.

(٦) رُوي عن ابن عباس أنه: الحصين من بني سالم بن عوف، كان له ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي ﷺ، فأحب أن يكرههما على الإسلام فأخذهما إلى النبي ﷺ فنزلت ـ ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ١٠)، وهو ضعيف جدًا؛ كما في الاستيعاب في بيان الأسباب (١/ ١٩٦).

(٧) وقد حده ابن القيم حدًّا جامعًا، فقال: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله». فإذا تأملت هذا التعريف عرفت أن حكم القانون من الطاغوت، وأن الحكم القانوني طاغوت؛ لأنه يحكم بتشريع وضعي لا يستند إلى القرآن أو السنة أو إجماع الأمة. [تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص ١٠)].

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ ذكر الإخراج؛ إما في مقابلة قوله: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، أو في كُلِّ مَنْ آمن بالنبي قَبْلَ بعثته من اليهود ثم كَفَرَ به[1] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾ جادَلَ ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ لـ[2]﴿أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ أي: حَمَلَهُ بَطَرُهُ بنعمة اللّه على ذلك؛ وهو: النمروذ ﴿إِذۡ﴾ بدلٌ من ﴿حَآجَّ﴾[3] ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ - لَمَّا قَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟ -: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ بالقتل والعفو عنه؛ ودعا برجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فلما رآه غَبِيًّا[4] ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ تَحَيَّرَ وَدُهِشَ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالكفر إلى محجَّة الاحتجاج.

[٢٥٩] ﴿أَوۡ﴾ رأيت[5] ﴿كَٱلَّذِي﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ﴾ هي بيت المقدس[6]، راكبًا على حمار، ومعه سلة تين وقدح عصير؛ وهو: عزير[7] ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما خَرَّبَهَا «بختنصر»[8] ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ كيف[9] ﴿يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾؟ استعظامًا لقدرته - تعالَى[10] - ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ وَأَلْبَثَهُ ﴿مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ - تَعالَى - له: ﴿كَمۡ لَبِثۡتَۖ﴾ مكثت هنا؟ ﴿قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾ لأنه نَامَ أولَ النهار؛ فقبض، وأحيي عند الغروب؛ فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾ لم يتغير مع طول الزمان، والهاء؛ قيل: أصل من «سَانَهْتُ»[11]، وقيل للسكت من «سَانَيْتُ»[12]، وفي قراءة: بحذفها[13] ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف هو؛ فرآه ميتًا وعظامه بيض تلوح! فَعَلْنَا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ﴾ على البعث ﴿لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيۡفَ [نُنْشِرُهَا]﴾ نحييها[14]؛ بضم النون، وقرئ: بفتحها[15] من «أنشر، ونشر» لغتان[16]، وفي قراءة: بضمها، والزاي[17]: نحركها ونرفعها[18] ﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ فنظر إليه وقد تركبت وكسيت لحمًا ونفخ فيه الروح وَنَهَقَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعۡلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وفي قراءة: ﴿اعْلَمْ﴾[19] أمر من اللّه له.

---

(١) قوله: «ذكر الإخراج...إلخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد منعهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه ثم ارتد بعد ذلك. (٢) أي: إن قوله: ﴿أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ مفعول لأجله، وهو مجرور باللام لفقد أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل المحاججة هو النمروذ، وفاعل إيتاء الملك هو الله، وإنما حذفت اللام لأن حذفها مطرد مع «أن» و«إن». (٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾: يخلق الحياة والموت، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يدقق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة أخرى أظهر.

(٥) أشار بهذا إلى أن ﴿كَٱلَّذِي﴾ معمول لمحذوف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به يجعل الكاف اسمًا بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدخولها مَعْطُوفًا على الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامل، فلفَّق الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت. وقيل: غيرهما.

(٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك. وصحح البعض أنه رجل شاك في البعث، كما هو ظاهر الآية...ولعله الأقرب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى البعث، ولا فائدة في الانشغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.

(٨) «بخت»: معناه: ابن، و«نصَّر»: اسم للصنم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعته عنده، فلما وجدوه قالوا: بختنصر. أي ابن الصنم، وكان كافرًا مَلَكَ الأرض مشرقًا ومغربًا.

(٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.

(١١) أي: فهي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنهة، وهي ثابتة وصلاً ووقفًا.

(١٢) أي: فهي زائدة، ولام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وتثبت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٣) أي: وصلاً، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما تثبت وقفًا وتحذف وصلاً.

(١٤) هذا التفسير لا يلتئم مع قوله بعدها: ﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾؛ فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.

(١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُنْشرها من أنشر، ونَنْشرها من نشر. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.

(١٨) أي: نرفعها من الأرض ونردها إلى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض. (١٩) لحمزة والكسائي.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

[٢٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ﴾ ـ تعالى ـ له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتك ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قَلْبِى ۖ﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ [فَصِرْهُنَّ] إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد وضمها(١)؛ أملهن(٢) إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ﴾ سريعًا ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِهِ؛ فأخذ طاووسًا ونسرًا وغرابًا وديكًا(٣) وفعل بهن ما ذُكِرَ، وأمسك رءوسهن عنده ودعاهن؛ فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رءوسها.

[٢٦١] ﴿مَّثَلُ﴾ صفة نفقات(٤) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضِعْفٍ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾(٥) فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا﴾ على المنفق عليه؛ بقولهم ـ مثلاً ـ: «قد أحسنتُ إليه وجبرتُ حالَهُ» ﴿وَلَآ أَذًى﴾ له بذِكْرِ ذلك إلى مَنْ لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام حسن، ورَدٌّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ﴾ بالمَنِّ وتَعْيِيرٍ له بالسؤال ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المَانِّ والمُؤْذي.

[٢٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾ أي: أجورها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ إبطالاً ﴿كَٱلَّذِى﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرائيًا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجرٍ أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ﴾ صلبًا أملس لا شيء عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ استئنافٌ(٦) لبيانِ مَثَلِ المنافقِ المنفقِ رئاءَ الناس، وجمع الضمير باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ﴾ عمِلوا؛ أي: لا يجدون له ثوابًا في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهابِ المطرِ له ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإمالتهن إليه؛ أي: تقريبهن منه ليتحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلاً.

(٣) ولم يرد تحديدهن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لابد من تقدير مضاف في أحد الجانبين؛ أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والشارحُ سَلَكَ الأولَ.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استئناف مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون مآلهم حينئذٍ؟ فقيل: لا يقدرون... إلخ.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ﴾ طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ[١] وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تحقيقًا للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجون لإنكارهم له، و﴿مِن﴾ ابتدائية[٢] ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿[بِرُبْوَةٍ]﴾ بضم الراء وفتحها[٣]؛ مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها[٤]؛ ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلي ما يُثْمِرُ غيرها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها؛ المعنى: تثمر وتزكو كَثُرَ المطرُ أم قَلَّ؛ فكذلك نفقات من ذُكِرَ تزكو عند الله كَثُرَتْ أم قَلَّتْ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[٢٦٦] ﴿أَيَوَدُّ﴾ أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ﴾ قد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فَضَعُفَ مِنَ الْكِبَرِ عَنِ الْكَسْبِ ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ أولادٌ صغارٌ لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ فَفَقَدَهَا أَحْوَجَ ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عجزةً متحيرينَ لا حيلة لهم. وهذا تمثيل لنفقة المرائي والْمَانِّ في ذَهَابِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا أَحْوَجَ ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي[٥]، وعن ابن عباس: هو الرجل عَمِلَ بالطاعات، ثم بعث له الشيطان فَعَمِلَ بالمعاصي حتى أَحْرَقَ أَعْمَالَهُ[٦] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّنَ مَا ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

[٢٦٧] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي: زَكُّوا ﴿مِن طَيِّبَـٰتِ﴾ جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال[٧] ﴿وَمِـ﴾ـنْ طيبات ﴿مَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي: من المذكور ﴿تُنفِقُونَ﴾ ـهُ في الزكاة، حالٌ من ضمير ﴿تَيَمَّمُوا۟﴾ ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ بالتساهل وغض البصر، فكيف تؤدون منه حق الله ؟! ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال[*].

[٢٦٨] ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يخوفكم به إن تصدقتم؛ فَتُمْسِكُوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقًا خَلَفًا منه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾[٨] فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمنفق.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال؛ يتعظ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ أصحاب العقول.

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٦٧): أخرج الترمذي عن البراء: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصا، فيسقط من البسر والتمر فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ قالوا: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطاه لم يأخذه إلا على إغماض وحياء. قال: فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣) سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣٨٩).

---

(١) أي: طلب رضا الله، وفيها إثبات صفة الرضا له ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق به.

(٢) كقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩]، والمعنى هنا: أي تثبيتًا مبتدأ من أصل أنفسهم لا من جهة أخرى.

(٣) بالضم قراءة السبعة عدا ابن عامر وعاصم.

(٤) بالسكون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بضم الكاف.

(٥) أي: فهو استفهام إنكاري؛ يعني: لا يحب المسلم ذلك.

(٦) تفسير الطبري (٣/٧٥).

(٧) وهو النقد والمواشي وعروض التجارة.

(٨) واسع الصفات كثير الهبات.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

[٢٧٠] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ أديتم من زكاة أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فَوَفَّيْتُمْ به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر، أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه.

[٢٧١] ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ تظهروا ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي: نعم شيئًا إبداؤه ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء، أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها؛ لِيُقْتَدَى به، ولئلا يُتهم، وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والنون[1]؛ مجزومًا بالعطف على محل ﴿فَهُوَ﴾[2] ومرفوعًا على الاستئناف ﴿عَنكُم مِّن﴾ بعض ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه. ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين ليسلموا، نَزَلَ: [٢٧٢] ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي: الناس إلى الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ مَالٍ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[3] أي: ثوابه[4] لا غيره من أعراض الدنيا، خبر بمعنى النهي[5] ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئًا، والجملتان[6] تأكيد للأولى[7].

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الصدقات ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: حبسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الصُّفَّة؛ وهم: أربعمائة من المهاجرين أُرْصِدُوا لِتَعَلُّم القرآنِ والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾(*) أي: لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا مخاطبًا[8] ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجَهْدِ ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾ شيئًا فيلحفون ﴿إِلْحَافًا﴾[9] أي: لا سؤال لهم أصلاً؛ فلا يقع منهم إلحاف؛ وهو: الإلحاح ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢٧٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم ـ يعني قوله تعالى ـ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾». البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة البقرة (٢) باب (٤٨). وأخرجه مسلم ـ كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفطن له، فيتصدق عليه.

---

(١) بالنون مع الجزم قراءة نافع وحمزة والكسائي، وبالنون مع الرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء.

(٢) أي: مع خبره ومحله جُزِمَ لوقوعه جواب الشرط.

(٣) وفيها إثبات صفة الوجه لله ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق به.

(٤) قال ابن القيم: إن حمله ـ أي الوجه ـ على الثواب المنفصل من أبطل الباطل؛ فإن اللغة لا تحتمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهًا للمجازي، كما أن الثواب مخلوق؛ فقد صح عنه ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...» [رواه أبو داود وغيره]، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق...[المفسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)] بتصرف.

(٥) أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

(٦) أي: قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

(٧) أي: للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

(٨) نكرة غير مقصودة للإشارة إلى أن حالهم ظهر لكل أحد.

(٩) مفعول مطلق عامله محذوف كما قدره المفسر، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويصح أن يكون حالاً؛ أي: مصدرًا من موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحفين.

[٢٧٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يأخذونه، وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في الْقَدْرِ(١) أو الأَجَلِ(٢) ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قيامًا ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ الجنون، متعلق بـ﴿يَقُومُونَ﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في الجواز، وهذا من عكس التشبيه مبالغة؛ فقال ـ تَعَالَى ـ رَدًّا عليهم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ﴾ بَلَغَهُ ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وَعْظٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أَكْلِهِ ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قَبْلَ النهي؛ أي: لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أَكْلِهِ مُشَبِّهًا له بالبيع في الْحِلِّ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٢٧٦] ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ(٣) كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر بأكله؛ أي: يعاقبه(٤).

[٢٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثالَ أَمْرِ اللَّه ـ تَعَالَى ـ، نزلت لما طَالَبَ بعضُ الصحابةِ بَعْدَ النهي بِرِبًا كان لهم من قبل.

[٢٧٩] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ ما أمرتم بـه ﴿فَأْذَنُواْ﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، لما نَزَلَتْ قالوا: «لا يَدْي(٥) لنا بحربه» ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص(*).

[٢٨٠] ﴿وَإِن كَانَ﴾ وَقَعَ(٦) غَرِيمٌ ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له؛ أي: عليكم تأخيره ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين وضمها(٧)؛ أي: وقت يسر ﴿وَأَن [تَصَّدَّقُوا]﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد، وبالتخفيف على حذفها(٨)؛ أي: تتصدقوا على المعسر بِالإِبْرَاءِ(٩) ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ»(١٠) [رواه مسلم].

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

[٢٨١] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تسيرون(١١) ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٥٠).
وأخرج أيضًا عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: لما نزلت الآيات من سورة البقرة في الربا خرج النبي ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس، ثم حرم تجارة الخمر. البخاري ـ كتاب الصلاة (٨) باب (٣٧) تحريم تجارة الخمر في المسجد.

---

(١) وهو ربا الفضل ولا يكون إلا عند اتحاد الجنس.
(٢) وهو ربا النساء، ويكون في متحد الجنس ومختلفه، وهو البيع مع تأجيل العوضين أو أحدهما.
(٣) فيها إثبات صفة المحبة لله ﷻ على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ وعلى ما تقتضيه الحكمة البالغة.
(٤) وهذا التأويل هو مذهب الأشاعرة ينفونها بدعوى أنها توهم نقصًا؛ فيرجعونها إلى معنى إرادة الثواب والعقاب، ومذهب السلف إثباتها على الحقيقة على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ دون أن يقتضي ذلك عندهم نقصًا ولا تشبيهًا، كما يثبتون لازم المحبة وهو الإكرام والإثابة، ولازم ضدها وهو الإهانة والعقاب، أما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به فيفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله، وضدها بالعقاب الواجب عندهم على الله؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.
(٥) بصيغة الإفراد في نسخة، وفي أكثر النسخ بصيغة التثنية «لا يدي» وحذفت النون تخفيفًا؛ والمعنى على كلٍ من النسختين: لا قدرة ولا طاقة لنا.
(٦) أشار بذلك إلى أن ﴿كَانَ﴾ تامة، و﴿ذُو﴾ فاعلها، وهو الأقرب، ويصح كونها ناقصة و ﴿ذُو﴾ اسمها، وخبرها محذوف تقديره: غريمًا لكم.
(٧) بالضم قراءة نافع.
(٨) والتشديد قراءة السبعة عدا عاصم.
(٩) من كل الدَّين أو بعضه.
(١٠) مسلم (٣٠٠٦).
(١١) أي: ﴿تَرْجِعُونَ﴾، وهي قراءة أبي عمرو.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسَلَم وقرض ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ استيثاقًا، ودفعًا للنزاع(١) ﴿وَلْيَكْتُب﴾ كِتَابَ الدَّيْنِ ﴿بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالحق في كِتَابَتِهِ لا يَزِيدُ في المَالِ والأَجَلِ ولا يَنْقُصُ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ إذا دُعِيَ إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: فَضَّلَهُ بالكتابة؛ فلا يبخل بها، و«الكاف» متعلقة بـ﴿يَأْبَ﴾(٢) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيدٌ ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يُمِلَّ الكاتب ﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ الدَّيْنُ لأنه المشهودُ عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ﴾ أي: الحق ﴿شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذرًا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لِصِغَرٍ أو كِبَرٍ ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لِخَرَسٍ أو جَهْلٍ باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ متولي أمره من والدٍ ووصيٍّ وَقَيِّمٍ وَمُتَرْجِمٍ ﴿بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾ أشهدوا على الدين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِن رِّجَالِكُمْۖ﴾ أي: بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ لِدِينِهِ وَعَدَالَتِهِ؛ وتعدد النساء لأَجْلِ ﴿أَن تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿[فَتُذْكِرَ]﴾ بالتخفيف والتشديد(٣) ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ الذاكرة ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الناسية، وجملة الإذكار محل العلة؛ أي: لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال؛ لأنه سببه(٤)، وفي قراءة: بكسر(٥) ﴿أَن﴾ شرطية، ورفع «تذكر»(٦) استئنافٌ(٧)، جوابه: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿دُعُواْ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ تملوا من ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً أو كثيرًا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ وقت حلوله، حالٌ من الهاء في ﴿تَكْتُبُوهُ﴾(٨) ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الكُتُبُ ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدلُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَ﴾ نْ ﴿لَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿[تِجَٰرَةٌ حَاضِرَةٌ]﴾(٩) في قراءة: بالنصب، فـ﴿تَكُونَ﴾ ناقصة، واسمها ضمير «التجارة»(١٠) ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقبضونها ولا أَجَلَ فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَ﴾ نْ ﴿لَّا تَكْتُبُوهَاۗ﴾ المراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ﴾ عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قَبْلَهُ أمرُ ندبٍ ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾ صاحب الحق ومن عليه؛ بتحريفٍ أو امتناعٍ من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة(١١) والشهادة ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ مصالحَ أمورِكم، حالٌ مقدرة، أو مستأنف(١٢) ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة بـ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلق المذكور على وجه التعليل للنهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله ـ تعالى ـ إياها؛ فيجب عليه أن يبذلها كما أمره الله ـ تعالى ـ ولا يبخل بها؛ فالكاف للتعليل، و«ما» مصدرية، والهاء للكاتب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمه سكون الذال، فتكون: ﴿فَتُذْكِرَ﴾، قال البعض: من «الذِّكر» الذي هو ضد الأنثى؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكَّرتها؛ أي: جعلتها كالذَّكَر؛ أي: كالرجل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أي: لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه؛ فنزل منزلته؛ ومن شأن العرب إذا كان للعلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لتحصل الدلالتان معًا بعبارة واحدة، وهذا مما يعول فيه على المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ، فلا يرد كيف جعل ﴿أَن تَضِلَّ﴾ علة لاستشهاد المرأتين بدل رجل مع أن علته إنما هي التذكير. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحمزة. (٦) أي: مع التشديد فقط.

(٧) أي: إن أداة الشرط لم تعمل في لفظه، وجملة «تُذَكِّر» خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: «فهي تذكر» والجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٨) أي: لا تهملوا الأجل في الكتابة، وإنما تقولون: ثبت كذا مؤجلاً بكذا. (٩) قراءة السبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم بالنصب.

(١٠) أي: اسمها مضمر فيها وتقديره: إلا أن تكون المعاملة أو المبايعة أو التجارة.

(١١) مثل أن يأمره بكتابة ما لم يطلع عليه، أو يمتنع من إعطائه أجرته له.

(١٢) وَالأَوْلَى الاقتصار عليه؛ لأن جعله حالاً خلاف القاعدة النحوية: أن الجملة المضارعة المثبتة إذا وقعت حالاً فإن الضمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضًا عطفها على جملة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لأنه يلزم منه عطف الخبر على الإنشاء.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

[٢٨٣] ﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا [فَرُهُنٌ]﴾[1] وفي قراءة: ﴿فَرِهَانٌ﴾ جمع رهن[2] ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها، وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب، فالتقيد بما ذكر؛ لأن التوثيق فيه أشد[3]، وأفاد قوله: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدائنُ المدينَ على حقه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي: المدين ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ خُصَّ بِالذِّكْرِ؛ لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره[4]؛ فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟﴾ تظهروا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ يخبركم[5] ﴿بِهِ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿[فَيَغْفِرْ] لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرةَ له ﴿[وَيُعَذِّبْ] مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبَه، والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع[6]؛ أي: فهو ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿ءَامَنَ﴾ صدَّق ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ من القرآن ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه[7] ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض[8] من المضاف إليه ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ بالجمع والإفراد[9] ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يقولون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ أي: ما أمرنا به سماعَ قبولٍ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة، وَشَقَّ عليهم المحاسبة بها؛ فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الشَّرِّ؛ أي: وزره، ولا يؤاخذ أحدٌ بذنب أحدٍ، ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ بالعقاب ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصوابَ لا عن عمدٍ؛ كما آخَذْتَ به من قَبْلَنَا، وقد رفع اللَّهُ ذلك عن هذه الأمة؛ كما ورد في الحديث[10]، فسؤاله اعتراف بنعمة اللَّه ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أمرًا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل؛ من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُبْعِ المالِ في الزكاة، وَقَرْضِ موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِۦ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ امْحُ ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدنا ومتولي أمورِنَا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم؛ فإن من شأن المولى أن ينصرَ مواليه على الأعداء، وفي الحديث: «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت»(٥)[11].

---

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٨٤ - ٢٨٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول اللَّه ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فأتوا رسول اللَّه ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول اللَّه، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول اللَّه ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم فأنزل اللَّه في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ =

---

(١) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿فرهان﴾. (٢) أي: كل من «رُهُن» و«رهان» جمع «رَهْن»؛ مثل سَقْف وسُقُف، وكَعْب وكِعاب. (٣) لأن الغالب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للموت، وبينت السنة جواز الرهن في الحضر كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى طعامًا من يهودي ورَهَنَه درعًا من حديد. البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣). (٤) أي: في الإثم، لأنه ملك الأعضاء، إذا صَلَحَ صلح الجسد كله، وإذا فَسَدَ فسد الجسد كله كما في حديث النعمان بن بشير في الصحيحين؛ البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). (٥) قوله: «يخبركم»: جواب عن سؤال وهو: أنه كيف قال في الإخفاء يحاسبكم به الله، مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يفعل؛ للحديث المشهور فيه؟ فأجاب: بأن المراد بالمحاسبة مجرد الإخبار به لا المعاقبة عليه، ولا حامل على هذا التقدير؛ إذ إن المؤاخذة إما أن تكون منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حديث مسلم. أو أن تكون المؤاخذة على ما أخفوه من العزم القاطع والاعتقاد الجازم، وليس مجرد حديث النفس والوسوسة. (٦) أي: على الاستئناف، والجزم قراءة نافع وابن كثير وحمزة والكسائي وأبي عمرو.
(٧) وهو أحد الوجهين، والوجه الثاني: أن يكون ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثانٍ خبره ﴿ءَامَنَ﴾. (٨) أي: عن ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ و﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. (٩) بالإفراد قراءة حمزة والكسائي.
(١٠) وهي قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»، رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعًا به، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١).
(١١) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخريجه في أسباب النزول.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

[مدنية، مائتان أو: إلا آية، نزلت بعد الأنفال]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. [٢] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. [٣] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ملتبسًا[1] ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [٤] ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل تنزيله[2] ﴿هُدًى﴾ حال[3]؛ بمعنى: هاديين من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ممن تبعهما، وعبر فيهما بـ«أَنْزَلَ» وفي القرآن بـ«نَزَّلَ» المقتضي للتكرير؛ لأنهما أُنْزِلا دفعةً واحدةً بخلافه[4] ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ بمعنى: الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر الثلاثة؛ ليعم ما عداها[5]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره؛ فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. [٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ﴾ كائن ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي، وخصهما بالذكر؛ لأن الحس لا يتجاوزهما. [٦] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ لا تُفْهَمُ معانيها؛ كأوائل السور، وجعله كله مُحْكَمًا في قَوْلِهِ: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[6] بمعنى: أنه ليس فيه عَيْبٌ، وَمُتَشَابِهًا في قَوْلِهِ: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[7] بمعنى: أنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مَيْلٌ عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ لِجُهَّالِهِمْ بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحده[8] ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون[9] ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأٌ خَبَرُهُ: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالمتشابه؛ أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال؛ أي: يتعظ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول. ويقولون أَيْضًا إذا رَأَوْا مَنْ يَتَّبِعُهُ[10]: [٨] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ تُمِلْهَا عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا؛ كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تثبيتًا[11] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾. [٩] يا﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة؛ فتجازيهم بأعمالهم؛ كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ موعده بالبعث، فيه التفات[12] عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه ـ تَعَالَى[13] ـ، والغرضُ من الدعاءِ بذلك بيانُ أن هَمَّهُمْ أَمْرُ الآخرةِ؛ ولذلك سألوا الثبات على الهداية؛ لينالوا ثوابها؛ روى الشيخان عن

= ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: نعم، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: نعم. مسلم ـ كتاب الإيمان (١) باب (٥٧) بيان تجاوز الله عن حديث النفس. **فائدة:** وأخرج مسلم أيضًا: عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم =

---

(١) أشار به إلى أن قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بمحذوف؛ فيكون في محل نصب على الحال. (٢) أي: قبل تنزيل الكتاب الذي هو القرآن. (٣) أي: من التوراة والإنجيل.

(٤) قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري في تعليقه على تفسير الجلالين ص ٥٩: «هذا التوجيه لبيان الفرق بين الإنزال والتنزيل غير صحيح، وقد جرى على هذا الخطأ كثير من أهل العلم؛ فقد وقع التعبير عن نزول القرآن بالإنزال ومشتقاته بنحو مائة مرة، أما التعبير بالتنزيل ومشتقاته فقد وقع ما بين ثلاثين وأربعين مرة فقط».

(٥) فهو من عطف العام على الخاص؛ فالمراد بـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ هنا: الفارق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن؛ فالفرقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب.

(٦) هود: ١. (٧) الزمر: ٢٣. (٨) أشار به إلى أن الوقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهو مذهب الأكثرين، وهو أقيس بالعربية وأشبه بظاهر الآية. (٩) قال مالك: الراسخ في العلم مَن جَمَع أربع خصال: الخشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه. (١٠) أي: يتبع المتشابه بالعمل بِظَاهِرِهِ؛ أو بتأويله تأويلاً لا يليق.

(١١) تفسيره الرحمة بالتثبيت جريًا على مذهبه في تأويل الرحمة، وسبق بيان المذهب الحق، والتثبيت من لازم الرحمة كما قال ابن كثير: «﴿رَحْمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا». [ابن كثير ١/ ٣٢٩]. (١٢) هذا على أنه من كلام الراسخين؛ فيه التفات من الخطاب في قولهم: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ إلى الغيبة في قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

(١٣) فلا يكون فيه التفات على مذهب الجمهور، وفيه التفات عن التكلم على مذهب السكاكي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

عائشة ﵂ قالت: «تلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»(١)، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إلا ثَلاثَ خِلالٍ...» وَذَكَرَ مِنْهَا: أَنْ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ؛ فَيَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ يَبْتَغِي تَأْوِيلَهُ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾»(٢) الحديث.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ بفتح الواو(٣)؛ مَا تُوقَدُ بِهِ. [١١] دَأْبُهُمْ ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كعاد وثمود ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ والجملة(٤) مفسرة لما قبلها(٥) ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. وَنَزَلَ - لما أمر النبي ﷺ اليهودَ بالإسلام مَرْجِعَهُ من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قتلت نفرًا من قريش أغمارًا لا يعرفون القتال -: [١٢] ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء والياء(٦)، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ بالوجهين(٧)، في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي(٨).

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ عبرةٌ، وَذُكِّرَ الْفِعْلُ(٩) لِلْفَصْلِ ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته؛ وهم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فَرَسَانِ وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رَجَّالَةٌ ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي: الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي: رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ لذوي البصائر؛ أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟!.

[١٤] ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زَيَّنَهَا اللَّهُ(١٠) ابتلاءً أو الشيطانُ(١١) ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المجمعة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ بِهِ فيها ثم يفنى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] ﴿۞ قُلْ﴾ يا محمد لقومك: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات، استفهام تقرير(١٢) ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشركَ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبرٌ مبتدؤُهُ ﴿جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ﴾ أي: مقدرين الخلود(١٣) ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يُسْتَقْذَرُ ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان(١٤)؛ أي: رِضًا(١٥) كثير ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾ عالم(١٦) ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازي كُلاً منهم بعمله.

= لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إن اللَّه كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولايقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان». الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

(١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٨٠).

(٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد.

(٤) أي جملة: ﴿كَذَّبُواْ ...﴾ الآية.

(٥) وهي قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾الآية [آل عمران:١١].

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٧) أي: بالتاء والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب بمجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٢٣٢، ٢٣٣).

(٩) وهو ﴿كَانَ﴾ ذُكِّرَ للفصل والجار والمجرور، وهو قوله: ﴿لَكُمْ﴾.

(١٠) كما في قول عمر: «اللَّهُمَّ لا صَبْرَ لَنَا عَلَى مَا زَيَّنْتَ لَنَا إِلا بِكَ» [رواه البخاري معلقًا في الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة»].

(١١) أي: بالوسوسة.

(١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبيت في نفوس المخاطبين.

(١٣) أي: فهي حال مقدرة.

(١٤) وهما قراءتان، والضم قراءة شعبة.

(١٥) أشار بذلك إلى أن كلاً من المكسور والمضموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعيًا والأول قياسيًا.

(١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة للَّه ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به دون أن يقتضي ذلك نقصًا أو تمثيلاً له بالمخلوق كما قال - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١].

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صدقنا بك وبرسولك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[١٧] ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمان(١) ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ اللهَ؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، خُصَّتْ بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ بيّنَ لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي: لا معبود في الوجود بحقٍّ ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شهد بذلك ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَآئِمًۢا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونَصْبُهُ على الحال(٢)، والعامل فيها معنى الجملة؛ أي: تَفَرَّدَ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيدًا ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ المرضيَّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي: الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة بفتح ﴿إِنَّ﴾(٣) بدل من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال(٤) ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَحَّدَ بعضٌ وكَفَرَ بعضٌ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ انْقَدْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ وخص الوجه بالذكر؛ لشرفه؛ فغيره أَوْلَى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ مشركي العرب: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي: أَسْلِمُوا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ من الضلال ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال(٥).

[٢١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة: ﴿[يُقَٰتِلُونَ]﴾(٦) ﴿ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ(٧) ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيًا؛ فنهاهم مائةٌ وسبعون من عُبَّادِهِمْ؛ فقتلوهم من يومهم ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وَذِكْرُ البشارة تَهَكُّمٌ بهم، ودخلت الفاء في خبر «إن»؛ لشبه اسمها الموصول بالشرط(٨).

[٢٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ما عملوا من خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب.

---

(١) بالتصديق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إما من لفظ الجلالة، أو من الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا﴾، والأحسن الثاني؛ ليفيد أن الله شهد شهادتين؛ الأولى: أنه لا إله إلا هو، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناءً على تفسيره الإسلام بأنه الشرع؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسِّر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتمال أن يكون المخاطب منتظرًا للبدل عند سماع المبدل منه وهنا ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذِكْرُ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إنما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غير؛ فَذِكْرُهَا هُنَا سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ الشارح.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخًا قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ بـ«ليت، ولعل، وكأن» فتمتنع الفاء عند الجميع لتغير المعنى لانتفاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتملاً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[٢٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ حظًّا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبول حكمه؛ نزلت في اليهود؛ زنى منهم اثنان؛ فتحاكموا إلى النبي ﷺ؛ فحكم عليهما بالرجم، فَأَبَوْا، فجيء بالتوراة، فَوُجِدَ فيها؛ فرجما؛ فغضبوا.

[٢٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أربعين يومًا مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾ متعلق بقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم ذلك.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. وَنَزَلَتْ ـ لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم؛ فقال المنافقون: هيهات ـ: [٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى﴾ تعطي ﴿ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بإيتائه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك[1] ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ أي: والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٧] ﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ تدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا.

[٢٨] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غير ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: يواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دين ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ مصدر تقيته؛ أي: تخافوا مخافة، فلكم موالاتهم باللسان دون القلب، وهذا قبل عزة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويًّا فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أن يغضب عليكم[2] إن واليتموهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع؛ فيجازيكم.

[٢٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

---

(١) وهذا تأويل كالح، ومعنى ركيك، ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، ثم ما يقول هؤلاء في قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «يَدُ اللَّهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ» وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي فيها إثبات صفة اليد والأصبع وغيرها على الوجه الذي يليق بربنا جَلَّ وَعَلا؟ ثم إن يد القدرة والنعمة لا يُعرف استعمالها ألبتة إلا في حق من له يد حقيقية.

(٢) يشير بذلك أن المراد بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿نَفْسَهُۥ﴾ أي: غضب نفسه، وهذا مذهب المؤولة، وأما السلف فيثبتون النفس لله ﷻ، ولكنهم اختلفوا أهي صفة ذات أم هي الذات نفسها؟ فإلى الأول ذهب ابن خزيمة؛ حيث ترجم في صحيحه: باب ذكر البيان من خبر النبي ﷺ في إثبات النفس لله، أما ابن تيمية فقد رجح أنها بمعنى الذات، ونسبه لجمهور العلماء. [المجموع (٩/ ٢٩٢)].

يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

[٣٠] اذكــر ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ ـهُ ﴿مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ﴾ ـهُ ﴿مِن سُوٓءٖ﴾ مبتدأ خبرُهُ: ﴿تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾. وَنَزَلَ ـ لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبًّا لله؛ ليقربونا إليه[1] ـ: [٣١] ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى: يثيبكم[2] ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لِمَنِ اتَّبَعَني مَا سَلَفَ منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٞ﴾ به.

[٣٢] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر؛ أي: لا يحبهم؛ بمعنى: أنه يعاقبهم[3].

[٣٣] ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ اختار ﴿ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ بمعنى: أنفسهما ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4] بجعل الأنبياء من نسلهم.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ﴾ وَلَدِ ﴿بَعۡضٖۗ﴾ منهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٣٥] اذكر ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ «حَنَّة» لَمَّا أَسَنَّتْ واشتاقت للولد؛ فدعت الله، وأحست بالحمل: يا ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ عتيقًا خالصًا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِالنِّيَّاتِ، وَهَلَكَ عمران وهي حامل.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾ ولدتها جارية، وكانت ترجو أن يكون غلامًا؛ إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتۡ﴾ معتذرةً: يا ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَا وَضَعَتۡ﴾ جملة اعتراض من كلامه ـ تَعَالَى ـ، وفي قراءة: بضم التاء[5]، ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذي طَلَبَتْ ﴿كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ التي وُهِبَتْ؛ لأنه يُقْصَدُ للخدمة، وهي لا تصلح؛ لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ المطرود، في الحديث: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ؛ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا إِلا مَرْيَمَ وَابْنَهَا»[6] [رواه الشيخان].

[٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قَبِلَ مريم من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ أنشأها بخلق حسن؛ فكانت تنبت في اليوم؛ كما ينبت المولود في العام، وأتت بها أُمُّهَا الأحبارَ سدنةَ بيتِ المقدسِ، فقالت: دونكم هذه النذيرة. فتنافسوا فيها؛ لأنها بنت إمامهم؛ فقال زكريا: أنا أحق بها؛ لأن خالتها عندي. فقالوا: لا حتى نقترع. فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن، وألقوا أقلامهم على أن مَن ثبت قلمه في الماء وصعد أَوْلَى بها، فثبت قلم زكريا؛ فأخذها وَبَنَى لها غرفة في المسجد بِسُلَّمٍ لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف؛ كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَ[كَفَلَهَا] زَكَرِيَّاۖ﴾ ضَمَّهَا إليه، وفي قراءة: بالتشديد[7]، ونصب «زكريا» ممدودًا ومقصورًا[8]، والفاعل «الله» ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ الغرفة، وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ﴾ وهي صغيرة: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الواحدي بنحوه عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به، وقال الحافظ في العجاب (٢/٦٧٨): «وهذا من منكرات جويبر؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر»، وضعفه جدًّا في الاستيعاب (١/٢٤٢).

(٢) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وأنهم يثبتونها على الوجه الذي يليق به ـ سُبْحَانَهُ.

(٣) وهذا تأويل مخالف لظاهر اللفظ ومذهب السلف، وسبق بيان ذلك مرارًا، ومن لازم عدم محبته ـ سُبْحَانَهُ ـ لهم أنه يعاقبهم.

(٤) المراد: عَالَمُو زَمَانِهِمْ.

(٥) لابن عامر وشعبة، وعلى هذه القراءة يكون ذلك من كلامها اعتذارًا.

(٦) البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) والقراءة المفسَّرة بالتخفيف لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٨) بالمد؛ أي: زكرياء، لمن سبق ومعهم شعبة.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإتيان بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لما دخل المحراب[١] للصلاة جوفَ الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدًا صالحًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾[٢] مجيب ﴿ٱلدُّعَآءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جبريل[٣] ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن، وفي قراءة: بالكسر[٤] بتقدير القول ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ مثقلاً ومخففًا[٥] ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعيسى أنه روح الله، وَسُمِّيَ كلمةً؛ لأنه خُلِقَ بكلمة: «كُنْ» ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعًا ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعًا من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يَهُمَّ بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ وَلَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: بَلَغْتُ نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بَلَغَتْ ثمانيَ وتسعين ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق الله غلامًا مِنْكُما ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة أَلْهَمَهُ السؤالَ؛ لِيُجَابَ بِهَا. وَلَمَّا تَاقَتْ نفسه إلى سرعة الْمُبَشَّرِ بِهِ.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَ﴾ نْ ﴿لَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله ـ تعالى ـ ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارةً ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ صَلِّ ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل: ﴿يَٰمَرْيَمُ[٦] إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال[٧] ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعيه ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: صَلِّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ في الماء يقترعون؛ ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها؛ فتعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

[٤٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: ولد ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تنبيهًا على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاهٍ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

---

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ.

(٣) فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيمًا له.

(٤) لحمزة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين.

(٦) «لعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأةً باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكأن الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها». (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) أي: ومن الحيض والنفاس وكل قذر.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهْلًا[1] وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

[٤٨] ﴿[وَنُعَلِّمُهُ]﴾ بالنون والياء[2] ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الخط[3] ﴿وَٱلْحِكْمَةَ[4] وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

[٤٩] ﴿وَ﴾ يجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي: ﴿أَنِّي﴾ وفي قراءة[5]: بالكسر؛ استئنافًا ﴿أَخْلُقُ﴾ أصور ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف[6] ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا﴾ وفي قراءة[7]: ﴿طَائِرًا﴾ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته، فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقًا؛ فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا ﴿وَأُبْرِئُ﴾ أشفي ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ وَخُصّا بالذكر؛ لأنهما داءا إعياء[8]، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كرره؛ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا «عازر» - صديقًا له - وابن العجوز، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، و«سام بن نوح» ومات في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعاينه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَ﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له[9]، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرره تأكيدًا وليبني عليه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. [٥١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ﴾ أعواني ذاهبًا[10] ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أعوان دينه؛ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشيخ، وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحجتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم. وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغايرة بين ما هنا وما يأتي في آخر المائدة أن المتكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أعْيَيَا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكة يؤذي بها، وأما ما لَهُ صيصية فهو باق على حله لم يحرم.

(١٠) حَمَلَهُ المُفَسِّرُ على أنه متعلق بمحذوف، على أنه حال من الياء في ﴿أَنصَارِيٓ﴾ أي: مَن أنصاري حال كوني ذاهبًا إلى الله؛ أي: مُلْتَجِئًا إلى الله وشارعًا في نصرة دينه، وقال السدي وابن جريج: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]: مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿إِلَى﴾ بمعنى: «في»؛ أي: من أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق. قال ـ تعالى ـ:

[٥٤] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: كفار بني إسرائيل بعيسى؛ إذ وَكَّلوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم؛ بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه[١] ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٥٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعدك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ بك؛ وهم: اليهود؛ يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين منه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون[٢] ﴿أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يعاقبهم[٣]؛ روي أن اللَّه ـ تعالى ـ أرسل إليه سَحابَةً فَرَفَعَتْهُ؛ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ أُمُّهُ وَبَكَتْ؛ فقال لها: إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين[٤]. وروى الشيخان حديث: «إنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية»[٥]. وفي حديث مسلم: «إنه يمكث سبع سنين»[٦]. وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه[٧]. فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده.

[٥٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ حال من الهاء في ﴿نَتْلُوهُ﴾، وعامله ما في ﴿ذَٰلِكَ﴾ من معنى الإشارة[٨] ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكم؛ أي: القرآن.

[٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بشرًا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان؛ وكذلك عيسى قال له: «كن» من غير أب؛ فكان.

[٦٠] ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٦١] ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللَّهم الْعَنِ الكاذب في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه به؛ فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك. فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما بَاهَلَ قومٌ نبيًّا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين، وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إذَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا»، فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية[٩]. [رواه أبو نعيم]. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون، لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً. وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

---

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: إن الذي صلب شاب من تلاميذ المسيح عليه السلام، رضي بأن يُلْقى عليه شبه المسيح، ويُقتل مكانه ليكون رفيقه في الجنّة. الدر المنثور [٢/٧٢٧].

(٢) بالنون، للسبعة عدا حفص.

(٣) وهذا تأويل سبق التنبيه والرد عليه وإثبات صفة الحب لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه، ومن لازم عدم محبته سبحانه لهم أنه يعاقبهم.

(٤) وهذا لم تأت به سنة صحيحة وهو أشبه بالإسرائيليات التي يتوقف في القول بها.

(٥) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٦) مسلم (٢٩٤٠).

(٧) وأخرجه أحمد وأبو داود (٤٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٣٥)، والصحيحة (٢١٨٢)، من حديث أبي هريرة، وفيه: «وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

(٨) لأنه مضمن معنى «أشير»، واعترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في: ﴿نَتْلُوهُ﴾؛ فالعامل هو: ﴿نَتْلُوهُ﴾. قال بعضهم معتذرًا عن المفسّر: بأنه خلط إعرابًا بآخر.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور (٣/٢٣٢) وأصله عند مسلم (٢٤٠٤).

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ﴾ الخبر ﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٦٣] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ فيجازيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر.

[٦٤] ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ مصدر؛ بمعنى: مستو أمرها ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ هي: ﴿أَ﴾ نْ ﴿لَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُواْ﴾ أنتم لهم: ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ موحدون. وَنَزَلَ ـ لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه. وقالت النصارى كذلك ـ: [٦٥] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم[1] ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟!

[٦٦] ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمۡ﴾ مبتدأ، يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ والخبر: ﴿حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ شأنه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

[٦٧] قال ـ تعالَى ـ تبرئة لإبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُّسۡلِمٗا﴾ موحدًا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ محمد؛ لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾ من أمته؛ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه. لا أنتم ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٥) ناصرهم وحافظهم. وَنَزَلَ ـ لما دعا اليهود مُعاذًا وحذيفةَ وعمارًا إلى دينهم ـ:

[٦٩] ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ بذلك.

[٧٠] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ تعلمون أنه الحق؟!

---

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي أبي وخليل ربي». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/١٨٠،١٨١) ، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٣/٢١٦)، والبيهقي في الدلائل (٥/٣٨٤) عن ابن عباس، وضعفه في الاستيعاب (١/٢٥٩، ٢٦٠).

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: نعت النبي ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنه حق؟!.

[٧٢] ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود لبعضهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: القرآن ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عن دينهم؛ إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. وقالوا أيضًا:

[٧٣] ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة[1] ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمۡ﴾ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال، والجملة اعتراض[2] ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و«أن» مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد»[3] قدم عليه المستثنى؛ المعنى: لا تقروا[4] بأن أحدًا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوۡ﴾ بأن ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ أي: المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ يوم القيامة؛ لأنكم أصح دينًا، وفي قراءة: ﴿ءَأَن﴾[5] بهمزة التوبيخ[6]؛ أي: أإيتاءُ[7] أحدٍ مثله تقرون به؟ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٞ﴾ بمن هو أهله.

[٧٤] ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

[٧٥] ﴿۞وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ أي: بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لأمانته؛ كعبد اللَّه بن سلام أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا فأداها إليه ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ لا تفارقه، فمتى فارقته أنكره؛ ككعب بن الأشرف استودعه قرشيٌّ دينارًا فجحده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾ بسبب قولهم: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٞ﴾ أي: إثم؛ لاستحلالهم ظُلْمَ مَنْ خالَفَ دينهم، ونسبوه إليه ـ تَعَالَى ـ، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

[٧٦] ﴿بَلَىٰ﴾[8] عليهم فيهم سبيل ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد اللَّه إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ اللَّهَ بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر[9]؛ أي: يحبهم؛ بمعنى: يثيبهم[10]. وَنَزَلَ في اليهود ـ لما بدلوا نعت النبي ﷺ وعهد اللَّه إليهم في التوراة[11]، وفيمن حلف كاذبًا في دعوى أو في بيع سلعة ـ: [٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ حلفهم به ـ تَعَالَى ـ كاذبين ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غضبًا[12] ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ يرحمهم[13] ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم(*).

(*) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبداللَّه بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلًا أقام سلعة وهو في السوق فحلف باللَّه لقد أعطى بها ما لم يعط، ليوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾. البخاري ـ كتاب البيوع (٣٤) باب (٢٧) ما يكره من الحلف في البيع.

---

(١) الأولى أن يضمن الإيمان هنا معنى الانقياد والتسليم والإقرار، فيكون المراد: فصدقه واتبعه منقادًا لما جاء به، كما هو معناه الشرعي؛ فلا تكون اللام زائدة، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾. والله أعلم. (٢) أي: بين العامل والمعمول. (٣) هذا باعتبار أن اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ زائدة، أما على عدم تقدير زيادتها فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولا تؤمنوا؛ أي: تقروا وتعترفوا وتصرحوا لأحد من الناس بأن أحدًا يؤتى مثل ما أوتيتم من الفضائل والكمالات إلا لشخص اتبع دينكم. (٤) ضمَّن المفسر ﴿تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ معنى: تقروا؛ لتكون اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ أصلية. (٥) لابن كثير، وعلى هذه القراءة يكون هذا الكلام مستأنفًا. (٦) أي: بهمزة الاستفهام الذي هو للتوبيخ مع الإنكار.

(٧) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره: تقرون به. (٨) إضراب إبطالي، وهو مغنٍ عن جملة قدَّرها المفسّر بقوله: «عليهم فيهم سبيل».

(٩) وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «فإن الله يحبه»، وهذا للاعتناء بشأن المؤمنين، وإشارة إلى عمومه لكل مُتَّقٍ. (١٠) وهذا تأويل غير جائز لهذه الصفة، وسبق بيان فساده، وبيان مذهب السلف في صفات الله عز وجل مرارًا. (١١) ذكره ابن حجر في العجاب (٢/٧٠٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقال في الفتح (٨/٢١٣): «وقص الكلبي في تفسيره في ذلك قصة طويلة، وهي محتملة أيضًا، لكن المعتمد في ذلك ما ثبت في الصحيح». والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فالحديث موضوع. (١٢) أي: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، ولكن يمكن أن يكلمهم كلامًا يسوؤهم كما في قوله ـ سبحانه ـ لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وفي هذه الآية وغيرها إثبات صفة الكلام لله ـ سبحانه ـ على الوجه اللائق به كما هو مذهب السلف.

(١٣) أي: لا ينظر إليهم نظر رحمة وإحسان، ومن لازمها: إثبات أنه ينظر للمؤمنين نظر رحمة، وفي هذا إثبات صفة البصر له على الوجه اللائق به كما جاء صريحًا في غير آية.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ طائفة؛ ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المحرف ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون. وَنَزَلَ - لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه[1] ربًّا. أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ[2]: [٧٩] ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الفهم للشريعة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾ يقول: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيمًا ﴿بِمَا كُنتُمْ [تَعْلَمُونَ]﴾ بالتخفيف والتشديد[3] ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] ﴿وَلَا [يَأْمُرُكُمْ]﴾ بالرفع[4] استئنافًا؛ أي: الله[5]، والنصب عطفًا على ﴿يَقُولَ﴾؛ أي: البشر[6] ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة، واليهود عزيرًا، والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له هذا[7].

[٨١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ عهدهم ﴿لَمَآ﴾ بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم[8] الذي في أخذ الميثاق، وكسرها متعلقة بـ«أخذ»[9]، و«ما» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ إياه، وفي قراءة: ﴿ءَاتَيْنَٰكُم﴾[10] ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ جواب القسم: إن أدركتموه، وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ﴾ عهدي؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

[٨٢] ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء[11]؛ أي: المتولون ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف ومعاينة ما يلجئ إليه ﴿وَإِلَيْهِ [تُرْجَعُونَ]﴾ بالتاء والياء[12]، والهمزة في أول الآية للإنكار.

---

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعزاه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكسائي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: ﴿يأمُرْكم﴾ بسكون الراء، وبقية السبعة ﴿يأمُرَكم﴾ بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالرفع - ضمير مستتر عائد على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل ﴿يَأْمُرَكُمْ﴾ - بالنصب - ضميرًا مستترًا عائدًا على «بشر».

(٧) أشار بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي.

(٨) أي: مؤكدة لليمين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل ﴿لِمَا﴾؛ أي: لرعاية وحفظ ما آتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع. (١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالتاء للباقين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٥) مخلصون في العبادة. وَنَزَلَ فيمن ارتد ولحق بالكفار:

[٨٥] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ أي: وشهادتهم ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

[٨٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمْهَلُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾(٥٥) بهم. وَنَزَلَ في اليهود:

[٩٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفارًا ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أدخل الفاء في خبر «إنَّ»؛ لشبه «الذي»[1] بالشرط وإيذانًا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين منه.

---

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أو ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود ـ كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٢٢).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٨٦ ـ ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تندم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانًا قد ندم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأرسل إليه فأسلم. النسائي ـ كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) توبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: الحارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن حجر (٣/٣١٤).

---

(١) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لكن حكمهما واحد.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

[٩٢] ﴿۞ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ تَصَدَّقُوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه(*). وَنَزَلَ ـ لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها[1] ـ: [٩٣] ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ حلالًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق النَّسا ـ بالفتح والقصر ـ؛ فنذر إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؛ فبهتوا ولم يأتوا بها. قال ـ تَعَالَى ـ: [٩٤] ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. [٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا؛ كجميع ما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. وَنَزَلَ ـ لما قالوا: قبلتنا قبل قبلتكم ـ: [٩٦] ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متعبدًا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بالباء، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة؛ أي: تدقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين[2]، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زَبَدة بيضاء؛ فدحيت الأرض من تحته»[3]. ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم. [٩٧] ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ منها[4]: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فَأَثَّرَ قَدَمَاهُ فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعلوه[5] ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها[6] لغتان في مصدر حج؛ بمعنى: قصد، ويبدل من[7] «الناس»: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ فَسَّرَهُ ﷺ بِالزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ[8]. [رواه الحاكم وغيره] ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم.

[٩٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. [٩٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تَصْرِفُونَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبكم النبي وَكَتْمِ نَعْتِهِ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ مصدر؛ بمعنى: معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضيَّ القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. وَنَزَلَ ـ لما مَرَّ بعض اليهود[9] على الأوس والخزرج، وغاظهم تآلفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن؛ فتشاجروا وكادوا يقتتلون ـ: [١٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء. وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «بخ. ذلك مال رابح، ذلك مال رابح. وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥، ٧٦) ، والحافظ في العجاب (٢/٧١٦)، عن الكلبي وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (١/٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذَر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة..

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريقي عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزاه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٤/٢٦٥)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المثالين: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ وإنما خصهما بالذكر؛ لعظمهما، وأنهما تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مدركون لهما بحواسهم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعلوه ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) أي: بدل بعض من كل، والعائد محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرك (١/٤٤٢)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢/١٨٥) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٤/١٦، ١٧)، وضعف الحافظ إسناده في الإصابة (١/٨٧)، وهذا اليهودي قيل اسمه: شاس بن =

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بِأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَر، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَقْوَى عَلَى هَذَا(١). فَنُسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(٢). ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ موحدون.

[١٠٣] ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ بعد الإسلام ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفارًا ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون، و«مِنْ» للتبعيض(٣)؛ لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة، ولا يليق بكل أحد؛ كالجاهل.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ عن دينهم ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهم اليهود والنصارى(٤) ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخًا: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾(٥) أي: جنته ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جرم.

= قيس. وجاء نحوه عن مجاهد كما في تفسير الطبري (١٧/٤). وضعفهما في الاستيعاب (٢٧٩/١، ٢٨٠).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود. [الدر المنثور (١٠٥/٢)].

(٢) التغابن: ١٦.

(٣) وقيل: صلة؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] لم يرد اجتناب بعض الأوثان، بل أراد: فاجتنبوا الأوثان. قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» [تفسير ابن كثير (٣٦٨/١)].

(٤) حُكِيَ هذا عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ. وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم وَأَنْكَرُوا بقلوبهم. وعن عكرمة أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. والآية ـ والله أعلم ـ تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا سبيل التفرق والاختلاف في الدين كما سلكه من قبلهم من اليهود والنصارى حتى ربما أدى بهم إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ بعد إيمانهم، فيقال لهم كما قيل لهؤلاء: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، ويشهد له قوله ـ تعالى ـ في أمر المؤمنين بالاعتصام بحبله ﷻ ونهيهم عن التفرق بعد أن أَلَّفَ بين قلوبهم.

(٥) فيها إثبات صفة الرحمة لله ـ سبحانه.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنتُمْ﴾ يا أمة محمد في علم الله - تعالى - ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أُظْهِرَتْ ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٥) الكافرون.

[١١١] ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّآ أَذًىۖ﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ عليكم؛ بل لكم النصر عليهم.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ حيثما وجدوا؛ فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] المؤمنين؛ وهو: عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية؛ أي: لا عصمة لهم غير ذلك[2] ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ﴾ تأكيدًا ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ أمرَ الله ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١١٣] ﴿۞ لَيْسُواْ﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَآءًۗ﴾ مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق؛ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون، حال.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر الله ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

[١١٥] ﴿وَمَا [تَفْعَلُواْ]﴾ بالتاء[3]؛ أيتها الأمة، والياء؛ أي: الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن [تُكْفَرُوهُ]﴾ بالوجهين[4]؛ أي: تعدموا ثوابه؛ بل تجازون عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾(٥٥).

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣- ١١٥): أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخَّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة. قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالتاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الياء والتاء، بالتاء لمن سبق ذكرهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها[١] ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به؛ فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

[١١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سركم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ نصب بنزع الخافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عنتكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظهرت ﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَٰٓ﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ يا ﴿أُوْلَآءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من ائتلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بِعَضِّ الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثَمَّ عَضٌّ ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ أي: ابقوا عليه إلى الموت[٢]؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمره هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة؛ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فَلِمَ تُوَالُونَهُمْ؟! فاجتنبوهم ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللَّه في موالاتهم وغيرها ﴿لا [يَضِرْكُمْ]﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء[٣] وضمها وتشديدها[٤] ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء[٥] ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم[٦]؛ فيجازيهم به.

[١٢١] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم؛ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلًا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وَسَوَّى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وَأَمَّرَ عليهم عبد اللَّه بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انْضَحُوا عَنَّا بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَ مِنْ وَرَائِنَا، وَلَا تَبْرَحُوا غُلِبْنَا أَوْ نُصِرْنَا»[٧].

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من ضار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الرَّاء، مع ضم الضاد من ضرَّ يضرُّ، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة العشرة بالياء، والقراءة بالتاء شاذة، وقد سها السيوطي عن التنبيه إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو ـ سبحانه ـ محيط بهم وبأعمالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أعثر عليه بهذا اللفظ لكن أخرج البخاري (٣٧٣٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

[١٢٢] ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هَمَّت﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ تجْبُنَا عن القتال وترجعا؛ لما رجع عبدالله بن أُبَيٍّ المنافق وأصحابه، وقال: عَلَامَ نقتل أنفسنا وأولادنا؟! وقال ـ لأبي جابر السلمي القائل له: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم ـ: لو نعلم قتالًا لاتبعناكم. فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ليثقوا به دون غيره. وَنَزَلَ ـ لما هزموا تذكيرًا لهم بنعمة الله ـ: [١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

[١٢٤] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ«نصركم» ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطمينًا: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾ يعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ بالتخفيف والتشديد[1]؟.

[١٢٥] ﴿بَلَىٰٓ﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال ﴿بِأَلْفٍ﴾؛ لأنه أمدهم أولًا بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة؛ كما قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ اللَّهَ في المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي: المشركون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو وفتحها[2]؛ أي: مُعَلَّمِينَ، وقد صبروا وأنجز الله وعده؛ بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق، عليهم عمائم صفر[3] أو بيض[4]، أرسلوها بين أكتافهم.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجند.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بـ«نصركم»؛ أي: ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا۟﴾ يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه. وَنَزَلَتْ ـ لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ﷺ، وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ؟!»[5](*) ـ:

[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى: «إلى» أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفر.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

[١٣٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ بألف ودونها[6]؛ بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. [١٣١] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرج البخاري عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر، يقول: «اللَّهم العن فلانًا وفلانًا وفلانًا»، بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»؛ فأنزل اللَّه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿ظَٰلِمُونَ﴾. البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (٩).

وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رَبَاعِيَتُه يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟!» فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ مسلم ـ كتاب الجهاد والسير (٦٤) باب (٣٧) غزوة أحد.

قال الحافظ في الفتح (٨/٧٥): «وطريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته؛ فنزلت الآية في الأمرين معًا؛ فيما وقع من الأمر المذكور، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم. وذلك في أُحد...».

---

(١) بالتشديد، ومعه فتح النون، قراءة ابن عامر.

(٢) قراءتان سبعيتان، وهي بالكسر: اسم فاعل؛ والمعنى: معلمين أنفسهم آداب الحرب، وبالفتح: اسم مفعول؛ بمعنى: أن الله علمهم آدابه، وبالفتح قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٣) هذا ما رواه أبو نعيم في «فضائله» عن عروة بن الزبير: «كَانَتْ عَمَامَةُ جِبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ».

(٤) هذا ما رواه إسحاق والطبراني عن ابن عباس قال: «كَانَتْ سِيمَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمُهُمْ بِيْضًا، مُعَلِّمِينَ بِالصُّوفِ الْأَبْيَضِ فِي نَوَاحِي الدَّوَابِّ وَأَذْنَابِهَا»، وجمع بين الروايتين بأن جبريل كانت عمامته صفراء، وغيره كانت عمامته بيضاء.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٧) وصححه الألباني، وأحمد (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) من حديث أنس بن مالك، وأخرجه مسلم (٣٣٤٦) بلفظ «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته...».

(٦) أي: ﴿مُضَعَّفَةً﴾ وهي قراءة ابن كثير وابن عامر، ومعناها كما ذكر المفسر؛ كان الطالب يقول: أتقضي أم تربي؟ فربما فعل ذلك مرارًا فيزيد الدين أضعافًا مضعفة. و﴿مُّضَٰعَفَةً﴾: إشارة إلى تكرير التضعيف عامًا بعد عام كما كانوا يضعفون، وهذا توبيخ لا تقييد أو بحسب الواقعة.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ بواو ودونها[1] ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

[١٣٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ اليسر والعسر ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ ممن ظلمهم؛ أي: التاركين عقوبتهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال؛ أي: يثيبهم[2].

[١٣٥] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ ذنبًا قبيحًا؛ كالزنا ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بما دونه؛ كالقُبْلَة ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: وعيده ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾ يداوموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ بل أقلعوا عنه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية.

[١٣٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجر. وَنَزَلَ في هزيمة أحد:

[١٣٧] ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضت ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الرسلَ؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك؛ فلا تحزنوا لغلبتهم؛ فأنا أمهلهم لوقتهم.

[١٣٨] ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ منهم.

[١٣٩] ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما أصابكم بأُحُدٍ ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ حقًّا، وجوابه دلَّ عليه مجموع ما قبله.

[١٤٠] ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ﴾ يصبكم بأُحُدٍ ﴿قَرۡحٞ﴾ بفتح القاف وضمها[3]؛ جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ﴾ الكفار ﴿قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ ببدر ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نُصَرِّفُها ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ يومًا لفرقة ويومًا لأخرى؛ ليتعظوا ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين؛ أي: يعاقبهم[4]، وما ينعم به عليهم استدراج.

---

(١) وإثبات الواو قراءة الجمهور عطفًا تفسيريًا على: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾؛ كرسم مصاحف مكة والعراق، و«دونها» في قراءة نافع وابن عامر على الاستئناف؛ كرسم المصحف الشامي والمدني.

(٢) وهذا تأويل - كما سبق مرارًا - ومذهب السلف إثبات هذه الصفات دون أن يقتضي ذلك نقصًا في حق الباري ﷻ، كما يزعم هؤلاء المؤولة وغيرهم من المعطلة، ومن لازم محبته - سبحانه وتعالى - للمحسنين أن يثيبهم.

(٣) بالضم لحمزة والكسائي وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٤) وهما تأويل، ومذهب السلف إثبات صفات ربنا على الوجه اللائق به - سبحانه -، ومن لازم عدم محبته للظالمين أن يعاقبهم.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

[١٤١] ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمۡحَقَ﴾ يهلك ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمۡ﴾ بَلْ[1] أ[2] ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الشدائد؟!.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يومًا كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي: سَبَبَهُ: الحرب ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي؟ فَلِمَ انهزمتم؟! وَنَزَلَ في هزيمتهم لما أُشِيعَ أن النبي قُتِلَ، وقال لهم المنافقون: إن كان قُتِلَ فارجعوا إلى دينكم:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ﴾[3] كغيره ﴿ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: ما كان معبودًا فترجعوا ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ نعمَهُ بالثبات.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كِتَٰبٗا﴾ مصدر؛ أي: كتب اللَّه ذلك ﴿مُّؤَجَّلٗاۗ﴾ مؤقتًا، لا يتقدم ولا يتأخر؛ فَلِمَ انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟! ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ ما قسم له، ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن نَّبِيّٖ [قُتِلَ]﴾[4] وفي قراءة: ﴿قَٰتَلَ﴾، والفاعل ضميره[5] ﴿مَعَهُۥ﴾ خبر مبتدؤه: ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ جبنوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ﴾ خضعوا لعدوهم؛ كما فعلتم حين قيل: قتل النبي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاء؛ أي: يثيبهم[6].

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا﴾ تجاوُزَنا الحدَّ ﴿فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ إيذانًا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمًا لأنفسهم ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ بالقوة على الجهاد ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ النصرَ والغنيمةَ ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ أي: الجنة، وحسنه: التفضلُ فوق الاستحقاق ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

---

(١) ﴿أَمۡ﴾ منقطعة؛ فلذا فسرها المفسر بـ«بل» التي للإضراب الانتقالي.

(٢) الهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جويبر عنه به، وجويبر ضعيف جدًّا كما في التقريب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضًا، وضعفه جدًّا في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿قاتل﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ربيون»، وعلى القراءة الأولى: (قُتل) يكون نائب الفاعل: «ربيون»، أو ضميرًا مستترًا يعود إلى «نبي».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مرارًا وبيان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به ـ سبحانه ـ ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يثيبهم ويكرمهم.

[١٤٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

[١٥٠] ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمِّها[1]؛ الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أُحُدٍ على العود واستئصال المسلمين، فرُعِبُوا ولم يرجعوا[2] ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ حجةً[3] على عبادته؛ وهو: الأصنام ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين هي.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي؛ فقال بعضكم: نذهب؛ فقد نُصِرَ أصحابنا. وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمره؛ فتركتم المركز؛ لطلب الغنيمة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ اللهُ ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ من النصر، وجواب «إذا» دَلَّ عليه ما قبله؛ أي: مَنَعَكُمْ نَصْرَهُ ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه[4] ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر: رَدَّكُمْ بالْهَزِيمَةِ ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم؛ فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو.

[١٥٣] اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ تُعَرِّجُونَ ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: من ورائكم؛ يقول: «إليَّ عِبَادَ اللَّهِ»[5] ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ فجازاكم[6] ﴿غَمًّۢا﴾ الهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غَمِّكُم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنى: على؛ أي: مضاعفًا على غَمِّ فَوْتِ الغنيمةِ ﴿لِّكَيْلَا﴾ متعلق بـ«عفا»، أو بـ«أثابكم»؛ فـ«لا» زائدة[7] ﴿تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

---

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٤/٨١) وضعفه جدًّا في الاستيعاب (١/٣٠٧).

(٣) سميت سلطانًا؛ لوضوحها وإنارتها، أو لقوتها ونفوذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإثابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾.

(٧) قوله: «فلا زائدة» راجع إلى تعليق «كيلا» بـ«أثابكم» فقط؛ والمعنى: فجازاكم بالغم لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ﴿عَفَا﴾ فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينتفي حزنكم.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمنًا(١) ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل(٢) ﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياءِ والتاءِ(٣) ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يميدون(٤) تحت الحَجَفِ(٥) وتسقط السيوف منهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: حملتهم على الهم؛ فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم: المنافقون ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظنًّا ﴿غَيْرَ﴾ الظنِّ ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي: كظنِّ ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبيَّ قُتِلَ(٦) أو لا يُنصرُ ﴿يَقُولُونَ هَل﴾ ما(٧) ﴿لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وُعِدْناه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ بالنصب توكيد، أو الرفع مبتدأ خبرهُ: ﴿لِلَّهِ﴾(٨) أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقتل، لكن أُخرجنا كَرْهًا ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عليه القتلَ ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾ قُضِيَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجهم قعودهم؛ لأن قضاءه - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَ﴾ فعل ما فعل بأُحُدٍ ﴿لِيَبْتَلِىَ﴾ يختبر ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يبتلي؛ ليُظْهِرَ للناس.

[١٥٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جَمْعُ المسلمين وَجَمْعُ الكفار بأُحُدٍ؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يَعْجَلُ على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: المنافقين ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾ سافروا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ جَمْعُ غازٍ؛ فَقُتِلوا: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ أي: لا تقولوا كقولهم ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعودٌ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء(٩) ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها(١٠)؛ من مات يموت(١١) وَيُمَاتُ(١٢)، أي: أتاكم الموت فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم(١٣)، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبرهُ: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا [تَجْمَعُونَ]﴾ من الدنيا بالتاء والياء(١٤).

---

(١) أشار بذلك إلى أن الأمنة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، والأمنة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر؛ لأن الأمنة هي النعاس بعينها، وقيل: بدل اشتمال؛ لأن الأمنة لها اشتمال بالنعاس وهو له اشتمال بها؛ لأنه لا يحصل النعاس إلا للآمن.

(٣) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الياء؛ الضمير عائد على النعاس، وعلى التاء الضمير عائد على الأمنة.

(٤) أي: يميلون.

(٥) جمع حَجَفَة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دينه ولا يتم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النفي.

(٨) وجملة ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (مِنْ مات يموت)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (ويمات)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا.

(١٣) وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: **واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ❊ جواب ما أخرت فهو ملتزم**

(١٤) بالتاء قراءة السبعة عدا حفص.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿مُّتُّمْ﴾ بالوجهين[1] ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم.

[١٥٩] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي: سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيِّئ الخُلُق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ جافيًا فأغلظت لهم ﴿لَٱنفَضُّوا۟﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: شأنك من الحرب وغيره؛ تطييبًا لقلوبهم، ولِيُسْتَنَّ بك، وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به لا بالمشاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

[١٦٠] ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ يُعِنْكُم على عدوكم؛ كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يترك نصركم؛ كيوم أُحُدٍ ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد خذلانه؛ أي: لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ لِيَثِقْ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. وَنَزَلَتْ - لما فقدت قطيفة حمراء يوم أُحُدٍ؛ فقال بعض الناس: لعل النبي أَخَذَهَا -: [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ﴾[2] ما ينبغي ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة؛ فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة بالبناء للمفعول[3]؛ أي: أَنْ يُنْسَبَ إلى الغلولِ ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغالُّ وَغَيْرُهُ جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا(٥).

[١٦٢] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغلَّ ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لمعصيته وغلوله ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي؟ لا[4]. [١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: أصحاب درجات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: مختلفو المنازل؛ فَلِمَنِ اتَّبَعَ رضوانَهُ الثوابُ، وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطِهِ العقابُ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. [١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: عربيًّا مثلهم؛ ليفهموا عنه ويشرفوا به، لا ملكًا ولا عجميًّا ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن﴾ مخففة؛ أي: إنهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل بعثه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّنٍ.

[١٦٥] ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بِأُحُدٍ بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين: ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟! والجملة الأخيرة[5] محل الاستفهام الإنكاري[6] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز؛ فخذلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم.

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦١): أخرج أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود - كتاب الحروف والقراءات (٢٤) رقم (٣٩٧١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

---

(١) أي: ضم الميم وكسرها، والكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩)، وانظر ما جاء في نزول الآية، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

(٣) لحمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٤) قوله: (لا)، جواب الاستفهام.

(٥) وهي قوله: ﴿قُلْتُمْ﴾.

(٦) أي: فهو بمعنى النفي؛ والمعنى: لا تقولوا ذلك حين أصابتكم مصيبة؛ لأنه من عند أنفسكم؛ فسببه ظاهر لا يتعجب منه.

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

[١٦٦] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ بأُحُدٍ ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ علم ظهور[١] ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حقًّا.

[١٦٧] ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ و﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾ لما انصرفوا عن القتال؛ وهم: عبدالله بن أُبَيٍّ وأصحابه: ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾ نُحسِنُ[٢] ﴿قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ قال - تعالَى - تكذيبًا لهم: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين، وكانوا قبلُ أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ من النفاق.

[١٦٨] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله[٣]، أو نعت ﴿قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ في الدين ﴿و﴾ قد ﴿وَقَعَدُواْ﴾ عن الجهاد: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أُحُدٍ أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ﴾ لهم: ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾ ادفعوا ﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أن القعود ينجي منه.

[١٦٩] ونزَلَ في الشهداءِ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد[٤] ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ﴾ هم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت؛ كما ورد في الحديث[٥] ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة(*).

[١٧٠] ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَ﴾ هم ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿أَ﴾نْ؛ أي: بأَنْ ﴿لَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿۞يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ﴾ ثواب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا على «نعمة» وبالكسر استئنافًا[٦] ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بل يأجرهم.

[١٧٢] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دعاءَهُ بالخروج للقتال؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودَ[٧]، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر العام المقبل من يوم أُحُدٍ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ بأُحُدٍ[٨]، وخبر المبتدأ: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ مخالفتهُ ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة.

[١٧٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ الجموع؛ ليستأصلوكم ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمۡ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَٰنٗا﴾ تصديقًا بالله ويقينًا ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا أمرَهُم ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛ فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا، وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا[٩]. قال الله - تعالَى -:

(*) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلوا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

---

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو نعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتقان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي رحمه الله في كلامه على الحذف: «نحو ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ أي: مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال، وَيَتَعَيَّرُونَ بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: لو نعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد: مكان قتال». (٣) وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحوه النسائي في التفسير (٣٤٣/١، ٣٤٥)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/رقم ١١٦٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز، وهو ثقة»، وصححه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٥/١). وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨ - ٢٢٩): «المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس...» وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١). (٨) فيه أن الذين استجابوا الله والرسول ﷺ هم الذين حضروا أحدًا، ونزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانية، وقال: «لا يَخْرُجْ مَعَنَا إلا مَنْ شَهِدَ الْقِتَالَ»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المزيد، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا «حمراء الأسد» على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموعد كما ذهب المصنف. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه...إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابة لم يكن نتيجة. إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر.

(٩) ذكره الواقدي في مغازيه (٣٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمراء الأسد، ويؤيده ما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: يا ابن أختى كان أبواك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم ... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).

فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

[١٧٤] ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وربح ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي: القائل لكم: إنَّ النَّاس... إلخ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ﴾ كُمْ ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ الكفارَ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

[١٧٦] ﴿وَلَا [يُحْزِنْكَ]﴾ بضم الياء وكسر الزاي[١]، وبفتحها وضم الزاي؛ من «حَزَنَه» لغة في «أحزنه»[٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بفعلهم؛ وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصيبًا ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم اللَّهُ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: أخذوه بدله ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء[٣] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى﴾ أي: إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ و«أن» ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُمْلِى﴾ نمهل ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُدٍ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيطلعه على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء[٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول[٥] «بخلهم» مقدرًا قبل الموصول على الفوقانية[٦]، وقبل الضمير على التحتانية[٧] ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بزكاته من المال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث[٨] ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء[٩] ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

---

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «حَزَنَه» ... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الياء وضم الزاي.

(٣) قراءتان سبعيتان، وبالتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ مفعول أول لـ (تحسبن)، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني.
وعلى قراءة الياء ـ وهي قراءة الباقين ـ : يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فاعل (تحسبن) وقوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ...﴾ سد مسدَّ مفعوليها كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، وبالياء قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فتقديره: (ولا تحسبن بخل الذين يبخلون... إلخ) خيرًا لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسمح؛ لأن المقدر قبل الموصول يكون مضافًا له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله.

(٧) أي فتقديره: (ولا يحسبن الذين يبخلون...إلخ) بخلهم خيرًا لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «يمثل مال مانع الزكاة بشجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلهزمتيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ...﴾ الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبالتاء قرأ الباقون.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو كان غنيًّا ما استقرضنا[(١)]. ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُواْ﴾ في صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبنيًّا للمفعول[(٢)] ﴿وَ﴾ نكتب ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ بالنصب والرفع[(٣)] ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء[(٤)]؛ أي: اللَّه لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا أُلْقُوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تُزاوَلُ بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم[(٥)] ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب. [١٨٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوٓاْ﴾ لمحمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُتَقَرَّبُ به إلى اللَّه من نعم وغيرها، فإن قُبِلَ جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلا بقي مكانه، وَعُهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تَعَالَى -: ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخًا: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى فقتلتموهم، والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم؛ لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟!. [١٨٤] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ وفي قراءة: بإثبات الباء فيهما[(٦)] ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾ الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بُعِّدَ ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نَالَ غايةَ مطلوبِهِ[(٧)] ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الباطل؛ يتمتع بها قليلًا ثم يفنى.

[١٨٦] ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع؛ لالتقاء الساكنين؛ لَتُخْتَبَرُنَّ ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والحوائج ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى[(٥)] ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب[(٨)] بنسائكم ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللَّه ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يعزم عليها؛ لوجوبها.

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرج أبو داود عن عبدالرحمن بن عبداللَّه بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود. وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر اللَّه ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففيهم أنزل اللَّه: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبىٰ كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون، فغدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا فقتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول. ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتابًا ينتهون إلىٰ ما فيه. فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.
أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٥٩٤).

---

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤٦٠). عن ابن عباس بسند حسن. (٢) أي: (سيُكتب) وهي قراءة حمزة.
(٣) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقتلَهم): على قراءة (النون) وهي قراءة حمزة، والرفع (وقتلُهم): على قراءة الياء للباقين.
(٤) على التفصيل في الهامش السابق. (٥) دفع بذلك ما يقال: إن المنفي: كثرة الظلم؛ فيفيد أن أصل الظلم ثابت - فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للمبالغة.
(٦) قرأ هشام: (وبالزبر وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبر والكتاب).
(٧) هذا التفسير يوهم عدم إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزالًا بالمناقيش من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة؛ أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢، ٢٣]، وحديث الشيخين: «إنكم سترون ربكم ...».
(٨) أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالقصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[١٨٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ أي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ أي: الكتاب، بالياء والتاء في الفعلين[1] ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم؛ فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراؤهم هذا.

[١٨٨] ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء[2] ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ في الوجهين[3] تأكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخرة؛ بل هم في مكان يعذبون فيه؛ وهو: جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها(*)، ومفعولا «يحسب» الأولى دلَّ عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية[4]، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط[5]. [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالَى - ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لذوي العقول.

[١٩١] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَٰطِلًا﴾ حال، عبثًا؛ بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهنْتَهُ ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ المضمرِ[6]؛ إشعارًا بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنْ﴾ زائدة[7] ﴿أَنصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله - تعالَى.

[١٩٣] ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: إليه؛ وهو: محمد، أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾ غطِّ[8] ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جُمْلَةِ ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وَسُؤَالُهُمْ ذَلِكَ - وإن كان وعده - تَعَالَى - لا يُخْلَفُ - سؤالُ أن يجعلهم من مستحقيه؛ لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

* * *

(*) ما جاء في نزول الآية (١٨٨): أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه إن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

(١) أي وهما: ﴿ليبيننه﴾ و﴿لا يكتمونه﴾، وقراءة الياء لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء في الموضعين.

(٢) قرأ بالياء: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بالتاء.

(٣) أي على القراءتين بالياء والتاء.

(٤) والتقدير: أنفسهم ناجين.

(٥) وتقديره: ناجين من عذاب الله.

(٦) حيث قال: ﴿وما للظالمين﴾ ولم يقل: «وما لهم».

(٧) للتوكيد.

(٨) في نسخة: «حطَّ»، والمثبت هو الموافق لما بعده في قوله: «فلا تظهرها...» إلخ.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

[١٩٥] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّى﴾ أي: بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم﴾ كائن ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلها؛ أي: هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نَزَلَتْ لما قالت أم سلمة: يا رسول الله، إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء(°)، ﴿فَٱلَّذِينَ هَٰجَرُوا۟﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ ديني ﴿وَقَٰتَلُوا۟﴾ الكفارَ ﴿وَقُتِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد[1]، وفي قراءة: بتقديمه[2] ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾ مصدر من معنى «لأكفرن» مؤكد له ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيه التفات عن التكلم[3] ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ الجزاء.

[١٩٦] وَنَزَلَ ـ لما قال المسلمون: أعداءُ اللَّهِ فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد ـ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4] تصرفهم ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ بالتجارة والكسب.

[١٩٧] هو ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيرًا في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

[١٩٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي: مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للضيف، ونصبه على الحال من «جنات»، والعامل فيها معنى الظرف ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ من متاع الدنيا.

[١٩٩] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ كعبد اللَّه بن سلام وأصحابه، والنجاشي(°°) ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿خَٰشِعِينَ﴾ حال من ضمير «يؤمن» مُرَاعًى فيه معنى «من»؛ أي: متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن يكتموها؛ خوفًا على الرياسة؛ كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتَوْنَهُ مرتين؛ كما في القصص[5] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا[6].

[٢٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ على الطاعات والمصائب، وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ الكفارَ؛ فلا يكونوا أشد صبرًا منكم ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ أقيموا على الجهاد ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

* * *

(°) ما جاء في سبب نزول الآية (١٩٥): أخرج الترمذي عن أم سلمة قالت: يا رسول اللَّه لا أسمع ذكر النساء في الهجرة؟! فأنزل اللَّه تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أخرجه الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح بما قبله) صحيح سنن الترمذي (٢٤٢٠).

(°°) ما جاء في سبب نزول الآية (١٩٩): أخرج النسائي في تفسيره (٣٥٦/١) عن أنس قال: لما جاء نعي النجاشي؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «صلوا عليه»، قالوا: يا رسول اللَّه، نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨/٣): «رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال الطبراني ثقات».اهـ.
وذكره الواحدي في أسباب النزول. وصحح إسناده في الاستيعاب في بيان الأسباب (٣٥٢/١).

(١) بالتشديد قراءة ابن كثير وابن عامر.

(٢) أي: بتقديم المبني للمفعول، لكن بالتخفيف، وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى: مع؛ أي: مع كونهم قاتلوا فلم يفروا، بل قتلوا في حال مقاتلتهم الأعداء، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) أي: وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «ثوابًا من عندي»، وإنما أظهر محل الإضمار تشريفًا لهم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول، وذكره البغوي في تفسيره (١٥٤/٢).

(٥) الآيات من ٥٠ حتى ٥٥ من السورة.

(٦) سبق بيان أن هذا سهو من الجلال السيوطي رحمه الله في تفسير آية البقرة رقم (٢٠٢) ـ والصحيح أن الله يحاسب الخلق في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة؛ كما في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة في عقاب مانعي الزكاة في المحشر ـ قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد...» البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧).

سُورَةُ النِّسَاءِ

[مدنية، وآياتها مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةٗۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٖ مِّنْهُ نَفْسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمٗا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلٗا مَّعْرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدٗا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مكَّةَ ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء - بالمد - من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ كثيرة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ﴾[١] فيه إدغام التاء في الأصل في السين[٢]، وفي قراءة بالتخفيف[٣] بحذفها؛ أي: تتساءلون ﴿بِهِۦ﴾ فيما بينكم حين يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَ﴾ اتقوا ﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة[٤] بالجر عطفًا على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بالرَّحِم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا﴾ حافظًا لأعمالكم؛ فيجازيكم بها؛ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

[٢] ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾[٥] الصّغار الألى[٦] لا أبَ لهم ﴿أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ الحلال؛ أي: تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مضمومةً ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ﴾ أي: أكلها ﴿كَانَ حُوبٗا﴾ ذنبًا ﴿كَبِيرٗا﴾ عظيمًا.

[٣] ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى، وكان فيهم من تحته العشرُ أو الثمانِ من الأزواج؛ فلا يعدل بينهن؛ فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ نْ ﴿لَّا تُقْسِطُواْ﴾ تعدلوا ﴿فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فتحرَّجتم من أمرهم فخافوا - أيضًا - أن لا تعدلوا بين النساء[٧] إذا نكحتموهن ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ تزوَّجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: مَن ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ أي اثنتين اثنتين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ نْ ﴿لَّا تَعْدِلُواْ﴾ فيهن بالنفقة والقَسْم ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ﴾ من الإماء؛ إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات[٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو التَّسَرِّي ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ تجوروا[*].

[٤] ﴿وَءَاتُواْ﴾ أَعْطُوا ﴿ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ جمع صدقة: مهورهن ﴿نِحْلَةٗۚ﴾ مصدر[٩]، عطيةً عن طيب نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٖ مِّنْهُ نَفْسٗا﴾ تمييز محول عن الفاعل؛ أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا﴾ طيِّبًا ﴿مَّرِيٓـٔٗا﴾ محمودًا العاقبةَ، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت ردًّا على من كره ذلك.

[٥] ﴿وَلَا تُؤْتُواْ﴾ أيها الأولياء ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المُبَذِّرِينَ من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي: أموالكم التي في أيديكم ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمٗا﴾ مصدر «قام»؛ أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم؛ فيضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: ﴿قِيَمًا﴾[١٠] جمع «قيمة»؛ ما تقوم به الأمتعة ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلٗا مَّعْرُوفٗا﴾ عِدُوهُم عِدَةً جميلةً؛ بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا.

[٦] ﴿وَٱبْتَلُواْ﴾ اختبروا ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قبل البلوغ: في دينهم، وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له؛ بالاحتلام أو السِّن؛ وهو: استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي[١١] ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أبصرتم[١٢] ﴿مِّنْهُمْ رُشْدٗا﴾ صلاحًا في دينهم ومالهم ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافٗا﴾ بغير حقٍّ، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها مخافةَ ﴿أَن يَكْبَرُواْۚ﴾ رُشَدَاءَ؛ فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيّٗا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ﴾ أي: يَعِفَّ عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى اليتامى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ﴾ أنهم تسلموها، وبرئتم؛ لئلا يقع اختلاف؛ فترجعوا إلى البينة، وهذا أمر إرشاد[١٣] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ الباء: زائدة ﴿حَسِيبٗا﴾ حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبهم.

(*) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق، وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾ =

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٢) فأصله: تتساءلون؛ قلبت التاء سينًا ثم أدغمت في السين؛ لقرب مخرجيهما. (٣) قرأه الكوفيون (حمزة والكسائي وعاصم) مخففًا على حذف إحدى التاءين، وشدد الباقون على إدغام التاء الثانية في السين. (٤) لحمزة. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير [الدر المنثور (٢/٢٠٧)] وسنده ضعيف كما في الاستيعاب (٣٥٨/١). (٦) أي الذين. (٧) أي: اليتامى. (٨) أي: فلا يجب العدل بينهن لا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة. (٩) مؤكد من معنى قوله: ﴿آتوا﴾. (١٠) لنافع وابن عامر.

(١١) وكذلك هو عند الحنابلة، وأما أبو حنيفة فقال: ببلوغ الذكر ثماني عشرة سنة، والجارية سبع عشرة سنة. وقال مالك: ببلوغهما ثماني عشرة سنة. والأرجح الأول وهو قول الجمهور.

(١٢) الأفضل أن يقول: علمتم؛ لمناسبته للرشد. (١٣) أي: تعليم لمصالح الدنيا؛ فهو أمر ندب.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

[٧] ونزل ـ ردًّا لِمَا كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار[(١)] ـ: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المُتوفَّوْنَ ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذَوُو القَرَابَةِ ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئًا قبل القسمة ﴿وَقُولُوا۟﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغارًا ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ جميلاً؛ بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكنْ تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو ندب، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي: لِيَخَفْ على اليتامى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الضَّيَاعَ ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفْعَلَ بذريتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا۟﴾ للميت[(٢)] ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا؛ بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه، ويَدَعَ الباقي لورثته، ولا يتركهم عَالَةً.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حقٍّ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي: مِلأَهَا ﴿نَارًا﴾ لأنه يئول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[(٣)]: يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾ نارًا شديدةً يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿ٱللَّهُ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَوْلَٰدِكُمْ﴾ بما يُذْكَرُ ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نَصِيبٌ نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَآءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المَيِّتُ، وكذا الاثنتان؛ لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فهما أَوْلَى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فمع الأنثى أَوْلَى، ﴿وَفَوْقَ﴾ قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد؛ لَمَّا فُهِمَ استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع[(٤)]؛ فـ«كان»: تامة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: المَيِّت، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى، ونكتة البدل: إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأُلحِقَ بالولد ولد الابن، وبالأب الجدُّ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها[(٥)]؛ فرارًا[(٦)] من الانتقال من ضمة إلى كسرة؛ لثقله في الموضعين[(٧)] ﴿ٱلثُّلُثُ﴾ أي: ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعدًا ـ ذكورًا أو إناثًا ـ ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإِرْثُ مَنْ ذُكِرَ مَا ذُكِرَ ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِى﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[(٨)] ﴿بِهَآ أَوْ﴾ قضاءِ ﴿دَيْنٍ﴾ عليه[(*)].

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرةً عنه في الوفاء: للاهتمام بها، ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ مبتدأٌ خَبَرُهُ: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة؛ فَظَانٌّ أن ابنه أنفع له؛ فيعطيه الميراث؛ فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَهُ لهم؛ أي: لم يزل مُتَّصِفًا بذلك.

= فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(*) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر ﷺ قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليَّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤).
وأخرج أبو داود عن جابر بن عبدالله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فجاءت المرأة بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالًا إلا أخذه فماترى يا رسول الله؟ فوالله لا تنكحان أبدًا إلا ولهما مال. فقال رسول الله ﷺ: «يقضي الله في ذلك». قال: ونزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي المرأة وصاحبها» فقال لعمهما: «أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فلك». أبو داود ـ كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ بِشْرٌ فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة». ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

---

(١) أخرج نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).
(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لنافع. (٥) بالكسر لحمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.
(٧) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾. (٨) بالبناء للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.

[١٢] ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وأُلْحِقَ بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات: تَعَدَّدْنَ أو لا ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعًا ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾ صفةٌ، والخبر(١): ﴿كَلَٰلَةً﴾ أي: لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كَلالَةً ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي: للموروث كَلالَةً ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: مِنْ أُمٍّ، وقرأ به ابن مسعود وغيره(٢) ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ حالٌ من ضمير «يوصى»؛ أي: غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةً﴾ مصدرٌ مُؤَكِّدٌ لـ«يوصيكم» ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دَبَّرَهُ لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عَمَّنْ خالفه، وخَصَّت السُّنَّةُ توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل، أو اختلاف دِينٍ، أو رِقٍّ.

[١٣] ﴿تِلْكَ﴾ الأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ - من أمر اليتامى وما بعده - ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعه الَّتي حَدَّها لعباده؛ ليعملوا بها، ولا يتعدوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياءِ، والنون(٣): التفاتًا(٤) ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٤] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين(٥) ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة، روعي في الضمائر في الآيتين لفظ «مَنْ»(٦) وفي «خالدين» معناها.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ
﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

---

(١) أي: خبر ﴿كَانَ﴾، وهذا على أنها ناقصة، وأما باعتبارها تامة؛ فتكون ﴿كَلَٰلَةً﴾ حالًا.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالنون لنافع وابن عامر.

(٤) راجع للنون؛ وهو التفات من الغيبة للتكلم.

(٥) أي: بالياء والنون، وبالنون لنافع وابن عامر.

(٦) أي: فأفرد في قوله: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الموضعين، وفي قوله: ﴿وَلَهُۥ﴾ أي: فجمع؛ مراعاة لمعنى ﴿مَنْ﴾.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ
أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ
حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾
وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا
فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

[١٥] ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ الزِّنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهن بها ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوۡ﴾ إلى أنْ ﴿يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ طريقًا إلى الخروج منها ـ أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلًا؛ بجلد البكر مائةً وتغريبها عامًا؛ ورجم المحصنة، وفي الحديث ـ لمَّا بيَّنَ الحَدَّ ـ قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» [رواه مسلم](١).

[١٦] ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها(٢) ﴿يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ أي: الفاحشة: الزنا أو اللواط(٣) ﴿مِنكُمۡ﴾ أي: الرجال ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ بالسَّبِّ والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجم عنده ـ وإن كان مُحْصَنًا ـ بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل تثنية الضمير(٤)، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال(٥)، واشتراكهما في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لِمَا تَقَدَّمَ في النساء من الحبس.

[١٧] ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ حالٌ؛ أي: جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٖ﴾ قبل أن يُغَرْغِروا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه بهم.

[١٨] ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ مؤلمًا.

[١٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: ذاتَهُنَّ ﴿كَرۡهٗاۖ﴾ بالفتح والضم، لغتان(٦)؛ أي: مُكْرِهِيهُنَّ(٧) على ذلك ـ كانوا في الجاهلية(٨) يرثون نساء أقربائهم، فإن شاءوا تزوجوهنَّ بلا صَدَاقٍ، أو زَوَّجُوهُنَّ وأخذوا صداقهن، أو عَضَلُوهُنَّ؛ حتى يفتدين بما ورثنه، أو يَمُتْنَ فَيَرِثُوهُنَّ؛ فَنُهُوا عن ذلك ـ ﴿وَلَا﴾ أنْ ﴿تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم؛ بإمساكهنَّ ولا رغبةَ لكم فيهنَّ: ضِرارًا ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ بفتح الياء وكسرها(٩)؛ أي: بُيِّنَتْ(١٠)، أو هي بينة؛ أي: زنًا أو نُشُوزٌ(١١)؛ فلكم أن تُضَارُّوهُنَّ؛ حتى يَفْتَدِينَ منكم ويَخْتَلِعْنَ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك؛ بأن يرزقكم منهنَّ وَلَدًا صَالِحًا.

(١) مسلم (١٦٩٠). وتمامه: «الثَّيِّبُ تُرْجَمُ، وَالْبِكْرُ تُجْلَدُ».
(٢) بالتشديد مع المد اللازم لابن كثير.
(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر...إلخ».
(٤) أي: في قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ﴾، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.
(٥) وهو قوله: ﴿منكم﴾.
(٦) وهما قراءتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.
(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهن.
(٨) أي: وفي صدر الإسلام.
(٩) بالفتح لابن كثير وشعبة.
(١٠) أي: بيَّنها من يدعيها وأوضحها وأظهرها.
(١١) خروج عن طاعة الزوج.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

[٢٠] ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: أَخْذَهَا بَدَلَهَا بأن طَلَّقْتُمُوهَا ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾ مالاً كثيرًا؛ صَدَاقًا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا﴾ ظُلْمًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيِّنًا، ونصبهما على الحال، والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في قوله: [٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي: بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾ وَصَلَ ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالجِمَاعِ المُقَرِّرِ لِلْمَهْرِ ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا﴾ عَهْدًا ﴿غَلِيظًا﴾ شديدًا؛ وهو: ما أمر الله به مِنْ إِمْسَاكِهِنَّ بمعروف أو تَسْرِيحِهِنَّ بإحسان.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا﴾ بمعنى: مَنْ ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ لكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ ۚ﴾ مِنْ فعلكم ذلك؛ فإنه مَعْفُوٌّ عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: نِكاحَهُنَّ ﴿كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ قبيحًا ﴿وَمَقْتًا﴾ سببًا للمقت من الله - وهو أشد البغض - ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا ذلك.

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ أن تَنْكِحُوهُنَّ، وشملت الجَدَّاتِ من قِبَلِ الأبِ أو الأمِّ ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بنات الأولاد وإنْ سَفُلْنَ ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ من جهة الأبِ أو الأمِّ ﴿وَعَمَّـٰتُكُمْ﴾ أي: أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَـٰلَـٰتُكُمْ﴾ أي: أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قَبْلَ استكمال الحَوْلَيْنِ خَمْسَ رَضَعَاتٍ[1] - كما بينه الحديث - ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾ ويلحق بذلك - بِالسُّنَّةِ - البنات منها؛ وهُنَّ مَنْ أَرْضَعَتْهُم مَوْطُوأَتُه، والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها؛ لحديث « يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم][2].

﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع «رَبِيبَة»؛ وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ تربونهن، صفة موافقة للغالب؛ فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾ بخلاف مَنْ تَبَنَّيْتُمُوهُم؛ فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع؛ بالنكاح، ويُلْحَقُ بهما - بِالسُّنَّةِ - الجمع بينها وبين عمتها، أو خالتها[3]، ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد، ومِلْكُهُمَا مَعًا، ويَطَأُ واحدةً ﴿إِلَّا﴾ لكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ ۗ﴾ في الجاهلية - من نكاحهم بَعْضَ ما ذُكِرَ - فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

---

(١) وهو مذهب الشافعي وأحمد وهو الراجح؛ لحديث عائشة عند مسلم: «كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ القُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ».

(٢) البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧).

(٣) البخاري (٥١٠٨)، ومسلم (١٤٠٨).

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

[٢٤] ﴿۞ وَ﴾ حُرِّمَتْ عليكم ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ أي: ذوات الأزواج ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن ـ حرائر مسلمات كُنَّ أو لا ـ ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾(٥) من الإماء بالسَّبْيِ؛ فلكم وَطْؤُهُنَّ ـ وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ـ ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ نُصِبَ على المصدر(١)؛ أي: كُتِبَ ذلك ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ﴿[وَأُحِلَّ]﴾ بالبناء للفاعل، والمفعول(٢) ﴿لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: سوى ما حُرِّمَ عليكم من النساء ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ بِصَدَاقٍ(٣) أو ثَمَنٍ(٤) ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ مُتَزَوِّجِينَ(٥) ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ فَمَنْ ﴿ٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تَمَتَّعْتُم ﴿بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بِالْوَطْءِ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم﴾ أنتم وهن ﴿بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ مِنْ حَطِّهَا أو بَعْضِهَا أو زِيَادَةٍ عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَهُ لهم.

[٢٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ غِنًى لِـ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحَرَائِرَ ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وهو جَرْيٌ على الغالب؛ فلا مفهوم له(٦) ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ يَنْكِحُ ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتفوا بظاهره، وكِلُوا السَّرَائِرَ إليه؛ فإنه العالم بتفصيلها، ورُبَّ أَمَةٍ تَفْضُلُ حُرَّةً فيه، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: أنتم وهن سواء في الدِّين؛ فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مَوَالِيهِنَّ ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾ أعطوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ من غير مَطْلٍ ونَقْصٍ ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عَفَائِفَ، حال ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ زانياتٍ جَهْرًا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أخِلاءَ يزنون بهن سرًّا ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ زُوِّجْنَ، وفي قراءة بالبناء للفاعل(٧): تزوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ الحد؛ فَيُجْلَدْنَ خمسين ويُغَرَّبْنَ نصف سنة، ويقاس عليهن العبيد، ولم يُجْعَلِ الإحصان شرطًا لوجوب الحد؛ بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح المملوكات عند عدم الطَّوْلِ ﴿لِمَنْ خَشِىَ﴾ خاف ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ الزنا، وأصله المشقة؛ سمي به الزنا؛ لأنه سببها بالحَدِّ في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار؛ فلا يحل له نكاحها، وكذا من استطاع طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وعليه الشافعي، وخرج بقوله: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الكافرات؛ فلا يحل له نكاحها ـ ولو عَدِمَ(٨) وخاف ـ ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقًا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالتَّوْسِعَةِ في ذلك.

[٢٦] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء؛ في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دَبَّرَهُ لكم.

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشًا إلى أوطاس فلقوا عدوًا فقاتلوهم، فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. مسلم ـ كتاب الرضاع (١٧) باب (٩) جواز وطء المسبية بعد الاستبراء.

---

(١) أي: المؤكد لعامله المعنوي، المستفاد من قوله: ﴿حُرِّمَتْ﴾؛ فإن التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) أي: بالتزويج.

(٤) أي: بالملك.

(٥) أو متملكين، بدليل قوله: «أو ثمن».

(٦) وعلى هذا القول فإنه إن قدر على طَوْل حرة كتابية فليس له أن يتزوج أَمَة مسلمة، واختاره القرطبي. والقول الثاني: إن له ذلك، والأمة المؤمنة خير من الحرة الكتابية، واختاره ابن العربي. وهو الأولى والأظهر بنص هذه الآية. والله أعلم.

(٧) وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٨) أي: عَدِمَ الطَّوْل، وخاف العنت.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

[٢٧] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ كرَّرَهُ ليبني عليه ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ اليهود والنصارى، أو المجوس، أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ يُسهِّلَ عليكم أحكام الشرع ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات.

[٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالحرام في الشرع؛ كالربا والغصب ﴿إِلَّآ﴾ لكِنْ[١] ﴿أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَٰرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب[٢]؛ أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ وطيب نفس؛ فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها ـ أيا كان في الدنيا أو الآخرة ـ بقرينة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ في منعه لكم من ذلك.

[٣٠] ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما نهي عنه ﴿عُدۡوَٰنٗا﴾ تجاوُزًا للحلال، حالٌ ﴿وَظُلۡمٗا﴾ تأكيدٌ ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارٗاۚ﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيِّنًا.

[٣١] ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد؛ كالقتل والزنا والسرقة، وعن ابن عباس: هي إلى السبعمائة أقرب[٣] ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ الصغائر؛ بالطاعات ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا﴾ بضم الميم وفتحها[٤]؛ أي: إدخالاً، أو مَوْضِعًا[٥] ﴿كَرِيمٗا﴾ هو الجنة.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ من جهة الدنيا أو الدين؛ لئلا يؤدي إلى التَّحاسُدِ والتَّباغُضِ ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ﴾ ثواب ﴿مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ من طاعة أزواجهن، وحفظ فروجهن ـ نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالاً فَجَاهَدْنَا؛ وكان لنا مثل أجر الرجال[٦] ـ ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ بهمزة، ودونها[٧] ﴿ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ ما احتَجْتُم إليه يُعْطِكُم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾(*) ومنه محل الفضل وسؤالكم.

[٣٣] ﴿وَلِكُلّٖ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ عُصْبَةً يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ﴾ لهم من المال ﴿وَٱلَّذِينَ عَٰقَدَتۡ﴾ بألف، ودونها[٨] ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ جمع «يمين» بمعنى القسم، أو اليد؛ أي: الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النُّصْرَةِ والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمۡۚ﴾ حظوظهم من الميراث؛ وهو: السدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ مُطَّلِعًا، ومنه حالكم، وهذا منسوخ[٩] بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾[١٠].

(*) ما جاء في نزول الآية (٣٢): أخرج الترمذي عن أم سلمة أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٤١٩).

---

(١) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأن التجارة ليست من جنس الأموال المأكولة بالباطل، وخص التجارة بالذكر دون غيرها كالهبة والصدقة والوصية؛ لأن غالب التصرف في الأموال بها.

(٢) والقراءة المفسّرة بالضم، لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) أي: منها للسبعين التي قيل بها.

(٤) والفتح قراءة نافع.

(٥) لف ونشر مرتب؛ فإدخالاً على قراءة ﴿مُّدۡخَلٗا﴾؛ وموضعًا على قراءة: ﴿مَدۡخَلٗا﴾ فيكون اسم كان.

(٦) أخرج نحوه الطبري عن مجاهد (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) ونحوه أيضًا عن عطاء (٩٢٤٥) ونحوه عن شيخ من أهل مكة (٩٢٤٢) ولكنها مبهمة في النساء وليس فيها تعين أم سلمة في هذا المقول. ولكن أخرج الترمذي (٢٩٤٨) وغيره عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ وأنزل فيها ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ وصححه الألباني.

(٧) بدونها قراءة الكسائي وابن كثير.

(٨) بالألف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٩) أي: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٣].

(١٠) الأحزاب: ٦.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ
حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ
وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ
وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

[٣٤] ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ عليهن ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ منهن ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعاتٌ لأزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظَ﴾ هن[1] ﴿ٱللَّهُۚ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج[2] ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن لكم؛ بأن ظهرت أمارته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فخوّفوهُنَّ اللهَ ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر؛ إن أظهرن النشوز ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّۖ﴾ ضَرْبًا غير مبرح؛ إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُواْ﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ طريقًا إلى ضربهن ظلمًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

[٣٥] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع؛ أي: شقاقًا بينهما ﴿فَٱبْعَثُواْ﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عَدْلاً ﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ويُوَكِّلُ[3] الزَّوْجُ حَكَمَهُ في الطلاق وقبول عوض عليه، وتُوَكِّلُ هي حَكَمَهَا في الاختلاع؛ فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع، أو يفرقان؛ إن رَأَيَاهُ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ أي: الحكمان[4] ﴿إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ﴾ بين الزوجين[5]؛ أي: يُقَدِّرْهُمَا على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالبواطن كالظواهر.

[٣٦] ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوهُ ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَ﴾ أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بِرًّا ولِينَ جانب ﴿وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل: الزوجة ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ﴾ من الأرِقَّاءِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ مُتَكَبِّرًا ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أُوتِيَ.

[٣٧] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأٌ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بما يَجِبُ عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ من العلم والمال؛ وهم: اليهود، وخبر المبتدأ: «لهم وعيد شديد»[6] ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانةٍ.

(١) أشار المصنف إلى أن «ما» اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله: «هن».
(٢) وقيل: حِفْظ اللّه لهن؛ أي: توفيق اللّه لهن. وقيل: بنهيهن عن المخالفة.
(٣) اشتراط التوكيل هو مذهب الأحناف والشافعية، لانحصار مهمة الحكمين عندهم في الإصلاح، ولا يحق لهما التفريق بين الزوجين إلَّا بتفويض منهما، بخلاف المذهب المالكي الذي يعطي الحكمين حق الحكم بالتفريق من غير توكيل منهما.
(٤) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين؛ والمعنى: إن يرد الزوجان إصلاحًا؛ معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء، تحصل الموافقة بينهما.
(٥) ويحتمل أن يعود الضمير على الحكمين؛ والمعنى: لا يحصل اختلاف بين الحكمين؛ بل تحصل الموافقة بينهما.
(٦) أي: محذوف، وهذا تقديره.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطفٌ على «الذين» قبله ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مُرائِينَ لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ صاحبًا؛ يعمل بأمره: كهؤلاء ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿قَرِينًا﴾ هو.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أيَّ ضَرَرٍ عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية[1]؛ أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أَحَدًا ﴿مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة؛ بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة: بالرفع[2]؛ فـ«كان»: تامة ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ من عشرٍ إلى أكثر من سبعمائة، وفي قراءة: ﴿يُضَعِّفْهَا﴾ بالتشديد[3] ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها؛ وهو: نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم المجيء ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿تُسَوَّىٰ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين[4]؛ أي: تتسوى ﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا ترابًا مثلها؛ لعظم هوله ـ كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[5] ـ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه، ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[6].

[٤٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: لا تُصلُّوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ من الشَّرابِ؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تَصْحُوا[*] ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاجٍ أو إنزالٍ، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِى﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق؛ أي: مسافرين ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر؛ لأن له حكمًا آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة؛ أي: المساجد، إلا عبورها من غير مُكْثٍ ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضًا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ هو المكان المُعَدُّ لقضاء الحاجة؛ أي: أحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ وفي قراءة: بلا ألف[7]، وكلاهما بمعنى: اللَّمْسِ؛ وهو: الجَسُّ باليد، قاله ابن عمر ـ وعليه الشافعي ـ وألحق به الجَسَّ بباقي البشرة، وعن ابن عباس؛ هو: الجماع[8] ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾ اقْصِدُوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا طاهرًا، فاضربوا به ضربتين ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المِرْفَقَيْنِ منه[9]، و«مَسَحَ» يتعدى بنفسه[10] وبالحرف[11] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ حظًّا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق؛ لتكونوا مثلهم.

(*) ما جاء في نزول الآية (٤٣): أخرج أبو داود عن علي بن أبي طالب أن رجلًا من الأنصار دعاه وعبدالرحمن بن عوف فسقاهما قبل أن تحرم الخمر، فأمهم علي في المغرب فقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ فخلط فيها، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾. وأخرج أيضًا: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: =

---

(١) أي: والكلام على تقدير حرف الجر «في» الداخل على المصدر المقدر؛ أي: : وماذا عليهم في إيمانهم؟!. (٢) لنافع وابن كثير. (٣) لابن كثير وابن عامر.

(٤) قرأها ﴿تُسَوَّىٰ﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأها ﴿تَسَوَّىٰ﴾ حمزة والكسائي، وقرأها ﴿تَسَّوَّىٰ﴾ نافع وابن عامر. (٥) سورة النبأ: آية ٤٠. (٦) سورة الأنعام: آية ٢٣. (٧) لحمزة والكسائي.

(٨) وهذا هو الصحيح في تفسير الآية ـ إن شاء الله ـ، ولا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ مجردُ مَسِّ المرأة ولو بشهوة...؛ لأن الأصل عدم النقض حتى يقوم دليل صحيح صريح على ذلك، ولما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، كما أن تفسير ابن عباس رضي الله عنه هو المناسب لسياق الآية كما بَيَّنَهُ أهلُ العلم، وإن كانوا قد اختلفوا في صحة الحديث المذكور والذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، فقد صححه ابن عبدالبر كما في «النيل»، وأما ما ورد عن ابن عباس فقد قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن ذلك صح عنه وهو الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل، وهو أَوْلَى من يؤخذ قوله في التفسير إلا أن يعارضه من هو أرجح منه. انظر: [الشرح الممتع (١/ ٢٣٩)].

(٩) أي: من الصعيد الطيب، وهو مذهب الشافعي في الجديد، واستدل بحديث ضعيف، والراجح أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين إلى الكفين فقط، ويكون بضربة واحدة.

(١٠) فتكون الباء زائدة. (١١) وتكون الباء للتعدية.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ منكم؛ فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ حافظًا لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ مانعًا لكم من كيدهم.

[٤٦] ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قَوْمٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعۡنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَ﴾ يقولون له ﴿رَٰعِنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سَبٍّ بلغتهم ﴿لَيَّۢا﴾ تحريفًا ﴿بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا﴾ قدحًا ﴿فِي ٱلدِّينِۚ﴾ الإسلام ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ بدل ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ فقط ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾ انظر إلينا بدل ﴿رَٰعِنَا﴾ ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقۡوَمَ﴾ أعدل منه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

[٤٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ من التوراة ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحًا واحدًا ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾ نمسخهم قردةً ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾ مسخنا ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفۡعُولًا﴾، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام[1]؛ فقيل: كان وعيدًا بشرط؛ فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة.

[٤٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ﴾ أي: الإشراك ﴿بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَٰلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ المغفرةَ له؛ بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾ كبيرًا.

[٤٩] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ وهم اليهود؛ حيث قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾[2] أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي﴾ يُطهِّرُ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ يُنْقَصُونَ من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ قَدْرَ قشرة[3] النواة.

[٥٠] ﴿ٱنظُرۡ﴾ مُتَعَجِّبًا ﴿كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ بيِّنًا. ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ؛ وشاهدوا قتلى بدر؛ وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ.

[٥١] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[4] صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبي سفيان[5] وأصحابه؛ حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً ونحن ولاة البيت؛ نسقي الحاج ونقري الضيف، ونفك العاني، ونفعل... أم محمد؛ وقد خالف دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ أقوم طريقًا.

= اللَّهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ الآية. قال: فدعا عمر، فقرئت عليه. قال: اللَّهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللَّهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت هذه الآية: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا. وصححه الألباني وسبق تخريجه عند الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(١) لم أجد أن عبد الله بن سلام أسلم لما نزلت، وإن كان القرطبي قد ذكره في تفسيره بلا إسناد، ولكن ورد إسلام كعب الأحبار لما سمع هذه الآية فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي إدريس الخولاني، وابن جرير عن عيسى بن المغيرة وإسناده ضعيف [الدر المنثور (٢/٣٠١)].

(٢) المائدة : ١٨.

(٣) قشرة النواة هي القطمير، وأما الفتيل فهو الخيط الذي في شق النواة. وقيل: الفتيل هو ما يخرج بين إصبعيك أو كفيك من الوسخ إذا فتلتهما، وقيل فيه غير ذلك. انظر: [الدر المنثور (٢/٣٠٥)] وغيره.

(٤) أخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير عن عكرمة مرسلًا بدون ذكر قتلى بدر [الدر المنثور (٢/٣٠٦)]، وأخرجه أحمد كما في تفسير القرآن العظيم (١/٥٢٥)، والطبري في جامعه (٥/٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح.

(٥) وذلك قبل إسلامه ﷺ.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

[٥٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ﴾ ـهُ ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ مانعًا من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: شيئًا تافهًا قَدْرَ النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يتمنون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبيًّا لاشتغل عن النساء[1] ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ جدِّه؛ كموسى[2] وداود وسليمان ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأةً، ولسليمان ألفٌ؛ ما بين حرة وسُرِّيَّة[3].

[٥٥] ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنۡهُۚ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ عذابًا لمن لا يؤمن.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ﴾ ندخلهم ﴿نَارٗا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول؛ غير محترقة ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٗا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ دائمًا لا تنسخه شمس؛ هو: ظل الجنة.

[٥٨] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ أي: ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسرًا، لما قَدِمَ النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هَاكَ خَالِدَةً تَالِدَةً»[4]، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليٌّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقي في ولده والآية - وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مُعْتَبَرٌ بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ فيه إدغام ميم «نِعْمَ» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئًا ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ لما يُقَالُ ﴿بَصِيرٗا﴾ بما يُفْعَلُ.

[٥٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي﴾ وأصحاب ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: الولاة ﴿مِنكُمۡۖ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله[٭] ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مُدَّة حياته، وبعده إلى سُنَّتِهِ؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: الرد إليهما ﴿خَيۡرٞ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ مآلًا.

(٭) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١).
وأخرج أيضًا عن عليٍّ رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلًا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطبًا. فجمعوا. فقال: أوقدوا نارًا، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهمُّوا، وجعل بعضهم يمسك بعضًا ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار. فمازالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في المعروف» البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(١) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتمكين، حسدتهم اليهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالقاسمي والسعدي، ولا وجه ظاهر لإقحام ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم.
(٢) أي: جد النبي ﷺ؛ والمراد الجد الأعلى، وآل إبراهيم ذريته، ومنهم موسى وداود وسليمان.
(٣) المعنى: فقد جمعنا لأسلافكم من ذرية إبراهيم بين الملك والنبوة، فلأي شيء تخصون محمدًا ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليه. وأما تخصيص المفسِّر المُلْك العظيم بتعدد الزوجات ففيه نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم.
(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادهما ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرج ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبة: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعًا على راحلته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها .. ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبر».

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي؛ فلم يَرْضَ المنافق، وأتيا عُمَرَ؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾[1] الكثير الطغيان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يُعْرِضُونَ ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ صلحًا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفًا بين الخصمين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرِّ الحق.

[٦٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾ خَوِّفْهُمُ اللهَ ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ مؤثرًا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره؛ لا لِيُعْصَى ويُخالَف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب؛ تفخيمًا لشأنه ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾[2] لا: زائدة[3] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضِيقًا أو شَكًّا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا۟﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ من غير مُعارَضَة[*].

(*) ما جاء في نزول الآية (٦٥): أخرج البخاري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلًا من الأنصار في شريج من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: يا رسول اللّه، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

---

(١) أخرجه الثعلبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٢/٣٢٠)]، وقال الحافظ في الفتح (٥/٣٨): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفًا؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد». وتُعقِّب بأن في إسنادها الكلبي وأبا صالح وهما كذابان. (الاستيعاب ١/٤٢٤)، وأخرج الطبراني في الكبير (١١/٢٩٥/١٢٠٤٥) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: • كان أبو بردة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه؛ فتنافر إليه أناس من أسلم؛ فأنزل اللّه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ...﴾.

(٢) قال القرطبي: قال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية من تقدم ذكره ممن أراد التحاكم إلى الطاغوت، وفيهم نزلت،...وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الخصومة في سقي بستان...وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الزمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّۦنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مُفسِّرةٌ[١] ﴿اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع: على البدل، والنصب: على الاستثناء[٢] ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ تحقيقًا لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذًا﴾ أي: لو تثبَّتوا ﴿لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو: الجنة [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[٣] فيما أمر به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّۦنَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء؛ لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿وَالشُّهَدَآءِ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿وَالصَّٰلِحِينَ﴾ غير من ذُكِرَ ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ رُفقاءَ في الجنة؛ بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم - وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم -.

[٧٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذُكِرَ، مبتدأٌ خبره: ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تفضل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة؛ أي: فثقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٤].

[٧١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم؛ أي: احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَانفِرُواْ﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾[٥] متفرقين؛ سَرِيَّةً بعد أخرى ﴿أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ لَيَتأَخَّرَنَّ عن القتال؛ كعبد الله بن أُبَيٍّ المنافق وأصحابه، وجَعْلُهُ منهم من حيث الظاهر[٦]، واللام في الفعل: للقسم ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقَتْلٍ وهزيمةٍ ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضرًا فأُصاب.

[٧٣] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قَسَم ﴿أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتحٍ وغنيمةٍ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادمًا ﴿كَأَن﴾ مُخفَّفةٌ، واسمها: محذوف؛ أي: كأنَّه ﴿لَّمْ تَكُنۢ﴾ بالياء والتاء[٧] ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ مَعرفةٌ وصَداقةٌ، وهذا راجع إلى قوله: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ واعتُرِضَ به بين القول ومقوله؛ وهو: ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ آخذُ حظًّا وافرًا من الغنيمة.

[٧٤] قال تعالى: ﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ يُستَشهَدْ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يَظفَرْ بعَدُوِّه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثوابًا جزيلاً.

---

(١) أي: بمعنى: أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهي قراءة ابن عامر.

(٣) أخرج نحوه بإسناد حسن بمجموع طرقه الطبراني في الصغير (٢٦/١)، والأوسط (١٥٢/١، ١٥٣ رقم ٤٧٧) من حديث عائشة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٩١٤/٢): «رجاله موثقون». وأخرج ابن شيبة في مصنفة (٥٠١/١١) رقم ١١٨٢٣، والطبري في جامعه (١٠٤/٥) عن مسروق مرسلًا، ويشهد له رواية الطبراني عن عائشة.

(٤) سورة فاطر: آية ١٤.

(٥) مفردها: ثبة؛ وهي: الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة.

(٦) أي: إنه ليس منهم في حقيقة الأمر، بل هو عدو لهم.

(٧) بالياء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ؛ أي: لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ﴾ في تخليص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم - قال ابن عباس ﷺ: كنت أنا وأمي منهم - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين: يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكّة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله دعاءهم؛ فيسّر لبعضهم الخروج، وبقي بعضهم إلى أن فُتِحَتْ مَكَّةُ، وولّى ﷺ عتاب بن أسيد[١]؛ فأنصف مظلومهم من ظالمهم.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أنصار دينه؛ تغلبوهم؛ لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهيًا؛ لا يُقاوِمُ كَيْدَ اللَّه بالكافرين.

[٧٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار - لما طلبوه بمكة؛ لأذى الكفار لهم - وهم: جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ هم عذاب ﴿اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له، ونَصْبُ ﴿أَشَدَّ﴾ على الحال، وجواب «لمَّا» دل عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدها؛ أي: فاجأتهم الخشية ﴿وَقَالُوا﴾ جزعًا من الموت: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُل﴾ لهم: ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ ما يُتَمَتَّعُ به فيها، أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيلٌ إلى الفناء ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ عقاب الله؛ بترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء[٢]: تُنْقَصُونَ من أعمالكم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة[٣]؛ فجاهدوا(*).

[٧٨] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حصون ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مُرتفعة؛ فلا تخشوا القتال خوفَ الموت ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ خصبٌ وسعةٌ ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدبٌ وبلاءٌ؛ كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينةَ ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمد؛ أي: بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ من قِبَلِهِ ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إليهم، و«ما»: استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه.

[٧٩] ﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خيرٍ ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ أتتك فَضْلًا منه ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ بَلِيَّةٍ ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أتتك؛ حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حالٌ مُؤَكِّدَةٌ ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك.

(*) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج النسائي عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة؛ فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عزٍّ ونحن مشركون؛ فلما آمنا صرنا أذلة. فقال: «إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا». فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. أخرجه النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٨٩١).

(١) استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام لعتاب بن أسيد على مكة مذكور في المغازي للواقدي وفي سيرة ابن هشام وحسنه الألباني في [فقه السيرة (ص٤٠٠)] (وجعل عتاب بن أسيد أميرًا على مكة).

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٣) تقدم قريبًا عند الآية (٤٩)، أن الفتيل هو الذي في شق النواة طولًا، وليس هو قشر النواة.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرَضَ عن طاعتك فلا يَهُمَّنْكَ ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ حافظًا لأعمالهم بل نذيرًا، وإلينا أمرهم؛ فنجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون - إذا جاءوك - : أمْرُنا ﴿طَاعَةٞ﴾ لك ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾ خرجوا ﴿مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾ بإدغام التاء في الطاء وتركه[1]؛ أي: أضْمَرَتْ ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾ لك في حضورك من الطاعة؛ أي: عصيانك ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ﴾ يأمر بكَتْبِ[2] ﴿مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ في صحائفهم؛ ليجازوا عليه ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ بالصفح ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ثِقْ به؛ فإنه كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُفَوَّضًا إليه.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ يتأملون ﴿ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ تناقضًا في معانيه وتباينًا في نَظْمِه.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ﴾ بالنصر ﴿أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ أفْشَوْهُ، نزل في جماعة من المنافقين، أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فَتَضْعُفُ قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﷺ[3] ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾ أي: الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ أي: ذَوِي الرأي من أكابر الصحابة؛ أي: لو سكتوا عنه حتى يُخْبَرُوا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتبعونه ويطلبون علمه؛ وهم: المذيعون ﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ لكم؛ بالقرآن ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

[٨٤] ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل - ولو وحدك - فإنك موعودٌ بالنصر ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ حُثَّهُمْ على القتال، ورَغِّبْهُمْ فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ﴾ حرب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ تعذيبًا منهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لأَخْرُجَنَّ وَلَوْ وَحْدِي»[4] فخرج بسبعين[5] راكبًا إلى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فكَفَّ الله بأس الكفار؛ بإلقاء الرعب في قلوبهم، ومَنْعِ أبي سفيان عن الخروج - كما تقدم في آل عمران -.

[٨٥] ﴿مَّن يَشۡفَعۡ﴾ بين الناس ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ﴾ من الأجر ﴿مِّنۡهَاۖ﴾ بسببها ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾ مُخَالِفَةً له ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ﴾ نصيبٌ من الْوِزْرِ ﴿مِّنۡهَاۗ﴾ بسببها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ مُقْتَدِرًا؛ فيجازي كل أحدٍ بما عمل.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾ كَأَنْ قيل لكم: سلامٌ عليكم ﴿فَحَيُّواْ﴾ المُحَيِّي ﴿بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ بأن تقولوا له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ بأن تقولوا له كما قال؛ أي: الْوَاجِبُ أَحَدُهُمَا، وَالأَوَّلُ أَفْضَلُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ مُحَاسِبًا؛ فَيُجَازِي عليه، ومنه رد السلام، وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق وَالْمُسَلِّم على قاضي الحاجة وَمَنْ في الحَمَّامِ والآكِلِ؛ فلا يَجِبُ الرَّدُّ عليهم؛ بل يُكْرَهُ في غَيْرِ الأَخِيرِ؛ ويقال للكافر: «وعليك».

---

(١) بالإدغام لحمزة وأبي عمرو.

(٢) وصفة الكتابة ثابتة لله - سبحانه - على الوجه اللائق به، كما هو ظاهر هذه الآية، والتي قبلها، وغير ذلك من الآيات. وفي الحديث: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي». وفي حديث احتجاج آدم وموسى: «فَقَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ» [متفق عليهما].

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن زيد [الدر المنثور (٢/٣٣٤)].

(٤) ذكره البغوي عن مجاهد وعكرمة (٢/١٣٧)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٥) قال الواقدي وغيره من أهل السير: الصحيح أنه خرج في ألف وخمسمائة في السنة الرابعة للهجرة.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

[٨٧] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ واللهِ[1] ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾ لا شَكَّ ﴿فِيهِ وَمَنۡ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ قَوْلاً.

[٨٨] ولما رجع ناسٌ من أُحُد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا؛ فنزل: ﴿۞ فَمَا لَكُمۡ﴾ ما شأنكم صرتم ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ فرقتين ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾ رَدَّهُمْ ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ﴾ هُ ﴿ٱللَّهُ﴾ أي: تَعُدُّوهُمْ من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَن يُضۡلِلِ﴾ هُ ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ طريقًا إلى الهدى(*).

[٨٩] ﴿وَدُّواْ﴾ تَمَنَّوْا ﴿لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَآءٗ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ توالونهم - وإن أظهروا الإيمان - ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هجرةً صحيحةً تُحَقِّقُ إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ بالأسر ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا﴾ توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ تنتصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يلجئون ﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي[2] ﴿أَوۡ﴾ الذين ﴿جَآءُوكُمۡ﴾ وقد ﴿حَصِرَتۡ﴾ ضاقت ﴿صُدُورُهُمۡ﴾ عن ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ مع قومهم ﴿أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ معكم؛ أي: مُمْسِكِينَ عن قتالكم وقتالهم؛ فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾ ولكنه لم يشأه؛ فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ الصلح؛ أي: انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ طريقًا بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ دعوا إلى الشرك ﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾ وقعوا أشدَّ وقوعٍ ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ﴾ بتركِ قتالكم ﴿وَ﴾ لم ﴿يُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ عنكم ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ بالأسر ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ برهانًا بيّنًا ظاهرًا على قتلهم وسبيهم؛ لغدرهم.

(*) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم. وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾. وقال النبي ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد» البخاري - كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب (١٠) المدينة تنفي الخبث.

---

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ موطئة لقسم محذوف.

(٢) روى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه [فتح الباري (١٠٤/٨)].

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

[٩٢] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مخطئًا في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن قصد رمي غيره؛ كصيد أو شجرة، فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالبًا[1] ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يتصدقوا عليه بها؛ بأن يعفوا عنها ـ وبينت السُّنَّةُ أنها مائة من الإبل؛ عشرون[2] بنت مخاض، وكذا بنات لبون وبنو لبون، وحقاق وجذاع، وأنها على عاقلة القاتل[3]؛ وهم: عصبته في الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين؛ على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة[4]؛ فإن لم يفوا فَمِنْ بيت المال؛ فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله؛ لحرابتهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ عهد؛ كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهوديًّا أو نصرانيًّا[5]، وثلثا عُشْرِهَا إن كان مجوسيًّا[6] ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة؛ بأن فقدها وما يُحَصِّلُهَا به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، ولم يذكر اللَّه ـ تعالى ـ الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه[7] ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَهُ لهم.

[٩٣] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالبًا بإيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أبْعَدَهُ من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤول بمن يستحله، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[8]، وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وَبَيَّنَتْ آيَةُ البقرة: أن قاتل الْعَمْدِ يقتل به، وأن عليه الدية إن عُفِيَ عنه ـ وسبق قدرها[9] ـ، وَبَيَّنَتِ السنة أن بين الْعَمْدِ والخطأ قَتْلاً يسمى شبه العمد[10]؛ وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالبًا؛ فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة[11]، والخطأ في التأجيل والحمل[12]، وهو العمد أولى بالكفارة من الخطأ[13].

[٩٤] ونزل ـ لما مَرَّ نَفَرٌ من الصحابة بِرَجُلٍ من بني سليم وهو يسوق غنمًا، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا تَقِيَّةً. فقتلوه واستاقوا غنمه[14] ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ وفي قراءة[15]: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ في الموضعين[16] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ بألف أو دونها[17]؛ أي: التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك، فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تُعْصَمُ دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ أن تقتلوا مؤمنًا، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعِلَ بكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به(*).

(*) ما جاء في نزول الآية (٩٤): أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل اللَّه في ذلك إلى قوله: =

---

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك نفيه إلا في الابن مع أبيه، والصحيح قول الجمهور باعتباره. قال الشافعي: شبه العمد ما كان عمدًا في الضرب خطأً في القتل، والخطأ ما كان خطأً فيهما جميعًا، والعمد ما كان عمدًا فيهما جميعًا. [بداية المجتهد (٢/ ٣٩٧)]. (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٩٣٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور (٢/٣٤٦)]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المئة: ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المائة بدون تفصيل في الإرواء (٢٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبون»: التي أتمت الثانية. و«الحقة»: التي أتمت الثالثة. و«الجَذَعة»: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٦٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأحوذي، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) لم أجده في السنة صريحًا. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كأنثى الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعَّف الدية على المسلم إذا قتل ذميًّا أو مستأمنًا عمدًا، وأما عند الحنفية فديته كدية المسلم، والراجح قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وَأُنْثَاهُ على النصف منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) في الصفحة السابقة. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون الْعَاقِلَةِ تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العاقلة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، فجرى مجراه في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأوجبها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) لحمزة والكسائي. (١٦) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، وهما كذلك. (١٧) بدونها قراءة نافع وحمزة وابن عامر.

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

[٩٥] ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة، والنصب[1] استثناء؛ من زَمَانَةٍ أو عَمًى ونحوه ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضَرَرٍ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويبدل منه[2](*).

[٩٦] ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدر[3] ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقُتِلوا يوم بدر مع الكفار ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معتذرين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخًا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله - تعالى -: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي(**).

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

[١٠٠] ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ مهاجرًا ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق؛ كما وقع لجُنْدَع بن ضَمْرَة الليثي[4] ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان للواقع إذ ذاك[5]؛ فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي[6] ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بيّني العداوة.

= ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: تلك الغنيمة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٢٢٩/١): «مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنمًا له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا. فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية...».

(*) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يملها عليَّ قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترض فخذي ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(**) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرج البخاري عن محمد بن عبدالرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٢) أي: يبدل ﴿دَرَجَاتٍ﴾ بدلًا من ﴿أَجْرًا﴾ وهو بدل كل من كل مبين لكمية التفضيل.

(٣) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٤) ذكره الطبري مرسلًا عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيخًا مريضًا كبيرًا، فلما سمع الآية قال: والله ما أنا ممن استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني وأبعد منها، والله لا أبيتن بمكة، أخرجوني. فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التَّنْعِيمَ فأدركه الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات فنزلت فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ...﴾ الآية.

(٥) أي: قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضًا جمهور أهل العلم خلافًا للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدوَّ ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك ببطن نخل. [رواه الشيخان][1] ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم؛ فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجح ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ من العدو؛ أي: احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة(*).

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾ مكتوبًا؛ أي: مفروضًا ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي: مقدرًا وقتها؛ فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] وَنَزَلَ ـ لما بعث ﷺ طائفة[2] في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات ـ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ تضعفوا ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ﴾ طلب ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألَمَ الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مثلكم، ولا يجبنون[3] على قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك؛ فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾[4] في صنعه.

[١٠٥] وسرق طُعْمَةُ بن أبيرق دِرْعًا وَخَبَّأَهَا عند يهودي، فوجدت عنده، فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومُهُ النبيَّ ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه؛ فنزل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[5] القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصمًا عنه.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة. فصلى بنا رسول اللَّه ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل ﷺ بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. قال: فحضرت، فأمرهم رسول اللَّه ﷺ فأخذوا السلاح. قال: فصففنا خلفه صفين ... إلخ. أحمد ـ المسند (٥٩/٤ ـ ٦٠) وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية، وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحيح سنن أبي داود (١٠٩٦).

---

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد اللَّه. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناجين، وكانوا ستمائة وثلاثين.

(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجبنوا». وقال في «الشرح»: المناسب «يجبنون» بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٢٨٢/٢).

(٥) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر المنثور (٣٨٤/٢)]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البغوي (٢٨٣/٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (١٨٤/٩).

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ
جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

[١٠٦] ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛ لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ أي: يعاقبه[١].

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علمًا.

[١٠٩] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَٰدَلْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُ﴾[٢] ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إذا عذبهم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ يتولى أمرهم، ويذب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك[٣].

[١١٠] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ ذنبًا يسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ يعمل ذنبًا قاصرًا[٤] عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ منه؛ أي: يَتُبْ ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَّحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنبًا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لأن وَبَالَهُ عليها ولا يَضُرُّ غَيْرَهُ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١١٢] ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ ذنبًا صغيرًا ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنبًا كبيرًا ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ منه ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿بُهْتَٰنًا﴾ برميه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيِّنًا بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾[٥] بالعصمة ﴿لَهَمَّت﴾ أضمرت ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾؛ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

---

(١) وهذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة عدم المحبة من الله بلازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله عز وجل.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصر».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله ـ سبحانه.

* لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

[١١٤] ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ أي: الناس؛ أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل برٍّ ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء[1]؛ أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١٥] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله واليًا لما تولاه من الضلال؛ بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعًا هي.

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق(*).

[١١٧] ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ أصنامًا مؤنثة؛ كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ خارجًا عن الطاعة لطاعتهم له فيها؛ وهو: إبليس.

[١١٨] ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حظًّا ﴿مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا أدعوهم إلى طاعتي.

[١١٩] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة، وأن لا بَعْثَ ولا حِسَابَ ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وقد فعل ذلك بِالْبَحَائِرِ[2] ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ دينه[3] بالكفر، وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ بيّنًا لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[١٢٠] ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا، وأن لا بَعْثَ ولا جزاءَ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلًا.

[١٢١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلًا.

(*) ما جاء في نزول الآيات: (١٠٥ ـ ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منّا يقال لهم بنو أبيرق بِشْر، وبشير، ومبشر، وكان بشير رجلًا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن الأبيرق قالها ... فقدمت صافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملًا من الدرمك فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ـ رجل منا له صلاح وإسلام ـ فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: «سآمر في ذلك» فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلًا منهم يقال له أسير بن عروة فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلـم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ بني أبيرق ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ أي مما قلت لقتادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ =

---

(١) بالياء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس بِذَكَر، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لبنها للطواغيت، ويشقون آذانها علامة على ذلك.

(٣) وقيل: المراد بهذا التغيير الوشم. وقيل: المراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشمل تغيير الخلقة الظاهرة؛ بِالْوَشْمِ وَالْوَشْرِ وَالنَّمْصِ وَالتَّفْلِيجِ للحسن، ونحو ذلك، كما يشمل الخلقة الباطنة؛ حيث إنه ـ سبحانه ـ خلق عباده حنفاء مفطورين على الحق، فَاجْتَالَتْهُمْ عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

[١٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ أي: وعدهم الله ذلك وعدًا وَحَقَّهُ حَقًّا[1] ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ أي: قولًا.

[١٢٣] وَنَزَلَ ـ لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ـ: ﴿لَّيۡسَ﴾ الأمر منوطًا ﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾[2] بل بالعمل الصالح ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ إما في الآخرة[3] أو في الدنيا بالبلاء والمحن ـ كما ورد في الحديث[4] ـ ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾(*) يمنعه منه.

[١٢٤] ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾ شيئًا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل[5] ﴿ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ قَدْرَ نُقْرَةِ النَّواة.

[١٢٥] ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد[6] ﴿أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ مُوَحِّدٌ ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفٗاۗ﴾ حال؛ أي: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ صَفِيًّا لخالص المحبةِ له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ علمًا وقدرةً؛ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿ٱلنِّسَآءِۖ﴾ وميراثهن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن من آية الميراث، ويفتيكم أيضًا ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرۡغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن[7] ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن، وتعضلوهن[8] أن يتزوجن طمعًا في ميراثهن؛ أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم[9] ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ فيجازيكم به(**).

= كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا وَلَا تُجَٰدِلۡ﴾ . . . إلى قوله: ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا﴾ إلى قوله: ﴿إِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ قوله للبيد: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح، وكان شيخًا قد عسي أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولًا، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذت رحله فوضعته على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير.

الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(*) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها». مسلم ـ كتاب البر والصلة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(**) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة ﵂ عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ إلى ﴿وَرُبَٰعَ﴾ فقالت: يا ابن أختي، هي اليتيمة تكون في حجر وليها =

---

(١) أشار بذلك إلى أن «وعدًا» و «حقًّا» منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقًّا» صفة لـ«وعدًا». (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جويبر عن الضحاك كما في الدر المنثور (٢/٣٩٩). (٣) أما من مات كافرًا فهو محتم في حقه، وأما من مات عاصيًا فهو تحت المشيئة.

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وَأَيُّنَا لم يعمل السوء؟ وإنا لَمَجْزِيُّونَ بكل سوء عملناه؟! فقال ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ الْمُؤْمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا؛ حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ ذُنُوبٌ، وَأَمَّا الآخَرُونَ فَيُجْمَعُ لَهُمْ ذَلِكَ؛ حَتَّى يُجَازَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٣٢٤٣).

(٥) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الزهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ﵂ قالت: «هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ وَلِيِّهَا؛ فَيَرْغَبُ فِي جَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يُنْقِصَ صَدَاقَهَا؛ فَنُهُوا عَنْ نِكَاحِهِنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ...» الحديث. (٨) أي: تمنعوهن.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقًا ولا النساء.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

[١٢٨] ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ﴾ مرفوعٌ بفعل[١] يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنۢ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ تَرَفُّعًا عليها بترك مضاجعتها، والتقصير في نفقتها، لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن [يَصَّالَحَا]﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُصْلِحَا﴾[٢] من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن تترك له شيئًا طلبًا لبقاء الصحبة؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما جُبِلَ عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ شدة البخل؛ أي: جُبِلَتْ عليه؛ فكأنها حاضرته لا تغيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور عليهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به(*).

[١٢٩] ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾ تسووا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركوا المُمال عنها ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أَيِّمٌ ولا هي ذات بَعْلٍ ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجًا غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّر لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَ﴾ قلنا لهم ولكم: ﴿إِن تَكْفُرُواْ﴾ بما وُصِّيتُم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا وعبيدًا؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ محمودًا في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كرره تأكيدًا؛ لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيدًا؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ بَدَلِكُمْ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.

[١٣٤] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلِمَ يطلب أحدُكم[٣] الأخسَّ وَهَلا طَلَب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾

= تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره. فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾، والذي ذكر الله أنه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يعني هي رغبة أحدكم ليتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليتيم وأهل الميراث.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرج البخاري عن عائشة ﵂: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كأنه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

---

(١) ولا يصح جعله مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٢) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة ﴿يَصَّالَحَا﴾.

(٣) في حاشية الصاوي: «أحدهم».

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

[١٣٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَآءَ﴾ بالحق ﴿لِلَّهِ وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ منكم، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في شهادتكم؛ بأن تحابُوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا۟﴾ عن الحق ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة[1] بحذف الواو الأولى تخفيفًا ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

[١٣٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ؛ وهو: القرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين[2] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ طريقًا إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِّرِ﴾ أخبر يا محمد ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا؛ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾؟ استفهام إنكاري؛ أي: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[3] ﴿عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن في سورة الأنعام[4] ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم[5] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

---

(١) لحمزة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿نُزِّلَ﴾ و﴿أُنزِلَ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كفرًا أو غيره؛ فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالمحرم عاص.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

[١٤١] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبله[1] ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ﴾ لكم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد؛ فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستولِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَ﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ أن يظفروا بكم؛ بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم؛ فلَنَا عليكم المنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ طريقًا بالاستئصال[2].

[١٤٢] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم[3]؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع اللهِ نَبِيَّهُ على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء.

[١٤٣] ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الهدى.

[١٤٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بموالاتهم ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ برهانًا بيّنًا على نفاقكم.

[١٤٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ﴾ المكان ﴿ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهو قعْرها ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعًا من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ عملهم ﴿وَٱعْتَصَمُواْ﴾ وثقوا ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة؛ وهو: الجنة.

[١٤٧] ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نعَمهُ ﴿وَءَامَنتُمْۚ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يعذبكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه.

---

(١) وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ١٣٩]، والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين.

(٢) دفع بذلك ما يقال: إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب بأن المعنى: أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين، ويجاب أيضًا: أن المراد سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة؛ فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبدًا مسلمًا، ولا يقتل المسلم بالذمي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه، وسبق بيان مذهب السلف فيها وفي أمثالها في مواضع كثيرة ووجوب الإيمان بها وإثباتها لله على ما يليق به ـ سبحانه وتعالى ـ دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تكييف.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

[١٤٨] ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي: يعاقبه عليه[١] ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل.

[١٤٩] ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البِرِّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سرًّا ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ مصدر مؤكد[٢] لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار.

[١٥٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء والنون[٣] ﴿أُجُورَهُمْ ۗ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ جملة كما أنزل على موسى تعنُّتًا؛ فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾ أي: آباؤهم ﴿مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الموت عقابًا لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ حيث تعنَّتوا في السؤال ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ تسلطًا بيّنًا ظاهرًا عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم؛ ليخافوا فقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجودَ انحناءٍ ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال[٤]، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعتدوا ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه.

---

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله ـ سبحانه ـ.

(٢) أي: وعامله محذوف ويقدر مؤخرًا عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحقه حقًّا.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

(٤) لنافع، واختلس قالون حركة العين.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

[١٥٥] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ «ما» زائدة، و«الباء» للسببية متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لا تعي كلامك ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ ختم ﴿ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تعي وَعْظًا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانيًا بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في زعمهم[١]؛ أي: بمجموع ذلك عذبناهم، قال ـ تعالى ـ تكذيبًا لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب ـ وهو صاحبهم ـ بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من قتله؛ حيث قال بعضهم ـ لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده ـ: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناء منقطع[٢]؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ حالٌ مُؤَكِّدَةٌ لنفي القتل

[١٥٨] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١٥٩] ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى[٣] لما ينزل قرب الساعة ـ كما ورد في حديث(ه) ـ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ أي: فبسبب ظلم ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[٤] الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه صَدًّا ﴿كَثِيرًا﴾.

[١٦١] ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالرِّشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا.

[١٦٢] ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ الثابتون ﴿فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نصب على المدح[٥]، وقرئ بالرفع[٦] ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء[٧] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم ـ كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿قَتَلْنَا﴾، وفي نسخة «في زعمه» بالإفراد؛ ويكون متعلقًا بقوله: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تعظيمًا لشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) بالياء قراءة حمزة.

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

[١٦٣] ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَ﴾ وكما ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ ابن إسحاق ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ بالفتح؛ اسم للكتاب المؤتى، والضم[1]؛ مصدر بمعنى: مزبورًا؛ أي: مكتوبًا.

[١٦٤] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿رُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ روي أنه ـ تعالى ـ بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ[2] في سورة غافر[3] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكۡلِيمٗا﴾.

[١٦٥] ﴿رُّسُلٗا﴾ بدل من ﴿رُسُلٗا﴾ قبله ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب من آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب من كفر، أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ تقال ﴿بَعۡدَ﴾ إرسال ﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4] فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه.

[١٦٦] ونزل ـ لما سُئِلَ اليهودُ عن نبوته ﷺ فأنكروه ـ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾[5] يبين نبوتك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنزَلَهُۥ﴾ ملتبسًا ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أي: عالمًا به، أو وفيه عِلْمُهُ ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ لك أيضًا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك.

[١٦٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام بِكَتْمِهِمْ نَعْتَ محمدٍ ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٦٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَظَلَمُواْ﴾ نبيه بكتمان نعته ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ من الطرق.

[١٦٩] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَآ﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ هيِّنًا.

[١٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ﴾ به، واقصدوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ مما أنتم فيه ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمٗا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صُنْعِهِ بهم.

---

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال المحلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨].

(٤) القصص:٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٢/٤٣٩)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١/٥٢٠).

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

[١٧١] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾ تتجاوزوا الحَدَّ ﴿فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّآ﴾ القول ﴿ٱلۡحَقَّۚ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ﴾ أوصلها الله ﴿إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ﴾ أي: ذو روح ﴿مِّنۡهُۖ﴾ أضيف إليه - تعالى - تشريفًا له، وليس كما زعمتم ابن الله، أو إلهًا معه، أو ثالث ثلاثة؛ لأن ذا الروح مركب، والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه[1] ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ﴾ الآلهة ﴿ثَلَٰثَةٌۚ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن ذلك وأتوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ منه؛ وهو: التوحيد ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ تنزيهًا له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ خلقًا وملكًا وعبيدًا، والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ شهيدًا على ذلك.

[١٧٢] ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدًا، وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكِرَ للرَّد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله، كما رد بما قَبْلَهُ على النصارى الزاعمين - ذلك المقصود - خِطَابَهُمْ ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ في الآخرة.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ﴾ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ مؤلمًا؛ هو: عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ يمنعهم منه.

[١٧٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ﴾ حجةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ عليكم؛ وهو: النبي ﷺ ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ بيِّنًا؛ وهو: القرآن.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا﴾ طريقًا ﴿مُّسۡتَقِيمٗا﴾ هو دينُ الإسلام.

(١) وهذه الألفاظ محدثة ومبهمة، فإن كان يقصد منها نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ من اليد والقدم وغيرها؛ فهو باطل، وإن كان يقصد منها نفي صفات النقص عنه - سبحانه - فهو حق، ولكن التعبير عن ذلك بعبارات السلف أَسْلَمُ وَأَوْلَى.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكَلالَةِ[1] ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟﴾ مرفوعٌ بفعل يفسره[2] ﴿هَلَكَ﴾ مَاتَ ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي: ولا والد؛ وهو: الكلالة ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ﴾ أي: الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَآ﴾ جميع ما تَرَكَتْ ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ فإن كان لها وَلَدٌ ذَكَرٌ؛ فلا شيء له، أو أنثى فله ما فضل من نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أُمٍّ فَفَرْضُهُ السُّدُسُ ـ كما تقدم أول السورة ـ ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي الأختان ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي: فصاعدًا؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات[3] ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء: أنها آخر آية نزلت؛ أي: من الفرائض[4](*).

سُورَةُ المَائِدَةِ

[مدنية، وآياتها مائة وعشرون آية[5]]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلًا بعد الذبح[6] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[7] الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لِمَا عَرَضَ من الموت[8] ونحوه ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: مُحْرِمُون، ونصب ﴿غَيْرَ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُم﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمع شَعِيرَة؛ أي: معالم دينه؛ بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ ما أهدي إلى الحَرَم من النَّعَم بالتعرض له ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ جمع قلادة؛ وهي: ما كان يقلد به من شجر الحَرَم ليأمن؛ أي: لا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَآ﴾ تحلوا ﴿ءَآمِّينَ﴾ قاصدين ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم[9] ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ رزقًا ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة[10] ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ أمر إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بفتح النون وسكونها[11]: بُغْضُ ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغمي عليَّ، فتوضأ ثم صب عليَّ من وضوئه فأفقت. قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يردَّ عليَّ شيئًا حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ مسلم ـ كتاب الفرائض (٢٣) ـ باب (٢) ميراث الكلالة.

---

(١) اختلف في المراد بالكلالة؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) من حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثنتان أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ ليشمل النحر ـ أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وآخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿إِلَّا﴾ فيما أحل، وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد «إلَّا» دائمًا مخالفٌ لما قبلها منقطعًا كان أو متصلًا. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس بمنسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ
وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ
غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ
أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾
ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي: أكلها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي: المسفوح ـ كما في الأنعام[١] ـ ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ بأن ذُبِحَ على اسم غيره ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ الميتة خَنْقًا ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولة ضربًا ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المقتولة بِنَطْحِ أخرى لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فَذَبَحْتُمُوهُ، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ جمع نصاب؛ وهي: الأصنام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ جمع زلم ـ بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام ـ: قِدح ـ بكسر القاف ـ صغير لا ريش له ولا نصل، وكانت سَبْعَةً عند سادن الكعبة، عليها أعلام، وكانوا يحكمونها؛ فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهيتهم انتهوا ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ خروج عن الطاعة، ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع[٢]: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أحكامه وفرائضه، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ بإكماله، وقيل: بدخول مكة آمنين ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي: اخْتَرْتُ[٣] ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ مَجَاعَةٍ إلى أي شيء مما حرم عليه فأكله ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لِّإِثْمٍ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أَكَلَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ به في إباحته، بخلاف المائل لإثم؛ أي: المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مَثَلاً؛ فلا يحل له الأكل.

[٤] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من كلَّبت الكلب ـ بالتشديد ـ؛ أي: أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال من ضمير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ أي: تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلته؛ بأن لم يأكلن منه، بخلاف غير المعلمة؛ فلا يحل صيدها، وَعَلامَتُهَا[٤] أن تَسْتَرْسِلَ إذا أُرْسِلَتْ وَتَنْزَجِرَ إذا زُجِرَتْ، وَتُمْسِكَ الصيد ولا تأكل منه، وأقل ما يعرف به ثلاث مرات؛ فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها؛ فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين وفيه: «أَنَّ صَيْدَ السَّهْمِ إِذَا أُرْسِلَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ كَصَيْدِ الْمُعَلَّمِ مِنَ الْجَوَارِحِ»[٥]. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند إرساله[٦] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[٥] ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾ إياهم ﴿حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ الحرائر ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ منهن، تسرون بالزنا بهن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يرتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الصالح قبل ذلك؛ فلا يعتد به، ولا يثاب عليه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذا مات عليه.

---

(١) أي: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٧)، ومسلم (٣٠١٧).
(٣) هذا تأويل لصفة الرضا الثابتة لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه. ومن لوازمها أنه اختار ما رضاه من الدين لهذه الأمة.
(٤) ذكر أربع علامات وهي معتبرة في الكلب والسبع، وأما الطير فلا يعتبر فيه إلا قيدان: ألا يأكل منه، وإذا أرسل استرسل، ويرى مالك أن الأكل ليس قيدًا كذلك في الكلب والسبع، ولم يأخذ بالحديث.
(٥) لا يوجد بهذا اللفظ في الصحيحين ولكن يستفاد هذا الحكم من أحاديث فيهما. انظر: البخاري (٥٠٦٢)، ومسلم (٣٥٦٥).
(٦) ذهب المصنف إلى أن الضمير عائد إلى ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾، وقيل: عائد إلى ﴿مَآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: سموا الله إذا أدركتم ذَكَاتَهُ.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

[٦] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي: أردتم القيام ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأنتم محدثون ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي: معها ـ كما بيَّنَتْهُ السُّنَّةُ[1] ـ ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق[2]؛ أي: ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء، وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شَعْرِهِ[3]، وعليه الشافعي ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب، عطفًا على ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾، وبالجر على الجوار[4] ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أي: معهما ـ كما بيَّنَتْهُ السُّنَّةُ[5] ـ؛ وهما: العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضًا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي: أَحْدَثَ ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ سبق مثله في آية النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا طاهرًا ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ مع المرفقين ﴿مِّنْهُ﴾ بضربتين[6]، والباء للإلصاق، وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ أن المراد استيعاب العضوين بالمسح[7] ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام؛ ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَهُ[*].

[٧] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَـٰقَهُ﴾ عهده ﴿ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ في كل ما تَأْمُرُ به وَتَنْهَى؛ مِمَّا نُحِبُّ وَنَكْرَهُ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، فبغيره أولى.

[٨] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يَحْمِلَنَّكُمْ ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بُغْضُ ﴿قَوْمٍ﴾ أي: الكفار ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ فتنالوا منهم؛ لعداوتهم ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ في العدو والولي ﴿هُوَ﴾ أي: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٩] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ وعدًا حسنًا ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة.

(*) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: سقطت قلادة لي بالبيداء ـ ونحن داخلون المدينة ـ فأناخ النبي ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقدًا. أقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة؟ فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد؛ فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية. قال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري ـ التفسير (٦٥) ـ سورة المائدة (٥) باب (٣).

---

(١) من حديث وائل بن حُجر الحضرمي أن النبي ﷺ «غسل في وضوئه: يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثًا، وغسل رجليه حتى جاوز الكعبين». أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه البزار والطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعًا [فتح الباري (١/ ٣٥٠)].
وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٥/٩٩)

(٢) وقيل: للتبعيض. وهو قول مرجوح.

(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس. وقال مالك وأحمد: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.

(٤) قراءة الجر لابن كثير وأبي عمرو وحمزة وشعبة، وقوله: «على الجوار»؛ أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعترض على هذا بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور لفظًا ومعنى، معطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة لبس الخف.

(٥) كما تقدم قريبًا في حديث وائل بن حُجر.

(٦) حديث الضربتين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعًا: «إنما كان يكفيك هكذا»، ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه. البخاري (٣٤٧).

(٧) الحديث رُوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١/ ١٨٠) مرفوعًا، وصحح الأئمة وقفه على ابن عمر.

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ هم قريش ﴿أَن يَبْسُطُوٓاْ﴾ يمدوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(*)

[١٢] ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بما يذكر بعد[1] ﴿وَبَعَثْنَا﴾ ـ فيه التفات عن الغيبة ـ أقمنا ﴿مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه؛ بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق؛ والسواء في الأصل: الوسط، فنقضوا الميثاق.

[١٣] قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ «ما» زائدة ﴿مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه اللَّه عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَنَسُواْ﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيبًا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ﴾ أمروا ﴿بِهِۦ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿مِّنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ممن أسلم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف[2].

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(*) فائدة: قال الألوسي: «والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول اللَّه ﷺ وأصحابه رضي اللَّه تعالى عنهم بعسفان قاموا إلى الظهر معًا، فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم، وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد اللَّه تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف...».

وقيل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/١٢٤، ١٢٥).

---

(١) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية [المائدة: ١٢].

(٢) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهود، ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ﴾ تكتمون ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ التوراة والإنجيل؛ كآية الرجم وصفته(*) ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ من ذلك؛ فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم. ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَٰبٞ﴾ قرآن ﴿مُّبِينٞ﴾ بيِّنٌ ظاهرٌ.

[١٦] ﴿يَهۡدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ دين الإسلام.

[١٧] ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ حيث جعلوه إلهًا، وهم اليعقوبية ـ فرقة من النصارى[1] ـ. ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿مِنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهًا؛ لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ شاءه[2] ﴿قَدِيرٞ﴾.

(*) فائدة: أخرج الحاكم (٤/ ٤٠٠) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب. وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فكان مما أخفوه الرجم».
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠/٢٧٦) وصححه الأرناؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٣٠).

---

(١) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٢) والأولى الإطلاق وعدم التقييد، كما أطلق الله ﷻ، ورسوله ﷺ، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

[١٨] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي: كل منهما: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ أي: كأبنائه في القرب والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأبُ ولدَه ولا الحبيبُ حبيبَه، وقد عذبكم؛ فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَۚ﴾ من البشر، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[١٩] ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة[١] لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُواْ﴾ إذا عذبتم: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ﴾ فلا عذر لكم إذًا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه.

[٢٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي: منكم ﴿أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أصحاب خدم وحشم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من المنّ والسلوى وَفَلْقِ البحر وغير ذلك.

[٢١] ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها؛ وهي: الشام ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ في سعيكم.

[٢٢] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عاد طوالاً ذوي قوة[٢] ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ لها.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله؛ وهما: يُوشَع وَكَالَب[٣]؛ من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتما ما اطّلعا عليه من حالهم إلا عن موسى؛ بخلاف بقية النقباء فأفشوه؛ فجبنوا: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ باب القرية، ولا تخشوهم؛ فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ﴾ قالا ذلك تيقنًا بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(١) أخرج البخاري (٣٦٥٤) عن سلمان الفارسي قال: فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة. وعن قتادة خمسمائة وستون سنة. أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه.
وعن الكلبي: خمسمائة وأربعين، وقيل: أربعمائة سنة. انظر: [فتح الباري (٣٢٥/٧)].
وعن الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة.
والمشهور ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة بالقمرية فتكون ستمائة بالشمسية [البداية والنهاية].

(٢) يشير إلى ما ورد في الإسرائيليات من وصف هؤلاء القوم، واختار بعض أهل العلم أن لا يعتمد ذلك في تفسير كلام الله ﷻ، بل لا يفسر القرآن إلا بما هو متيقن غير مشكوك فيه، وأما الإذن في نقل أخبار أهل الكتاب وأحاديثهم بغير تصديق ولا تكذيب فهو في غير تفسير القرآن الكريم، وهو قول وجيه وقوي، وسبق الكلام عن أقسام الإسرائيليات في سورة البقرة عند ذكر التابوت، فليراجع.

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرجه عبد بن حميد عن عطية العوفي [الدر المنثور (٤٧٩/٢)].

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

[٢٤] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ هم ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ عن القتال.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذٍ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَ﴾ إلا ﴿أَخِيۖ﴾ ولا أملك غيرهما؛ فاجبرهم على الطاعة ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾ فافصل ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ﴾ يتحيرون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم[1] في الموضع الذي ابتدءوا منه، ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في التِّيهِ، وكان رحمةً لهما وعذابًا لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر؛ فأدناه ـ كما في الحديث[2] ـ، وَنُبِّئَ يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين؛ فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلا لِيُوشَعَ[3] لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ»[4].

[٢٧] ﴿۞وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿ٱتۡلُ﴾ ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ إلى الله؛ وهو: كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل؛ بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ وهو قابيل؛ فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حَجَّ آدم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾ قال: لِمَ؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَئِنۢ﴾ لام قسم ﴿بَسَطتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قتلك(٭).

[٢٩] ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ ترجع ﴿بِإِثۡمِي﴾ بإثم قتلي ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك؛ فأكون منهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ زينت ﴿لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ بقتله، ولم يَدْرِ ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يَنْبشُ التراب بمنقاره وبرجله وَيُثِيرُهُ على غُرابٍ ميت حتى وَارَاهُ ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي﴾ يَسْتُرُ ﴿سَوۡءَةَ﴾ جيفةَ ﴿أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ﴾ عن ﴿أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على حمله، وحفر له وواراه.

(٭) فائدة: أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: قلت يا رسول الله، أرأيت إن دخل عليَّ بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابن آدم»، وتلا يزيد ـ هو يزيد بن خالد الرملي شيخ أبي داود ـ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ الآية.

أبو داود ـ كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النهي عن السعي في الفتنة. وأشار محققه في هامشه (٤٥٦/٤) أنه وقع في نسخة: «كن كخير ابني آدم». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٨١).

وقوله: «في هذا الحديث» يعني حديث أبي بكرة مرفوعًا: «إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها خيرًا من الجالس ...» وهو عند مسلم في كتاب الفتن (٥٢) باب (٣) نزول الفتن كمواقع القطر.

وفي آخر الحديث عند مسلم: «فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين ـ أو إحدى الفئتين ـ فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك، ويكون مَن أصحاب النار».

---

(١) أخرج نحوه ابن جرير عن مجاهد وعن الربيع بن أنس [الدر المنثور (٤٨٢/٢)].

(٢) البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) أي: قبل يوشع، وإلا فقد حبست لنبينا ﷺ مرتين؛ يوم الخندق، وصبيحة ليلة الإسراء.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «إن الشمس لم تحبس لبشر ...». وانظر: صحيح الجامع (٥٦١٢).

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ أتاه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من كُفرٍ أَوْ زِنًا أَوْ قَطْعِ طَرِيقٍ أَوْ نَحْوِهِ ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها وصونها(١) ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

[٣٣] ونزل في العرنيين ـ لما قدموا المدينة وهم مرضى(٢)، فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صَحُّوا قَتَلُوا راعي النبيِّ ﷺ واستاقوا الإبلَ ـ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾ لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي(٣)، وأصح قوليه: أن الصلب ثلاثًا(٤) بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره(٥) ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْىٌ﴾ ذل ﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.

[٣٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من المحاربين والقُطّاع ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم، عَبَّرَ بذلك دون «فلا تحدوهم»؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أر من تعرض له، والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب(٦)، وهو أصح قولي الشافعي، ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئًا، وهو أصح قوليه أيضًا(ه).

[٣٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(ه) ما جاء في نزول الآيتين (٣٣، ٣٤): أخرج النسائي عن أنس: أن نفرًا من عُكْل قدموا على النبي ﷺ فاجتووا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قال: فأتي بهم فقطَّع أيديهم وأرجلهم، وسمَر أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية. النسائي ـ كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البخاري بدون ذكر نزول الآية.
البخاري ـ كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها.

---

(١) لم أجده عن ابن عباس أو غيره، وأخرج ابن جرير (٢٠٢/٤) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: أوبق نفسه كما لو قتل الناس جميعًا. وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ قال: من سلم من قتلها. وانظر أيضًا: [الدر المنثور (٦٤/٣)]. وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس من نَفسٍ تُقتل ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ ـ أي نصيب ـ من دمها؛ لأنه أول من سنّ القتل». البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨) والنسائي (٣٩٥٩) عن أنس بن مالك، والقصة في البخاري ومسلم بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٥٨).

(٣) وعند مالك: ﴿أَوْ﴾ على بابها للتخيير، لكن بحسب ما يراه الحاكم.

(٤) أي: ثلاثة أيام.

(٥) وعند مالك: النفي إبعاده عن الأرض مسافة قصر، ولا يكفي الحبس.

(٦) أي: إذا تاب قبل القدرة عليه؛ فلا يسقط في هذه الحال المذكورة إلا الصلب؛ لأنه من حق الله.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

[٣٨] ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ «ال» فيهما موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يمين كل منهما من الكوع، وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ أن الذي[1] يقطع فيه ربع دينار فصاعدًا، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعزر[2] ﴿جَزَآءً﴾ نصب على المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا﴾ عقوبة لهما ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه.

[٣٩] ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم؛ فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال، نعم بَيَّنَتِ السُّنَّةُ أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع، وعليه الشافعي[3](*).

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

[٤١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ صنع ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة؛ أي: يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ﴾ للبيان[4] ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بألسنتهم متعلق بـ﴿قَالُوٓا۟﴾ ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قوم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿ءَاخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خيبر، زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما؛ فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة؛ كآية الرجم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ الحكم المحرف؛ أي: الجلد الذي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ إضلاله ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ في دفعها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر، ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٣٩): أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد النبي ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه المرأة سرقتنا. قال قومها: فنحن نفديها ـ يعني أهلها ـ فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها» فقالوا: نحن نفديها بخمسمائة دينار. قال: «اقطعوا يدها» قال: فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأنزل الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد ـ المسند (٢/ ١٧٧). وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٦٦٥٧). قال ابن كثير: «وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت. وحديثها ثابت في الصحيحين».

---

(١) رواه البخاري (٦٢٩١)، ومسلم (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عن عائشة مرفوعًا.

(٢) وهذا مذهب الشافعي ومالك، وعند الحنفية ورجحه ابن قدامة: لو عاد في الثالثة والرابعة يعزر، ولا تقطع يده اليسرى ولا رجله اليمنى. وهو الأصح؛ لأن قطع يديه يفوت منفعة الجنس، فلا تبقى له يد يأكل بها ولا يتوضأ ولا يستطيب ولا يدفع عن نفسه؛ فيصير كالهالك، ولأنه لو جاز قطع اليدين لقطعت اليسرى في المرة الثانية لأنها آلة البطش كاليمنى، وإنما لم تقطع للمفسدة في قطعها. [المغني (٩/ ١٠٦ ـ ١٠٩)].

(٣) وعند مالك: لا ينفع عفوه عنه مطلقًا؛ لأنه حق الله.

(٤) أي: لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ﴾ [المائدة: ٤١].

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

[٤٢] هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ [لِلسُّحۡتِ]﴾ بضم الحاء وسكونها[1]؛ أي: الحرام؛ كالرشا ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ الآية، فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي[2]، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعًا ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ﴾ بينهم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم؛ أي: يثيبهم[3].

[٤٣] ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ بالرجم، استفهام تعجيب؛ أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم[4] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ التحكيم ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٞۚ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ العلماء منه ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أي: بسبب الذي ﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ استودعوه؛ أي: استحفظهم الله إياه ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أن يبدلوه ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ به.

[٤٥] ﴿وَكَتَبۡنَا﴾ فرضنا ﴿عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ﴾ أي: التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ تقتل ﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَٱلۡعَيۡنَ﴾ تُفقأ ﴿بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ﴾ يُجدع ﴿بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ﴾ تقطع ﴿بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة[5] ﴿وَٱلۡجُرُوحَ﴾ بالوجهين[6] ﴿قِصَاصٞۚ﴾(*) أي: يقتص فيها إذا أمكن؛ كاليد والرِّجل ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكومة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بالقصاص؛ بأن مَكَّن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ لما أتاه ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٤٥): أخرج الترمذي عن عمران بن حصين أن رجلًا عض يد رجل، فنزع يده، فوقعت ثنيتاه، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال: «يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل!! لا دية لك». فأنزل الله: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾. الترمذي ـ كتاب الديات (١٤) باب (٢٠) ما جاء في القصاص. وقال: حسن صحيح.
والحديث في صحيح مسلم بدون ذكر نزول الآية، وكذلك في صحيح البخاري لكن من حديث يعلى بن أمية.

---

(١) بالضم قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.
(٢) ومشهور مذهب مالك أن التخيير باق وليس بمنسوخ، وبه قال أحمد وهو الراجح، واختاره السعدي معللاً بأنهم لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقًا لأهوائهم، وكذلك القاسمي وزاد: لأنه لا منافاة بين الآيتين، فالأولى فيها التخيير، والأخرى فيها كيفية الحكم إذا حكم بينهم.
(٣) وهذا تأويل بلازم الصفة، وسبق بيان مذهب السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها على الوجه اللائق به ـ سبحانه.
(٤) وهو الجلد.
(٥) للكسائي.
(٦) أي: بالرفع والنصب، والرفع قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ
مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا
لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ
فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ
بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ
ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٤٦] ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٞ﴾ بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقٗا﴾ حال ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَ﴾ قلنا: ﴿لۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾ من الأحكام، وفي قراءة[1] بنصب «يحكم» وكسر لامه؛ عطفًا على معمول «آتيناه» ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[*].

[٤٨] ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بأنزلناه ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا﴾ شاهدًا ﴿عَلَيۡهِۖ﴾ والكتاب بمعنى: الكتب[2] ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ﴾ أيها الأمم ﴿شِرۡعَةٗ﴾ شريعة ﴿وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ طريقًا واضحًا في الدين يمشون عليه ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ فرقكم فرقًا ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ من الشرائع المختلفة؛ لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ سارعوا إليها ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، ويجزي كُلاً منكم بعمله.

[٤٩] ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ لـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفۡتِنُوكَ﴾ يضلوك ﴿عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ التي أتوها؛ ومنها: التولي، ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ بالياء والتاء[3]؛ يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا؟ استفهام إنكاري ﴿وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ﴾ عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به خصوا بالذكر؛ لأنهم الذين يتدبرون.

(*) ما جاء في نزول الآيات (٤١ - ٤٧): أخرج مسلم عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محممًا مجلودًا فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلًا من علمائهم، فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم، ولكنه كثير في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه». فأمر به فرجم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: ائتوا محمدًا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ مسلم - كتاب الحدود (٢٩) باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: إن الله ﷻ أنزل: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾، أنزلها الله في الطائفتين من اليهود، وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا، أو اصطلحوا - على أن كل قتيل قتله العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقًا، وكل قتيل قتله الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فذلت الطائفتان كلتاهما لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح.

فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلًا، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حيين قط، دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبلدهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض. إنا إنما أعطيناكم هذا ضيمًا منكم لنا وفرقًا منكم، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيكم ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيزة فقالت: والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا؛ ما أعطونا هذا إلا ضيمًا منا وقهرًا لهم، فدسُّوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه.

فدسوا إلى رسول الله ﷺ ناسًا من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ فلما جاء رسول الله ﷺ أخبر الله رسوله بأمرهم كله، وما أرادوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ثم قال: فيهما - والله - نزلت، وإياهما عنى الله ﷻ. أحمد - المسند (١/ ٢٤٦). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٢١٢).

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾، ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ الآية. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة. فسوَّى رسول الله ﷺ بينهم. أبو داود - كتاب الأقضية (١٨) باب (١٠). الحكم بين أهل الذمة. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٢).

=

(١) أي في «العين» وما بعدها، وهي قراءة لحمزة. (٢) أي: فـ«أل» للجنس. (٣) بالتاء قراءة ابن عامر.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

[٥١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ لاتحادهم في الكفر ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بموالاتهم الكفار [٥٢] ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد؛ كعبد اللّه بن أبي المنافق ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا؛ من جدب أو غلبة، ولا يتم أمر محمد؛ فلا يميرونا، قال - تعالى -: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافًا - بواو ودونها[1] -، وبالنصب[2] عطفًا على ﴿يَأْتِىَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبًا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين قال - تعالى -: ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة[3] ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ صاروا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب.

[٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ﴾ بالفك والإدغام[4]؛ يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ إلى الكفار، إخبار بما علم اللّه وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال ﷺ: «هُمْ قَوْمُ هَذَا»، وأشار إلى أبي موسى الأشعري[5] [رواه الحاكم في صحيحه] ﴿أَذِلَّةٍ﴾ عاطفين ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾ أشداء ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ فيه؛ كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾[6] كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله.

[٥٥] وَنَزَلَ - لما قال ابن سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[7] خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لنصره إياهم؛ أوقعه موقع: «فإنهم» بيانًا لأنهم من حزبه؛ أي: أتباعه.

[٥٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ مهزوءًا به ﴿وَلَعِبًا مِّنَ﴾ للبيان ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾ المشركين؛ بالجر والنصب[8] ﴿أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.

= وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلًا من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلًا من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلًا من قريظة، فقالوا: ادفعوا إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأتوه، فنزلت: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾. النسائي - كتاب القسامة (٤٥) باب (٨،٩).

(١) بدونها قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٢) أي: مع إثبات الواو قراءة أبي عمرو.

(٣) أي: بحسب الظاهر.

(٤) بالفك؛ أي: ﴿يَرْتَدِدْ﴾، وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٥) أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عياض الأشعري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٨/٧) [الدر المنثور (٥١٨/٢)].

(٦) قال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.

(٧) أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه [الدر المنثور (٥٢٠/٢)] وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب (٦٧/٢).

(٨) بالجر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

[٥٨] ﴿وَ﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتم ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بالأذان ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

[٥٩] وَنَزَلَ ـ لما قال اليهود للنبي ﷺ ـ: بمن تؤمن من الرسل؟ فقال: ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم دينًا شرًّا من دينكم ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾[1] تنكرون ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ عطف على ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾ المعنى: ما تنكرون إلا إيماننا، ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر[2].

[٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾ أهل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا بمعنى جزاءً[3] ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿وَ﴾ من ﴿عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الشيطان بطاعته، وروعي في ﴿مِنْهُمْ﴾ معنى ﴿مِن﴾، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة[4] بضم باء ﴿عَبَدَ﴾ وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ«عَبْدٍ»، ونصبه بالعطف على «القردة» ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ تمييز؛ لأن مأواهم النار ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وَذِكْر ﴿شَرٌّ﴾ ﴿وَأَضَلُّ﴾ في مقابلة قولهم: لا نعلم دينًا شرًّا من دينكم.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ أي: منافقو اليهود ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ﴾ إليكم متلبسين ﴿بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِهِۦ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ ـهُ من النفاق.

[٦٢] ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ يقعون سريعًا ﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ الحرام؛ كالرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ـهُ عملهم هذا [٦٣] ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ ـهُ ترك نهيهم.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا؛ كَنَّوْا به عن البخل ـ تَعَالَى اللهُ عن ذلك ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿غُلَّتْ﴾ أمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجود، وَثَنَّى اليد؛ لإفادة الكثرة[5]؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي: لحرب النبي ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: كلما أرادوه رَدَّهُمْ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مفسدين بالمعاصي ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم[6].

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/٧٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٦٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بعيسى» [الدر المنثور (٢/٥٢٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢/٧١).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالعقاب، وهو تهكم بهم.

(٤) لحمزة.

(٥) وله ـ سبحانه ـ يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم الصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به ـ سبحانه ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بالعمل بما فيهما؛ ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ من الكتب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به؛ وهم: من آمن بالنبي ﷺ؛ كعبد اللَّه بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ شيئًا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ هُ.

[٦٧] ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميع ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئًا منه؛ خوفًا أن تنال بمكروه ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ بالإفراد والجمع[١]؛ لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يُحرس حتى نزلت، فقال: «انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ»[٢] [رواه الحاكم] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

[٦٨] ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من الدين معتد به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾(٭) بأن تعملوا بما فيه؛ ومنه الإيمان بي ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك؛ أي: لا تهتم بهم.

[٦٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود، مبتدأ ﴿وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾[٣] فرقة منهم ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، خبر المبتدأ[٤]، ودال على خبر إن.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على الإيمان باللَّه ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا، والتعبير به[٥] دون (قتلوا) حكاية للحال الماضية[٦] للفاصلة[٧].

(٭) فائدة: أخرج البخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد علي من ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾. البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (١٩) الرجاء مع الخوف.

قال الحافظ في الفتح: «يعني أن من لم يعمل بما أنزل اللَّه في كتابه فليس على شيء، ومقتضاه أن من أخل ببعض الفرائض فقد أخل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها...». الفتح (١١٩/٨).

---

(١) بالجمع قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٢) الحاكم (٣١٣/٢)، ورواه الترمذي في تفسير القرآن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٤٠)، وروى ابن حبان في صحيحه (١٧٣٩ - موارد) عن أبي هريرة قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا نزل منزلًا نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة - وقد علق السيف عليها - إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، ثم دناه من النبي ﷺ وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي ﷺ: «اللَّه»؛ فأنزل اللَّه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٤٨٩).

(٣) رُفِع على الابتداء، وخبره محذوف، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذي هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك. «القاسمي».

(٤) أي: قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩].

(٥) أي: بالمضارع.

(٦) أي: كأنها حاصلة الآن.

(٧) أي: ومراعاة للفاصلة، وهي المحافظة على رءوس الآي.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ ظنوا ﴿أَ﴾ نْ ﴿لَّا [تَكُونُ]﴾ بالرفع[1]؛ فَأَنْ مخففة، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع ﴿فِتۡنَةٞ﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الحق؛ فلم يبصروه ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ ثانيًا ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ بَدَلٌ من الضمير[2] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ سبق مثله[3] ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ فإني عبد ولست بإله ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ﴾ زائدةٌ ﴿أَنصَارٖ﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَٰثَةٖ﴾ أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمه؛ وهم: فرقة من النصارى ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويُوَحِّدُوا ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ثبتوا على الكفر ﴿مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؛ وهو: النار.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٞ﴾ به.

[٧٥] ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضت ﴿مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فهو يمضي مثلهم وليس بإله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ كغيرهما من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلهًا؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿ٱنظُرۡ﴾ متعجبًا ﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى: ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمۡ﴾ غُلُوًّا ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ بغلوهم؛ وهم: أسلافهم ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

---

(١) قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٧١].

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ بأن دعا عليهم؛ فمسخوا قِرَدَةً؛ وهم: أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ بأن دعا عليهم؛ فمسخوا خنازير؛ وهم: أصحاب المائدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضًا ﴿عَن﴾ معاودة ﴿مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فعلهم هذا.

[٨٠] ﴿تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ من أهل مكة بُغْضًا لك ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾ محمد ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ﴾ أي: الكفار ﴿أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان.

[٨٢] ﴿۞لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ من أهل مكة؛ لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أنَّ ﴿مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾ علماء ﴿وَرُهۡبَانٗا﴾ عُبَّادًا ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة. نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة قرأ ﷺ سورة يس؛ فبكوا وأسلموا؛ وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى[1].

[٨٣] قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ المقربين بتصديقهم.

---

(١) أخرج نحوه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].
والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مريم» من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير. وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).
قال القاضي كنعان معلقًا على ذلك في قرة العينين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «ومما يجب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض؛ فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات...» اهـ.
قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦ رقم ٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة صنعت طعامًا، فجئت به النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: صدقة. فقال لأصحابه: «كلوا» ولم يأكل، ثم إني رجعت حتى جمعت طعامًا، فأتيته به، فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: هدية، فضرب بيده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصارى؟ قال: «لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم»، فقمت وأنا مثقل؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ حتى بلغ: ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾؛ فأرسل إليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه ابن حبان» وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢).

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

[٨٤] ﴿وَ﴾ قالوا في جواب من عيَّرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطفٌ على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

[٨٧] ونزل ـ لما هَمَّ قَوْمٌ من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطِّيبَ، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾(١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ مفعولٌ، والجارُّ والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾(*).

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقَدْتُّم﴾(٢) ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ عليه؛ بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: اليمين؛ إذا حَنَثْتُم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ لكل مسكينٍ مُدٌّ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أَقْصَــدِهِ وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يسمى كسوة؛ كقميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي(٣) ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملاً للمطلق على المقيد(٤) ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحدًا مما ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع؛ وعليه الشافعي ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل بِرٍّ أو إصلاح بين الناس ـ كما في سورة البقرة ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ـهُ على ذلك(**).

[٩٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ قداح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾ خبيثٌ مستقذرٌ ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الذي يزينه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٨٧، ٨٨): أخرج الترمذي عن ابن عباس أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت عليَّ اللحم. فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(**) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه ـ كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني.

فائدة: أخرج البخاري عن عائشة أن أباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

---

(١) أخرج نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأنزل الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب [الدر المنثور (٢/٥٤٤)].
وأخرج الطبري عن السدي «...فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء...» (١٢٣٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الراجح.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ إذا أتيتموهما؛ لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ خصها بالذكر تعظيمًا لها ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ عن إتيانهما؛ أي: انتهوا(*).

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ المعاصي ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الإبلاغ البين، وجزاؤكم علينا.

[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ المحرمات ﴿وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ العمل ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بمعنى: أنه يثيبهم[1](**).

[٩٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ ليختبرنكم ﴿ٱللَّهُ بِشَىْءٍ﴾ يرسله لكم ﴿مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ﴾ أي: الصغار منه ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكبار منه، وكان ذلك بالحديبية وهم مُحْرِمُونَ[2]؛ فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ حالٌ؛ أي: غائبًا لم يره؛ فيجتنب الصيد ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ النهي عنه؛ فاصطاده ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ مُحْرِمُونَ بحج أو عمرة ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ﴾ بالتنوين ورفع ما بعدها؛ أي: فعليه جزاءٌ هو: ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي: شبهه في الخلقة، وفي قراءة[3]: بإضافة «جزاء»، ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي ﷺ في النعامة بِبَدَنَةٍ، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها[4] ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام؛ لأنه يشبهها في العَبِّ[5] ﴿هَدْيًۢا﴾ حالٌ من «جزاء» ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي: يبلغ به الحرم؛ فيذبح فيه، ويتصدق به على مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، ونصبه نعتًا لما قبله - وإن أضيف -؛ لأن إضافته لفظية؛ لا تفيد تعريفًا؛ فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ غير الجزاء - وإن وجده - هي: ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مُدٌّ، وفي قراءة[6]: بإضافة ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ لما بعده، وهي للبيان ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلُ﴾ مثل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه؛ عن كل مُدٍّ يوم، وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثقل جزاء ﴿أَمْرِهِۦ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ على أمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ممن عصاه، وأُلْحِقَ بقتله مُتَعَمِّدًا فيما ذُكِرَ الخطأُ.

(*) ما جاء في نزول الآيتين (٩٠، ٩١): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن. قال: . . . وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرًا - وذلك قبل أنَ تحرم الخمر - قال: فأتيتهم في حشٍّ - والحش: البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم. قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به، فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله ﷻ فيَّ - يعني نفسه - شأن الخمر ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾. مسلم كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللّهم بيِّنْ لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية. فدعي عمر فقرئت عليه. ثم قال: اللّهم بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ فدعي عمر فقرئت عليه، ثم قال: اللّهم بيِّنْ لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فدعي عمر فقرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة.

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله على نبيه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين، أَمَّ أصحابه في المغرب خلط في قراءة، فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾، وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق.

ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فقالوا: انتهينا. سبق تخريجه في سورة البقرة عند الآية رقم (٢١٩).

(**) ما جاء في نزول الآية (٩٣): أخرج البخاري عن أنس ﷺ: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة - وكان خمرهم يومئذ الفضيخ - فأمر رسول الله ﷺ مناديًا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت. =

(١) وهذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثباتها والإيمان بها على الوجه اللائق به - سبحانه -، وسبق ذلك مرارًا. (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان [الدر المنثور (٢/٥٧٦)].
(٣) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٤) أي بالبدنة. (٥) أي: شرب الماء بلا مَصٍّ. (٦) لنافع وابن عامر.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

[٩٦] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس ـ حلالاً كنتم أو مُحْرِمين ـ ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أن تأكلوه؛ وهو: ما لا يعيش إلا فيه؛ كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر؛ كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ ما يقذفه مَيْتًا ﴿مَتَٰعًا﴾ تمتيعًا ﴿لَّكُمْ﴾ تأكلونه ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم؛ يتزودونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ وهو: ما يعيش فيه من الوحش المأكول؛ أن تصيدوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده حُلالٌ فللمحرم أكله ـ كما بينته السنة[1] ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩٧] ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ المُحَرَّمَ ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه، ودنياهم؛ بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي ثمرات كل شيء إليه، وفي قراءة[2]: ﴿قِيَمًا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غَيْرِ مُعَلٍّ ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بمعنى: الأَشْهُرَ الحُرُمَ ـ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ـ قيامًا لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قيامًا لهم؛ بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجَعْلُ المذكور ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإنَّ جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.

[٩٨] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[٩٩] ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ لكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾ الحرام ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي: سَرَّكَ ﴿كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] وَنَزَلَ ـ لما أكثروا سؤاله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾[3] تظهر ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها؛ قد ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم؛ فلا تعودوا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٥].

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي: الأشياء ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم؛ فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟﴾ صاروا ﴿بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ بتركهم العمل بها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنح درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم؛ فلا يحمل عليها شيءٌ، والوصيلة: الناقة البكر؛ تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تُثَنِّي بَعْدُ بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم؛ إن وصلت إحداهما بأخرى، ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود؛ فإذا قضى ضرابه وَدَعُوهُ للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وسَمَّوه الحامي ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ في ذلك افتراءً؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

= قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج أهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية. البخاري ـ كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الخمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أنس عن أنس ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا». قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، فقال رجل: من أبي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).
وأخرج أيضًا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

---

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ له عن أبي قتادة السلمي أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حمارًا وحشيًا فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذه ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أنس بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٧٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكثروا عليه...» (١٢٨٠٠)، وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين والشريعة، قال تعالى: ﴿أَ﴾ حَسبُهُمْ ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار.

[١٠٥] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها، وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم؛ لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول اللَّه ﷺ فقال: «ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ؛ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ»(١) [رواه الحاكم وغيره] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ خبرٌ بمعنى الأمر؛ أي: ليشهد، وإضافة ﴿شَهَـٰدَةُ﴾ لـ«بين» على الاتساع(٢) و﴿حِينَ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرفٌ لِـ﴿حَضَرَ﴾ ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: غير ملتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ توقفونهما، صفةُ ﴿ءَاخَرَانِ﴾ ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم فيها، ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ﴾ باللَّه ﴿ثَمَنًا﴾ عِوَضًا نأخذه بدله من الدنيا؛ بأن نحلف به أو نشهد كذبًا لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المُقْسَمُ له أو المشهود له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قَرابَةٍ منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إنْ كتمناها ﴿لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطُّلِعَ بعد حلفهما ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: فعلا ما يوجبه؛ من خيانة أو كذب في الشهادة؛ بأن وُجِدَ عندهما مثلًا ما اتُّهِمَا به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية؛ وهم: الورثة، ويبدل من ﴿ءَاخَرَانِ﴾ ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ بالميت؛ أي: الأقربان إليه، وفي قراءة(٣): ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمع أول؛ صفة أو بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين؛ ويقولان: ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ المعنى: لِيُشْهِدِ المحتضرُ على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم؛ إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتابَ الورثة فيهما؛ فادَّعَوْا أنهما خانا بأخذ شيءٍ أو دفعه إلى شخصٍ زعما أن الميت أوصى له به؛ فليحلفا إلى آخره، فإن اطُّلِعَ على أمارة تكذيبهما فادَّعَيَا دافعًا له؛ حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه، والحكم ثابتٌ في الوصيين، منسوخٌ في الشاهدين(٤)، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخةٌ، واعتبار صلاة العصر: للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة: لخصوص الواقعة التي نزلت لها؛ وهي: ما رواه البخاري(٥) أن رجلاً من بني سهمٍ خرج مع تميمٍ الداري وعدي بن بداء - أي: وهما نصرانيان - فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جامًا من فضة مُخَوَّصًا بالذهب؛ فرفعا إلى النبي ﷺ؛ فنزلت؛ فأحلفهما، ثم وُجِدَ الجام بمكة؛ فقالوا: ابتعناه من تميمٍ وعديٍّ؛ فنزلت الآية الثانية؛ فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية الترمذي(٦): فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه، وفي روايةٍ: فمرض؛ فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبْلِغَا ما ترك أَهْلَهُ، فلما مات أخذا الْجَامَ وَدَفَعَا إلى أهله ما بقي.

[١٠٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور؛ من رَدِّ اليمين على الورثة ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يَأْتُوا﴾ أي: الشهود أو الأوصياء ﴿بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريفٍ ولا خيانةٍ ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ على الورثة المدعين؛ فيحلفون على خيانتهم وكذبهم؛ فيفتضحون ويغرمون؛ فلا يكذبوا ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَٱسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماعَ قَبُولٍ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير(*).

(*) ما جاء في نزول الآيات (١٠٦ - ١٠٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدَّاء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما =

---

(١) لم أجده عند الحاكم، ورواه الترمذي (٢٩٨٤) وأبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤) وضعفه الألباني لكن بعضه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦).

(٢) أي: التسمح والتجوز، وأضيفت إلى «البين» ولم تضف إلى «الأموال»؛ لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين، والأصل فيه «شهادة بينكم»؛ أي «فرض عليكم أن يشهد الوصية بينكم اثنان»؛ فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الظرف، وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة. (٣) لحمزة وشعبة. (٤) أي: عند من يشترط في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما من لم يشترط فلا نسخ عنده. (٥) البخاري (٢٧٨٠). (٦) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. [ضعيف الإسناد جدًّا]، [ضعيف سنن الترمذي (٥٨٦)].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١١٠ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ١١١ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣﴾

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخًا لقومهم: ﴿مَاذَآ﴾ أي: الذي ﴿أُجِبْتُمْۖ﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه؛ لشدة هول يوم القيامة؛ وفزعهم، ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ قوَّيتُك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ حالٌ من الكاف في ﴿أَيَّدتُّكَ﴾ ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهْلًاۖ﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رُفِعَ قبل الكهولة ـ كما سبق في آل عمران ـ. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ﴾ كصورة ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ والكاف؛ اسمٌ بمعنى: مثل، مفعولٌ ﴿بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ﴾ بإرادتي ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم أحياءً ﴿بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ حين همُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاحِرٌ﴾(١) أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بهما ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ أي: يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة: بالفوقانية ونصب ما بعده(٢)؛ أي: تقدر أن تسأله ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ﴾ لهم عيسى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُواْ نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نزداد علمًا ﴿أَن﴾ مخففةٌ؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

= بتركته فقدوا جامًا من فضة مخوّصًا من ذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

---

(١) لحمزة والكسائي.
(٢) أي: ﴿تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ وهي قراءة الكسائي.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي: يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ بدلٌ من ﴿لَنَا﴾؛ بإعادة الجارّ ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ممن يأتي بعدنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ مستجيبًا له: ﴿إِنِّى [مُنزِلُهَا]﴾ بالتخفيف والتشديد[1] ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي: بعد نزولها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء؛ عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا[2]. قاله ابن عباس، وفي حديث: «أُنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا وَلَحْمًا فَأُمِرُوا أَن لا يَخُونُوا وَلا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ؛ فَخَانُوا وَادَّخَرُوا؛ فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»[3].

[١١٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: يقول ﴿ٱللَّهُ﴾ لعيسى؛ في القيامة توبيخًا لقومه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾ عيسى؛ وقد أرعد: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك عما لا يليق بك من شريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ خبرُ ﴿لَيْسَ﴾ و﴿لِى﴾ للتبيين ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا﴾ أخفيه ﴿فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي: ما تخفيه من معلوماتك[4] ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(*).

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ وهو: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيبًا؛ أمنعهم مما يقولون ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ قبضتني؛ بالرفع إلى السماء ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من قولي لهم، وقولهم بعدي، وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِعٌ، عالِمٌ به.

[١١٨] ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنت مالكهم؛ تتصرف فيهم كيف شئت، لا اعتراض عليك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١١٩] ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدنيا؛ كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته[5] ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه[6] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه؛ كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب.

[١٢٠] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ أتى بـ«ما» تغليبًا لغير العاقل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب. وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر[7].

* * *

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقَّى عيسىٰ حجته، ولقَّاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: فلقاه الله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ الآية كلها. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٠).

(١) بالتخفيف؛ أي: للزاي، ولازمه سكون النون، قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) ذكره البغوي عن ابن عباس (١١٩/٣)، وأخرج قريبًا منه ابن جرير عن إسحاق بن عبد الله [الدر المنثور (٦١٣/٢)].

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٨٧) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر مرفوعًا [الدر المنثور (٦١٢/٢)]، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٨٧).

(٤) ومذهب السلف إثبات صفة النفس لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهل هي الذات أم صفة للذات؟ قولان للسلف، والجمهور أنها هي الذات.

(٥) وهذا تأويل لصفة رضاه ﷻ ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به بلا تأويل أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، وسبق مرارًا التنبيه على ذلك.

(٦) هذا تأويل لصفة الرضا ببعض لوازمها من الثواب ونحوه، وسبق مرارًا التنبيه على ذلك.

(٧) ومثل هذا الإطلاق الأولى الإمساك عنه، ولم يقل به أحد من السلف.

سُورَةُ الأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الأَنْعَامِ

[مكية(*) إلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وستٌ وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وهو: الوصف بالجميل، ثابتٌ ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما؟ احتمالاتٌ، أفيدها الثالث، قاله الشيخ[1] في سورة الكهف ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعها[2] دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروبٌ ﴿عِندَهُۥ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تَشُكُّونَ في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم، وَمَنْ قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مستحقٌّ للعبادة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي: أهل مكة ﴿مِّن﴾ صلةٌ ﴿ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبريةٌ؛ بمعنى: كثيرة ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمةٍ من الأمم الماضية ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ أعطيناهم مكانًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾ نعط ﴿لَّكُمْ﴾ فيه، التفاتٌ عن الْغَيْبَةِ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ متتابعًا ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

[٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوبًا ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ رَقٍّ؛ كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من «عاينوه»؛ لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنُّتًا وعِنادًا.

[٨] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمدٍ ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا؛ فلم يؤمنوا ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبةٍ أو معذرةٍ، كعادة اللَّه فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

(*) فائدة: تَقسيمُ السُّور إلى مكِّيةٍ ومدَنيَّةٍ، وكَون السُّورةِ كُلها مكيةٍ أو مَدنيَّة إنما هو الأَغلَبُ الأَعمُّ في سُور القرآن، ذلكَ أنه قد ورَدت آيات مدنيَّة في سُورٍ مَكية والعكس على وجه القلَّة، وسبب ذلك ما تقرَّرَ بأن ترتيبَ الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدَّم، قال ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قدِ اعتنى بعض الأئمةِ ببيانِ ما نزلَ من الآيات بالمدينة في السُّور المكِّيَّةِ»... إلى أن قال: «وأمَّا عَكْسُ ذلكَ وهو نُزُولُ شيءٍ من سُورةٍ بمَكَّةَ، تأخَّر نزولُ تلك السُّورةِ إلى المدينةِ فَلَم أَرَهُ إلَّا نادرًا».

والاستثناء المذكور مَشْهورٌ في كُتُبِ القرَّاء ومُثْبَتٌ في المصاحِفِ، وثُبوتُ وُقُوعِهِ دلَّت عليه الأدلةُ، لكنْ هل يُقْبَل كلُّ ما يُذكر من الاستثناءِ، أم لا بدَّ من النظَرِ فيهِ؟

ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يَصِحُّ الاستثناء إلَّا بِدَليلٍ لأنهُ خِلافُ الأَصلِ. ولا يجوزُ العُدُولُ عن هذا الأصلِ إلا بِدَليلٍ صَحِيحٍ صَرِيحٍ.

قال ابن الحصَّارِ في نَظمِهِ للسورِ المكيَّة والمدنية:

وذا الذي اختَلَفَت فيهِ الرُّواةُ له ... وربَّما استُثنِيَتْ آيٌ مِنَ السُّوَر
وما سِوَى ذاكَ مَكِّيٌّ تنزله ... فلا تَكُنْ من خِلافِ النَّاس في حَصَرِ
فَلَيسَ كلُّ خِلافٍ جاءَ مُعْتَبَرًا ... إلَّا خلافٌ لهُ حظٌّ من النَّظَرِ

وقد تَتَبَّعَ السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ما قيلَ باستثنائه وذَكَرَ الأدلَّةَ على ذلك مختصرًا في كتابه الإتقان.

---

(١) أي: الجلال المحلي.

(٢) أي: الظلمة.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته؛ ليتمكنوا من رؤيته؛ إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلًا ﴿لَلَبَسْنَا﴾ شبّهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ على أنفسهم؛ بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسليةٌ للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو: العذاب؛ فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسلَ؛ من هلاكهم بالعذاب؛ ليعتبروا.

[١٢] ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[1] قضى على نفسه ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ فضلًا منه، وفيه تلطفٌ في دعائهم إلى الإيمان ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿۞ وَلَهُۥ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: كل شيء؛ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبده ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزُقُ ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ يُرزقُ ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَ﴾ قيل لي: ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو: يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: العذاب، وللفاعل[2]؛ أي: الله، والعائد: محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ - تعالى -؛ أي: أراد له الخير[3] ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

[١٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاءٍ كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحةٍ وغنًى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مَسُّكَ به؛ ولا يقدر على رده عنك غيره.

[١٨] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ القادر[4]؛ الذي لا يعجزه شيءٌ مستعليًا[5] ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ببواطنهم؛ كظواهرهم.

---

(١) وفيها إثبات صفة الكتابة له - سبحانه -، كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) هذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثبات ما أثبته الله لنفسه على ما يليق به سبحانه.

(٤) قال ابن جرير: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾: الْمُذَلِّلُ الْمُسْتَعْبِدُ خَلْقَهُ الْعَالِي عَلَيْهِم. وقال ابن كثير: هو الذي خضعت له الرقاب، وَذَلَّتْ له الجبابرة، وَعَنَتْ له الوجوه، وَقَهَرَ كل شيء.

(٥) وهذا تأويل لصفة الفوقية، وهو مذهب المؤولة الذين ينفون عن الله علو الذات، وهو - سبحانه - له علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

[١٩] وَنَزَلَ ـ لما قالوا للنبي ﷺ: ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة؛ فإن أهل الكتاب أنكروك[١] ـ: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ تمييزٌ محولٌ عن المبتدأ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره؛ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ عطفٌ على ضمير «أنذركم»؛ أي: بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ استفهامٌ إنكاري ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّآ أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمدًا؛ بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٢١] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بذلك. ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ توبيخًا: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله.

[٢٢] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بالتاء والياء[٢] ﴿[فِتْنَتُهُمْ]﴾ بالنصب والرفع[٣]؛ أي: معذرتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ أي: قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ بالجر: نعتٌ، والنصب[٤] نداءٌ ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٥].

[٢٣] قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ ـهُ على الله من شركاء.

[٢٤] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية لـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صممًا؛ فلا يسمعونه سماعَ قبول ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم.

[٢٥] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به[٥].

[٢٦] ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾ عرضوا ﴿عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ برفع الفعلين استئنافًا، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني[٦]، وجواب «لو» لرأيت أمرًا عظيمًا.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ؛ قال: ... ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا في هذه الآية... فقال: ... أما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: «ما كنا مشركين»، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم؛ فعندئذ عُرف أن الله لا يُكتم حديثًا، وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ الآية. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة فصلت (٤١) الترجمة.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي، والكلبي كذاب.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالنصب قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالنصب قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أخرج نحوه الفريابي وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وحسنه صاحب الاستيعاب بمجموع طرقه (١٣٢/٢)، وأخرج نحوه أيضًا ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن القاسم بن مخيمرة [الدر المنثور (١٥/٣)].

(٦) بالرفع ثم النصب قراءة ابن عامر، وبالرفع في الفعلين قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٢٨] قال - تعالى -: ﴿بَلْ﴾ للإضراب[١] عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ يكتمون بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ بشهادة جوارحهم؛ فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾ إلى الدنيا فرضًا ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان.

[٢٩] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ عرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدنيا.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ هي شدة التألم، ونداؤها مجاز؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قصّرنا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة، وأنتنه ريحًا؛ فتركبهم ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه حملهم ذلك.

[٣٢] ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: الاشتغال بها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ﴾ وفي قراءة[٢]: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء[٣]، ذلك فيؤمنون.

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق[٥] ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق، وفي قراءة بالتخفيف[٤]؛ أي: لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذبون.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإهلاك قومهم؛ فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مواعيده[٥] ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ما يسكن به قلبك.

[٣٥] ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام؛ لحرصك عليهم ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سربًا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعدًا ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ مما اقترحوا فافعل؛ المعنى: أنك لا تستطيع ذلك؛ فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ ولكن لم يشأ ذلك؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بذلك.

---

(٥) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم، قال ابن هشام في كتابه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التقليل، وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل»، وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: ما أنتم عليه هو أقل معلوماته سبحانه، وزعم بعضهم أنها في هذه الأمثلة للتحقيق» اهـ. وقد أخذ الجلالان؛ المحلي والسيوطي بقول هذا البعض: إنها للتحقيق لا للتقليل في هذه المواضع على خلاف القاعدة.

(١) أي: الإبطالي؛ والمعنى: ليس الأمر كما قالوا: من أنهم لو رُدُّوا لآمنوا.

(٢) لابن عامر.

(٣) بالياء، قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لنافع والكسائي.

(٥) المراد بكلمات الله هنا ما كتبه بالنصر في الدنيا والآخـــرة لعباده المؤمنين، ووعده إياهم بذلك. ومن لوازم ذلك إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف.

* ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَى﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد والتخفيف[1] ﴿آيَةً﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزولها بلاءٌ عليهم؛ لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

[٣٨] ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ﴾ تمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم، ويقتص للجمَّاء من القرناء، ثم يقول لهم: كونوا ترابًا.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[٤٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضُّر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشْفَهُ ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعونه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ﴾ زائدة ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلًا فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلَّا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تَلِنْ للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وُعِظُوا وَخُوِّفُوا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضراء؛ فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد[2] ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النِّعَم استدراجًا لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فَرَحَ بطرٍ ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير(*).

(*) فائدة: أخرج أحمد عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. مسند أحمد (٤/١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(١) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالتشديد قراءة ابن عامر.

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ أي: آخرهم؛ بأن استؤصلوا ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

[٤٦] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمَّكم ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أعماكم ﴿وَخَتَمَ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلا تعرفون شيئًا ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ﴾ بما أخذه منكم؛ بزعمكم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يُعرِضُونَ عنها؛ فلا يؤمنون.

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ ليلاً أو نهارًا ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون؛ أي: ما يهلك إلا هم.

[٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَۖ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة.

[٥٠] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ التي منها يَرزُقُ ﴿وَلَآ﴾ إني ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ولم يُوحَ إليَّ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌۖ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُۚ﴾ المؤمن؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون.

[٥١] ﴿وَأَنذِرْ﴾ خوِّفْ ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿وَلِىٌّ﴾ ينصرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم، وجملة النفي: حالٌ من ضمير ﴿يُحْشَرُوٓا۟﴾؛ وهي محل الخوف، والمراد بهم: المؤمنون العاصون ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله؛ بإقلاعهم عما هم فيه، وعمل الطاعات.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥۖ﴾ ـ تعالى ـ لا شيئًا من أعراض الدنيا؛ وهم: الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم؛ ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك؛

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

طمعًا في إسلامهم[1] ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾ زائدةٌ ﴿شَىْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مُرْضٍ ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

(١) أخرج نحو ذلك مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

[٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: الشريف بالوضيع، والغني بالفقير؛ بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ أي: الشرفاء والأغنياء؛ منكرين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بالهداية؛ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ له؛ فيهديهم؟ بلى.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ﴾ لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن، وفي قراءة: بالفتح[١]؛ بدلٌ من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ من حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أي: اللّٰه ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، وفي قراءة: بالفتح[٢]؛ أي: فالمغفرة له.

[٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذُكِرَ ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ القرآن؛ ليظهر الحق؛ فيُعْمَلَ به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فَتُجْتَنَبَ، وفي قراءة: بالتحتانية[٣]، وفي أخرى: بالفوقانية ونصب ﴿سَبِيلُ﴾[٤]؛ خطاب للنبي ﷺ.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتبعتها ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيانٍ ﴿مِّن رَّبِّى وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ بربي؛ حيث أشركتم ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِى﴾ القضاء ﴿ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ الحَاكِمِينَ، وفي قراءة: ﴿يَقُصُّ﴾[٥] أي: يقول.

[٥٨] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أعجله لكم؛ وأستريح، ولكنه عند اللّٰه ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ متى يعاقبهم(ه).

[٥٩] ﴿۞ وَعِندَهُۥ﴾ - تعالى - ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية[٦]، كما رواه البخاري[٧] ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ القِفَارِ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن﴾ زائدةٌ ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطفٌ على: ﴿وَرَقَةٍ﴾ ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء: بدلُ اشتمالٍ[٨] من الاستثناء قبله.

(ه) ما جاء في نزول الآيات (٥١ - ٥٨): أخرج مسلم عن سعد قال: كنا عند النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول اللّٰه ﷺ ما شاء اللّٰه أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل اللّٰه ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾. مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) في فضائل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج ابن ماجه عن خباب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول اللّٰه ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم. فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.

قال: «نعم». قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا. قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليًا ليكتب، ونحن قعود في ناحية، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ثم قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول اللّٰه ﷺ يجلس معنا. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٢٩). وستأتي بقيته عند الآية (٢٨) من سورة الكهف.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول اللّٰه ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُۥ﴾ وكسر ﴿فَإِنَّهُۥ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين.

(٢) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُۥ﴾ وكسر ﴿فَإِنَّهُۥ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) لحمزة والكسائي وشعبة. (٤) لنافع. (٥) والقراءة المفسرة لحمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد اللّٰه بن عمر مرفوعًا. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم اللّٰه كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

[٦٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم﴾ كسبتم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي: النهار؛ بِرَدِّ أرواحكم ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ هو: أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٦١] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ مستعليًا[١] ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ ملائكةً؛ تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ﴾ وفي قراءة: ﴿تَوَفَّاهُ﴾[٢] ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ﴾ مالكهم ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ الثابتُ العدلُ؛ ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهارٍ من أيام الدنيا؛ لحديثٍ[٣] بذلك.

[٦٣] ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا﴾ علانيةً ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾ سرًّا؛ تقولون: ﴿لَّئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَنجَيۡتَنَا﴾ وفي قراءة: ﴿أَنجَىٰنَا﴾[٤] أي: الله ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ المؤمنين.

[٦٤] ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ يُنۡجِيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد[٥] ﴿مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ غمٍّ سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ به.

[٦٥] ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من السماء؛ كالحجارة والصيحة ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ كالخسف ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ﴾ يُخْلِطَكُمْ ﴿شِيَعٗا﴾ فِرَقًا مختلفة الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: «هَذَا أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ»، ولما نزل ما قبله: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» [رواه البخاري][٦]، وروى مسلمٌ حديث: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَ أُمَّتِي بَيْنَهُمْ؛ فَمَنَعَنِيهَا»[٧]، وفي حديث: لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ»[٨] ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين لهم ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ فأجازيكم، إنما أنا مُنْذِرٌ، وأمركم إلى الله - وهذا قبل الأمر بالقتال -.

[٦٧] ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ﴾ خبر ﴿مُّسۡتَقَرّٞ﴾ وقتٌ يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تهديدٌ لهم.

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن؛ بالاستهزاء ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا﴾ فيه إدغامُ نون «إنْ» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد[٩] ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي: تذكرهِ ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

---

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.

(٢) لحمزة.

(٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمه الله، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير آية (٢٠٢) من سورة البقرة.

(٤) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعًا.

(٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا.

(٨) رواه الترمذي (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا [الدر المنثور (٣٢/٣)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٩٢).

(٩) بفتحها قراءة ابن عامر.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن
تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ
حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ
أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1] الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي: الخائضين ﴿مِّن﴾ زائدةٌ ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تذكرةٌ لهم وموعظةٌ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض.

[٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم. وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ ﴿بِهِۦٓ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِىٌّ﴾ ناصرٌ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تَفْدِ كُلَّ فِداءٍ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تفدي به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ بالغِ نهايةَ الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلمٌ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾ أنعبدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيرًا؛ لا يدري أين يذهب، حالٌ من: الهاء[2] ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ رفقةٌ ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي: ليهدوه الطريق؛ يقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام[3]: للإنكار، وجملة التشبيه: حالٌ من ضمير ﴿نُرَدُّ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي: بأن نسلم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحقًّا. ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو: يوم القيامة؛ يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن؛ النفخة الثانية من إسرافيل، لا مُلْكَ فيه لغيره ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ﴾[4] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

---

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (٣/١٥٥).
(٢) أي: الضمير في: ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾.
(٣) في قوله: ﴿أَنَدْعُوا۟﴾.
(٤) غافر: ١٦.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

[٧٤] ﴿۞ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو: لقبه واسمه: تارخ(١) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٖ﴾ بيِّن.

[٧٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراضٌ وعطفٌ على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أظلم ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗا﴾ قيل: هو الزُّهَرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومه ـ وكانوا نجَّامين ـ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ﴾ أن أتخذهم أربابًا؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال(٢)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا﴾ طالعًا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يثبتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعريضٌ لقومه؛ بأنهم على ضلالٍ؛ فلم ينجع(٣) فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا﴾ ذكَّرَهُ؛ لتذكير خبره(٤) ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة؛ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله ـ من الأصنام والأجرام المُحْدَثَةِ المُحْتاجَةِ إلى مُحْدِثٍ ـ.

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفٗا﴾ مائلًا إلى الدِّينِ القَيِّمِ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام؛ أن تصيبه بسوءٍ إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين(٥) ـ وهي: نون الرفع عند النحاة، و:نون الوقاية عند القراء ـ أتجادلونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ ـ تعالى ـ إليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـهُ ﴿بِهِۦ﴾ من الأصنام؛ أن تصيبني بسوءٍ؛ لعدم قدرتها على شيءٍ ﴿إِلَّآ﴾ لكِنْ ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗا﴾ من المكروه يصيبني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيءٍ ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا؛ فتؤمنون؟.

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله ـ وهي لا تضر ولا تنفع ـ ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗا﴾ حُجَّةً وبرهانًا ـ وهو القادر على كل شيءٍ ـ ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مَن الأحق به؟ أي: وهو: نحن؛ فاتبعوه.

---

(١) ويقرأ بالخاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إن آزر اسمُهُ، وتارخ لَقَبُهُ.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من المجيء والنزول الإلهي وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقصًا فيكون المعنى صحيحًا، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام السلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويُفد.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٢] قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ أي: شِرْكٍ ـ كما فُسِّر بذلك في حديث الصحيحين[1] ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَتِلۡكَ﴾ مبتدأ، ويُبْدَلُ منه: ﴿حُجَّتُنَآ﴾ التي احتجَّ بها إبراهيم على وحدانية الله ـ من أُفُولِ الكوكب وما بعده ـ والخبرُ: ﴿ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه لها؛ حُجَّةً ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالإضافة والتنوين[2]؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٞ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ ابنه ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيۡنَا وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابن مريم؛ يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلۡيَاسَ﴾ ابن أخي[3] هارون؛ أخي موسى ﴿كُلّٞ﴾ منهم ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ اللام زائدةٌ ﴿وَيُونُسَ وَلُوطٗا﴾ ابن هاران؛ أخي إبراهيم ﴿وَكُلّٗا﴾ منهم ﴿فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ عطفٌ على «كُلاًّ» أو «نُوحًا»، و«مِنْ»: للتبعيض؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافرٌ ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

[٨٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ فرضًا ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ الحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ أي: بهذه الثلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى﴾ هُمْ ﴿ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ بهاء السكت وقفًا ووصلاً، وفي قراءة[4]: بحذفها وصلاً ﴿قُل﴾ لأهل مكة: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجۡرًا﴾ تعطونيه ﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ﴾ عظةٌ ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن.

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ؛ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]...» الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فإلياس من ذرية هارون.

(٤) لحمزة والكسائي.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾ أي: اليهود ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظموه حق عظمته: أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ للنبي ﷺ ـ وقد خاصموه في القرآن ـ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ﴾ بالياء والتاء[1] في المواضع الثلاثة[2] ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي: يكتبونه في دَفَاتِرَ مُقَطَّعَةٍ ﴿يُبْدُونَهَا﴾ أي: ما يحبون إبداءه منها ﴿وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مما فيها؛ كنعت محمدٍ ﷺ ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ أيها اليهود؛ في القرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ من التوراة؛ ببيان ما التبس عليكم، واختلفتم فيه ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزله ـ إن لم يقولوه ـ لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾[3].

[٩٢] ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالتاء والياء[4]، عطفٌ على معنى ما قبله؛ أي: أنزلناه للبركة، والتصديق، ولتنذر به ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها[5].

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة؛ ولم يُنَبَّأْ ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ نزلت في مُسَيْلِمَةَ[6] ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ وهم: المستهزئون؛ قالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآۙ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِى غَمَرَٰتِ﴾ سكرات ﴿ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب؛ ويقولون لهم تعنيفًا: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ إلينا؛ لنقبضها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كَذِبًا ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون عن الإيمان بها، وجواب «لَوْ»: لَرَأَيتَ أمرًا فَظِيعًا.

[٩٤] ﴿وَ﴾ يقال لهم ـ إذا بُعِثُوا ـ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاةً عراةً غُرْلًا ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ لله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾[7] وَصْلُكُم؛ أي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب[8]: ظرفٌ؛ أي: وَصْلُكُم بَيْنَكُم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدنيا؛ من شفاعتها.

---

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يبدون»، و«يخفون».

(٣) أخرج الطبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (٧/١٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (٢/١٤٥).

(٤) بالياء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٣/٥٦)]. وقال صاحب الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًّا» (٢/ ١٤٨).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل ﴿تَّقَطَّعَ﴾، و«البين» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد، من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾ و﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾؛ لأن بين الشفيع والمشفوع له اتصالًا، و﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

[٩٥] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ شاقُّ ﴿ٱلْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟!.

[٩٦] ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ بمعنى: الصبح؛ أي: شاقٌّ عمودَ الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجاعِلُ اللَّيْلِ[1] سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ بالنصب: عطفًا على محل ﴿ٱللَّيْلِ﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات، أو الباء محذوفةٌ؛ وهو: حالٌ من مُقَدَّرٍ؛ أي: يجريان بحسبانٍ - كما في آية الرحمن[2] - ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

[٩٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في الأسفار ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيَّنَّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٩٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي: آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾[3] منكم في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة: بفتح القاف؛ أي: مكان قرارٍ لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ما يقال لهم.

[٩٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفاتٌ عن الْغَيْبَةِ ﴿بِهِۦ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات، شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى: أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضًا، كسنابل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبرٌ، ويبدل منه: ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ: ﴿قِنْوَانٌ﴾ عراجين ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبٌ بعضها من بعضٍ ﴿وَ﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ ورقُهما؛ حالٌ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثمرهما ﴿ٱنظُرُوٓا۟﴾ يا مخاطبون[4] نظر اعتبارٍ ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ بفتح الثاء والميم، وبضمهما[5]؛ وهو: جمع «ثَمَرَةٍ» كـ«شَجَرَةٍ» و«شَجَرٍ»، و«خَشَبَةٍ» و«خُشُبٍ» ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَ﴾ إلى ﴿يَنْعِهِۦٓ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - على البعث وغيره ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾ مفعولٌ ثانٍ ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولٌ أولُ، ويبدل منه: ﴿ٱلْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَخَرَقُوا۟﴾ بالتخفيف، والتشديد[6]؛ أي: اختلقوا ﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حيث قالوا: عُزَيْرٌ ابن اللّٰه والملائكة بنات اللّٰه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدًا.

[١٠١] هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثالٍ سبق ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ زوجةٌ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من شأنه أن يُخْلَقَ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥].

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وفي بعض النسخ: «يا مخاطبين» باعتباره نكرة غير معين.

(٥) بالضم لحمزة والكسائي.

(٦) بالتشديد قراءة نافع.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٞ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحِّدُوهُ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾ حفيظٌ.

[١٠٣] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(*) أي: لا تراه، وهذا مخصوصٌ؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٞ يَوْمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[1] وحديث الشيخين «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[2]، وقيل: المراد: لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ أي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علمًا ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ حُجَجٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها؛ فضل ﴿فَعَلَيْهَاۚ﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ﴾ رقيبٍ لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿ٱلْأٓيَٰتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر: ﴿[دَارَسْتَ]﴾[3] ذاكرت أهل الكتاب، وفي قراءة: ﴿دَرَسْتَ﴾ أي: كتب الماضين؛ وجئت بهذا منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٦] ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ أي: القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظٗاۖ﴾ رقيبًا؛ فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٖ﴾ فتجبرهم على الإيمان ـ وهذا[4] قبل الأمر بالقتال ـ.

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾هُمْ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا﴾ اعتداءً وظلمًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٖۗ﴾ أي: جهلًا منهم بالله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر؛ فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٞ﴾ مما اقترحوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿إِنَّهَآ﴾[5] إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالتاء[6] خطابًا للكفار، وفي أخرى: بفتح (أن)؛ بمعنى: لَعَلَّ، أو معمولةٌ لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ نحوِّل قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ أي: بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ...، ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم ـ كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة.

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) أخرج نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضًا ﴿دَرَسَتْ﴾ بمعنى: انمحت.

(٤) أي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإجبار على الإيمان.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلاف عنه.

(٦) لحمزة وابن عامر، ولا يقرأ بالتاء إلا من يقرأ «أن» [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «إن» فيتعين معها الياء في «لا يؤمنون».

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ
عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى
حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟
مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

[١١١] ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ بضمتين؛ جمع ﴿قَبِيل﴾ أي: فوجًا فوجًا، وبكسر القاف وفتح الباء(١)؛ أي: معاينةً؛ فشهدوا بصدقك ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيَٰطِينَ﴾ مَرَدَةَ ﴿ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى﴾ يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ مموهةً من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاء المذكور ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال -.

[١١٣] ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ عطفٌ على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ قلوب ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب؛ فيُعاقَبُوا عليه. ونزل - لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكمًا -: [١١٤] قل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾(٢) أطلب ﴿حَكَمًا﴾ قاضيًا بيني وبينكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبيِّنًا فيه الحقُّ من الباطل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ [مُنَزَّلٌ]﴾ بالتخفيف والتشديد(٣) ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه، والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَتَمَّتْ [كَلِمَاتُ](٤) رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ تمييزٌ ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بنقصٍ أو خلفٍ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾(٥) بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كُلًّا منهم.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: ذبح على اسمه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾

---

(٥) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المِعْوَل ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فندر - أي سقط - ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة. ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الآخر، فبرقت برقة فرآها سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحبشة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

---

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالتخفيف قراءة السبعة عدا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فُصِّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين(١) ﴿لَكُم مَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٢) في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه؛ فهو أيضًا حلالٌ لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم المحرم أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وضمها(٣) ﴿بِأَهْوَائِهِم﴾ بما تهواه أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ علانيته وسره، و«الإثم» قيل: الزنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو ذُبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسمِّ فيه عمدًا أو نسيانًا؛ فهو حلالٌ، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي(٤) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه(٥) ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروجٌ عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾(ه).

[١٢٢] وَنَزَلَ في أبي جهلٍ وغيره: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ «مَثَل»: زائدةٌ؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو: الكافر؟ لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا فُسَّاق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي إلينا؛ لأنا أكثر مالًا، وأكبر سنًّا، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ [رِسَالَاتِهِ]﴾ بالجمع والإفراد(٦)، و«حَيْثُ» مفعولٌ به لفعلٍ دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾ أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلًا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذلٌّ ﴿عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي: بسبب مكرهم.

(ه) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١): أخرج الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقهم في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمدًا لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

[١٢٥] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بأن يقذف في قلبه نورًا؛ فينفسح له ويقبله - كما ورد في حديث(١) - ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد(٢)؛ عن قبوله ﴿حَرِجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء: صفةٌ، وفتحها(٣): مصدرٌ؛ وصفٌ فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وفي قراءة: ﴿يَصَّاعَدُ﴾(٤) وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها(٥) ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان؛ أي: يسلطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال؛ أي: يتعظون، وَخُصُّوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون.

[١٢٧] ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السلام؛ وهي: الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والياء(٦)؛ أي: اللهُ الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ بإغوائكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجنِّ لهم الشهوات، والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم على لسان الملائكة(٧): ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم(٨)؛ فإنه خارجها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾(٩) وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فـ«مَا» بمعنى: «من» ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّى﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ أي: على بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من مجموعكم؛ أي: بعضكم الصادق بالإنس، أو رسل الجن نُذُرُهُمْ الذين يسمعون كلامَ الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا، قال - تعالى -: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن شرح الصدر، فقال: «هُوَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنْفَتِحُ لَهُ...» الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جدًّا؛ فيه عبد الله بن المسور وهو متروك كما قال الدارقطني.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) لشعبة.

(٥) لابن كثير.

(٦) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

(٧) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٨) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورُدَّ بأن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال ﴿مَآ﴾ للعقلاء قليل، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد النقل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود؛ بمعنى: أنه لا ينتفي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم مَوْكُولٌ إلى الله، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قومًا سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فالله أعلم.

(٩) الصافات: ٦٨.

[١٣١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَن﴾ اللام مقدرة، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لم يُرْسَلْ إليهم رسولٌ يبين لهم؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العالمين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ جزاء ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء[1].

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبقاكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَءَاتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ بالفتح والضم[2] ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب اللَّه شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن اللَّه غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لجهته[3] ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾[4] ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿زَيَّنَ﴾، وفي قراءة: ببنائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته[5]، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر[6] - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

(١) بالتاء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المصارف التي شرع اللَّه الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقِرَى الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لآلهتهم وينفقونها في مصالحها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من خَدَمَةِ الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب؛ كالسوائب والحوامي ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ المحرمة؛ وهي: السوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي: النساء ﴿[وَإِنْ تَكُن مَّيْتَةٌ]﴾ بالرفع والنصب(١) مع تأنيث الفعل وتذكيره(٢) ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ﴾ بالتخفيف والتشديد(٣) ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾ بالوأد ﴿سَفَهًۢا﴾ جهلًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مما ذُكِرَ ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾(*).

[١٤١] ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مبسوطات على الأرض؛ كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق؛ كالنخل ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ثَمَرُهُ وَحَبُّهُ في الهيئة والطعم ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ ورقهما، حالٌ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ زَكَاتَهُ ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ بالفتح والكسر(٤)؛ مِنَ الْعُشْرِ(٥) أَوْ نِصْفِهِ(٦) ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بإعطاء كله(٧)؛ فلا يبقى لِعِيالِكُمْ شيءٌ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حَدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ صالحةً للحمل عليها؛ كالإبل الكبار ﴿وَفَرْشًا﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُمِّيَتْ فرشًا؛ لأنها كالفرش للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ العداوة.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سرّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ - إلى قوله -: ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾». البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمزم وجهل العرب.

---

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.

(٣) بالتشديد لابن كثير وابن عامر.

(٤) أي: حاء «حصاده». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.

(٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمطر ونحوه من غير آلة.

(٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.

(٧) قوله: «بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء» ؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

[١٤٣] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾ أصناف؛ بدلٌ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكون[1] ﴿ٱثْنَيْنِۗ قُلْ﴾ يا محمد ـ لمن حرم ذكور الأنعام تارةً وإناثها أخرى، ونسب ذلك إلى الله ـ: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ ذكرًا كان أو أنثى ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتمال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ﴾ بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضورًا ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ التحريم؛ فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئًا ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ بالياء والتاء[2] ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب، وفي قراءة: بالرفع مع التحتانية[3] ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سائلًا بخلاف غيره؛ كالكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ﴾ إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ أي: ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذُكِرَ فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾[4] ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، ويلحق بما ذُكِرَ بالسُّنَّةِ كُلُّ ذي ناب من السباع ومخلب من الطير.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الثروب[5]، وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ الأمعاء، جمع حاوياء، أو حاوية ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ منه؛ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾ بسبب ظلمهم ـ بما سبق في سورة النساء[6] ـ ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

---

(١) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالتاء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقراءة الرفع مع الفوقانية وليس مع التحتانية كما ذكر المصنف، وهي لابن عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سورة البقرة آية (١٧٣).

(٥) جمع «ثرب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

[١٤٧] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُل﴾ لهم: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عَذَابُهُ إذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به، قال - تعالى -: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بأن اللَّه راضٍ بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

[١٤٩] ﴿قُلْ﴾: إن لم يكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ التَّامة ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي حرمتموه ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون.

[١٥١] ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَ﴾ نْ، مُفَسِّرَة ﴿لَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾ بالوأد ﴿مِّنْ﴾ أجل ﴿إِمْلَاقٍ﴾ فقرٍ تخافونه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: علانيتها وسرها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كَالْقَوْدِ، وَحَدِّ الرِّدَّةِ، وَرَجْمِ المُحْصَنِ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(*) تتدبرون.

(*) فائدة: أخرج الحاكم في مستدركه (٢/٣٤٨) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أيكم يبايعني على ثلاث؟» - ثم تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حتى فرغ من الآيات - فمن وفَّى فأجره على اللَّه، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه اللَّه به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أُخر إلى الآخرة فأمره إلى اللَّه، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أيضًا محمد ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/٦١٥).

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ بأن يحتلم(*) ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك؛ فإن أخطأ في الكيل والوزن ـ والله يعلم صحة نيته ـ؛ فلا مؤاخذة عليه؛ كما ورد في حديث[1]. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾ بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد تتعظون[2] والسكون.

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح؛ على تقدير اللام، والكسر استئنافًا[3] ﴿هَٰذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذفُ إحدى التاءين؛ تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(**).

[١٥٤] ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بيانًا ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أنزلناه.

[١٥٦] لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ لعدم معرفتنا لها؛ إذْ لَيسَتْ بلُغتِنا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لجودة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ بيانٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

(*) ما جاء في نزول الآية (١٥٢): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية. انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه. سبق تخريجه عند الآية (٢٢٠) من سورة البقرة.

(**) فائدة: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾. مسند أحمد (١/٤٦٥، ٤٣٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤١٤٢)، وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١١).

---

(١) أخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال: تلا رسول الله ﷺ ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال: من أوفى على يديه في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها [الدر المنثور (٣/١٠٥)].

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ ابن عامر بالفتح مع سكون النون.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء[1] ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه[2] ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين[3] ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسًا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾(*) طاعة؛ أي: لا تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ أَحَدَ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فرقًا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَارَقُوا﴾[4] أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئًا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيمًا[5] ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿وَمَحْيَاىَ﴾ حياتي ﴿وَمَمَاتِى﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ إلهًا؛ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾ مالك ﴿كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنبًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضًا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌۢ﴾ بهم.

* * *

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٢) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نثبتها له ونؤمن بها على الوجه اللائق به - سُبْحَانَهُ -، ولا يشبه إتيانه إتيان المخلوقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٣) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

(٤) لحمزة والكسائي.

(٥) وهذا التفسير على القراءة بالتشديد، وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «قِوَم» كـ«عِوَض»، فَأُعِلَّ لإعلال فِعْلِهِ كالقيام.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

[مكية إلا ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الثمان أو الخمس آيات، مائتان وخمس أو: ست آيات، نزلت بعد (ص)][*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾ أي: للإنذار ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٣] قل لهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته - تعالى - ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء والياء[(١)]: تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة: بسكونها[(٢)]، و﴿مَّا﴾ زائدة؛ لتأكيد القلة.

[٤] ﴿وَكَم﴾ خبرية، مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ نائمون بالظهيرة؛ والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم؛ أي: مرة جاءها ليلاً، ومرة جاءها نهارًا. [٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

[٦] ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم عن إجابتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا.

[٨] ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان - كما ورد في حديث[(٣)] - كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم السؤال المذكور؛ وهو: يوم القيامة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ العدل، صفة الوزن ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياء[(٤)]؛ أسبابًا تعيشون بها، جَمْعُ مَعِيشَةٍ ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سُجود تحيَّةٍ بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن؛ كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

(*) فائدة: أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصار؟ وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولى الطوليين». البخاري - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرجه أبو داود وزاد: «قال - أي ابن أبي مليكة راوي الحديث - : قلت: وما طولى الطوليين؟ قال: - أي عروة بن الزبير الراوي عن مروان -: الأعراف، والأخرى الأنعام». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٣٢) قدر القراءة في المغرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٢٨).

(١) قوله: «بالتاء»؛ أي: مع تشديد الذال بعدها، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقوله: «والياء»؛ أي: قبل التاء مع تخفيف الذال، وهي قراءة ابن عامر.

(٢) هكذا في النسخ المطبوعة التي بأيدينا، وهو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «بتخفيفها»؛ أي الذال، وحاصله: أن في ﴿تذكرون﴾ ثلاث قراءات سبعية هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها، و«يتذكرون» بياء قبل التاء.

(٣) أخرج ابن المنذر واللالكائي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان.
وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان يوزن، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنازلهم في الجنة بما كانوا بآياتنا يظلمون [الدر المنثور (١٢٩/٣)]، وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، ولم أقف على حديث مرفوع فيه ذكر اللسان.

(٤) أي: باتفاق القراء؛ لأن الياء أصلية.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ ـ تعالى ـ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾نْ ﴿لَّا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ الذَّليلِينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾ أخرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[1] أي: يوم النفخة الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي؛ و«الباء» للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله ـ تعالى. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بالهمزة؛ معيبًا أو ممقوتًا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسم؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿وَ﴾ قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في ﴿ٱسْكُنْ﴾ ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء، بالمد ﴿ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها؛ وهي: الحنطة[2] ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾ فُوعِلَ؛ من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ وقرئ بكسر اللام[3] ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[4].

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ حَطَّهُمَا عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما قُبُلُهُ وَقُبُلُ الآخر وَدُبُرُهُ، وَسُمِّيَ كل منهما سوأة؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنُ العداوة، والاستفهام للتقرير.

---

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودًا لا ينبغي الانشغال به ـ كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذَّة.

(٤) طه: ١٢٠.

[٢٣] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ أي: آدم وحواء؛ بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضًا ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: مكانُ استقرارٍ ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقضي فيه آجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا [تَخْرُجُونَ]﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول[١].

[٢٦] ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي: خلقناه لكم[٢] ﴿يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب[٣] عطف على ﴿لِبَاسًا﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ يضلنكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه؛ فتفتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ بفتنته ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ﴾ أي: الشيطان ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ لِلَطافةِ أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعوانًا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ فاقتدينا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضًا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدرًا ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئًا ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

---

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي ينبت به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صنعته. وقيل: المعنى: قضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاياه ـ سُبْحَانَهُ ـ مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف؛ فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصوافها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأقربُ. وفي الآية إثبات صفة عُلُوِّهِ ـ جل وعلا ـ فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر ـ عفا الله عنه ـ إثباته موافقة لمذهبه الأشعري. ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (١٢/٢٤٦ ـ ٢٥٧).

(٣) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم(*) ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكارًا عليهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب(١)، حال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون؛ فإنهم المنتفعون بها.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾ على الناس ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ تكبروا ﴿عَنْهَآ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ حظهم ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ﴾ لهم تبكيتًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرني تطوافًا تجعله على فرجها؟ وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم ـ كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(١) بالرفع قراءة نافع.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ ـ تعالى ـ لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق بـ﴿ادْخُلُوا﴾. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها؛ لضلالها بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ أي: لأجلهم[1]؛ وهم: المتبوعونَ: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضعَّفًا ﴿مِّنَ النَّارِ قَالَ﴾ ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مُضعَّفٌ ﴿وَلَٰكِن لَّا [يَعْلَمُونَ]﴾ بالياء والتاء[2]، ما لكل فريق.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا؛ فنحن وأنتم سواء، قال ـ تعالى ـ لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا عُرِجَ بأرواحهم إليها بعد الموت، يهبط بها إلى «سجين»، بخلاف المؤمن، فتفتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة؛ كما ورد في حديث[3]، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر، [٤١] ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره؛ وهو: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب ﴿لَوْلَا﴾ لدلالة ما قَبْلَهُ عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن﴾ مخففة؛ أي: أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[*].

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(*) فائدة: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلم ـ كتاب الجنة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة.

(١) وفي نسخة «لأجِلَّائهم».

(٢) بالياء قراءة شعبة.

(٣) روى أحمد (٨٥٥١)، والنسائي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ. وإذا كان الرجل السوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء؛ فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر». والحديث أصله في الصحيحين وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٣٧).

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريرًا أو تبكيتًا: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾ كُمْ ﴿رَبُّكُمۡ﴾ من العذاب ﴿حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ نادى منادٍ ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ بين الفريقين أسمعهم: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجٗا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَبَيۡنَهُمَا﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٞۚ﴾ حاجز، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٞ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم؛ كما في الحديث[1] ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ بعلامتهم؛ وهي: بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عالٍ ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ قال - تعالى -: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا﴾ أي: أصحابُ الأعرافِ الجنةَ ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»[2].

[٤٧] ﴿۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿تِلۡقَآءَ﴾ جهة ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا﴾ في النار ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ﴾ من النار ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾ المالَ، أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أي: واستكبارَكم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين: [٤٩] ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ قد قيل لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ وقُرِئَ: «أُدْخِلُوا» بالبناء للمفعول، و«دَخَلُوا»[3] فجملة النفي حال؛ أي: مقولاً لهم ذلك[4].

[٥٠] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

[٥١] ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ بتركهم العملَ له ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ أي: وكما جحدوا.

---

(١) أخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾». والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة [الدر المنثور (١٦٢/٣)].

(٢) الحاكم (٣٢٠/٢)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراءتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يُعبر في الشاذ في الغالب «بقرئ»، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أي وعلى هاتين القراءتين؛ فالجملة المنفية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولًا لهم: لا خوف...» اهـ.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ أي: أهل مكة ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيّناه بالأخبارِ والوعدِ والوعيدِ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالٌ؛ أي: عالمين بما فُصِّل فيه ﴿هُدًى﴾ حالٌ من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك؛ فيقال لهم: لا.

قال - تعالى -: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من دعوى الشريك.

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قَدْرِها؛ لأنه لم يكن ثَمَّ شمسٌ، ولو شاء خلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواءً يليق به[١] ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ مخففًا ومشددًا[٢]؛ أي: يُغطِّي كُلاًّ منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما بالآخر طلبًا ﴿حَثِيثًا﴾ سريعًا ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والرفع مبتدأ خبره: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾[٣] مُذَلَّلاتٍ ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقدرته[٤] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعًا ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظَمَ ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حالٌ؛ تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًّا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء؛ بالتشدق ورفع الصوت.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين، وتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾ المخبر به عن ﴿رَحْمَتَ﴾ لإضافتها إلى الله.

[٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ [نُشُرًا][٥] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: متفرقة قُدَّامَ المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفًا[٦]، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدرًا[٧]، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون[٨]؛ أي: مبشرًا، ومفرد الأولى: «نشور» كـ«رسول»، والأخيرة[٩]: «بشير» ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به؛ أي: لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون.

---

(١) إن كان المصنف يريد بذلك تفويض كيفية الاستواء فهذا حق، كما قال مالك: «... والكيف مجهول»، وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول، فيكون فرارًا من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش؛ إذ إن كلام السلف في معنى الاستواء أنه العلو والارتفاع والاستقرار.

(٢) بتشديد الشين، ولازمه فتح الياء قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) بالرفع في الأربع الكلمات قراءة ابن عامر.

(٤) وهذا صرف للفظ عن ظاهره، وتعطيل لصفة الأمر، والمراد منه كلام الله وحكمه، وهو غير القدرة.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) لابن عامر.

(٧) لحمزة والكسائي.

(٨) وهي قراءة عاصم.

(٩) في نسخة مطبوعة: «والآخرة».

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسنًا ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ هذا مَثَلٌ للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عَسِرًا بمشقة، وهذا مَثَلٌ للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّنَّا ما ذُكِرَ ﴿نُصَرِّفُ﴾ نُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ اللَّه فيؤمنون.

[٥٩] ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ [غَيْرِهِ]﴾ بالجر[1] صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾، وبالرفع بدل من محله ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عَبَدْتُمْ غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّنٍ.

[٦١] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ هي أعم من الضلال؛ فنفيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٦٢] ﴿[أُبْلِغُكُمْ]﴾[2] بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ﴾ أريدُ الخيرَ ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٦٣] ﴿أَ﴾ كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ اللَّه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بها.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من الغرق ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالطُّوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق.

[٦٥] ﴿۞ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى[3] ﴿أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوهُ ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافونه فتؤمنون.

[٦٦] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في رسالتك.

[٦٧] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي اللَّه هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠]، وأما عاد الآخرة، وهم المعنيون بـ «عاد» عند الإطلاق - فهم «ثمود» قوم نبي اللَّه صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مأمونٌ على الرسالةِ.

[٦٩] ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ﴾ قوةً وطولاً، وكان طَويلُهُمْ مائةَ ذراعٍ وقَصيرُهُمْ ستينَ[١] ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ اللَّهِ﴾ نِعَمَهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

[٧٠] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصنامًا تعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾ حجة وبرهان ﴿فَانتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ ذلك بتكذيبكم لي؛ فأرسلت عليهم الريح العقيم.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: هودًا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ أي: استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على ﴿كَذَّبُواْ﴾.

[٧٣] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بترك الصرف[٢]؛ مرادًا به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾ حالٌ، عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عيَّنوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ اللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعقرٍ أو ضربٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ اللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

---

(١) تحديد طول أطولهم وأقصرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالمنع من الصرف؛ للعلمية والتأنيث.

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

[٧٤] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدرة[1] ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ تكبَّروا عن الإيمانِ به ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُوا﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم؛ فملُّوا ذلك.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها «قُدَار»[2] بأمرهم؛ بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الرُّكَب ميتين.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

[٨٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا﴾ وَيُبْدَلُ مِنْهُ: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

[٨١] ﴿[أَئِنَّكُمْ]﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما على الوجهين، وفي قراءة: ﴿إِنَّكُمْ﴾[3] ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحلالَ إلى الحرام.

(١) أي تنحتونها مقدَّرين جعلها بيوتًا لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة عدا نافع وحفص بهمزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفًا فيمد، وهشامًا يدخل بين الهمزتين ألفًا مع تخفيفهما، بخلاف عنه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير وموافقة قالون لأبي عمرو وهشام.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هو حجارة السجيل؛ فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صِدْقِي ﴿فَأَوْفُواْ﴾ أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ﴾ تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ﴾ ببعث الرسل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناسَ بأخذ ثيابهم أو المَكس[1] منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًاۚ﴾ معوجة ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيب رسلهم؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

[٨٧] ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ به ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعدلهم.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

(١) المَكْس (بفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجباية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. و«المَكَّاس»: هو آخذها.
وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم الغامدية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْس لغفر له...». وفي هذا دليل على عِظم هذا الذنب وأن المكس من أقبح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مُطالبات الناس له وظِلاماتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.
وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: «لا يدخل الجنة صاحب مَكْس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

[٨٨] ﴿۞قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾ ديننا، وَغَلَّبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعيبًا لم يكن في ملتهم قطُّ، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَ لَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ لها؟! استفهام إنكار.

[٨٩] ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الرُّكَبِ ميتين ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ مبتدأ وخبره: ﴿كَأَن﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

[٩٢] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي[1].

[٩٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ بشدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ كثروا ﴿وَّقَالُوا۟﴾ كفرًا للنعمة: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

(١) أي: لن أحزن عليكم.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد[١] ﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ غافلون عنه.

[٩٨] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجَهُ إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة[٢] ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ فاعل، مخففة واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف، وفي قراءة: بسكون الواو في الموضع الأول[٣] عطفًا بـ﴿أَوْ﴾ ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة سماع تدبر.

[١٠١] ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي: الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق[٤] ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من إهلاكهم.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك.

---

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ، وهي فيما سيقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

[١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي: بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء(١)، فـ﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿أَن﴾ وما بعده.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وكان استَعْبَدَهُم.

[١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيها.

[١٠٧] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حية عظيمة.

[١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع(٢) ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة(٣).

[١٠٩] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه؛ فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور.

[١١٠] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

[١١١] ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ جامعين.

[١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَّارٍ﴾(٤) ﴿عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر؛ فجمعوا.

[١١٣] ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ [أَئِنَّ]﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين(٥) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

[١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ما معنا.

[١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

[١١٧] ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلَقَّفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل(٦)؛ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقلبون بتمويههم.

[١١٨] ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.

[١١٩] ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ صاروا ذليلين.

[١٢٠] ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

---

(١) مع فتحها، أي: ياء ﴿عَلَيَّ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمرة.

(٤) لحمزة والكسائي.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع، فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهمزة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تتلقف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.

[١٢١] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

[١٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا[١] ﴿بِهِۦ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني.

[١٢٤] ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٥] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة.

[١٢٦] ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به؛ لئلا نرجع كفارًا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

[١٢٧] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ وكان صنع لهم أصنامًا صغارًا يعبدونها، وقال: «أنا ربكم وربها»؛ ولذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد والتخفيف[٢] ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَنَسْتَحْيِۦ﴾ نستبقي ﴿نِسَآءَهُمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ قادرون؛ ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله.

[١٢٩] ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها.

[١٣٠] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ بالقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

---

(١) وهي قراءة نافع والنبري وأبي عمرو وابن عامر؛ حيث قَرَأُوا بهمزة مخففة وبعدها همزة بين بين، وبعدها ألف بدل من الساكنة، وكذلك قرأ قنبل إذا ابتدأ بها، أما في الوصل فيقرأ بواو بدل من الهمزة الأولى؛ لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة، وخفف الثانية بين بين إرادة التخفيف، وقرأ حفص بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بهمزتين محققتين بعدهما ألف، وكذلك في موضع طه والشعراء.

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ
مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ
ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ
﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا
مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا
غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ
مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا
مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الخصب والغنى ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا۟﴾ لموسى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من القُرادِ[1] فتتبع ما تركَهُ الجراد ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر الْمَلِح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها[3]؛ يرفعون من البنيان.

(١) وقيل: هو القمل المعروف.
(٢) القصص: ٥.
(٣) بالضم قراءة شعبة وابن عامر.

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَجَٰوَزۡنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرها[1] ﴿عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ صنمًا نعبده ﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ﴾ هالك ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ معبودًا، وأصله: أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله:

[١٤١] ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾ وفي قراءة: ﴿أَنجاكُمْ﴾[2] ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أشده؛ وهو: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء والعذاب ﴿بَلَآءٞ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ أفلا تتعظون فتنتهوا عما قلتم؟.

[١٤٢] ﴿۞وَوَٰعَدۡنَا﴾ بألف ودونها[3] ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ نُكَلِّمُهُ عند انتهائها؛ بأن يصومها؛ وهي: ذو القعدة؛ فصامها، فلما تمت أنكر خُلُوفَ فَمِهِ[4]؛ فاستاك؛ فأمره الله بعشرة أخرى ليُكَلِّمَهُ بِخُلُوفِ فَمِهِ؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ حالٌ ﴿لَيۡلَةٗۚ﴾ تمييزٌ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة: ﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ أَمْرَهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلامًا سمعه من كل جهة[5] ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: لا تقدر على رؤيتي، والتعبير به دون «لَنْ أُرَى» يفيد إمكان رؤيته ـ تعالى ـ ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ أي: تثبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي: ظهر من نوره قَدْرُ نِصْفِ أَنْمُلَةِ الخنصر؛ كما في حديث صححه الحاكم[6] ﴿لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ بالقصر والمد[7]؛ أي: مدكوكًا مستويًا بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ مغشيًا عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في زماني.

---

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) لابن عامر.

(٣) بدون ألف قراءة أبي عمرو.

(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعًا. [الدر المنثور (٣/٥٣٦)].

(٥) وهذا فرار من المفسر من إثبات الجهة والعلو بذاته ـ سُبْحَانَهُ ـ، كما هو منهج الأشاعرة، وأما عند أهل السنة: فهم مجمعون على إثبات هذا العلو، ومنهم من يثبت الجهة لكن يقصدون بذلك إثبات العلو، ومنهم من قال في الجهة والمكان: لا ينبغي إثباتهما ولا نفيهما مطلقًا. يعني يستفصل القائل بذلك عن مراده؛ فإن أراد نفي العلو أو غيره من المعاني الباطلة ردَّ قوله، وإن أراد بذلك إثبات العلو، وافقناه، وهذا هو الصحيح ـ إن شاء الله.

(٦) المستدرك (٢/٣٢٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.
وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) عن أنس مرفوعًا ذكر أنملة الإصبع، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٨).
وفي ظلال الجنة (٤٨١) (أنه أخرج طرف الخنصر)، وصححه الألباني.
وفي ظلال الجنة (٤٨٠) (وضع إبهامه على قريب من طرف أنملته)، وصححه الألباني.

(٧) بالمد قراءة حمزة والكسائي.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ بالجمع والإفراد[1] ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لأنعمي.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من سدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعةً أو عشرةً[2] ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾ تبيينا ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ بدلٌ من الجار والمجرور قبْلَهُ ﴿فَخُذۡهَا﴾ قبله «قلنا» مقدرًا ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه؛ وهي: مصر؛ لتعتبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بأن أخْذُلَهُمْ؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ يسلكوه ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ تقدم مِثْلُهُ.

[١٤٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتۡ﴾ بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡۚ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم[3]؛ لعدم شرطه ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿يُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعِلَّةِ عُرْسٍ[4]؛ فبقي عندهم ﴿عِجۡلٗا﴾ صاغه لهم منه السامريُّ ﴿جَسَدٗا﴾ بدلٌ؛ لحمًا ودمًا ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي: صوت يسمع؛ انْقَلَبَ كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أَثَرَهُ الحَيَاةُ فيما يُوضَعُ فيه[5]، ومفعول ﴿ٱتَّخَذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: إلهًا ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ فكيف يتخذ إلهًا؟! ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهًا ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ باتخاذه.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوۡاْ﴾ علموا ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما[6] ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾

---

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا لحديث أنس بن مالك مرفوعًا عند مسلم وغيره «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة؛ يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة. أما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها». رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الحلي ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿حُلِيِّهِمۡ﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [طه: ٨٧] بإضافة الزينة إلى غيرهم وهم القبط يُعكر على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم في أنفسهم، وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقى عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام. [الدر المنثور (٣/ ٢٣٤)].

(٦) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الياء يكون ﴿رَبُّنَا﴾ مرفوعًا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبًا على النداء.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ ها ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ خلافتكم هذه؛ حيث أشركتكم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾[*] ألواح التوراة غضبًا لربه؛ فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره بيمينه، ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غضبًا ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم[1] وفتحها؛ أراد: أمي، وَذِكْرُهَا أَعْطَفُ لقلبه ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ﴾ تُفْرِحْ ﴿بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِى﴾ أَشْرَكَهُ في الدعاء؛ إرضاءً له ودفعًا للشماتة به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ عذابٌ[2] ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فعذبوا؛ بالأمر بقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذِّلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ على الله؛ بالإشراك وغيره.

[١٥٣] ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟﴾ رجعوا عنها ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها؛ أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول؛ لتقدمه.

[١٥٥] ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره - تعالى - ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجلَ؛ فخرج بهم ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل. قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة[3]، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾؟ استفهام استعطاف؛ أي: لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِىَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

(*) فائدة: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة؛ إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت». المسند (١/٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

---

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٢) تأويل الغضب من الله بالعذاب هذا مذهب المعطلة، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها استحقاقهم العذاب.

(٣) أخرج عبد بن حميد وابن أبي عمر العدني في مسنده وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا بالعجل ولم ينهوا عنه. قلت: ولكن أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف البكالي ما يفيد أنهم هم الذين سألوا الرؤية. انظر: [الدر المنثور (٣/٢٣٨، ٢٣٩)].

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

[١٥٦] ﴿۞ وَٱكْتُبْ﴾ أوجب[1] ﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَ ۚ قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ عمّت ﴿كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ محمدًا ﷺ ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾ الشدائد ﴿ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ كقتل النفس من التوبة، وقطع أثر النجاسة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقّروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: القرآن ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٨] ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون.

[١٥٩] ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم.

(١) وفيه إثبات لصفة الكتابة له سبحانه - على الوجه اللائق به، كما سبق التنبيه عليه.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَۙ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

[١٦٠] ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حالٌ ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدلٌ منه؛ أي: قبائل ﴿أُمَمًاۚ﴾ بدلٌ مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ﴾ فضربه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التيه، من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ﴾(٥) هما الترنجبين[١] والطير السماني ـ بتخفيف الميم والقصر ـ وقلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾: أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء مَبْنِيًّا للمفعول[٢] ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم(٥٥) ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا محمد توبيخًا ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مجاورةَ بحرِ القلزم؛ وهي: «أيلة»، ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ﴿يَعْدُونَ﴾ ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَۙ﴾ لا يعظمون السبت؛ أي: سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْۚ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثًا؛ ثلث صادوا معهم، وثلث نَهَوْهُمْ، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

---

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الكَمْأة من المنِّ الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين». مسلم ـ كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٨) فضل الكمأة ومداواة العين بها.

(٥٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة حبة من شعير». البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الأعراف (٧).

---

(١) وهو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج.

(٢) بالتاء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿خَطِيٓـَٔتُكُمْ﴾ بالإفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقين لكنه قرأ ﴿خَطَٰيَٰكُمْۚ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر لخطيئة، كالذي في سورة البقرة.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطفٌ على ﴿إِذْ﴾ قَبْلَهُ ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾: موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيدَ.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِۦ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبَّرُوا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ صاغرين؛ فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فُعِلَ بالفرقة الساكتة.

وقال عكرمة: لم تهلك؛ لأنها كرهت ما فَعَلُوهُ، وقالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ إلخ. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه[1].

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم[2] ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بالذُّلِ وَأَخْذِ الجزية؛ فبعث عليهم «سليمان»، وبعده «بختنصر» فقتلهم وَسَبَاهُمْ وَضَرَبَ عليهم الجزية؛ فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بُعِثَ نَبِيُّنَا ﷺ؛ فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فِرَقًا ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناسٌ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الكفارُ والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ﴾ بالنِّعَم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ النِّقَم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فِسْقِهِمْ.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء؛ أي: الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملةُ حالٌ؛ أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراةِ وَعْدُ المغفرةِ مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهامُ تقريرٍ ﴿عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يُؤْخَذْ﴾؛ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلِمَ كَذَبُوا عليه بنسبة المغفرةِ إليه مع الإصرار؟! ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرامَ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء[3]، أنها خير؛ فيؤثرونها على الدنيا.

[١٧٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف[4] ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ أي: أجرهم.

---

(١) الحاكم (٢/٣٥٢)، وقال في التلخيص: صحيح، وأخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عكرمة، وأخرج نحوه أيضًا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة [الدر المنثور (٣/٢٥٢، ٢٥٣)].

(٢) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلم ربك أسلافهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة شعبة.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

[١٧١] ﴿۞وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم؛ بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراةِ، وكانوا أبَوْهَا لِثِقَلِهَا؛ فَقَبِلُوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدلُ اشتمالٍ مما قبله؛ بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صُلْبِ بعضٍ من صلب آدم، نسلاً بعد نسلٍ؛ كَنَحْوِ ما يتوالدون كالذر بـ«نَعمان» يوم عرفة[١]، ونصب لهم دلائل على ربوبيته، وَرَكَّبَ فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآ ۛ﴾ بذلك؛ والإشهاد لـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَقُولُوا۟﴾ بالياء والتاء[٢] في الموضعين؛ أي: الكفار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ﴾ لا نعرفه.

[١٧٣] ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تُعَذِّبُنَا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا؛ بتأسيس الشرك؛ المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائمٌ مقامَ ذِكْرِهِ في النفوس.

[١٧٤] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نُبَيِّنُهَا مِثْلَ ما بيَّنَّا الميثاقَ؛ ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

[١٧٥] ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره؛ كما تخرج الحية من جلدها؛ وهو: «بلعم بن باعوراء» من علماء بني إسرائيل[٣]، سُئِلَ أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء؛ فدعا فانقلب عليه[٤]؛ واندلع لسانه على صدره[٥] ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ سَكَنَ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الدنيا، وَمَالَ إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ﴾ في دعائه إليها؛ فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ صِفَتُهُ ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطَّرد والزَّجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يَدْلَعْ لسانَهُ ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك؛ وجملتا الشرط حالٌ؛ أي: لاهثًا ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضعِ والخِسَّة؛ بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى، وبقرينة قوله: ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المَثَلُ ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرون فيها؛ فيؤمنون.

[١٧٧] ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي: مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب.

[١٧٨] ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

---

(١) أخرج أحمد في المسند (٢٧٢/١) عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أخذ اللّه الميثاق من ظهر آدم بنَعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قُبُلًا قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾. وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريجه على المسند (٢٤٥٥): إسناده صحيح، وصحح الألباني إسناده في المشكاة (١٢١)، وفي تعليقه على الطحاوية (٢١٩) ونَعمان بالفتح: وادٍ في طريق الطائف يخرج إلى عرفات.

(٢) بالتاء قراءة أبي عمرو، والموضع الثاني المشار إليه هو قوله ـ تعَالَى ـ: ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا﴾.

(٣) أخرجه النسائي في تفسيره (٥١٠/١)، والطبري في جامع البيان (٨٢/٩)، والطبراني في الكبير (٢١٩/٩)، والحاكم في المستدرك (٣٢٥/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥/٧): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٦٦/٣). وفي الآية أقوال أخر، فقيل: هو أمية بن أبي الصلت، كما أخرجه النسائي في تفسيره (٥٠٨/١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٦/٥) عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللّه عنهما ـ بسند صحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥/٧). وقيل غير ذلك.
وبلعام هذا قيل: هو عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: كان نبيًا في بني إسرائيل.

(٤) ورد ذكر ذلك فيما رواه ابن جرير وأبو الشيخ عن المعتمر (يحدث عن سيار) (الدر المنثور ٢٦٨/٣).

(٥) قوله: (واندلع لسانه على صدره) أخرجه الطبري (١٥٤٢٢) عن سالم بن أبي النضر. قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٦]: اختلف المفسرون في معناه، فعلى سياق ابن إسحاق عن سالم عن أبي النضر أن بلعامًا اندلع لسانه على صدره، فتشبيهه بالكلب في لهيثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر، وقيل معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيثه في حالتيه؛ إن حملت عليه وإن تركته هو يلهث في الحالين، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه...». (تفسير ابن كثير ٢٥٦/٢).

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحقَّ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائلَ قدرةِ اللهِ؛ بصرَ اعتبارٍ ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ الآياتِ والمواعظَ سماعَ تدبرٍ واتعاظٍ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام؛ لأنها تَطْلُبُ مَنَافِعَهَا وَتَهْرَبُ من مَضَارِّهَا، وهؤلاء يقدمون على النار معاندةً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الواردُ بها الحديثُ[1]، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مؤنث «الأحسن» ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ سَمُّوهُ ﴿بِهَا ۖ وَذَرُوا۟﴾ اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد[2]؛ يميلون عن الحق ﴿فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ حيث اشتقوا منها أسماءً لآلهتهم؛ كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاءَ ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث[3].

[١٨٢] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآنِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[١٨٣] ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ شديدٌ لا يطاقُ.

[١٨٤] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ الإنذارِ.

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ﴾ مُلْكِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ بيان لـ﴿مَآ﴾؛ فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ﴾ قَرُبَ ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفارًا؛ فيصيروا إلى النار؛ فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٦] ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون، مع الرفع[4] استئنافًا، والجزم عطفًا على محل ما بعد الفاء ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيرًا.

[١٨٧] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى تكون ﴿عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها ﴿لِوَقْتِهَآ﴾ اللام بمعنى: في ﴿إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ﴾ عَظُمَتْ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على أهلها؛ لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عنده ـ تعالى ـ.

(١) بل الأسماء أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ؛ كما في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ...» وفيه: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...» الحديث [رواه أحمد برقم (٣٧٠٤ - ٤٣٠٦)]. وأما حصر الأسماء في التسعة وتسعين في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره؛ فلم يصح.

(٢) يشير إلى القراءتين فيها، فبفتح الحاء قرأ حمزة، من «لَحَدَ» الثلاثي.

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون ويأخذون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩]. [الدر المنثور (٣/٢٧٢)].

(٤) بالنون مع الرفع قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وبالياء مع الجزم قراءة حمزة والكسائي.

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

[١٨٨] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ من فقر وغيره؛ لاحترازي عنه باجتناب المضارّ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿۞ هُوَ﴾ أي: الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النطفةُ ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ ذهبت وجاءت؛ لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمةً[1] ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولدًا ﴿صَٰلِحًا﴾ سويًّا ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولدًا ﴿صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنوين[2]؛ أي: شريكًا ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبدًا إلا لله، وليس بإشراك في العبودية؛ لعصمة آدم[3].

وروى سمرة عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ - وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ -، فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعِيشُ؛ فَسَمَّتْهُ؛ فَعَاشَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ»[4] [رواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب]. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة مسببة عطف على ﴿خَلَقَكُم﴾ وما بينهما اعتراضٌ.

[١٩١] ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

[١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءًا؛ من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ.

[١٩٣] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد[5] ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ عن دعائهم، لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثم بيَّن غايةَ عجزهم وفضلَ عابديهم عليهم فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾ جمع يد ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ﴾ استفهام إنكاري؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون؛ فإني لا أبالي بكم.

---

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي واهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مُسْلِمَةِ أهل الكتاب، وتَقَبُّل ثلة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئًا كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي اختاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والربوبية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، ويبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعول عليه، فقوله - تعالى -: ﴿جَعَلَا لَهُۥ﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هذا قوله - تعالى - بعدها: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا...قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رَحِمَهُ اللَّهُ - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ا هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتخفيف قراءة نافع.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بحفظه.

[١٩٧] ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم.

[١٩٨] ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾.

[١٩٩] ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ بالمعروف ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾(٥) فلا تقابلهم بسَفَهِهِمْ.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي: إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل.

[٢٠١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ﴾ أصابهم ﴿[طَيۡفٌ]﴾(١) وفي قراءة: ﴿طَٰٓئِفٞ﴾ أي: شيءٌ أَلَمَّ بهم ﴿مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ عقابَ اللهِ وثوابَه ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ الحقَّ من غيره؛ فيرجعون.

[٢٠٢] ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾ أي: الشياطين ﴿فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ﴾ هم ﴿لَا يُقۡصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر؛ كما تبصر المتقون.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم﴾ أي: لأهل مكة ﴿بِـَٔايَةٖ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُواْ لَوۡلَا﴾ هَلَّا ﴿ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ أنشأتها من قِبَلِ نفسك ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿بَصَآئِرُ﴾ حججٌ ﴿مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ نَزَلَتْ في تَرْكِ الكلام في الخُطْبَةِ(٢)، وعَبَّرَ عنها بالقرآن؛ لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقًا(٣).

[٢٠٥] ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ أي: سرًّا ﴿تَضَرُّعٗا﴾ تذللاً ﴿وَخِيفَةٗ﴾ خوفًا منه ﴿وَ﴾ فَوقَ السِّرِّ ﴿دُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: قصدًا بينهما ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ أي: يخصونه بالخضوع والعبادة؛ فكونوا مثلهم.

* * *

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ـ وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراءُ أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا ـ فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذنْ لي عليه. قال: سأستأذنُ لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزْل، ولا تحكم بالعدْل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الأعراف (٧) باب (٥)، ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾.

(١) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أخرج نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضًا ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإنصات للقراءة في الصلاة وللخطبة على السواء. [الدر المنثور (٢٨٧/٣)]، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩)، والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح بمجموعها عن مجاهد.

(٣) ويدخل في ذلك دخولًا أوليًا متأكدًا الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.

سُورَةُ الأَنفَالِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الأَنفَالِ

[مدنية، أو: إلا ﴿وإذ يمكر بك﴾ الآيات السبع؛ فمكية، خمس أو ست أو سبع وسبعون آية، نزلت بعد البقرة][*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا القتال.

وقال الشيوخ: كنا ردءًا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفئتم إلينا؛ فلا تستأثروا بها.

[١] فنزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ يقسمها بأمر الله[**]؛ فقسمها ﷺ بينهم على السواء» [رواه الحاكم في المستدرك][١] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: حقيقة ما بينكم؛ بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًّا. [٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمانَ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ تصديقًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون، لا بغيره. [٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقًا بلا شك ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ الخروجَ، والجملة حال من كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾ و﴿كَمَآ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الحال في كراهتهم لها مثلُ إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرًا لهم؛ فكذلك أيضًا، وذلك أن أبا سفيان قدم بِعِيرٍ من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابُه ليغنموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة؛ ليذبوا عنها؛ وهم: النفير، وأخذ أبو سفيان بِالْعِيرِ طريقَ الساحل؛ فنجت؛ فقيل لأبي جهل: ارجع. فأبى، وسار إلى بدر؛ فشاور النبي ﷺ أصحابَه، وقال: «إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ»؛ فوافقوه على قتال النفير[٢]، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له. كما قال - تعالَى -: [٦] ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراهتهم له.

[٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ العيرَ أو النفيرَ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح؛ وهي: العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عددها ومددها؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آخرهم؛ بالاستئصال؛ فأمركم بقتال النفير [٨] ﴿لِيُحِقَّ

(*) ما جاء في نزول السورة: خرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا. أحمد - المسند (٣٢٢/٥).

وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٣٢٦/٢). وأخرج أحمد أيضًا عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه - وكان يسمى ذا الكتيفة - فأتيت به نبي الله ﷺ قال: «اذهب فاطرحه في القبض» قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي. قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال. فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب فخذ سيفك». أحمد - المسند (١/ ١٨٠)، وأخرجه مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه: فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

(**) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا». قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يبرموها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردءًا لكم، لو انهزمتم لفئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذلك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النفل (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٦).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن =

(١) المستدرك (٣٢٦/٢)، وروى نحوه أحمد (٢١٦٨٥، ٢١٦٩١) عن عبادة بن الصامت، وكذلك ابن مردويه عن عائشة [الدر المنثور (٢٩٤/٣)] وصححه الألباني في فقه السيرة بلفظ: «فقسمهما رسول الله ﷺ بين المسلمين».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك.

[٩] اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوثَ بالنصر عليهم(٭) ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضًا، وعدهم بها أولاً، ثم صارت ثلاثةَ آلافٍ ثم خمسةً؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِآلُفٍ﴾(١) كـ«أفْلُس» جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[١١] اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ أمنًا مما حصل لكم من الخوف ﴿مِّنْهُ﴾ - تعالَى - ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وسوسته إليكم؛ بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ﴾ الخوفَ ﴿فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس ﴿وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه سيفُهُ(٢)، ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى؛ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء؛ فهُزموا(٣). [١٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا﴾ خالفوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

[١٤] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي: مجتمعين؛ كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمين.

[١٦] ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾(٭٭) أي: يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفًا ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بأن يريهم الْفَرَّةَ مكيدةً، وهو يريد الْكَرَّةَ ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضمًا ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضِّعْفِ.

= نفينا عنها العدو وهزمناهم. وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نفَّل الربع، وإذا أقبل راجعًا وكلَّ الناسُ نفل الثلث. وكان يكره الأنفال. ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم». أحمد - المسند (٥/٣٢٤)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/١٣٥، ١٣٦)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٭) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: «اللَّهم أنجز لي ما وعدتني. اللَّهم آت ما وعدتني. اللَّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف بربه، مادًا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي اللَّه، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمده اللَّه بالملائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا. فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول اللَّه ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٭٭) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

---

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرج ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٤/٣٣)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتدُّ في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم فنظر إليه؛ فإذا هو قد خُطم أنفه وشُقَّ وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قريبًا في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعند مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرر الأمر منه ﷺ في الغزوتين. (مسلم ١٧٧٧).

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمدُ أعينَ القومِ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى؛ لأن كفًّا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بَشَرٍ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بإيصال ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً﴾ عطاءً ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينا كان أقطعَ للرحم، وأتانا بما لا نعرف؛ فأحنه الغداة»[*]؛ أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قُتِلَ معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر «إن» استئنافًا، وفتحها على تقدير اللام[1].

[٢٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآنَ والمواعظَ.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تدبرٍ واتعاظٍ؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾هُ[2].

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحًا بسماع الحق ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماعَ تفهمٍ ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضًا، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عنادًا وجحودًا.

[٢٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ بل تَعُمُّهُمْ وغيرهم، واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج أحمد في المسند عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير - بمهملة مصغرًا - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللَّهم أقطعنا الرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المسند ٥/٤٣١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٣٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢/٢٧٠) وفيه عنده زيادة: «... وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾.

---

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٢) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤٦٤٦).

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ
عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا
اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ
أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. وَنَزَلَ في أبي لبابة مروان ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ لينزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛ فأشار إليهم أنه الذبح؛ لأن عياله وماله فيهم -: [٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَ﴾[١] لا ﴿تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم، صَادَّةٌ عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم.

[٢٩] وَنَزَلَ في توبته[٢]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوثقوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كُلُّهُمْ قِتْلَةَ رَجُلٍ واحدٍ ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبير أمرك؛ بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج[٣] ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الحيرة، يَتَّجِرُ؛ فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة[٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاءً وإيهامًا أنه على بصيرة، وجزم ببطلانه. قال - تعالى -: [٣٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوه[*] ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عَمَّ، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم. كما قال - تعالى -: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٥].

(*) ما جاء في نزول الآيتين (٣٣، ٣٤): أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، وباب (٤).

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به - سُبْحَانَهُ -، وهي فيما سيقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.

(٤) أخرج نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي - وليس فيه ذكر الاتجار بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٣/٢).

(٥) الفتح: ٢٥.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَ﴾ نْ ﴿لَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك، والمستضعفين، وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم اللَّه ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا وَلَايَةَ لهم عليه.

[٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾ صفيرًا ﴿وَتَصْدِيَةًۚ﴾ تصفيقًا؛ أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها[١] ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندامةً؛ لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ يساقون.

[٣٧] ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾ متعلق بـ«تَكُونُ» بالتخفيف والتشديد[٢]؛ أي: يفصل ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكمًا بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كأبي سفيان وأصحابِهِ: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: سُنَّتُنَا فيهم بالإهلاك؛ فكذا نفعل بهم.

[٣٩] ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ وحده، ولا يعبد غيره ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به.

[٤٠] ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ﴾ ناصركم ومتولي أمورِكم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

---

(١) قال القرطبي: «... وفي معنى الآية رد على الجهال من المتصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت» اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿لِيُمَيِّزَ﴾.

۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

[٤١] ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أخذتم من الكفار قهرًا ﴿مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصنافُ الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكلٍّ خُمُسَ الخُمُسِ، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَآ﴾ عطف على ﴿بِٱللَّهِ﴾ ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم.

[٤٢] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ﴾ ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة؛ وهي ـ بضم العين وكسرها[1] ـ: جانب الوادي ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البُعْدَى منها ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فعَلَ ذلك ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٤٣] اذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ أي: نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرتَ به أصحابَك؛ فسروا ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ جَبُنْتُمْ ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾كُمْ من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثليهم؛ كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾.

[٤٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

(١) بالكسر لابن كثير وأبي عمرو.

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ تجبنوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والعون.

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمر، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان[1] ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء[2] ﴿مُحِيطٌ﴾ علمًا فيجازيهم به.

[٤٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين - لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر - ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من كنانة، وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سَيِّدِ تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾ التقت ﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة، ورأى الملائكةَ وكانت يده في يد الحارث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ هاربًا ﴿وَقَالَ﴾ - لما قالوا له: أتخذلنا على هذه الحال؟! -: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة[3] ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

[٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهمًا أنهم ينصرون بسببه، قال - تعالى - في جوابهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يثق به، يغلب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء[4] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حالٌ ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ﴿وَ﴾ يقولون لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: النار، وجواب «لو»: لرأيت أمرًا عظيمًا.

[٥١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها دون غيرها؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[٥٢] دَأْبُ هؤلاء ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جملة ﴿كَفَرُواْ﴾ وما بعدها: مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

---

(١) جمع «قَيْنة» و«قَيْن». و«القينة»: هي الأمة المملوكة المغنية. وقيل: «لو كانت غير مغنية»، و«القين»: العبد.

(٢) ظاهره أنهما سبعيتان، وليس كذلك، بل التاء الفوقية لم يقرأ بها أحد من السبعة ولا العشرة، فذكرها سبق قلم.

(٣) أخرج نحوه الطبري مختصرًا في جامع البيان (١٤/١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٥/٥) دون ذكر سراقة والحارث. وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (٢٤١/٢).

(٤) بالتاء قراءة ابن عامر.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

[٥٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفرًا؛ كتبديلِ كفارِ مكةَ إطعامَهم من جوعٍ وأمنَهم من خوفٍ وبَعْثَ النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾.

[٥٥] وَنَزَلَ في قريظة[1]: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أن لا يُعِينُوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في غدرهم.

[٥٧] ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرق ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين؛ بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون بهم.

[٥٨] ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمارة تلوح لك ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حالٌ؛ أي: مستويًا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

[٥٩] وَنَزَلَ فيمن أفلت يوم بدر[2]: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾[3] يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ اللهَ؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحتانية، فالمفعول الأول محذوفٌ؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح «إن»[4] على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: «هِيَ الرَّمْيُ» [رواه مسلم][5] ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ مصدرٌ؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئًا.

[٦١] ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها[6]؛ الصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة[7] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [الدر المنثور (٣/٣٤٧)].

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لابن عامر.

(٥) أخرج نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

(٦) بالكسر لشعبة.

(٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله. ثم قال معلقًا على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضًا؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفًا فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح؛ ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٣] ﴿وَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيءٌ عن حكمته.

[٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حسبك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ﴾ حُثَّ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء[1] ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر؛ بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة الألف ويثبتوا لهم، ثم نُسِخَ ـ لما كَثُرُوا ـ بقوله:

[٦٦] ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها[2]، عن قتال عشرة أمثالكم(*) ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء[3] ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ بإرادته؛ وهو: خبر بمعنى الأمر؛ أي: لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بعونه.

[٦٧] وَنَزَلَ ـ لما أخذوا الفداء من أسرى بدر[4] ـ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن تَكُونَ﴾ بالتاء والياء[5] ﴿لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَۗ﴾ أي: ثوابها بقتلهم(**) ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[6].

[٦٨] ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(**) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ ـ ٦٩): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا ـ والله ـ يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان ـ نسيبًا لعمر ـ فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عُرِض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» ـ شجرة قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ فأحل الله الغنيمة لهم. مسلم ـ كتاب الجهاد والسير (٢٣) باب (١٨) الإمداد بالملائكة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم؛ فأنزل الله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

---

(١) بالتاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.
(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.
(٣) بالتاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.
(٥) بالتاء قراءة أبي عمرو.
(٦) القتال: ٤.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

[٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ [الأُسَارَى]﴾(١) وفي قراءة: ﴿ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ إيمانًا وإخلاصًا ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[٧١] ﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾ أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ﴾ ببدر؛ قتلاً وأسرًا؛ فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٧٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ النبي ﷺ ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ وهم الأنصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾ بكسر الواو وفتحها(٢) ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾ عهدٌ؛ فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

[٧٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ في النصرة والإرث؛ فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي: تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ ذوو القَرَابَاتِ ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾(*) في الإرث؛ من التوارث في الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ ومنه حكمة الميراث.

* * *

(*) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ [النساء: ٣٣]: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فيرث أحدهما الآخر، فنسخ ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر لحمزة.

سورة التوبة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سورة التوبة

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون، أو: إلا آية، نزلت بعد المائدة](*)

ولم تكتب فيها البسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم(١). وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف(٢). وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسَمُّونَهَا سُورَةَ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»(٣)، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت(٤).

[١] هذه ﴿۞ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَسِيحُوا۟﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال ـ بدليل ما سيأتي ـ، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مُذِلُّهُمْ في الدنيا بالقتل والآخرة بالنار. [٣] ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ إعلامٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بريء أيضًا، «وقد بَعَثَ النبيُّ ﷺ عليًّا من السَّنَةِ؛ وهي: سنة تسع، فَأَذَّنَ يوم النحر بِمِنًى بهذه الآيات، وأن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ولا يطوف في البيت عريانٌ»(٥) [رواه البخاري]. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ﴾ أَخْبِر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مُؤْلِم؛ وهو: القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة. [٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها(٦) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود.

[٥] ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ خَرَجَ ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهي آخِرُ مدة التأجيل(٧) ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حِلٍّ أَوْ حَرَمٍ ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون؛ حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه، ونصب ﴿كُلَّ﴾ على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوعٌ بفعل يفسره ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمِّنْهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ وهو دار قومه إن لم يؤمن؛ لينظر في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله؛ فلا بد لهم من سماع القرآن؛ ليعلموا.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت براءة. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، فأولها مثلًا نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر بالناس ـ كما سيأتي ـ وقد نزلت ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائدة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ٦٠٥، ٦٠٦).

---

(١) المستدرك (٢/٣٣٠).

(٢) المستدرك (٢/٣٣٠).

(٣) المستدرك (٢/٣٣٠).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضَمْرَة» من قبائل «بني بكر»، من «كنانة» لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأُمِرَ بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قريش» الذين أعانوا حلفاءهم «بني دِئْل» من «بني بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛ فضرب له هذا الأجل يسيح في الأرض؛ أي يذهب فيها لينجو بنفسه.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

[٧] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦ﴾ وهم كافرون بهما غادرون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية؛ وهم: قريش المستثنون من قبل[1] ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ على الوفاء به، و«ما» شرطية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

[٨] ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهدًا، بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ناقضون للعهد.

[٩] ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا؛ أي: تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ـه عملهم هذا.

[١٠] ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾.

[١١] ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[١٢] ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾ مواثيقهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ رؤساءه فيه، وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة: بالكسر[2] ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ عن الكفر.

[١٣] ﴿أَلَا﴾ للتحضيض ﴿تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة ـ لما تشاوروا فيه بدار الندوة ـ ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتخافونهم؟! ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة» الذين دخلوا في عهد قريش.

(٢) أي: «لا إيمان لهم» وهي لابن عامر.

[١٤] ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فُعِلَ بهم؛ وهم: بنو خزاعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرْبَهَا ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كأبي سفيان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يَظْهَرِ المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ [مَسْجِدَ] ٱللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع[1]؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحدًا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٩] ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الفضل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت رَدًّا على من قال ذلك(*)؛ وهو: العباس أو غيره[2].

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

(*) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول اللّٰه ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل اللّٰه أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللّٰه ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل اللّٰه ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم ـ كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فضل الشهادة في سبيل اللّٰه.

(١) بالإفراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (نزولها في العباس) [الدر المنثور (٣/٣٩٥)]، وأخرجه مسلم (٣٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ
ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ
ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ
سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

[٢٢] ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حالٌ مقدرةٌ ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٣] وَنَزَلَ فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾ اختاروا ﴿ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم، وفي قراءة[1]: ﴿عَشِيرَاتُكُمْ﴾ ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاذها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ تهديد لهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدرٍ وقريظة والنضير ﴿وَ﴾ واذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وادٍ بين مكة والطائف؛ أي: يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ﴾ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم: لن نغلب اليوم من قلة. وكانوا اثني عشرَ ألفًا، والكفارُ أربعة آلافٍ ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: مع رحبها؛ أي: سعتها؛ فلم تجدوا مكانًا تطمئنون إليه؛ لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه غيرُ العباس، وأبو سفيان آخذٌ بركابه [٢٦] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباسُ بإذنه[2]، وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(١) لشعبة.

(٢) أي بإذن رسول الله ﷺ.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ قذرٌ؛ لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحَرَمَ ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ عَامَ تِسْعٍ من الهجرة ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ فقرًا؛ بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

[٢٩] ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿مِنَ﴾ بيان «للذين» ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٖ﴾ حالٌ؛ أي: منقادين، أو بأيديهم لا يُوَكِّلُونَ بها ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ من آبائهم تقليدًا لهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ علماءَ اليهودِ ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ عُبَّادَ النصارى ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حَرَّمَ الله وتحريم ما أحلَّ الله[1] ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا حرّموه». كتاب تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾ يظهر ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك.

[٣٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يُعْلِيَهُ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له(*) ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرُّشَا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الكنوز(**) ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرْهُمْ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(***) أي: جزاءه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ مُحَرَّمَةٌ؛ ذو القعدة، وذو الحجة، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي؛ فإنها فيها أعظمُ وزرًا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ جميعًا في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر(١).

(*) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تامًا. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا، فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». مسلم ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.

(**) فائدة: أخرج الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ قال: كنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه». الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٠).

(***) فائدة: أخرج البخاري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كنز فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهورًا للأموال. البخاري ـ كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) ما أدى زكاته فليس بكنز.

---

(١) في الآية إثبات معية الله ﷻ الخاصة للمتقين، ومعية الله تعالى مع عبده نوعان؛ معية عامة، ومعية خاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقة المعية الصحبة اللائقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويًا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه؛ فعلمه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه.

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ أي: التأخير لحرمة شهر إلى آخر؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حُرْمَةِ المُحَرَّم إذا هَلَّ وهم في القتال إلى صَفَر ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم اللّٰه فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها[1] ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النسيء ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بَدَلَهُ ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ فظنوه حسنًا ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٣٨] وَنَزَلَ - لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة وشدة حَرٍّ؛ فشق عليهم -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾[2] بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب متاع ﴿ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٣٩] ﴿إِلَّا﴾ بإدغام «لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين[3] ﴿تَنفِرُوا۟﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿شَيْـًٔا﴾ بترك نصره؛ فإن اللّٰه ناصر دينه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وَنَبِيِّهِ.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من مكة؛ أي: ألجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ حالٌ؛ أي: أحد اثنين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره اللّٰه في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدلٌ ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين : (لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا)[4] -: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: دعوة الشرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

---

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٣/٤٢٧)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢/٢٧٧).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٤١﴾ لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ﴿٤٢﴾ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴿٤٣﴾ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴿٤٤﴾ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴿٤٥﴾ ۞ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴿٤٦﴾ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ نشاطًا وغيرَ نشاط، وقيل: أقوياء وضعاء، أو أغنياء وفقراء. وهي منسوخة بآية[1] ﴿ليس على الضعفاء﴾[2] ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم؛ فلا تثاقلوا.

[٤٢] وَنَزَلَ في المنافقين الذين تخلفوا: ﴿لو كان﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عرضا﴾ متاعًا من الدنيا ﴿قريبا﴾ سهلَ المأخذ ﴿وسفرا قاصدا﴾ وسطًا ﴿لاتبعوك﴾ طلبًا للغنيمة ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة؛ فتخلفوا ﴿وسيحلفون بالله﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لو استطعنا﴾ الخروج ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالحلف الكاذب ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في قولهم ذلك.

[٤٣] وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه؛ فنزل عتابًا له[3]، وَقَدَّمَ العفو تطمينًا لقلبه: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ في التخلف، وهلا تركتهم ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ في العذر ﴿وتعلم الكاذبين﴾ فيه.

[٤٤] ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ في التخلف عن ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾.

[٤٥] ﴿إنما يستأذنك﴾ في التخلف ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت﴾ شكَّتْ ﴿قلوبهم﴾ في الدين ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾(٥) يتحيرون.

[٤٦] ﴿۞ ولو أرادوا الخروج﴾ معك ﴿لأعدوا له عدة﴾ أهبة من الآلة والزَّاد ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ أي: لم يرد[4] خروجهم ﴿فثبطهم﴾ كسَّلهم ﴿وقيل﴾ لهم: ﴿اقعدوا مع القاعدين﴾ المرضى والنساء والصبيان؛ أي: قدر اللَّه ـ تعالى ـ ذلك.

[٤٧] ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾ فسادًا؛ بتخذيل المؤمنين ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يبغونكم﴾ يطلبون لكم ﴿الفتنة﴾ بإلقاء العداوة ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ ما يقولون، سماعَ قبولٍ ﴿والله عليم بالظالمين﴾.

---

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الآية. نسختها التي في النور: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ [النور: ٦٢]. أبو داود ـ كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القفول بعد النهي، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٠٩).

---

(١) أي: على القولين الأخيرين لا على الأول فهي محكمة.

(٢) التوبة: ٩١.

(٣) لعله يقصد ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف وابن جرير عن عمرو بن ميمون الأودي رضي اللَّه عنه قال: اثنتان فعلهما رسول اللَّه ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء؛ إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى، فأنزل اللَّه ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ الآية [التوبة: ٤٣] [الدر المنثور (٤٤١/٣)] وهو مرسل صحيح الإسناد كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٨٠/٢).

(٤) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها ربنا ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لنفسه، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها للَّه ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٨] ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟﴾ لك ﴿ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أول ما قَدِمْتَ المدينة ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الفِكرَ في كيدك وإبطالِ دينِكَ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عزَّ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ دِيْنُهُ ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ له؛ فدخلوا فيه ظاهـرًا.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ وهو الْجَدُّ بن قيس، قال له النبي ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟»، فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن؛ فأفتتن[1]. قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ بالتخلف، وقرئ: «سَقَطَ»[2] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها.

[٥٠] ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شِدَّةٌ ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك.

[٥١] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ ناصرنا، ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل؛ أي: تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية «حسنى» تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن يُقْبَلَ﴾ بالياء والتاء[3] ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾ فاعلٌ، و(أن يُقْبَلَ) مفعولٌ ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ النفقةَ؛ لأنهم يعدونها مَغْرَمًا.

---

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، وكذا ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٤٣/٣)]، واختلف في تحسينه وتضعيفه؛ فحسنه فريق بشواهده منهم صاحب الاستيعاب (٢٨١/٢ ـ ٢٨٣)، ومنهم من ضعفه كالهيثمي وغيره كما في المجمع (٣٠/٧).

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وخلف.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن نِعَمَنا عليهم؛ فهي: استدراجٌ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أَشَدَّ العذابِ.

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين؛ فيحلفون تَقِيَّةً.

[٥٧] ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ سراديب ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ موضعًا يدخلونه ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعًا لا يرده شيءٌ؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يَعِيبُكَ(*) ﴿فِي﴾ قَسْمِ ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنينا، وجواب «لو»: لكان خيرًا لهم.

[٦٠] ﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعًا من كفايتهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الصدقات؛ من جَابٍ وَقَاسِمٍ وَكَاتِبٍ وَحَاشِرٍ ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ليسلموا، أو يثبت إسلامُهم، أو يسلم نظراؤُهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام؛ الأول والأخير لا يعطيان اليومَ عند الشافعي ـ رضي اللَّه تَعَالَى عنه ـ؛ لعز الإسلام، بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فَكِّ ﴿الرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ أهل الدَّيْنِ إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذَاتِ الْبَيْنِ ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بِفِعْلِهِ المقدر ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه؛ فلا يجوز صرفُها لغير هؤلاء، ولا يمنع صنف منهم(١) إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت «اللام» وجوب استغراق أفراده(٢)، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها ـ كما أفادته صيغة الجمع ـ، وبينت السُّنَّةُ أن شرط المعطى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشميًّا ولا مطلبيًّا.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بِعَيْبِهِ وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ـ إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه ـ: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كُلَّ قِيلٍ وَيَقْبَلُهُ، فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أُذُنُ﴾ مُسْتَمِعُ ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مُسْتَمِعُ شَرٍّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، و«اللام» زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿أُذُنُ﴾ والجر(٣) عطفًا على ﴿خَيْرٍ﴾ ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٥٨): أخرج البخاري عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد اللَّه بن ذي الخويصرة التميمي فقال: أعدل يا رسول اللَّه. فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟!» قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيّه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم. آيتهم: رجل إحدى يديه ـ أو قال: ثدييه ـ مثل ثدي المرأة ـ أو قال: مثل البضعة تدردر ـ يخرجون على حين فرقة من المسلمين». قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن عليًا قتلهم وأنا معه. جيء بالرجل على النعت التي نعته النبي ﷺ قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾. البخاري ـ كتاب استتابة المرتدين (٨٨) باب (٧) من ترك قتال الخوارج للتأليف.

---

(١) ذكر النووي عن الشافعي: أن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح من الفيء ونحوه، ولا يعطون من الزكاة. وقال جمهور الحنفية بنسخ سهم المؤلفة قلوبهم. وعند الحنابلة والمالكية: أنه باق لم ينسخ، وهو الصحيح؛ لأن القول بالنسخ ليس عليه دليل صريح، والحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع.

(٢) وهذا مذهب الشافعي، وعند الجمهور لا يلزم تعميم الأصناف؛ فاللام في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ لبيان المصرف، لا للاستحقاق، وهذا هو الأرجح، لكن قال مالك: الأمر عندنا في قسم الصدقات أن ذلك لا يكون إلا على وجه الاجتهاد من الوالي، فأي الأصناف كانت الحاجة فيه والعدد أوثر ذلك الصنف بقدر ما يرى الوالي... وهو أولى ما يؤخذ به في حال وجود الحاكم الشرعي، وإلا فالأقرب ما نقل عن النخعي وغيره: إذا كان المال كثيرًا فرّقه في الأصناف، وإذا كان قليلًا فأعطه صنفًا واحدًا...مع مراعاة الأشد حاجة... واللَّه أعلم.

(٣) بالجر قراءة حمزة.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

[٦٢] ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا، وتوحيد الضمير؛ لتلازم الرضاءين، أو خبر «اللهُ» أو «رَسُولُهُ» محذوف.

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ بـ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٦٤] ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجه من نفاقكم.

[٦٥] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث؛ لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن [يُعْفَ]﴾ بالياء مبنيًّا للمفعول، والنون مبنيًّا للفاعل ﴿عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها؛ كَمَخْشِيّ بن حُمَيِّر[1] ﴿[تُعَذَّبْ]﴾ بالتاء والنون[2] ﴿[طَآئِفَةٌ][3] بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء.

[٦٧] ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: متشابهون في الدين؛ كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لُطْفِهِ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاءً وعقابًا ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون.

(١) في بعض النسخ: «جحش بن حُمَيِّر».

(٢) بالبناء للمفعول في الفعلين قراءة السبعة عدا عاصم؛ «إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعَذَّب طائفةٌ»، وقرأ عاصم بالنون والبناء للفاعل فيهما.

(٣) بالرفع والنصب؛ ففيها قراءتان سبعيتان: الأولى: «إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعذَّبْ طائفةٌ» بالرفع، والثانية: «إن نعفُ عن طائفةٍ منكم نُعذِّبْ طائفةً» بالنصب. وراجع الحاشية السابقة.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓا أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ تمتعوا ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَالَّذِى خَاضُوٓا﴾ أي: كخوضهم ﴿أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ قُرى قوم لوط؛ أي: أهلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات؛ فكذبوهم؛ فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾(*) لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئًا إلا في محله.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(*) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ مقابل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.
قال الطاهر بن عاشور: «عبر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض للإشارة إلى أن اللُّحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام؛ فهم فيها على السواء، ليس واحد منهم مقلدًا للآخر ولا تابعًا له على غير بصيرة؛ لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين، فكأن بعضهم ناشئ من بعض في مذامِّهم...». التحرير والتنوير (٢٦٢/١١).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

[٧٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار وَالْمَقْتِ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٧٤] ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ ما بلغك عنهم من السَّبِّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ مِنَ الْفَتْكِ بالنبي ليلةَ العقبة عند عَوْدِهِ من تبوك ـ وهم بضعة عشر رجلاً ـ؛ فضرب عمار بن ياسر وُجوهَ الرَّوَاحِلِ لما غَشَوهُ؛ فرُدُّوا[1] ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ أنكروا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم؛ المعنى: لم ينلهم منه إلا هذا، وليس مما ينقم[2] ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم.

[٧٥] ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب؛ سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً، ويؤدي منه إلى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فدعا له؛ فوسع عليه؛ فانقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة[3]؛ كما قال ـ تعالى ـ: [٧٦] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصير عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتًا ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي: الله؛ وهو: يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته، فقال: «إنَّ اللهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»؛ فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه[4].

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أَسَرُّوا في أنفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرَاءٍ. وجاء رجلٌ فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا. فنزل: [٧٩] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون(٥) ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم؛ فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم[5] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٩): أخرج البخاري عن أبي سعيد ﷺ قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا. فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ....﴾ الآية. البخاري ـ كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النار ولو بشق تمرة.

(١) القصة أخرجها البيهقي في الدلائل عن عروة وعن حذيفة بن اليمان، وأخرجها ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك وليس في أي منها أن عمار بن ياسر ضرب وجوه الرواحل [انظر: الدر المنثور (٤٦٤/٣ ـ ٤٦٦)] وحسنه صاحب الاستيعاب بقوله: وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن إسحاق وهو صدوق حجة في «المغازي» الاستيعاب (٢٩١/٢).

(٢) أي يكره؛ فالاستثناء منقطع.

(٣) هذه القصة التي أشار إليها السيوطي وهي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين دون إنكار نسبتها إلى ثعلبة، وتعقبها آخرون بالنقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، قال القرطبي: وثعلبة بدري، أنصاري، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، والراجح أنها نزلت في رجال من المنافقين كما قال الضحاك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والباوردي وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي كما في الدر المنثور (٤٦٧/٣). قال البيهقي في الشعب (٧٩/٤، ٨٠): «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير، والله أعلم». وقال الهيثمي في المجمع (٣٢/٧): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك». ولمزيد من البيان والتفصيل راجع كتاب «الشهاب الثاقب في الذبِّ عن الصحابي ثعلب بن حاطب ﷺ» لسليم الهلالي.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهي فيما سيقت له مدح وكمال، ولكنها لا تطلق عليه ـ سُبْحَانَهُ ـ مجردة بدون ذكر متعلقها، كما لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ساخر... ومذهب السلف الإيمان بها على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿ٱسْتَغْفِرْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتَرْكِه، قال ﷺ: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ»؛ يعني: الاستغفار. [رواه البخاري][(١)] ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل: المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غَفَرَ؛ لَزِدْتُ عَلَيْهَا»[(٢)]، وقيل: المراد العدد المخصوص. لحديثه أيضًا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»[(٣)]؛ فبَيَّنَ لهم حَسْمَ المغفرة بآية: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[(٤)] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

[٨١] ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خِلَٰفَ﴾ أي: بَعْدَ ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُوا۟﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك؛ فالأولى أن يَتَّقُوهَا بترك التخلف ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا۟﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

[٨٣] ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾ رَدَّكَ ﴿ٱللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم.

[٨٤] ولما صَلَّى النبيُّ ﷺ على ابن أُبَيّ نَزَلَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[(٥)] لدفن أو زيارة[(٥)] ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ كافرون.

[٨٥] ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾.

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٤): أخرج البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاء ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه. فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه. فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسـول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيد على السبعين» قال: إنه منافق. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٢).

---

(١) البخاري (١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

(٢) البخاري (١٣٦٦)..

(٣) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٤) المنافقون: ٦.

(٥) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع «خالفة»؛ أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخير.

[٨٨] ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال؛ أي: المعتذرون؛ بمعنى: المعذورين، وقرئ به[1] ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم؛ فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادِّعاءِ الإيمانِ من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعُمْي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم؛ بعدم الْإِرْجَافِ وَالتَّثْبِيطِ وَالطَّاعَةِ ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو؛ وهم: سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾(*) حالٌ ﴿تَوَلَّوا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد.

[٩٣] ﴿۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحِمْلان لهم إذ هم معه في جيش العسرة ـ وهي غزوة تبوك ـ فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء». ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينًا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليَّ. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالًا ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبته. فقال: أجب رسول الله يدعوك. فلما أتيته قال: «خذ هذين القرنين ـ لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد ـ فانطلق بهن إلى أصحابك...». البخاري ـ كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوك.

(١) وهي قراءة شاذة.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالْبَعْثِ ﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(*) فيجازيكم عليه.

[٩٥] ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك، أنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بتَرْكِ الْمُعَاتَبَةِ ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قَذَرٌ؛ لخبث باطنهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: عنهم، ولا ينفع رضاكم مع سخط الله.

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن؛ لِجَفَائِهِمْ وَغِلَظِ طِبَاعِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أَوْلَى ﴿أَ﴾نْ؛ أي: بأن ﴿لَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[٩٨] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غَرَامَةً وَخُسْرَانًا؛ لأنه لا يرجو ثوابه، بل ينفقه خوفًا؛ وهم: بنو أسد وغطفان ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم؛ فيتخلص، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالضم والفتح(١)؛ أي: يَدُورُ العذابُ والهلاكُ عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عِبَادِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهينة ومزينة ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَاتٍ﴾ تُقَرِّبُهُ ﴿عِندَ اللَّهِ وَ﴾ وَسِيلَةً إلى ﴿صَلَوَاتِ﴾ دعوات ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ أي: نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها(٢) ﴿لَّهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جَنَّتِهِ(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن كعب بن مالك: ... وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قُبِل من هؤلاء الذين اعتذروا وحين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذُكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين فاعتذروا بالباطل ذُكِروا بشرِّ ما ذُكر به أحد؛ قال الله سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٨) ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...﴾.

---

(١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة ورش.

(٣) وهذا تفسير باللازم، فرارًا من المفسر من إثبات الصفة كما هو منهج الأشاعرة، وسبق التنبيه على أن منهج أهل السنة إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سُبْحَانَهُ - من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وهم من شَهِدَ بدرًا، أو جميع الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ في العمل ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته[1] ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وفي قراءة: بزيادة «من»[2] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضًا ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ لَجُّوا فيه وَاستَمَرُّوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة، أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار.

[١٠٢] ﴿وَ﴾ قوم ﴿ءَاخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف، نعته، والخبر: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو: تخلفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعةٍ أَوْثَقُوا أنفسهم في سواري المسجد ـ لما بلغهم ما نَزَلَ في المتخلفين ـ وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ؛ فَحَلَّهُم لما نزلت[3].

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم؛ فَأَخَذَ ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقَ بِهَا ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ رَحْمَةٌ ﴿لَّهُمْ﴾ وقيل: «طمأنينة بقبول توبتهم» ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عِبَادِهِ بقبولِ توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم؟!، والاستفهام للتقرير، والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصَّدقة.

[١٠٥] ﴿وَقُلِ﴾ لهم، أو للناس: ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(*) فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿[مُرْجَؤُنَ]﴾ بالهمز وتركه[4]: مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم؛ وهم الثلاثة الآتون بعد: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدَّعَةِ لا نفاقًا، ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وَهَجَرَهُمُ الناسُ حتى نزلت توبتُهم بعد.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل: ﴿ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا يستخفنك أحد. البخاري ـ كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...

قال الحافظ في الفتح (١٣/٥١٤): «قال ابن التين عن الداودي: معناه: لا تغتر بمدح أحد وحاسب نفسك. والصواب ما قاله غيره؛ أن المعنى: لا يغرنَّك أحد بعمله فتظن به الخير إلا إن رأيته واقفًا عند حدود الشريعة».

---

(١) جرى المصنف على طريقته في تأويل الصفات ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات الصفات لله ﷻ التي أثبتها لنفسه على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ، ومنها صفة الرضا، ومن لازمها التوفيق للطاعات وقبولها والإثابة عليها.

(٢) لابن كثير.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس [الدر المنثور (٣/٤٨٧)] وكذا ابن المنذر والبيهقي في الدلائل وليس فيها التصريح بأن ذلك بسبب ما نزل في المتخلفين. وحسنه صاحب الاستيعاب بشواهده. (الاستيعاب ٢/٣٢٥).

(٤) بالهمز قراءة ابن كثير وشعبة وأبي عمرو وابن عامر.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

[١٠٧] ﴿وَ﴾ منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بَنُوهُ بأمر أبي عامر الراهب؛ ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقباء؛ بِصَلَاةِ بَعْضِهِمْ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقبًا ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل بنائه؛ وهو: أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحرّ، والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه؛ فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تُلْقَى فيها الجِيَفُ ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بُنِيَتْ قواعدُهُ ﴿عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حَلَلْتَ بِدَارِ الهجرة؛ وهو: مسجد قباء؛ كما في البخاري[1] ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي يثيبهم[2]، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن عويمر ابن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمُ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَّهَّرُونَ بِهِ؟»، قالوا: واللّه يا رسول الله، ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط؛ فغسلنا كما غسلوا[3]. وفي حديث رواه البزار: فقالوا: نتبع الحجارة بالماء[*]. فقال: «هُوَ ذَاكَ؛ فَعَلَيْكُمُوهُ»[4].

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ مخافة ﴿مِنَ اللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها[5]؛ جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ سقط مع بَانِيهِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خيرٌ[6]؟!، تمثيلٌ لِلْبِنَاءِ على ضِدِّ التَّقْوَى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير؛ أي: الأول خير؛ وهو مثال: مسجد قباء، والثاني مثال: مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ شَكًّا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[١١١] ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته؛ كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء، وفي قراءة: بتقديم المبني للمفعول[7]؛ أي: فَيُقْتَلُ بعضهم وَيُقَاتِلُ الباقي ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المُنِيلُ غايةَ المطلوبِ.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٠٨): أخرج أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية. أبو داود ـ كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٤).

وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبداللّه، وأنس بن مالك: أن هذه الآية نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال رسول اللّه ﷺ: «يا معشر الأنصار، إن اللّه قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهوركم؟» قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء.

قال: «هو ذاك فعليكموه». ابن ماجه ـ كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٥).

---

(١) البخاري (٣٩٠٦) من حديث عائشة.

(٢) وهذا تأويل لصفة المحبة بأحد لوازمها وهو الإثابة، ومذهب السلف إثبات ما أثبته اللّه ﷻ لنفسه ورسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٣٨) وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويم بن ساعدة [الدر المنثور (٤٩٧/٣)]، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب (٥٣٩/٢).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار (١٥٠). والجمع بين الحجارة والماء كما قال النووي: باطل. ولا يصح الحديث بهذا اللفظ. وانظر: الضعيفة حديث رقم (١٠٣١).

(٥) بسكونها لحمزة وشعبة وابن عامر.

(٦) قدَّره؛ إشارة إلى أن خبر ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف.

(٧) لحمزة والكسائي.

[١١٢] ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ[1]؛ من الشرك والنفاق[2] ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي: المصلون ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

[١١٣] وَنَزَلَ في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب، واستغفارِ بعضِ الصحابة لأبويه المشركين: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ ذوي قرابة(٥) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار؛ بأن ماتوا على الكفر.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾[3] رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل؛ فلا يتقوه؛ فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعكم عن ضَرَرِه.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي: أدام توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: وقتها؛ وهي: حالهم في غزوة تبوك، كان الرجلان يقتسمان تمرةً، والعشرة يعتقبونَ البعيرَ الواحدَ، واشتد الحرُّ حتى شَرِبُوا الفَرْثَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ﴾ بالتاء والياء[4]: تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف؛ لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٣، ١١٤): أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أمية. فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ البخاري ـ التفسير (٦٥) سورة براءة (٩) باب (١٦).

وأخرجه الترمذي عن علي ﷺ قال: سمعت رجلًا يستغفر لأبويه، وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

الترمذي ـ تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

ورواه النسائي ـ كتاب الجنائز (٢١) باب (١٠٢) النهي عن الاستغفار للمشركين ـ وفيه: فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ الآية. ورواه أحمد ـ المسند (٩٩/١)، إلى قوله: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ـ فالظاهر أن الآيتين نزلتا جميعًا، وأن الاختصار من تصرف الرواة.

---

(١) أي: هم التائبون.

(٢) متعلق بـ﴿التَّائِبُونَ﴾.

(٣) مريم: ٤٧.

(٤) بالتاء قراءة السبعة عدا حمزة وحفص.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

[١١٨] ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رَحْبِهَا؛ أي: سعتها؛ فلا يجدون مكانًا يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة؛ بتأخير توبتهم؛ فلا يسعها سرورٌ ولا أنسٌ ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ مخففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة(*) ﴿لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١١٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود، بأن تلزموا الصدق.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ بأن يصونوها عمَّا رَضِيَهُ لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ مصدرٌ؛ بمعنى: وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَّيْلًا﴾ قتلاً أو أسرًا أو نهبًا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرهم بل يثيبهم.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ به عمل صالح ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءهم.

[١٢٢] ولمَّا وُبِّخُوا على التخلف، وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعًا؛ فنزل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ﴾ إلى الغزو ﴿كَآفَّةً فَلَوْلَا﴾ فهلًا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ جماعة، ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي: الماكثون ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو؛ بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله؛ بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا(1) والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

(*) ما جاء في نزول الآيات (١١٧ - ١١٩): أخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ - قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ، حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ... (وذكر قصة تخلفه حتى تاب اللَّه عليه وقال في خبر نزول توبته): فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا، أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ: أَبْشِرْ قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ، فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِاللَّهِ يُهَرْوِلُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ -: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ قُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: «لَا بَلْ: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ. وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي، صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قَالَ كَعْبٌ وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا، حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ، مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٩) حديث كعب بن مالك.

(1) لم أجده بهذا اللفظ، لكن أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا النبي ﷺ وحده ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ يعني عصبة؛ يعني السرايا، فلا يسيرون إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ قالوا: إن اللَّه قد أنزل على نبيكم قرآنًا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل اللَّه على نبيهم ﷺ بعدهم ويبعث سرايا أخر، فذلك قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ يقول: يتعلمون ما أنزل اللَّه على نبيه ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. [الدر المنثور (٣/٥٢١)].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

[١٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة؛ أي: أغلظوا عليهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾ أي: المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ تصديقًا، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضَعْفُ اعتقادٍ ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفرًا إلى كفرهم؛ لكفرهم بها ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء؛ أي: المنافقون، والتاء: أيها المؤمنون[1] ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعِظون.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب، يقولون: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم؛ فإن لم يرهم أحد قاموا، وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحق؛ لعدم تدبرهم.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم؛ محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عنتكم؛ أي: مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ شديد الرحمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ يريد لهم الخير.

[١٢٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ﴾ كافيَّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وَثِقْتُ لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي[2] ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ خصَّهُ بالذِّكْر؛ لأنه أعظم المخلوقات، وروى الحاكم في المستدرك، عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قال: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة[3].

***

(١) بالتاء قراءة حمزة.

(٢) وهذا رأي الحسن البصري والصواب أن العرش غير الكرسي، فالكرسي موضع القدمين له ـ سُبْحَانَهُ ـ، أما العرش فهو سرير الملك، وهو الذي عليه استوى الرحمن ـ جَلَّ في عُلَاهُ.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٣٣٨)، وأخرجه أحمد في المسند (٥/١١٧)، وقد ورد أن آخر آية نزلت هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾، وورد أيضًا أنها: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هذه الآثار، ورجح ـ وغيره من العلماء ـ آخرية آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول [الفتح (٨/٥٣)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ
مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ
يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ
وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ
ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سُورَةُ يُونُسَ

[مكية إلا: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ الآيتين، أو: الثلاث، أو: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ الآية. مائة وتسع، أو: وعشر آيات، نزلت بعد الإسراء]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓرۚ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ المحكم.

[٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر «كان»، وبالرفع اسمها[1]، والخبر وهو اسمها على الأولى: ﴿أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ﴾؛ أي: إيحاؤنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنۡ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرِ﴾ خوِّف ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمۡ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ أي: أجرًا حسنًا بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسِحۡرٌ﴾[2] ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّن، وفي قراءة: ﴿لَسَٰحِرٞ﴾، والمشار إليه النبي ﷺ.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ استواءً يليق به ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾ صلة ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ ردًّا لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المدبر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ وحِّدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال[3].

[٤] ﴿إِلَيۡهِ﴾ تعالى ﴿مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافًا، والفتح[4] على تقدير اللام ﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ يثيب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

[٥] ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ﴾ ذات ضياء؛ أي: نور ﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانيةً وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، أو ليلةً إن كان تسعة وعشرين يومًا ﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾ بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ لا عبثًا، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون[5]؛ يبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٦] ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة، وشمس، وقمر، ونجوم، وغير ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ من حيوان، وجبال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ـهُ فيؤمنون، خصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ولم يجر المفسر على عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة بقوله: (وقرئ).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وقالون وأبي جعفر ويعقوب، وقرأ بتخفيف الذال (تَذَكَّرون): حفص وحمزة والكسائي وخلف.

(٤) ظاهره أنها بالفتح قراءة سبعية وليس كذلك، بل هي عشرية لأبي جعفر.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بدل الآخرة؛ لإنكارهم لها ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَٰفِلُونَ﴾ تاركون النظر فيها.

[٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ به بأن جعل لهم نورًا يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[١٠] ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم[١] ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ﴾ مفسرة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[١١] ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿۞وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل[٢] ﴿إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ بالرفع والنصب[٣] بأن يهلكهم، ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين[٤].

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿ٱلضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضطجعًا ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ أي: في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَن﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بالشرك ﴿وَ﴾ قد ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ﴾ عطف على ﴿ظَلَمُواْ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الكافرين.

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا؟.

---

(١) هذا أحد الأقوال، والقول الآخر أن المعنى أن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهذا هو الأرجح.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللَّهمَّ لا تبارك فيه والعنه. ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. [الدر المنثور (٥/٣٤٦)]. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) - سورة يونس (١٠) باب (١) الترجمة.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ﴾ قِبَلِ ﴿نَفْسِىٓ ۖ إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

[١٦] ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ أعلمكم ﴿بِهِۦ﴾، و«لا» نافية عطف على ما قبله، وفي قراءة[1]: بلام جواب «لو»؛ أي: لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾ سنينًا[2] أربعين ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قِبَلي.

[١٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه، وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار؛ إذ لو كان له شريك لعلمه؛ إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ـهُ معه.

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام، من لدن آدم إلى نوح[3]، وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي ﴿فَٱخْتَلَفُوا﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكة: ﴿لَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد؛ أي: أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما عليَّ التبليغ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

---

(١) لابن كثير، بخلف عن البزي، وتكون اللام للتأكيد؛ أي: وَلَأَدْرَاكُم.

(٢) وجرى المفسر فيه على طريقة من يجعله مثل «حين» ومنه حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينًا كَسِنِينِ يُوسُفَ» في إحدى الروايتين.

(٣) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الصحيح؛ فإن قوم نوح عليه السلام كانوا هم أول من كفر بالرحمن وعبد الأوثان من الأمم.

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

[٢١] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرًا وخصبًا ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة[1] ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ بالتاء والياء[2].

[٢٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿يَنْشُرُكُمْ﴾[3] ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أهلكوا ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الموحدين.

[٢٣] ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالشرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿[مَتَٰعُ][4] ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تمتعون فيها قليلًا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنجازيكم عليه، وفي قراءة بنصب ﴿مَتَٰعَ﴾[5]؛ أي: تتمتعون.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البرِّ والشعيرِ وغيرهِمَا ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من الكلإِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ بالزهر، وأصله: تزينت أُبْدِلت التاء زايًا وأدغمت في الزاي ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمنجل ﴿كَأَن﴾ مخففة؛ أي: كأنها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾ تكن ﴿بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ نُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾؛ أي: السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(*) دين الإسلام.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ضرب مثلًا صراطًا مستقيمًا، على كنفي - أي جانبي - الصراط زوران - أي: جداران - لهما أبواب مفتحة، على الأبواب سُتور وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو فوقه ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربِّه». الترمذي - كتاب الأمثال (٤٥) باب (١) ما جاء في مثل الله لعباده، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٩٥).

---

(١) وحقيقة المكر هو التدبير المحكم في إنزال العقوبة بالمجرم من حيث لا يشعر، فهو أخص من مطلق المجازاة؛ فالمكر من الله سبحانه تدبير لرد كيد الكائد في نحره وإنزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله وسعيه ونيته، وسبق بيان مذهب السلف في هذا النوع من الصفات، وأنها فيما سيقت له مدح وكمال، ونثبتها لله ﷻ على ما يليق به - سُبْحَانَهُ - من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

(٢) ظاهره أنها بالياء قراءة سبعية وليس كذلك، بل هي عشرية لروْح.

(٣) لابن عامر.

(٤) قراءة الرفع للسبعة عدا حفص.

(٥) وهي قراءة حفص.

* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالإيمان ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه - تعالى - كما في حديث مسلم[1] ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾؛ أي: وللذين ﴿كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي: جزءًا[2] ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾ نُصِب بـ«الزموا» مقدرًا ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر؛ ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميّزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[3] ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ «ما» نافية، وقدم المفعول؛ للفاصلة[4].

[٢٩] ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾ مخففة؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

[٣٠] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تَبْلُوا۟﴾ من البلوى، وفي قراءة بتاءين[5] من التلاوة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ قدمت من العمل ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ عليه من الشركاء.

[٣١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع؛ أي: خلقها ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: هو ﴿ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ـهُ فتؤمنون.

[٣٢] ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ استفهام تقرير؛ أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ﴾ كيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان؟!.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾ كفروا، وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية[6]، أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) مسلم (١٨١) عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

(٢) بالإسكان قراءة الكسائي وابن كثير.

(٣) يس: ٥٩.

(٤) أي لمراعاة رءوس الآيات.

(٥) لحمزة والكسائي.

(٦) السجدة: ١٣.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ﴾ أحق أن يتبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا ۚ﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي: افتراء ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَٰكِن﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بـ﴿تَصْدِيقَ﴾ أو بـ«أنزل» المحذوف، وقرئ[1] برفع ﴿تَصْدِيقُ﴾ و﴿تَفْصِيلُ﴾ بتقدير هو.

[٣٨] ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا[2] على ذلك.

[٣٩] قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ رسلهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

[٤٠] ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: أهل مكة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ أبدًا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم: ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

[٤٢] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

---

(١) أي: شذوذًا.

(٢) وفي نسخة: «تقدروا» بالتاء، والمثبت أظهر.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء، بل أعظم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ [نَحْشُرُهُمْ][2] كَأَن﴾ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضًا إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف؛ لشدة الأهوال، والجملة حال مقدرة[3]، أو متعلَّق الظرف[4] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِع ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجى الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يتقدمون عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾؛ أي: الله ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط؛ كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

[٥١] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ حلَّ بكم ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿آلْآنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٥٣] ﴿۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾؛ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِي﴾ نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب.

---

(١) الحج: ٤٦.

(٢) هي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص بالياء: ﴿يحشرهم﴾.

(٣) أي: يوم نحشرهم متعارفين بينهم.

(٤) أي: «يوم»، وتقدير الكلام: يتعارفون بينهم يوم نحشرهم.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كفرت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميعًا من الأموال ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا.

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَاءٌ﴾ دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالياء والتاء[1].

[٥٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ خلق[2] ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ كالبحيرة والسائبة[3] والميتة ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم؟! لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾ أي: من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بيّن هو اللوح المحفوظ.

---

(١) بالتاء لابن عامر.

(٢) الأقرب ـ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ ـ أن يحمل الإنزال على معناه الظاهر، ويكون في الآية إثبات علوه ـ تَعَالَى ـ بذاته فوق خلقه، كما هو مذهب السلف قاطبة، وهو ما يتحاشى المفسر ذكره موافقةً لمذهب الأشاعرة.

(٣) سبق بيان معنى البحيرة والسائبة عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة.

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٦٣] هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الله بامتثال أمره ونهيه.

[٦٤] ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فُسِّرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له[1] ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الجنة والثواب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا خُلف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: لست مرسلاً وغيره ﴿إِنَّ﴾ استئناف ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك.

[٦٦] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عبيدًا ومُلكًا وخلقًا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره أصنامًا ﴿شُرَكَآءَ﴾ له على الحقيقة، تعالى عن ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز؛ لأنه يُبْصَرُ فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ.

[٦٨] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى لهم: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له عن الولد ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن كل أحد، وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ حجة ﴿بِهَٰذَآ﴾ الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام توبيخ.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا يسعدون.

[٧٠] لهم ﴿مَتَٰعٌ﴾ قليل ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾.

---

(١) المستدرك (٢/٣٤٠)، ورواه الترمذي (٢١٩٩) وأحمد (٢٦٢٥٠) عن أبي الدرداء مرفوعًا، ورواه الترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٣٨٨٨) وأحمد (٢١٦٣٠) عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٥٤).

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧١] ﴿۞ وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ لبثي فيكم ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾ مستورًا بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون، فإني لست مباليًا بكم.

[٧٢] ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ﴾ ثواب عليه فتولوا ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أي: من معه ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأرض ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ بالطوفان ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع[1] ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّنٌ ظاهرٌ.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ﴾ إنه لسحر ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة؟ ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار.

[٧٨] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾ لتردنا ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ الملك ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ مصدقين.

---

(١) وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والسِّنون، ونقص الثمرات. وهذه الآيات كانت لفرعون وقومه ليؤمنوا، وهي بخلاف الآيات التي أوتيها موسى ﷺ لبني إسرائيل ليؤمنوا، وهي: فلق البحر، وإنزال المنِّ والسلوى، وتظليل الغمام، وتفجير الماء من الحجر، ونتق الجبل؛ أي رفعه فوق رءوسهم، ومسخ الذين عتوا منهم، وإتيان الحيتان يوم سبتهم، والرجفة، والصاعقة، وإحياء الميت القتيل بضربه ببعض البقرة التي أمروا بذبحها.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ فائق في علم السحر.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾[1]: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾[2] بدل، وفي قراءة بهمزة واحدة[3] إخبار[4]، فـ«ما»[5] اسم موصول مبتدأ[6] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ويظهر ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِۦ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا.

[٨٦] ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مُصَلًّى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ امسخها ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ المؤلم، دعا عليه وأمّن هارون على دعائه.

---

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، وقوله: خبره؛ أي: ﴿جِئْتُم بِهِ﴾، وبدل؛ أي: ﴿ٱلسِّحْرُ﴾.

(٣) أي همزة الوصل في «السحر».

(٤) أي فهو إخبار.

(٥) على هذه القراءة.

(٦) وخبره: جملة: «إن الله سيبطله».

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة[١].

[٩٠] ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ مفعول له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ أي: بأنه، وفي قراءة بالكسر[٢] استئنافًا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كرره ليقبل منه فلم يقبل، ودس جبريل في فيه من حمأة[٣] البحر مخافة أن تناله الرحمة[٤].

[٩١] وقال له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان.

[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه[٥] ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة، وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُوا۟﴾ بأن آمن بعضٌ وكفر بعضٌ ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين.

[٩٤] ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضًا(*) ﴿فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه، قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل»[٦] ﴿لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

(*) ما جاء في نزول الآية (٩٤): أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئا فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّٰهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١١٨) في رد الوسوسة. (حسن الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٢).

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن مجاهد وهو قول ضعيف، كما ذكر القاضي كنعان في قرة العينين.

(٢) لحمزة والكسائي.

(٣) أي طينه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٣٢) وأحمد (٢٦٨١) عن ابن عباس مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره نحوه وكذلك في البداية والنهاية، وأخرج نحوه الطبري (١٧٨٧٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة [الدر المنثور (٥٧١/٣)] وهو ضعيف لإرساله.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ
كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلَّا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخِّروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء آجالهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون آيات الله.

[١٠١] ﴿قُلِ﴾ لكفار مكة: ﴿ٱنظُرُوا۟ مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير؛ أي: الرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله؛ أي: ما تنفعهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ ذلك ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ من العذاب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ أنه حق ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره وهو الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَ﴾ قيل لي: ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضًا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ يصبك ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِۦ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾؛ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأجبركم على الهدى.

[١٠٩] ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ أعدلهم، وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

سُورَةُ هُودٍ

[مكية إلا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، أو: إلا: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ﴾ الآية، و﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ الآية. مائتان واثنتان، أو: وثلاث وعشرون آية، نزلت بعد يونس](*)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: الله.

[٢] ﴿أَ﴾نْ؛ أي: بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم.

[٣] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾ جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فيه بحذف إحدى التاءين؛ أي: تعرضوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

ونزل كما رواه البخاري(1) عن ابن عباس فيمن كان يستحيي أن يتخلى(2) أو يجامع فيفضي(3) إلى السماء.

[٥] وقيل: في المنافقين: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾؛ أي: الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم(**) ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، قد شبت؟! قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت». الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(**) ما جاء في نزول الآية (٥): عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قال: سألته عنها؟ فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. أخرجه البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

---

(١) البخاري (٤٦٨٢).

(٢) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(٣) فالآية على هذا القول في تعليم التوحيد والمراقبة، وأن الله مطلع عليهم في جميع أحوالهم، ولا ينافي ذلك ندب التغطية عند التخلي والجماع.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعْدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٨ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةٗ ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٞ كَبِيرٞ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾

[٦] ﴿۞ وَمَا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٖ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ بيّن، هو اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ وهو على متن الريح[1] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح؛ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ أي: أطوع لله ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٞ مُّبِينٞ﴾ بيّن، وفي قراءة[2]: ﴿سَاحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ.

[٨] ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾ مجيء ﴿أُمَّةٖ﴾ أوقات ﴿مَّعْدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ﴾ ما يمنعه من النزول، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعًا ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةٗ﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٞ﴾ شديد الكفر به.

[١٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ المصائب ﴿عَنِّيٓۚ﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النعماء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٞ كَبِيرٞ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ﴾ هلّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم.

---

(١) هذا القول مروي عن ابن عباس، ومعناه أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح أن أول مخلوق هو الماء لحديث البخاري عن عمران بن حصين، أنه ﷺ سئل عن أحوال هذا العالم؛ فقال: «كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء». رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٢) لحمزة والكسائي.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة[١] ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً ثم بسورة[٢] ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه افتراء.

[١٤] ﴿فَإِ﴾ن ﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: مَن دعوتموهم للمعاونة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ ملتبسًا ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَن﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة؛ أي: أسلموا.

[١٥] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل: هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ ينقصون شيئًا.

[١٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا۟﴾هُ ﴿فِيهَا﴾ أي: الآخرة، فلا ثواب له ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقة ﴿مِّنْهُ﴾ أي: من الله، وهو جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التوراة شاهد له أيضًا ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك؟ لا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، فلهم الجنة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[*] المشركين.

[١٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى من نفسه أنه هلك؛ قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته.

وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٤) ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) وغير ذلك من وجوه حُسْنِهِ وإعجازه الكثيرة.

(٢) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ
ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ
هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ
وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾
فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا
وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ
عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ه؛ أي: لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

[٢١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ على الله من دعوى الشريك.

[٢٢] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا ﴿أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿۞ مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾؟ لا ﴿أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ﴾[١] فيه إدغام التاء في الأصل في الذال؛ تتعظون.

[٢٥] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ [أَنِّي]﴾ أي: بأني، وفي قراءة بالكسر[٢] على حذف القول[٣] ﴿لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ بيّن الإنذار.

[٢٦] ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

[٢٧] ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ وهم الأشراف: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ أسافلنا؛ كالحاكة والأساكفة ﴿[بَادِئَ] ٱلرَّأۡيِ﴾ بالهمز وتركه[٤]؛ أي: ابتداء من غير تفكر فيك، ونصبه على الظرف؛ أي: وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

[٢٨] ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ﴾ نبوة ﴿مِّنۡ عِندِهِۦ [فَعَمِيَتۡ]﴾ خفيت ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ وفي قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول[٥] ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) قراءة ﴿أَنِّي﴾ بالفتح للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) تقديره: «قال إني».

(٤) بالهمز قراءة أبي عمرو.

(٥) وبدون التشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وهي المفسرة أولاً.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

[٢٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًا﴾ تعطونيه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم.

[٣٠] ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾؛ أي: لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلَّا ﴿[تَذَّكَّرُونَ]﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال[1]؛ تتعظون.

[٣١] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾ إني ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ﴾ تحتقر ﴿أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إليَّ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين الله.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إغواءكم، وجواب الشرط دل عليه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٣٥] قال تعالى: ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ إثمي؛ أي: عقوبته ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إليَّ.

[٣٦] ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ من الشرك. فدعا عليهم بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾[2] إلخ، فأجاب الله دعاءه فقال: [٣٧] ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا[3] ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

(١) قرأ بتخفيف الذال حفص وحمزة والكسائي وشددها بقية السبعة.

(٢) نوح: ٢٦.

(٣) في هذه الآية وغيرها يثبت - سُبْحَانَهُ - لنفسه عينًا يرى بها جميع المرئيات، وهي صفة حقيقية لله ﷻ على ما يليق به - سُبْحَانَهُ -، نؤمن بها ونثبتها لربنا كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأما تأويل العين بأنها عبارة عن الإدراك والإحاطة فهو مذهب الأشاعرة وغيرهم من أهل التأويل.

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ﴾ استهزءوا به ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نجونا وغرقتم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

[٤٠] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية الصنع ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء(١)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن [كُلٍّ] زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول(٢)، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿۞ وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بفتح الميمين وضمهما(٣) مصدران؛ أي: جريها ورسوها؛ أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

[٤٢] ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعان(٤) ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن رَّحِمَۚ﴾ الله فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

[٤٥] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا خُلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

---

(١) قول جمهور السلف وعلماء الخلف أن المعنى: حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار، صارت تفور ماءً، وقيل: المراد الكناية عن اشتداد الأمر، كما يقال: حمي الوطيس، والوطيس: التنور. وهو من فصيح الكلام وبليغه، وقيل غير ذلك.

(٢) والقراءة المفسرة بإضافة «كُلِّ» هي قراءة السبعة عدا حفص الذي نوَّن؛ حيث عدَّى الفعل وهو ﴿احمِلْ﴾ إلى ﴿زَوْجَيْنِ﴾ فيكون مفعولًا، و ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ نعتًا لـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ وفيه معنى التأكيد، كقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ﴾، والتقدير: احمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف إليه «كل» فَنُوِّنَ «كلًّا». أما الجمهور فعدَّى الفعل إلى ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، والتقدير: احمل فيها اثنين.

(٣) أي في قوله: ﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَا﴾، وقوله: «بفتح الميمين» سبق قلم؛ فإن فتحهما قراءة شاذة؛ والصواب أن يقول: بضم الميمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية، والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) على افتراض صحة تسمية ابن نوح هذا الهالك بـ «كَنعان»؛ فإنه غير «كنعان» جد الكنعانيين، فإن جدهم هو: كنعان بن سام بن نوح.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين، وفي قراءة[1] بكسر ميم ﴿عَمِلَ﴾ فعل، ونصب ﴿غَيۡرَ﴾ فالضمير لابنه ﴿فَلَا [تَسْأَلَنِّ]﴾ بالتشديد والتخفيف[2] ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم[3].

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَٰمٖ﴾ بسلامة أو بتحية ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ خيرات ﴿عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٞ﴾ بالرفع ممن معك[4] ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

[٤٩] ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ القرآن ﴿فَٱصۡبِرۡۖ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ﴾ من القبيلة ﴿هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ﴾ زائدة ﴿إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَنتُمۡ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجۡرًاۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيۡهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر وكانوا قد مُنِعُوه ﴿عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ كثير الدرور ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمۡ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ﴾ أي: لقولك ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ
﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ
وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ
إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

---

(١) للكسائي.

(٢) بالنون المشددة مع فتح اللام وصلًا ووقفًا قراءة ابن كثير، وقرأ قالون، وابن عامر ﴿فلا تسألنِّ﴾ وصلًا ووقفًا، وقرأ ورش وأبو جعفر ﴿فلا تسألنّي﴾ بإثبات الياء وصلًا، وحذفها وقفًا.

(٣) أي: أنهاك.

(٤) أي من ذريتهم.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

[٥٤] ﴿إِن﴾ما ﴿نَّقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ﴾ فخبلك؛ لسبِّك إياها، فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ عليَّ ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ـهُ به.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، وخص الناصية بالذكر؛ لأن من أُخِذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ أي: تُعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية[١] ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ عَادٌۖ﴾ إشارة إلى آثارهم؛ أي: فسيحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ جمع؛ لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل؛ لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ أي: السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

[٦٠] ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

[٦١] ﴿۞ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمارًا تسكنون بها ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِۚ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُّجِيبٌ﴾ لمن سأله.

[٦٢] ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيدًا ﴿قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾ الذي صدر منك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ مُوقِع في الريب.

---

(١) تأويل هذه الرحمة بالهداية أو غيرها؛ هي طريقة المؤولة خوف إرادة التشبيه في صفات الله ﷻ، وهذا فهم خاطئ، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه دون أن يقتضي ذلك تشبيهًا وهو ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

[٦٣] ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ نبوة[١] ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ تضليل.

[٦٤] ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ حال، عامله الإشارة[٢] ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ عقر ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ إن عقرتموها.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قُدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ فيه.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَ﴾ نجيناهم ﴿مِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾ بكسر الميم إعرابًا وفتحها بناء؛ لإضافته إلى مبني[٣] وهو الأكثر[٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٦٨] ﴿كَأَن﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَآ﴾ في دارهم ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾ بالصرف وتركه[٥] على معنى الحي[٦] والقبيلة[٧].

[٦٩] ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ مصدر ﴿قَالَ سَلَٰمٞ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ مشوي.

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ بمعنى: أنكرهم ﴿وَأَوۡجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ خوفًا ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ لنهلكهم.

[٧١] ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارة ﴿قَآئِمَةٞ﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ استبشارًا بهلاكهم ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾ بعد ﴿إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ ولده تعيش إلى أن تراه.

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

---

(١) النبوة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، التي هي من صفاته - سُبْحَانَهُ -، ونثبتها له ﷻ كما هو مذهب السلف على الوجه اللائق به.

(٢) أي اسم الإشارة؛ وهو «هذه» لما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها».

(٣) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٤) أي في اللغة؛ أما قراءةً فهما سواء.

(٥) بالصرف قراءة الكسائي.

(٦) قوله: «الحي» راجع للصرف؛ فإن اسم «ثمود» يُصرف إذا أطلق مرادًا به الأب الأكبر أو الحي؛ أي ديارهم.

(٧) قوله: «القبيلة» راجع لتركه؛ فإن اسم «ثمود» يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث إذا أريد به القبيلة.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ له مائة، أو: وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين.

[٧٣] ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قدرته[١]؟ ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾ كريم.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالولد أخذ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِى﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ رجاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطًا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها... إلخ[٢].

[٧٦] فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

[٧٧] ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا[٣]؛ لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد.

[٧٨] ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ تفضحون ﴿فِى ضَيْفِىٓ﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾ طاقة ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[*] عشيرة تنصرني لبطشت بكم.

[٨١] فلما رأت الملائكة ذلك ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا﴾ [﴿ٱمْرَأَتُكَ﴾] بالرفع[٤] بدل من ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قراءة: بالنصب استثناء من الأهل؛ أي: فلا تُسْرِ بها ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت فقالت: وا قوماه، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

(*) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «قال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾» قال: «قد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته؛ فما بعث الله ﷻ بعده نبيًا إلا بعثه في ذروة من قومه». المسند (٥٣٣/٢، ٣٨٤). وحسن الأرناؤوط إسناده في تخريجه على المسند (١٠٩٠٣) (٥٢٥/١٦). قال ابن الأثير: ذروة كل شيء أعلاه. (النهاية ١٥٩/٢).

وأخرجه الترمذي أيضًا ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف، وضعفه الألباني بلفظ «ذروة» وحسنه بلفظ «ثروة»، وانظر: الصحيحة (١٦١٧)، قال ابن الأثير: الثروة: العدد الكثير ـ (النهاية (٢١٠/١).

والحديث في الصحيحين مختصرًا بلفظ: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد». البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (١٥١).

(١) الأمر غير القدرة، والاستفهام في الآية للإنكار؛ أي كيف تعجبين من قضاء الله وقدره، وتمام قدرته وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجبت منه من خوارق العادة لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثلها أن هذا من مقدوراته سبحانه؛ فـ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

(٢) رُوي بعض هذا الحوار عن قتادة السدوسي، وبعضه عن سعيد بن جبير رحمهما الله، ولم يثبت شيء منه مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، فالأولى: الاقتصار على الصميم الثابت والإعراض عما لم يثبت وليس في ذكره كبير فائدة.

(٣) أي: ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه، والأصل فيه أن البعير إذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه؛ أي: صدره.

(٤) بالرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي: بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ﴾ متتابع.

[٨٣] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلّمة عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾.

[٨٤] ﴿۞ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به مجاز؛ لوقوعه فيه.

[٨٥] ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئًا ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره؛ من (عَثِيَ) بكسر المثلثة: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿تَعْثَوْاْ﴾.

[٨٦] ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بُعثت نذيرًا.

[٨٧] ﴿قَالُواْ﴾ له استهزاءً: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاءً.

[٨٨] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟! ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾(*) فأرتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

(*) فائدة: أخرج أحمد عن مسروق أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود فقالت: أنبئت أنك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم ... الحديث، وفيه: قالت المرأة: فلعله في بعض نسائك؟! قال: ادخلي. فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأسًا. قال: ما حفظتُ إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾.
المسند (١/٤١٤- ٤١٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٤٥). وقوى الأرناؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٣٩٤٥) (٧/٥٨). وأصله في الصحيحين؛ البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

[٨٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنّكم[١] ﴿شِقَاقِيٓ﴾ خلافي فاعل «يجرم»، والضمير مفعول أول، والثاني[٢]: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا.

[٩٠] ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم.

[٩١] ﴿قَالُواْ﴾ إيذانًا بقلة المبالاة: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾ ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَٰكَۖ﴾ بالحجارة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعزة.

[٩٢] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ﴾ منبوذًا خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علمًا فيجازيكم.

[٩٣] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٌۖ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٩٥] ﴿كَأَن﴾ مخففة؛ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بيّن ظاهر.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سديد.

(١) هذا هو قول الزجاج. وقال الحسن البصري وقتادة: «يحملنكم».

(٢) أي المفعول الثاني هو: المصدر المؤوّل من جملة.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ هي.

[٩٩] ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾ العون ﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾ رفدهم.

[١٠٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: القرى ﴿قَآئِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ﴾ بالشرك ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير.

[١٠٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أريد أهلها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية(١).

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ يشهده جميع الخلائق.

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله.

[١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِىٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾(*) كتب كل في الأزل.

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ في علمه تعالى ﴿فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف(٢).

[١٠٧] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له(٣)، والمعنى: خالدين فيها أبدًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

[١٠٨] ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ [سَعِدُوا]﴾ بفتح السين(٤) وضمها ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله، فعلام نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أو على شيء لم يُفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه، وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كلٌّ ميسر لما خلق له». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سورة هود. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٦).

---

(١) البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) روي هذا التفسير عن ابن عباس، وقيل غير ذلك. وأصل «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق»: آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة. وهما يصدران عن الإنسان أيضًا خاصة حال تعبه وإرهاقه.

(٣) وأكثر علماء السلف والخلف أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ثم برحمته - سُبْحَانَهُ -، وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] فجريًا على عادة العرب في إفادة الدوام بذلك، أو المراد جنس السماوات والأرض؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة أيضًا من سماوات وأرض.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من الأصنام، إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي: كعبادتهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي: تامًّا.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة.

[١١١] ﴿[وَإِنْ]﴾ بالتخفيف والتشديد[1] ﴿كُلًّا﴾ كل الخلائق ﴿[لَمَا]﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة[2]، وفي قراءة: بتشديد «لما» بمعنى «إلا» فـ«إن»[3] نافية ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم ببواطنه كظواهره.

[١١٢] ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَ﴾ ليستقم ﴿مَن تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ تميلوا ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بمودة أو مداهنة أو رضًا بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تصيبكم ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الغداة والعشي؛ أي: الصبح والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا﴾ جمع زلفة؛ أي: طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب الصغائر، نزلت[*] فيمن قَبَّلَ أجنبية فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان[4] ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين.

[١١٥] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المراد به النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا، و«من» للبيان ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَآ أُتْرِفُواْ﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

(*) ما جاء في نزول الآية (١١٤) : أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة هود (١١) باب (٥).

---

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وشعبة.

(٢) أي بين «إن» المهملة والنافية.

(٣) على قراءة التخفيف، وقرأها بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

(٤) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود.

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين.

[١١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير[١]، فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٠] ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بـ﴿نَّقُصُّ﴾ وتنوينه عوض المضاف إليه؛ أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا﴾ بدل من (كُلًّا) ﴿نُثَبِّتُ﴾ نطمئن ﴿بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ قلبك ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار.

[١٢١] ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم.

[١٢٢] ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ [يَرْجِعُ]﴾ بالبناء للفاعل يعود، وللمفعول يُرَدُّ[٢] ﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وَحِّدْهُ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم، وفي قراءة بالفوقانية[٣].

سورة يوسف

[مكية، مائة وإحدى عشرة آية، نزلت بعد هود]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل.

[٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن﴾ مخففة؛ أي: وإنه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

[٤] اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على ياء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء[٤] ﴿إِنِّى رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِى سَٰجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

(١) تأويل رحمة الله ﷻ بإرادة الخير والثواب ونحوه مذهب المؤولة، وهذا فرع التعطيل، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة السبعة عدا نافع وحفص.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالفتح قراءة ابن عامر.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

[٥] ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ يحتالون في هلاكك؛ حسدًا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهر العداوة.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجۡتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ﴾ في صنعه بهم.

[٧] ﴿۞لَّقَدۡ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ﴾ وهم أحد عشر ﴿ءَايَٰتٞ﴾ عبر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خبرهم.

[٨] اذكر ﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم: ﴿لَيُوسُفُ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ﴾ خطأ ﴿مُّبِينٍ﴾ بيّن بإيثارهما علينا.

[٩] ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ بأن تتوبوا.

[١٠] ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ هو يهوذا: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع[1] ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك.

[١١] ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ لقائمون بمصالحه.

[١٢] ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا﴾ إلى الصحراء ﴿نَرۡتَعۡ وَنَلۡعَبۡ﴾ بالنون والياء[2] فيهما ننشط ونتسع ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ﴾ أي: ذهابكم ﴿بِهِۦ﴾ لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ مشغولون.

[١٤] ﴿قَالُواْ لَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ عاجزون.

---

(١) لنافع.

(٢) بالياء مع كسر العين قراءة نافع، وبالنون مع كسرها قراءة ابن كثير، وبالنون مع إسكانها قراءة أبي عمرو وابن عامر، والباء ساكنة في جميع القراءات.

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا﴾ عزموا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وجواب «لَمَّا» محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجب وَحْيَ حَقِيقَةٍ، وله سبع عشرة سنة أو دونها؛ تطمينًا لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

[١٦] ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ عندك لاتهمتنا في هذه القصة؛ لمحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا[١].

[١٨] ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ محله، نصب على الظرفية؛ أي: فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾؛ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحًا وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمري ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

[١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبًا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُۥ﴾ في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ [يَابُشْرَايَ]﴾[٢]، وفي قراءة: ﴿بُشْرَىٰ﴾، ونداؤها مجاز؛ أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي: أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَٰعَةً﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف؛ خوفًا من أن يقتلوه[٣] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي: إخوته[٤] ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارًا وزوجي نعل وثوبين.

[٢١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زَلِيخا: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وكان حصورًا[٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجب وعطَّفْنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا، عطف على مقدر متعلق بـ﴿مَكَّنَّا﴾ أي: لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ وهو ثلاثون سنة أو: وثلاث ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهًا في الدين قبل أن يبعث نبيًا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

---

(١) هذا الكلام قَدَّرَهُ المؤلف إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية وجوابها محذوف، والأقرب جعل الواو حالية و﴿لَوْ﴾ زائدةً.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) والقول الآخر: أي أسره الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء وهو الظاهر؛ أي أن الذين أسروه بضاعة وشروه بثمن بخس هم السيارة؛ أي المسافرون من القافلة، واشتراه منهم رجل من أهل مصر؛ فلم يقع بيعه وشراؤه إلا مرة واحدة.

(٤) وهذا على القول الأول، وعلى القول الآخر: يكون الضمير عائدًا إلى السيارة، ويكون زهدهم فيه؛ لخوفهم من إِبَاقِهِ كما زعم إخوته.

(٥) أي: لا يأتي النساء أو عقيمًا، والضمير يعود إلى العزيز.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتۡ﴾ له: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي: هلم، واللام للتبيين، وفي قراءة بكسر الهاء[١]، وأخرى بضم التاء[٢] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُۥ﴾ الذي اشتراني ﴿رَبِّيٓ﴾ سيدي[٣] ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك[٤] ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله[٥]، وجواب «لولا»: لجامعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الخيانة ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا [ٱلۡمُخۡلِصِينَ]﴾[٦] في الطاعة، وفي قراءة بفتح اللام؛ أي: المختارين.

[٢٥] ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وَقَدَّتۡ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ فنزهت نفسها ثم ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ زنًا ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم بأن يضرب.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئًا: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد[٧] فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

[٢٧] ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾ خلف ﴿فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي: قولك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ﴾ إلخ ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ أيها النساء ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾.

[٢٩] ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ الآثمين. واشتهر الخبر وشاع.

[٣٠] ﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ عبدها ﴿عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ تمييز؛ أي: دخل حبه شغاف قلبها؛ أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي: في خطأ ﴿مُّبِينٖ﴾ بيّن بحبها إياه.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أي مع فتح الهاء، وهي لابن كثير، وذكر المصنف ثلاث قراءات وكلها سبعية، وبقي قراءتان لهشام هما: ﴿هِئۡتُ﴾ بكسر الهاء والهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها.

(٣) والقول الآخر أنه الرب على ظاهره وهو الله ﷻ.

(٤) معاذ الله أن ينسب مثل هذا الهمّ لنبي كريم مع أن الله ﷻ أثبت براءته في أكثر من خمسة مواضع من القصة ذاتها، وجمهور القراء على الوقف عند قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾، ومعناه: إرادة الفاحشة، وأما هَمُّهُ بها فمنفي؛ لوجود برهان ربه، وهذا سائغ في اللغة؛ إذ يجوز تقديم جواب (لولا) عليها؛ فيكون المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، ونظيره قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾. ورجح طائفة من المفسرين أن المراد بهمه عليه السلام مجرد خاطر طرأ عليه بمقتضى الجبلة البشرية، ثم دفعه وصرفه الله عنه بمقتضى العصمة النبوية... وهذان القولان أحسن ما قيل في تفسير الآية.

(٥) وهذه الرواية من الإسرائيليات المردودة التي لا تليق بنبي كريم.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، والباقون بفتحها.

(٧) أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾ أَعَدَّتْ ﴿لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ طعامًا يقطع بالسكين؛ للاتكاء عنده[1] وهو الأُتْرُجّ ﴿وَءَاتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ﴾ ليوسف: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظمنه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم؛ لشغل قلبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهًا له ﴿مَا هَٰذَا﴾ أي: يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث: «أنه أُعطي شطر الحسن»[2].

[٣٢] ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن: ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ فهذا هو ﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ في حبه، بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ الذليلين؛ فقلن له: أطع مولاتك.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أَمِلْ ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾ أصير ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء؛ فلذا قال تعالى: [٣٤] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه، دل على هذا: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿حِينٍ﴾ ينقطع فيه كلام الناس.

[٣٦] فسجن ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ غلامان للملك؛ أحدهما ساقيه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا، فقالا: لنختبرنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ وهو الساقي: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنبًا ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٣٧] ﴿قَالَ﴾ لهما مخبرًا أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قواه بقوله: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) سمي الطعام بذلك؛ لأنه يتوكأ عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء.

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا.

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله فيشركون.

[٣٩] ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ﴾ ساكني ﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ خير؟ استفهام تقرير.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سميتم بها أصنامًا ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٤١] ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي: الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقالا: ما رأينا شيئًا[١]، فقال: ﴿قُضِىَ﴾ تم ﴿ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ سيدك فقل له: إن في السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا، فخرج ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي: الساقي ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﴿فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قيل: سبعًا، وقيل: اثنتي عشرة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي: رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَابِسَٰتٍ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها.

(١) هذا أحد القولين، والقول الآخر: أنهما رأيا ذلك حقيقة، وهو الصحيح لظاهر القرآن.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٤] ﴿قَالُوٓاْ﴾: هذه ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ أخلاط ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾ أي: من الفتيين، وهو الساقي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالًا وإدغامها في الدال؛ أي: تذكر ﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حالَ يوسف: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾.

[٤٦] فأرسلوه فأتى يوسف فقال: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ تعبيرها.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ فادرسوه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السبع المخصبات ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ مجدبات صعاب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات؛ أي: تأكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ تدخرون.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السبع المجدبات ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ الأعناب وغيرها لخصبه.

[٥٠] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ أي: بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصدًا إظهار براءته: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي[1] ﴿بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾[*].

[٥١] فرجع فأخبر الملك فجمعهن ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ شأنكن ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ﴾ وضح ﴿ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾[2].

[٥٢] فأُخبر يوسف بذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ﴾ في أهله[3] ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت» ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٠٤). وأصله في الصحيحين بمعناه؛ البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (١٥١).

قال النووي: «... وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله تواضعًا وإيثارًا للبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف». شرح النووي على مسلم (٢/٣٣٩ - ٣٤٠).

(١) قيل: المراد بالرب: الله - تَعَالَى -، ويكون في كلامه عليه السلام التفويض لله عز وجل.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) اختيار المصنف أن يوسف هو قائل ذلك، وهو قول الطبري وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم، وظاهر السياق والذي عليه أكثر المحققين من المفسرين - كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وغيرهم - أن هذا من كلام امرأة العزيز؛ والمعنى: ليعلم زوجي أني لم أرتكب الفاحشة، وإنما هي مراودة، وما أبرئ نفسي؛ فإن النفس البشرية يغلب عليها الشهوة فتأمر بالسوء.

۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ
إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾
قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ
إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا
تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي
بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ثم تواضع لله[1] فقال: ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ من الزلل ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ بمعنى «مَنْ» ﴿رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[٥٤] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أجعله خالصًا لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثيابًا حسانًا ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعًا كثيرًا في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

[٥٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بعد الضيق والحبس، وفي القصة أن الملك توّجه وختّمه[2] وولاه مكان العزيز، وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين[3]، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودخلت سِنُو القحط، وأصاب أرض كنعان والشام ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه؛ ليتسلى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ وفّى لهم كيلهم ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ أي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي: ميرة ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾ نهي أو عطف على محل ﴿فَلَا كَيۡلَ﴾[4] أي: تُحرموا ولا تقربوا.

[٦١] ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَتِهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾[5] غلمانه: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ إلينا؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ بالنون والياء[6] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

---

(١) هذا على اختيار المصنف أن الكلام المتقدم وهذا من كلام يوسف، وأكثر المحققين على خلافه وأنه من كلام امرأة العزيز.

(٢) أي حلاه بخاتمه.

(٣) هذا الكلام ليس عليه دليل، وهو يتنافى مع مقام النبوة؛ إذ كيف يتزوج نبي كريم من امرأة علم منها إرادة الفحشاء؟!.

(٤) أي: لا كيل ولا قُرب.

(٥) والقراءة الأولى لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ﴾ ما ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ [حِفْظًا]﴾ وفي قراءة: ﴿حَٰفِظًا﴾[1]، تمييز كقولهم: لله دره فارسًا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأرجو أن يمن بحفظه.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾ «ما» استفهامية؛ أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟ وقرئ بالفوقانية[2]؛ خطابًا ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل على الملك لسخائه.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به، فأجابوه على ذلك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾ شهيد، وأرسله معهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟﴾ مصر ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَآ أُغْنِى﴾ أدفع ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ قدره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: متفرقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قضائه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده.

(١) وهي قراءة حفص وحمزة والكسائي، والقراءة الأولى لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أي: تَبْغِي، وهي قراءة شاذة.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجوهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا۟ وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ ـه.

[٧٢] ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل.

[٧٣] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ ما سرقنا قط.

[٧٤] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المؤذن وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟.

[٧٥] ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ﴾ يُسْتَرَقّ، ثم أكد بقوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالسرقة، فصرحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقًا عن السرقة ﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نَرْفَعُ [دَرَجَاتٍ] مَّن نَّشَآءُ﴾ بالإضافة والتنوين(١)؛ في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله ـ تعالى.

[٧٧] ﴿۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: يوسف وكان سرق لأبي أمه صنمًا من ذهب فكسره؛ لئلا يعبده(٢). ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمره.

[٧٨] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

(١) بالإضافة لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) روى ذلك ابن مردويه مرفوعًا عن ابن عباس مرفوعًا، وقيل غير ذلك، ولم يصح من ذلك شيء مرفوعًا ولا موقوفًا، والصحيح أن قولهم هذا محض كذب وافتراء على يوسف وأخيه، كما نقل القرطبي عن الحسن البصري.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول؛ أي: نعوذ بالله من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ لم يقل من سرق تحرزًا من الكذب ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا۟﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره؛ أي: يناجي بعضهم بعضًا ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سنًّا «روبيل»، أو رأيًا «يهوذا»: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ وقيل: «ما» مصدرية مبتدأ خبره: «من قبل» ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعدلهم.

[٨١] ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَٰفِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه.

[٨٢] ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر؛ أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَٱلْعِيرَ﴾ أصحاب العير ﴿ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٨٤] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تاركًا خطابهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ الألف بدل من ياء الإضافة؛ أي: يا حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ انمحق سوادهما وبدل بياضًا من بكائه ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه.

[٨٥] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَؤُا۟﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفًا على الهلاك لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ الموتى.

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس ﴿وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي.

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ
مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا
ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ
﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ
جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ
وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ
ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ
﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ
بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ثم قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ﴾ تقنطوا ﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ الجوع ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ مدفوعة[١] يدفعها كل من رآها لرداءتها، وكانت دراهم زيوفًا[٢] أو غيرها ﴿فَأَوۡفِ﴾ أتم ﴿لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ يثيبهم، فرق لهم وأدركته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

[٨٩] ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخًا: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ ما يئول إليه أمر يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوٓاْ﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين: ﴿أَءِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين[٣] ﴿لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ﴾ أنعم ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

[٩١] ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ﴾ فضَّلك ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وَإِن﴾ مخففة؛ أي: إنا ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ آثمين في أمرك فأذللناك.

[٩٢] ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ﴾ عتب ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[٩٣] وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهبت عيناه، فقال: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين أُلقي في النار، كان في عنقه في الجب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال: إن فيه ريحًا ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي[٤] ﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ﴾ يصر ﴿بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ﴾ أوصلته إليه الصَّبا[٥] بإذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تسفهون لصدقتموني.

[٩٥] ﴿قَالُواْ﴾ له: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ﴾ خطئك ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

---

(١) أي مردودة.

(٢) جمع «زيف»، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، فيكون مرغوبًا عنه .

(٣) أي التحقيق والتسهيل؛ فالقراءات أربع سبعية. وقرأ ابن كثير هنا بالخبر ﴿إِنَّكَ﴾ وهي قراءة خامسة سبعية أيضًا.

(٤) ليس على ذلك دليل، وإنما هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد مثلها في تفسير كلام الله، كما أن ظاهر نسبة القميص لنفسه ﷺ خلاف ما ذكر، والله أعلم.

(٥) «الصَّبا»: ريح مهبها من مطلع الشمس؛ إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدَّبور»، وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس مرفوعًا: «نُصرتُ بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدَّبور».

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

[٩٦] ﴿فَلَمَّآ أَن﴾ زائدة ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوذا بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٩٧] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أخر ذلك إلى السحر؛ ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مضربه(١) ﴿ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وأمه، أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ فدخلوا وجلس يوسف على سريره.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ السرير ﴿وَخَرُّوا۟﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ إليَّ ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ لم يقل من الجب تكرمًا؛ لئلا تخجل إخوته ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه، وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة، وكان مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة(٢).

[١٠١] ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ﴾ متولي مصالحي ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة، وتَشَاحَّ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء لملكه(٣).

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ في كيده أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به؛ أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

[١٠٣] ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) أي خيمته، وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك.

(٢) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بما قصه الله علينا، وهو أحسن القصص.

(٣) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بما قصه الله علينا، وهو أحسن القصص.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّنْ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون بها.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»، يعنونها.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ نقمة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُو إِلَى﴾ دين ﴿اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ آمن بي، عطف على «أنا» المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيهًا له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضًا.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا [يُوحَى]﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء[1] ﴿إِلَيْهِم﴾ لا ملائكة ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا [يَعْقِلُونَ]﴾ بالياء والتاء[2]، يا أهل مكة هذا فتؤمنون.

[١١٠] ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي: فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْأَسَ﴾ يئس ﴿الرُّسُلُ وَظَنُّوا﴾ أيقن الرسل[3] ﴿أَنَّهُمْ قَدْ [كُذِّبُوا]﴾ بالتشديد تكذيبًا لا إيمان بعده، والتخفيف[4]؛ أي: ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا [فَنُنَجِّي]﴾ بنونين مشددًا ومخففًا، وبنون مشددًا ماض[5] ﴿مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يختلق ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

* * *

---

(١) بالياء قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٢) بالياء لحمزة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) وهذا راجع لقراءة التشديد في ﴿كُذِّبُوا﴾.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات، وظاهر كلامه أنها كلها سبعية، وليس كذلك؛ فقراءة التشديد مع النونين قراءة شاذة، أما قراءة التخفيف مع النونين فيه للسبعة عدا عاصم وابن عامر.

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

سُورَةُ الرَّعْدِ

[مكية إلا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية. أو-: مدنية إلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ الآيتين، ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓرۚ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن، مبتدأ خبره: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ﴾ أي: العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ استواءً يليق به[1] ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلّل ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾ بسط ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ﴾ من كل نوع ﴿يُغْشِى﴾ يغطي ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله.

[٤] ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ متلاصقات، فمنها طيب وسبخ، وقليل الريع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾، والجر[2] على ﴿أَعْنَٰبٍ﴾، وكذا قوله[3]: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صنو، وهي النُّخيلات[4] يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ منفردة ﴿[تُسْقَىٰ]﴾ بالتاء؛ أي: الجنات وما فيها، والياء[5]؛ أي: المذكور ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون والياء[6] ﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ﴾ بضم الكاف وسكونها[7]؛ فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٥] ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين البعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها[8]، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني[9]، وأخرى عكسه[10] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

---

(١) سبق التعليق على هذا الإطلاق وأنه إذا كان تفويضًا في الكيفية فنعم، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.

(٢) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٣) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفي نسخة مطبوعة: «النخلات».

(٥) بالتاء قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٧) بالسكون قراءة نافع وابن كثير.

(٨) فهذه أربع قراءات.

(٩) لنافع والكسائي.

(١٠) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:

قرأ نافع والكسائي ﴿أَءِذَا﴾ بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

وقرأوا ﴿أَءِنَّا﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في ﴿أَءِذَا﴾ ويدخل ألفًا بينها وبين الأولى، وورش يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال قولاً واحدًا، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال.

وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيهما وكلٌّ على قاعدته، فابن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحمزة بالتحقيق من غير إدخال.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

[٦] ونزل في استعجالهم العذاب استهزاءً: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ جمع «المَثُلَة» بوزن «السَّمُرَة»؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر وحدٍّ لا يتجاوزه.

[٩] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿المُتَعَالِي﴾ على خلقه بالقهر[١]، بياء ودونها[٢].

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ في علمه تعالى ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سَرْبِه[٣] أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

[١١] ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُم﴾ لمن أراد الله بهم سوءًا ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي: غير الله ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَالٍ﴾ يمنعه عنهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق[٤] ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر[٥] ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمطر.

[١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو ملك[٦] موكل بالسحاب يسوقه متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾ يسبح ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ فتحرقه، ونزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف[٧] رأسه[٨] ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ القوة أو الأخذ.

---

(١) وهذا أحد معاني العلو الثابتة لله ﷻ، وله العلو التام؛ علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، ولا يجوز قصر العلو على نوع واحد فقط.

(٢) في الوصل والوقف، فبالياء قرأ ابن كثير، على الأصل؛ لأن الألف واللام أذهبا التنوين الذي تحذف الياء من أجله، فرجعت الياء، وبالحذف قرأ الباقون اتباعًا للخط، واكتفاء بدلالة الكسرة على الياء.

(٣) قال في القاموس المحيط: السارب: الذاهب على وجهه في الأرض.

(٤) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيرًا، وأخرى شرًّا، للجميع.

(٥) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيرًا، وأخرى شرًّا، للجميع.

(٦) أخرج الترمذي في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله...» الحديث، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٢)، والمخاريق: جمع مخراق، والمراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب. وقيل: المراد بتسبيح المخلوقات من الجمادات وغير العقلاء: تسبيح الدلالة؛ فكل محدث يدل على أن الله خالق قادر. وقيل: هذا التسبيح حقيقة، ولا مانع من أن ينطق الله أي شيء بذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ولا تعارض بين القولين؛ فالرعد مَلك موكل بالسحاب، وهو يسبح بحمد ربه، كما أن المخلوقات كلها تسبح حقيقة بحمد الله، والله أعلم.

(٧) بكسر القاف؛ عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

(٨) أخرج نحوه النسائي والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك (٤/٩٩) في الدر المنثور. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/٣٠٤) رقم (٦٩٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

[١٤] ﴿لَهُۥ﴾ تعالى ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: كلمته، وهي لا إله إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء[1] يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ على شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي: فاه أبدًا فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ضياع.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف[2] ﴿وَ﴾ يسجد ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ﴾ البكر[3] ﴿وَٱلْءَاصَالِ﴾ العشايا.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه فلا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أصنامًا تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكهما؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾ أي: خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار؛ أي: ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لعباده. ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: [١٧] ﴿أَنزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار ملئها ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا [تُوقِدُونَ]﴾ بالتاء والياء[4] ﴿عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيبت ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي: مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكير ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: مثلهما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ باطلاً مرميًا به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُثُ﴾ يبقى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ زمانًا، كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

---

(١) ظاهره أنهما قراءتان سبعيتان، وليس كذلك، فالياء هي قراءة السبعة، أما التاء فشاذة.

(٢) هذا المعنى غير واضح، ولا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾، والأقرب أن يُقال: إن المراد بالسجود كرهًا: هو انقياد غير المؤمنين من الكفار والمنافقين لإرادته سُبْحَانَهُ وتدبيره وتصريفه، لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وكذا تنقاد له تعالى ظلالهم، كما لا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفهامًا وعقولاً بها تسجد لله، كما خلقها للجبال وغيرها حتى اشتغلت بالتسبيح، ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعًا لأصحابها، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

(٣) جمع بُكرة وهي من أول النهار.

(٤) بالتاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

[١٩] ونزل في حمزة وأبي جهل[١]: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ فآمن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر، أو كل عهد ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ تقدم مثله.

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

[٢٣] هي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكرمةً لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور أول دخولهم للتهنئة[٢].

[٢٤] يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ عقباكم.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.

[٢٦] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي: أهل مكة فرح بطر ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ إضلاله؛ فلا تغني عنه الآيات شيئًا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع إليه. ويبدل من ﴿مَنْ﴾: [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: وعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

(١) لم أقف في كتب أسباب النزول أو غيرها من كتب التفسير على ما يشهد لهذا القول، والمشهور أن الآية عامة في التفريق بين المؤمنين والكافرين كما ذكر ذلك قتادة وغيره. كما في الدر المنثور وتفسير الطبري وغيرهما. والله أعلم.

(٢) ولا دليل على هذا الحصر، وظاهر إطلاق الآية ـ وعليه المفسرون ـ أنه غير مخصوص بهذا الوقت، بل يدخلون عليهم في غيره.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ۝٢٩ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝٣١ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤﴾

[٢٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره: ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب[١]، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها[٢] ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ مرجع.

[٣٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

[٣١] ونزل لما قالوا له: إن كنت نبيًّا فسيِّر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارًا وعيونًا؛ لنغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي[٣]: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعًا في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ يعلم[٤] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾ بصنعهم؛ أي: كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد بجيشك[٥] ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة.

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له مَنْ هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تُنَبِّئُونَهُ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ـه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار؛ أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿مِن وَاقٍ﴾ مانع.

---

(١) قال الزمخشري: ﴿طُوبَىٰ﴾: مصدر من «طاب» كبشرى وزلفى، ومعنى «طوبى لك»: أصبت خيرًا وطيبًا.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب الجواب في ظلها لسار فيه مائة عام قبل أن يقطعه...» الحديث [الدر المنثور (١١٣/٤)].

وجاء نحو هذا المعنى في حديث رواه أحمد (١١٢٤٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٩/٤) رقم (١٩٨٥) وحسنه في صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/١٢ رقم ١٢٦١٧) عن ابن عباس، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥٥٦/٩، ٥٥٧ رقم ٥٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣/٧): «رواه الطبراني، وفيه قابوس بن أبي ظبيان، وقد وثق».

(٤) وهي لغة هوازن؛ حيث يطلقون «يئس» على معنى «علم».

(٥) والقول الآخر، وهو الظاهر من السياق: أن الضمير يعود إلى القارعة؛ أي: تصيب من حولهم؛ ليتعظوا ويعتبروا.

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

[٣٥] ﴿۞مَّثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فيما نَقُصُّ عليكم ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَآئِمٌ﴾ لا يفنى ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تِلْكَ﴾ أي: الجنة ﴿عُقْبَى﴾ عاقبة ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

[٣٦] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ مرجعي.

[٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضًا ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿وَلِىٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ مانع من عذابه.

[٣٨] ونزل لما عيروه بكثرة النساء[١]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أولادًا وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٌ﴾ مكتوب فيه تحديده.

[٣٩] ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ بالتخفيف والتشديد[٢]، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

[٤٠] ﴿وَإِمَّا﴾ فيه ادغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكرهم كمكره؛ لأنه - تعالى - ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعد لها جزاءه، وهذا هو المكر كله؛ لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: ﴿ٱلْكُفَّٰرُ﴾[٣] ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾؛ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم النبي ﷺ وأصحابه.

(١) كان تعييرهم له ﷺ بذلك بقصد الطعن في نبوته ﷺ.
(٢) وهما قراءتان سبعيتان، وبالتشديد قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.
(٣) والقراءة المفسرة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لك: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

* * *

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

[مكية إلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟﴾ الآيتين فمدنيتان. وآياتها: إحدى، أو: اثنتان، أو: أربع، أو: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ ويبدل من ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المحمود.

[٢] ﴿ٱللَّهِ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة، والرفع[1] مبتدأ خبره: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

[٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(٭) ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم.

(٭) فائدة: أخرج أحمد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبعث الله نبيًا إلا بلغة قومه». (المسند ٥/١٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٧).

---

(١) بالرفع قراءة نافع وابن عامر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى
لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا
بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾
۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

[٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة: إن مولودًا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعْلَمَ ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم، دل عليه: ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه بهم.

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبَؤُا۟﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوٓا۟﴾ أي: الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: إليها؛ ليعضوا عليها من شدة الغيظ[1] ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة.

[١٠] ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار؛ أي: لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

(١) هذا قول ابن مسعود، وقيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبًا لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وعدم الإيمان بهم. وقيل غير ذلك.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾ ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوة ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره؛ لأننا عبيد مربوبون ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يثقوا به.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَآ أَ﴾ن ﴿لاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ على أذاكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ لتصيرن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾ ديننا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

[١٤] ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي: مقامه بين يدي ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بالعذاب.

[١٥] ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق.

[١٦] ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطًا بالقيح والدم.

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ قوي متصل.

[١٨] ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ، ويبدل منه: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة؛ كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباءً منثورًا لا يقدر عليه، والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: لا يجدون له ثوابًا[١]؛ لعدم شرطه[٢] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ الهلاك ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾.

---

(١) أي في الآخرة. بل يثابون عليه في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة؛ يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة. أما الكافر؛ فيُطعم بحسناتِ ما عمل لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها». رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٢) وهو الإيمان.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خَلَقَ» ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.

[٢٠] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[٢١] ﴿وَبَرَزُوا﴾ أي: الخلائق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي؛ لتحقق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ «مِنْ» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾ زائدة ﴿مَّحِيصٍ﴾ ملجأ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن﴾ زائدة ﴿سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ على إجابتي ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ بفتح الياء وكسرها[1] ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾[*].

(*) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحتُّ - أي تسقط - ورقها؟». فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وثَمَّ أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: «هي النخلة». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المؤمن مثل النخلة.

(١) بالكسر قراءة حمزة.

تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

[٢٥] ﴿تُؤْتِىٓ﴾ تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾ بإرادته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

[٢٧] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ﴾ أي: في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب ـ كما في حديث الشيخين ـ[١] ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون: لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

[٢٨] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ الهلاك.

[٢٩] ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ المقر هي.

[٣٠] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿[لِيَضِلُّوا]﴾ بفتح الياء وضمها[٢] ﴿عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

[٣١] ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ مُخالَّة؛ أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

[٣٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦۖ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾.

[٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

(١) أخرج نحوه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب مرفوعًا.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ لا تطيقوا عدها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الكافر ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه.

[٣٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب اللَّه دعاءه فجعله حرمًا لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يُختلى خلاه[١] ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ بَعِّدني ﴿وَبَنِىَّ﴾ عن ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا قبل علمه[٢] أنه ـ تعالى ـ لا يغفر الشرك.

[٣٧] ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾ قلوبًا ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ﴾ تميل وتحن ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: لو قال: أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم[٣] ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه[٤].

[٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ نسر ﴿وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه ـ تعالى ـ أو كلام إبراهيم.

[٣٩] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَـٰقَ ۚ﴾ ولد وله مئة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

[٤٠] ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ من يقيمها، وأتى بـ«من» لإعلام اللَّه ـ تعالى ـ له أن منهم كفارًا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ المذكور.

[٤١] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما للَّه ﷻ وقيل: أسلمت أمه، وقرئ «وَالِدِي» مفردًا «وَوَلَدَيَّ»[٥] ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ﴾.

[٤٢] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ لهول ما ترى، يقال: شخص بصر فلان؛ أي: فتحه فلم يغمضه.

---

(١) أي لا يُقطع حشيشهُ النابت بنفسه.

(٢) أو أنه يقصد العصيانَ غير الشرك. ويكون هذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام؛ حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله بذكره هذين الاسمين الشريفين في هذا الموضع.

(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن كثير في تفسيره (٢/٥٢١). وأخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم ؑ قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال: أفئدة من الناس، فخص به المؤمنين [الدر المنثور (٤/١٦٢)].

(٤) أي إلى الحرم، وهذا قول لا دليل عليه، والصحيح أن الله قد استجاب له بأن جعل الثمرات تجبى إليه من كل مكان مصداق قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا...﴾ [القصص: ٥٧]

(٥) وهما قراءتان شاذتان.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين، حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَآءٌ﴾ خالية من العقل لفزعهم.

[٤٤] ﴿وَأَنذِرِ﴾ خوِّف يا محمد ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخًا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾ زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلى الآخرة.

[٤٥] ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ في القرآن، فلم تعتبروا.

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: علمه أو جزاؤه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ المعنى: لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم، والمراد بالجبال هنا حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة[1] بفتح لام ﴿لَتَزُولَ﴾ ورفع الفعل، فـ«إن» مخففة، والمراد تعظيم مكرهم، وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على الثانية[2]: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[3]، وعلى الأولى: ما قرئ[4]: (وما كان).

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ممن عصاه.

[٤٨] اذكر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هو يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين[5]، وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ: أين الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»[6]، ﴿وَبَرَزُواْ﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[٤٩] ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد، تبصر ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ القيود أو الأغلال.

[٥٠] ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَغْشَىٰ﴾ تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ«برزوا» ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث[7] بذلك.

[٥٢] ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي: الله ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال؛ يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول.

* * *

(١) للكسائي.

(٢) أي: القراءة الثانية.

(٣) مريم: ٩٠.

(٤) أي: الذي قرئ، وهي قراءة شاذة؛ أي قرئ شاذًا: (وما كان مكرهم...).

(٥) البخاري (٥٥١٠) ومسلم (١٩٤٢) عن سهل بن سعد مرفوعًا.

(٦) مسلم (١٩٤٢) من حديث عائشة.

(٧) أخرج الطبري (٢٥٩/١٩) عن إبراهيم في قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:٢٤] قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار فقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.
وأخرج نحوه عن ابن جريج وكذلك ذكره ابن كثير عن سعيد بن عبيد (٣٠٤/٣)، وكذلك البغوي عن عطاء عن ابن عباس ومقاتل (٢٢١/٨)، وسبق بيان أن السيوطي رحمه الله قد =

سُورَةُ الحِجْرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾

سُورَةُ الحِجْرِ

[مكية، تسع وتسعون آية]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓرۚ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلۡكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ مظهر للحق من الباطل، عُطف بزيادة صفة.

[٢] ﴿[رُبَمَا]﴾ بالتشديد والتخفيف[١] ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ و«رُبَّ» للتكثير فإنه يكثر منهم تمني ذلك، وقيل: للتقليل فإن الأهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

[٣] ﴿ذَرۡهُمۡ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم ﴿وَيُلۡهِهِمُ﴾ يشغلهم ﴿ٱلۡأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٤] ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن﴾ زائدة ﴿قَرۡيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ﴾ أجل ﴿مَّعۡلُومٞ﴾ محدود لإهلاكها.

[٥] ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه.

[٦] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾.

[٧] ﴿لَّوۡ مَا﴾ هلَّا ﴿تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك: إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

[٨] قال - تعالى -: ﴿مَا [تَنَزَّلُ]﴾[٢] فيه حذف إحدى التاءين ﴿[الملائكةُ] إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُّنظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾ تأكيد لاسم «إن» أو فصل[٣] ﴿نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

[١٠] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شِيَعِ﴾ فرق ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

[١٣] ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعۡرُجُونَ﴾ يصعدون.

[١٥] ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ﴾ سدت ﴿أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ يخيل إلينا ذلك.

---

(١) بالتشديد قراءة السبعة عدا نافع وعاصم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعندهم ﴿الملائكةُ﴾ بالرفع، وقرأ شعبة كذلك لكن بضم التاء، وقرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿ما نُنزل الملائكةَ﴾ بالنون ونصب «الملائكة».

(٣) أي: ضمير فصل، واعترض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، فالأولى الاقتصار على الأول.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: «المريخ» وله الحمل والعقرب، و«الزهرة» ولها الثور والميزان، و«عطارد» وله الجوزاء والسنبلة، و«القمر» وله السرطان، و«الشمس» ولها الأسد، و«المشتري» وله القوس والحوت، و«زحل» وله الجدي والدلو ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَٰهَا﴾ بالشهب ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ مرجوم.

[١٨] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يثقبه أو يخبله.

[١٩] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت؛ لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ معلوم مقدر.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياء[1] من الثمار والحبوب ﴿وَ﴾ جعلنا لكم ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله.

[٢١] ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ على حسب المصالح.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ تلقح السحاب فيمتلئ ماء[2] ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الباقون، نرث جميع الخلق.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: من تقدم من الخلق من لدن آدم[3](*) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة.

[٢٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة إذا نقر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ طين أسود ﴿مَّسْنُونٍ﴾ متغير.

[٢٧] ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾[4] أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيًّا، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان.

[٣١] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰٓ﴾ امتنع من ﴿أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس. قال: فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾. النسائي ـ كتاب الإمامة (١٠) باب (٦٢) المنفرد خلف الصف. (صحيح) صحيح سنن النسائي (٨٣٨).

---

(١) أي: باتفاق السبعة؛ لأنها في المفرد أصلية.

(٢) وأيضًا فالرياح بتصريف الله لها تلقح الزرع والشجر، ولولا ذلك لم تنتج الحب والثمر، وعملية التلقيح هذه للزرع والشجر تشبه تأبير النخل الذي يقوم به الإنسان. والله أعلم.

(٣) الذي اختاره المصنف في تفسير الآية هو ما رجحه ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: لدلالة ما قبله من الكلام وهوقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾، وما بعده، وهو قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك. اهـ. ولا تعارض بين حمل الآية على هذا المعنى أخذًا بالعموم، مع صحة ما ذكر كسبب للنزول، والله أعلم.

(٤) وفيها إثبات صفة النفخ لله ـ جَلَّ فِي عُلَاهُ ـ، على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا﴾ زائدة ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾.

[٣٤] ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ مطرود.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي، والباء للقسم وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾.

[٤٢] وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي: المؤمنين ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٤٣] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾ أطباق ﴿لِّكُلِّ بَابٖ﴾ منها ﴿مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ﴾ نصيب ﴿مَّقۡسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها.

[٤٦] ويقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين من كل مخوف، أو مع سلام؛ أي سلِّموا، وادخلوا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من كل فزع.

[٤٧] ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ حقد ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ حال منهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾(*) حال أيضًا؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرَّة بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾ تعب ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ أبدًا.

[٤٩] ﴿۞ نَبِّئۡ﴾ خبِّر يا محمد ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل[1].

(*) فائدة: أخرج البخاري عن يزيد بن زريع: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ ... أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقَصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا». البخاري ـ كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القصاص يوم القيامة.

---

(١) ذكر عددهم ليس عليه دليل صحيح، وليس منه كبير فائدة.

إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون.

[٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق، كما ذكر في سورة هود.

[٥٤] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ حال؛ أي: مع مسه إياي ﴿فَبِمَ﴾ فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب.

[٥٥] ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ الآيسين.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَن﴾ أي: لا ﴿[يَقْنِطُ]﴾ بكسر النون وفتحها[1] ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الكافرون.

[٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

[٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين؛ أي: قوم لوط لإهلاكهم.

[٥٩] ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم.

[٦٠] ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي: لوطًا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا أعرفكم.

[٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، وهو العذاب.

[٦٤] ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا.

[٦٥] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ حال؛ أي: يتم استئصالهم في الصباح.

[٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مُردًا حسانًا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال؛ طمعًا في فعل الفاحشة بهم.

[٦٨] ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾.

[٦٩] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم.

(١) بالكسر للكسائي وأبي عمرو.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن.

[٧٢] قال ـ تعالى ـ: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي: وحياتك(١) ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ يترددون.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ للناظرين المعتبرين.

[٧٦] ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ طريق قريش إلى الشام لم تندرس، أفلا يعتبرون بهم؟ [٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ لعبرة ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَإِن﴾ مخففة؛ أي: إنه ﴿كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيبًا.

[٧٩] ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قرى قوم لوط والأيكة(٢) ﴿لَبِإِمَامٖ﴾ طريق ﴿مُّبِينٖ﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟! [٨٠] ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾ واد بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحًا؛ لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد.

[٨١] ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها.

[٨٢] ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾.

[٨٣] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ﴾ وقت الصباح.

[٨٤] ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ دفع ﴿عَنۡهُم﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾ لا محالة فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ يا محمد عن قومك ﴿ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ أعرض عنهم إعراضًا لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ لكل شيء ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[٨٧] ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه الشيخان(٣)؛ لأنها تثنى في كل ركعة ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾.

[٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافًا ﴿مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[٨٩] ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ البين الإنذار.

[٩٠] ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾(٥) اليهود والنصارى.

---

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾: قال: «آمنوا ببعض وكفروا ببعض: اليهود والنصارى». البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجر (١٥) باب (٤) ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾. ويؤخذ من هذا أن ﴿ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ من القسمة؛ أي فرقوا وقسّموا ما أنزل عليهم فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

وقال البخاري: ﴿ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾: الذين حلفوا. قال الحافظ في الفتح (٨/٢٣٤): «هكذا جعل المقتسمين من القسم بمعنى الحلف، والمعروف أنه من القسمة، وبه جزم الطبري وغيره، وسياق الكلام يدل عليه...».

وقال ابن كثير: ﴿ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ أي المتحالفين؛ أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم...». تفسير ابن كثير (٢/٥٣٨).

---

(١) ولله سُبۡحَانَهُ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس ذلك للبشر، فلا يجوز لهم الحلف إلا بخالقهم ﷻ. (٢) أي: وأصحاب الأيكة.

(٣) سبق تخريجه في أول سورة الفاتحة.

[٩١] ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ﴾ أجزاء، حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض[(١)]، وقيل: المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سحر، وبعضهم: كهانة، وبعضهم شعر.

[٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سؤال توبيخ.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٤] ﴿فَٱصْدَعْ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به؛ أي: اجهر به وأمضه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بك بإهلاكنا كلاً منهم بآفة؛ :وهم الوليد ابن المغيرة، والعاصي بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود ابن عبد يغوث[(٢)].

[٩٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ صفة، وقيل: مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الاستهزاء والتكذيب.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ﴾ ملتبسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلين.

[٩٩] ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ الموت.

سورة النحل

[مكية إلا : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها .

مائة وثمان وعشرون آية ، نزلت بعد الكهف]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] لما استبطأ المشركون العذاب نزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: الساعة، وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه؛ أي: قرب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: جبريل ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بإرادته[(٣)] ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرُوٓا۟﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ خافون.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقًا ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام.

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

[٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيٍّ إلى أن صيره قويًّا شديدًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّنها[(٤)] في نفي البعث قائلاً: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[(٥)].

[٥] ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصبه بفعل مقدر يفسره: ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ من جملة الناس[(٦)] ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ من النسل والدّر والرّكوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قدم الظرف للفاصلة[(٧)].

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردونها إلى مراحها بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة.

---

(١) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما كما أخرجه البخاري وغيره.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٣/٥ - ١٧٤ رقم ٤٩٨٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣١٦/٢ - ٣١٧)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة عن ابن عباس به. وقال الهيثمي في المجمع (٤٧/٧): «فيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح». وحسنه السيوطي في الدر المنثور (١٠١/٥)، وصححه الضياء المقدسي.

(٣) والأمر غير الإرادة، والصواب أن يقال: إن المراد من الأمر كلام الله وحكمه، والأشعرية يتحاشون من إثبات حقيقة الكلام لله سُبْحَانَهُ.

(٤) أي: بيِّن الخصومة.

(٥) يس: ٧٨.

(٦) يشير إلى أن الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾ لقريش، والصواب حملها على العموم.

(٧) أي مراعاة لرءوس الآي.

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾ بجهدها ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ بكم؛ حيث خلقها لكم.

[٨] ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ﴾ مفعول له، والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين[1] ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة.

[٩] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنۡهَا﴾ أي: السبيل ﴿جَآئِرٞ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوۡ شَآءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمۡ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

[١٠] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ تشربونه ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ﴾ ينبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم.

[١١] ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةٗ﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ﴾ بالنصب عطفًا على ما قبله، والرفع: مبتدأ ﴿وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ﴾ بالوجهين[2] ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ بإرادته[3] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ ذلَّله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ هو السمك ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء؛ أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ عطف على ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾؛ تطلبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

---

(١) وهو حديث أسماء: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسًا ونحن بالمدينة فأكلناه. البخاري (٥٥١١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٢) أي بالنصب والرفع، وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة كلمات، ووافقه حفص في ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾، وقرأ السبعة عدا حفص وابن عامر بالنصب في الأربعة.

(٣) الأمر غير الإرادة. وراجع التعليق على الآية رقم (٢).

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

[١٥] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَ﴾ جعل فيها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ كالنيل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

[١٦] ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بمعنى: النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل.

[١٧] ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون.

[١٨] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ تضبطوها فضلاً أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم.

[١٩] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ [تَدْعُونَ]﴾ بالتاء والياء(1)؛ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يصورون من الحجارة وغيرها.

[٢١] ﴿أَمْوَٰتٌ﴾ لا روح فيهم، خبر ثانٍ ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي: الخلق فكيف يُعبدون؟! إذ لا يكون إلهًا إلا الخالق الحي العالم بالغيب.

[٢٢] ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا صفاته وهو الله تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن الإيمان بها.

[٢٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم(2).

[٢٤] ونزل في النضر بن الحارث: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا﴾(3) استفهامية ﴿ذَآ﴾ موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوٓا۟﴾: هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إضلالاً للناس.

[٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ﴾ بعض(4) ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه حملهم هذا.

[٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمروذ(5) بنى صرحًا طويلاً؛ ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي: وهم تحته ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم، وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

---

(١) بالتاء قراءة السبعة عدا عاصم.

(٢) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه ونؤمن بها على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ، ومن أثر انتفائها أن يعاقب من لا يحبهم.

(٣) لم أجده.

(٤) هذا اختيار المصنف، وهو خلاف ظاهر الآية والذي يشهد له الحديث أن ﴿مِن﴾ بمعنى: مثل؛ أي: إن على الرؤساء مثل أوزار الأتباع، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «...وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» رواه مسلم (٤٨٣١) من حديث أبي هريرة.

(٥) هذا هو الصحيح في ضبط «نمروذ» أنه بالذال المعجمة، وفي بعض النسخ بالدال المهملة.

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ
لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ
ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن
تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخًا[1]: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ بزعمكم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم.

[٢٨] ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء والياء[2] ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩] ويقال لهم: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

[٣٠] ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالإيمان ﴿فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال - تعالى - فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١] ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء[3] ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأُهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

(١) وهذا تأويل لظاهر الآية بغير دليل، وَدَفَعَ لذلك مذهبه في نفي صفة القول والكلام عن الله ﷻ، وهو ما يثبته السلف الصالح على الوجه اللائق به - سُبْحَانَهُ.

(٢) بالياء قراءة حمزة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖۚ﴾ من البحائر والسوائب(١)؛ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راضٍ به، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ أي: كذبوا رسلهم فيما جاءوا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ إلا البلاغ البين، وليس عليهم الهداية.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فآمن ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَسِيرُواْ﴾ يا كفار مكة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم من الهلاك.

[٣٧] ﴿إِن تَحْرِصْ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ وقد أضلهم الله، لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا [يُهْدَى]﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل(٢) ﴿مَن يُضِلُّۖ﴾ من يريد إضلاله ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله.

[٣٨] ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّٗا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر؛ أي: وعد ذلك وحقَّه حقًّا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة(٣) ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٩] ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلق بـ«يبعثهم» المقدر ﴿لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ في إنكار البعث.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ أي: أردنا إيجاده، و«قولنا» مبتدأ خبره: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب(٤) عطفًا على «نَقُولَ»، والآية لتقرير القدرة على البعث.

[٤١] ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالأذى من أهل مكة، وهم: النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلهم ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ دارًا ﴿حَسَنَةٗۖ﴾ هي المدينة ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿أَكْبَرُۚ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الكفار، أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم.

[٤٢] هم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

---

(١) البحائر والسوائب هي: جمع «بحيرة» و«سائبة»، وتقدم تفسير معناه في سورة المائدة آية (١٠٣).

(٢) بالبناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، على معنى من أضله الله لم يهده هاد، وأما على قراءة البناء للفاعل؛ فالمعنى: لا يرشد من أضله، أي إن الله لا يهدي من سبق في علمه سبحانه أنه من أهل الضلالة.

(٣) الصواب في هذا ونحوه مما يرد في كلام بعض المفسرين من تخصيص للفظ الناس أو الإنسان: القول بالعموم وإطلاق ما أطلقه الله.

(٤) للكسائي وابن عامر.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ٥٠ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤

[٤٣] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ لا ملائكة ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

[٤٤] ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِۗ﴾ الكتب ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا تخطر ببالهم، وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدّرون ذلك.

[٤٦] ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ بفائتي العذاب.

[٤٧] ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ تنقُّص شيئًا فشيئًا، حتى يهلك الجميع[1]، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٨] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ تتميل ﴿ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ جمع شمال؛ :أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ حال؛ أي: خاضعين لله بما يراد منهم ﴿وَهُمۡ﴾؛ أي: الظلال ﴿دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون، نُزِّلوا منزلة العقلاء.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ أي: نسمة تدب عليها؛ أي: تخضع له بما يراد منها، وغلب في الإتيان بما لا يعقل لكثرته ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: الملائكة، حال من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ حال من «هم»؛ أي: عاليًا عليهم بالقهر[2] ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩﴾ به.

[٥١] ﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة.

[٥٢] ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِبًاۚ﴾ دائمًا، حال من «الدين»، والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

[٥٣] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ لا يأتي بها غيره، و«ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ أصابكم ﴿ٱلضُّرُّ﴾ الفقر ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾

(١) والقول الآخر: أي: في حال خوفهم.

(٢) قَصْرُ العلوِّ على علو القهر فقط غير صحيح، ومذهب السلف إثبات جميع خصال العلو له ـ سُبْحَانَهُ ـ: علو الشأن، وعلو القهر، وعلو الذات.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم: هذا للّه وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ على اللّه من أنه أمركم بذلك.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولهم: الملائكة بنات اللّه ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهًا له عما زعموا ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: البنون، والجملة في محل رفع أو نصب بـ«يجعل»، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم، فيختصون بالأسنى[١] كقوله: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾[٢].

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرًا تغير مُغتمّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غمًّا، فكيف تنسب البنات إليه تعالى؟! [٥٩] ﴿يَتَوَارَىٰ﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفًا من التعيير مترددًا فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يئده ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا، حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: الصفة السُّوأى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا، وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٦١] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند اللّه؛ أي: الجنة؛ لقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾[٣] قال - تعالى -: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء[٤]؛ أي: متجاوزون الحد.

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة فرأوها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية؛ أي: لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم؟!

[٦٤] ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

---

(١) أي: الأرفع والأشرف.

(٢) الصافات: ١٤٩.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) لنافع.

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر.

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبار ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي: الأنعام ﴿مِن﴾ للابتداء متعلقة بـ﴿نُّسْقِيكُم﴾ ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾ ثُفل الكرش ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون، وهو بينهما ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به.

[٦٧] ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمرًا يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس[١] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتًا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: الناس.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول، حال من السبل؛ أي: مسخرة لك فلا تَعْسُر عليك وإن توعَّرت ولا تضلي على العودة منها وإن بعدت، وقيل: من الضمير في «اسلكي»؛ أي: منقادة لما يراد منك ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ من الأوجاع؛ قيل: لبعضها كما دل عليه تنكير «شفاء»، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيته[٢]، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه [رواه الشيخان][٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسّه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريده[٤].

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي: الموالي ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فَهُمْ﴾؛ أي: المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟! ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون؛ حيث يجعلون له شركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضِلَع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

---

(١) هو عسل الرطب، ويطلق على عسل العنب.

(٢) أي: بنِيَّةِ الشفاءِ الجازمةِ أن الله يخلق الشفاء عند استعماله؛ لإخباره - تعَالَى - بذلك.

(٣) البخاري (٥٢٧٧)، ومسلم (٤١٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٤) الأولى الإطلاق، فهو سبحانه قدير على كل شيء يريده أو لا يريده.

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾

[٧٣] ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنبات ﴿شَيۡـٔٗا﴾ بدل من ﴿رِزۡقٗا﴾ ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على شيء وهو الأصنام.

[٧٤] ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ لا تجعلوا للَّه أشباهًا تشركونهم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

[٧٥] ﴿۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه، ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾ صفة تميزه من الحرّ؛ فإنه عبد اللَّه ﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَن﴾ نكرة موصوفة؛ أي: حرًّا ﴿رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ﴾ أي: يتصرف فيه كيف يشاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله تعالى[1] ﴿هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ﴾ أي: العبيد العجزة والحر المتصرف؟ لا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ وحده ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ ويبدل منه: ﴿رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ لأنه لا يفهم ولا يُفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾ ولي أمره ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأۡتِ﴾ منه ﴿بِخَيۡرٍ﴾ بنُجح[2]، وهذا مثل الكافر ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾ أي: الأبكم المذكور ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي: ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مثل اللَّه، والأبكم للأصنام[3]، والذي قبله مثل الكافر والمؤمن.

[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ لأنه بلفظ: كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

[٧٨] ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ه على ذلك فتؤمنون.

[٧٩] ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ﴾ مذللات للطيران ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه، وإمساكها.

---

(١) أخرج الطبري في جامع البيان (١٠١/١٤) والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرًّ وجهرًا، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥١/٥). وحسن إسناده في الاستيعاب (٤١٥/٢).

(٢) بنُجح: بضم النون؛ أي: لا يأت بشيء نافع.

(٣) وأخرج البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٦/١ - ٣٠٧)، والطبري في جامع البيان (١٠١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأت بخير؛ ذاك مولى عثمان بن عفان. كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف؛ فنزلت فيهما. وحسن إسناده في الاستيعاب (٤١٦/٢).

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ موضعًا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل[1] ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ سفركم ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ أي: الغنم ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ أي: الإبل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ أي: المعز ﴿أَثَٰثٗا﴾ متاعًا لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ يبلى فيه.

[٨١] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَٰلٗا﴾ جمع: ظل، تقيكم حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ جمع كِنٍّ، وهو ما يستكن فيه كالغار والسَّرَب[2] ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾ قمصًا ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ أي: والبرد ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ حربكم؛ أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن[3] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسۡلِمُونَ﴾ توحدونه.

[٨٢] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨٣] ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يقرون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

[٨٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ هو نبيها يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي اللَّه.

[٨٥] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون عنه إذا رأوه.

[٨٦] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ﴾ نعبدهم ﴿مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾[4] سيكفرون بعبادتهم.

[٨٧] ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ أي: استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم.

---

(١) أي: يخفف عليكم حملها.

(٢) السَّرَب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضًا نوع من الدروع.

(٤) القصص: ٦٣.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ
بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال[١] ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بصدهم الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهو نبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَانًا﴾ بيانًا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الموحدين.

[٩٠] ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث[٢] ﴿وَإِيتَاءِ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة خصه بالذكر اهتمامًا به ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزنا ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ شرعًا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ [تَذَّكَّرُونَ]﴾[٣] تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرك» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر[٤].

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بالوفاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنكَاثًا﴾ حال، جمع نِكْث وهو ما يُنكث؛ أي: يحل إحكامه، وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه[٥] ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من ضمير «تكونوا»؛ أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه؛ أي: فسادًا أو خديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَن﴾ أي: لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وُجِدَ أكثرُ منهم وأعزُّ، نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي، أو بكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتجازوا عليه.

---

(١) أخرج نحوه عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد بن السري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور (٢٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨، ج٣).

(٢) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) المستدرك (٣٥٦/٢)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وحسن الألباني إسناده، عن ابن مسعود ﷺ قال: «ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» وَذَكَرَهَا. [صحيح الأدب المفرد (٣٧٦)].

(٥) ذكر خبرها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٧٥/٦، ٣٣٧٦، رقم ٧٧١٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٥).
وقال صاحب الاستيعاب: هذا سند ضعيف جدًا. الاستيعاب (٤٢١/٢).

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ كرره تأكيدًا ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ أي: أقدامكم من محجة الإسلام ﴿بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

[٩٦] ﴿مَا عِندَكُمۡ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ دائم ﴿[وَلَيَجۡزِيَنَّ]﴾ بالياء والنون[1] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ من الوفاء بالعهود ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن.

[٩٧] ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ قيل: هي حياة الجنة[2]، وقيل: في الدنيا بالقناعة[3] أو الرزق الحلال[4] ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ بطاعته ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي: الله ﴿مُشۡرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾ كذاب تقوله من عندك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

[١٠٢] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ«نزل» ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.
(٢) هذا قول الحسن البصري كما في الدر المنثور (١٦٥/٥).
(٣) هذا قول محمد بن كعب القرظي كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).
(٤) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق(1) ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين(2) نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِّسَانُ﴾ لغة ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلمه أعجمي؟!(3)

[١٠٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ والتأكيد بالتكرار و«إن» وغيرهما رد لقولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾.

[١٠٦] ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ و«مَن» مبتدأ، أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى المدينة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة بالبناء للفاعل(4)؛ أي: كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم، وخبر «إن» الأولى دل عليه خبر الثانية.

---

(١) القاعدة أن «قد» تكون للتحقيق إذا جاء بعدها فعل ماض، وتكون للتقليل إذا جاء بعدها فعل مضارع. ذكره ابن هشام في «مغني اللبيب». وأخذ الجلالان بقول بعض اللغويين: إنها للتحقيق لا للتقليل في هذه المواضع.

وعلى القاعدة أنها للتقليل؛ يكون المراد تقليل متعلق الفعل والمعنى هنا: قولهم إنما يعلمه... هو أقل معلوماته سبحانه.

(٢) أي: حداد، كان روميًّا، وفي نسخة: قن؛ أي: عبد.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/١١٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/١٦٧)، وضعف إسناده في لباب المنقول ص (١٣٤)، وأخرج الطبري بسند صحيح في جامع البيان (١٤/١٢٠) عن عبيد بن مسلم الحضرمي؛ قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر؛ يُسمى أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كتابًا لهما، فربما مر رسول الله ﷺ فقام عليهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٠)، وصححه الحافظ أيضًا في الإصابة (٢/٤٤٧).

(٤) لابن عامر، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون الفعل لازمًا، فيكون معنى ﴿فُتِنُوا۟﴾ أي: افتتنوا، وإليه أشار المفسر بقوله: «أي كفروا»، ويحتمل أن يكون متعديًا، وأشار إليه بقوله: «أو فتنوا الناس...».

﴿۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾

[١١١] اذكر ﴿۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ﴾ تحاج ﴿عَن نَّفۡسِهَا﴾ لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جزاء ﴿مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ شيئًا.

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ ويبدل منه: ﴿قَرۡيَةٗ﴾ هي مكة[1]، والمراد أهلها ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا﴾ واسعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ﴾ فقحطوا سبع سنين[2] ﴿وَٱلۡخَوۡفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿فَكُلُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾.

[١١٧] لهم ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم.

[١١٨] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: اليهود ﴿حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ في آية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾[3] إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

---

(١) وهذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه فالآية مدنية، وعلى القول بأنها مكية يكون إخبارًا بالغيب تنزيلًا له منزلة الواقع لتحقق حصوله.

(٢) كما سيأتي بيانه في سورة «الدخان».

(٣) الأنعام: ١٤٦.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ الشرك ﴿بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟﴾ رجعوا ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إمامًا قدوة جامعًا لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[١٢٢] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ﴾ دين ﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كرر ردًّا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نريده، واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره؛ بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

[١٢٥] ﴿ٱدْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٢٦] ونزل لما قُتل حمزة ومُثِّل به فقال ﷺ وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام(*) ﴿لَهُوَ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه، رواه البزار(١).

[١٢٧] ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وإن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر(٢).

* * *

(*) ما جاء في نزول الآية (١٢٦): في المسند عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة وحمزة، فمثلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا من الدهر لنربين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ الآية، فقال نبي الله ﷺ: «كفوا عن القوم». المسند (١٣٥/٥)، وقد أخرج الترمذي نحوه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سورة النحل. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٠١).

---

(١) أخرجه ابن سعد والبزار وابن المنذر وابن مردويه والحاكم، والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور (٢٥٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩/٦): «رواه البزار والطبراني؛ وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف». وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢ رقم ٥٥٠).

(٢) هذا من لوازم معيته ـ سبحانه ـ الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته ـ سبحانه ـ مع خلقه نوعان؛ عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقتها الصحبة اللائقة، وقد أخبر ـ سبحانه ـ أنه مع خلقه، مع كونه مستويًا على عرشه، وقرن بين الأمرين في آية الحديد، وكلاهما حقٌّ.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

[مكية إلا: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآيات الثمان. مائة وعشر، أو: إحدى عشرة آية، نزلت بعد القصص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَٰنَ﴾ أي: تنزيه ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: العالم[١] بأقوال النبي ﷺ وأفعاله[٢] فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له - تعالى - فإنه ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل؛ قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوَقَدْ أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوَقَدْ بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بالخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أَوَقَدْ أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أَوَقَدْ بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أَوَقَدْ بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أَوَقَدْ بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوَقَدْ بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر اللَّه ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق اللَّه - تعالى - يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى اللَّه إليَّ ما أوحى وفرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسًا خمسًا حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة ولم يعلمها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت» [رواه الشيخان، واللفظ لمسلم][٣]. وروى الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «رأيت ربي ﷻ»[٤].

[٢] قال - تعالى -: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ

(١) العلم من لوازم السمع والبصر، ولكنهما غيره، وفي الآية إثبات هاتين الصفتين له - سبحانه -، ومذهب السلف الإيمان بهما على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تأويل ولا تعطيل؛ كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢) هذا التخصيص لا يظهر وجهه، فالصواب الإطلاق، فهو - سبحانه - السميع بكل مسموع، والبصير بكل مبصر. (٣) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك. (٤) رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعًا كما في جامع السيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٦٦).

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿إِسْرَائِيلَ﴾ لـ﴿أَ﴾ن ﴿أَلَّا [يَتَّخِذُوا] مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ يفوضون إليه أمرهم، وفي قراءة: ﴿تَتَّخِذُوا﴾[1] بالفوقانية التفاتًا، فـ«أن» زائدة، والقول مضمر.

[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله.

[٤] ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تبغون بغيًا عظيمًا.

[٥] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويَسْبُوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت[2] وجنوده فقتلوهم وسَبَوْا أولادهم وخربوا بيت المقدس.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة.

[٧] وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه[3] لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنًا يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ هلاكًا، وقد أفسدوا ثانيًا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصَّر فقتل منهم ألوفًا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس[4].

[٨] وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسًا وسجنًا.

[٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

[١٠] ﴿وَ﴾ يخبر ﴿أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا هو النار.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاءَهُ﴾ أي: كدعائه له ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مبصرًا فيها بالضوء ﴿لِّتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه تبيينًا.

[١٣] ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص بالذكر؛ لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد[5].

[١٤] ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ مكتوبًا فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ صفتان لـ«كتابًا». ويقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسبًا.

[١٥] ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة؛ أي: لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبين له ما يجب عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ مُنَعَّميها بمعنى رؤسائها، بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا ببواطنها وظواهرها، و«به» يتعلق ﴿بِذُنُوبِ﴾.

---

(١) بالياء قراءة أبي عمرو. (٢) اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم؛ من هم، وعن ابن عباس أنه جالوت وجنوده. (٣) أي ثواب الإحسان.

(٤) وفي هذا نظر؛ حيث إن بختنصَّر كان بينه وبين يحيى عليه السلام عدة قرون. وقيل أيضًا: إن الذي خرَّب بيت المقدس الخراب الثاني هو: «طيطوس» الروماني. ولا دليل صحيح على شيء من ذلك، فالأولى التوقف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [الدر المنثور (٥/٢٥٠)].

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

[١٨] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التعجيل له، بدل من «له» بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملومًا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا عن الرحمة.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ عند الله؛ أي: مقبولاً مثابًا عليه.

[٢٠] ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بـ«نمد» ﴿عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعًا عن أحد.

[٢١] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

[٢٢] ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ﴿۞ وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبُّكَ أَ﴾ن؛ أي: بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة ﴿يَبْلُغَانِّ﴾[1] فـ«أحدهما» بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ بفتح الفاء، وكسرها منونًا وغير منون[2] مصدر بمعنى تبًّا وقبحًا ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لينًا.

[٢٤] ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: لرقتك عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

[٢٥] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ طائعين لله ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ الرجّاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقًا.

[٢٦] ﴿وَءَاتِ﴾ أعط ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله.

[٢٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: على طريقتهم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

---

(١) مع كسر النون مشددة لحمزة والكسائي.

(٢) بالفتح وبدون تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر كذلك قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

[٢٨] ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ لينًا سهلاً بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا﴾ راجع للأول[١] ﴿مَّحۡسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك راجع للثاني[٢].

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ عالمًا[٣] ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم.

[٣١] ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ بالوأد ﴿خَشۡيَةَ﴾ مخافة ﴿إِمۡلَٰقٖۖ﴾ فقر ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا﴾ إثمًا ﴿كَبِيرٗا﴾ عظيمًا.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ قبيحًا ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلٗا﴾ طريقًا هو.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ لوارثه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾ تسلطًا على القاتل ﴿فَلَا يُسۡرِف﴾ يتجاوز الحد ﴿فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ بأن يقتل غير قاتله، أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ عنه.

[٣٥] ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ الميزان السوي ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ مآلاً.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ صاحبه ماذا فعل به.

[٣٧] ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي: ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟! [٣٨] ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ[٤] عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾.

---

(١) أي: الإمساك.

(٢) أي: الإسراف في الإنفاق.

(٣) وفي الآية إثبات صفة البصر له سبحانه؛ على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ومن لوازم ذلك أن يكون عالمًا ببواطن عباده وظواهرهم.

(٤) وفي قراءة سبعية لنافع وابن كثير وأبي عمرو «سيئةً» بالتاء؛ أي عملاً سيئًا، وقرأ الباقون «سيئه» بالهاء؛ أي السيئ مما تقدم.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

[٣٩] ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا عن رحمة اللّه.

[٤٠] ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنّا ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق.

[٤٢] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: اللّه ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ طلبوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: اللّه ﴿سَبِيلًا﴾ ليقاتلوه[1].

[٤٣] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تنزهه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن﴾ ما ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي يقول: سبحان اللّه وبحمده ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ أي: ساترًا لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ[2].

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ عنه.

[٤٧] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بسببه من الهزء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ يتناجون بينهم؛ أي: يتحدثون ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في تناجيهم: ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

[٤٨] قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إليه.

[٤٩] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ منكرين للبعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

---

(١) والقول الآخر في تفسير الآية أن المعنى: لطلبوا التوصل والتقرب إليه، إفرادًا له ـ سبحانه ـ بالعبودية والتوجه، وهذا القول هو الصحيح المنقول عن السلف، كما بينه شارح الطحاوية، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/١٩٥، ١٩٦) عن أسماء بنت أبي بكر قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [سورة المسد] أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر (حجر) وهي تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. والنبي ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: «يا رسول الله، قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك. قال النبي ﷺ: إنها لن تراني. وقرأ قرآنًا فاعتصم به كما قال. وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ.... » الحديث. وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده (١/٣٣ رقم ٢٥) عن ابن عباس بنحوه، وفي إسناده عند أبي يعلى عطاء بن السائب، وقد اختلط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٤٤)، ونسبه إلى أبي يعلى والبزار وضعفه بعطاء. هذا أحد الأقوال، والقول الآخر في تفسير الآية أن المراد بالحجاب المستور؛ أي: من الجهل وعمى القلب، فهم لإعراضهم وتغافلهم عن دعوته ﷺ كَمَنْ بينه وبينهم حجاب يمنعهم من السماع ويحول بينهم وبين الهدى، وهذا القول هو الأقرب، وعليه جمهور المفسرين.

[٥٠] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئًا؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجبًا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَتَظُنُّونَ إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ المؤمنين: ﴿يَقُولُوا۟﴾ للكفار[1] الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ﴾ يفسد ﴿بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بيِّن العداوة.

[٥٤] والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمد بالإسراء ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكة وعيسى وعُزَيْر ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلى غيركم.

[٥٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هُمْ آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو «يبتغون»؛ أي: يبتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾(*).

قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

[٥٨] ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوبًا.

(*) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن؛ فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣٠)، وهو في البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) دون التصريح بسبب النزول.

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، ولعله يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٥)، عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية. والحديث ضعيف كما في الاستيعاب (٢/٤٤٠). والقول الثاني: هو أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن. وهذا هو الأظهر والأنسب، والله أعلم.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾؛ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بيّنة واضحة ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد فيؤمنوا(*).

[٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ علمًا وقدرةً، فهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحدًا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ عيانًا ليلة الإسراء[1] ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنة لهم؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾.

[٦١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنزع الخافض؛ أي: من طين.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ أي: أخبرني ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَىَّ﴾ بالأمر بالسجود له و ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾[2] ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم ممن عصمته.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿ٱذْهَبْ﴾ مُنْظَرًا إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ وافرًا كاملاً.

[٦٤] ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ استخف ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَجْلِبْ﴾ صِح ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ من الزنى ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظًا لهم منك.

[٦٦] ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ يُجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ - تعالى - بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

(*) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا [افتعال من الزرع]، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكتُ من قبلهم. قال: «لا، بل أستأني بهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾». أحمد - المسند (٢٥٨/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٣٣٣).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أُريها ليلة أُسري به. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ قال: شجرة الزقوم. البخاري (٣٨٨٨).

(٢) الأعراف: ١٢.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ - تعالى -، فإنكم تدعونه وحده؛ لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ جحودًا للنعم.

[٦٨] ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أي: الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ حافظًا منه.

[٦٩] ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أي: ريحًا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فلككم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ ناصرًا وتابعًا يطالبنا بما فعلنا بكم.

[٧٠] ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ فـ«من» بمعنى «ما» أو على بابها، وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفراده؛ إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء[١].

[٧١] اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ نبيهم، فيقال: يا أمة فلان، أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة[٢].

[٧٢] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أبعد طريقًا عنه.

[٧٣] ونزل في ثقيف وقد سألوه ﷺ أن يحرّم واديهم وألحوا عليه[٣]: ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستنزلونك ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ عن الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾ ركونًا ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب.

[٧٥] ﴿إِذًا﴾ لو ركنت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعًا منه.

---

(١) والذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف واختاره: القول بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين على الملائكة. واختار طائفة التوقف؛ وأن الأولى عدم الخوض في هذه المسألة؛ لأنه لا يترتب على ذلك عمل. وهو قول حسن.

(٢) هذا سهو من السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فما ذكره هو معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة.

(٣) أي يُحرّمه كما حرّم مكة. ذكره الواحدي في أسباب النزول عن عطاء عن ابن عباس (ص١٢١) وقيل غير ذلك، وكلها ضعيفة كما في الاستيعاب (٢/٤٤٨ - ٤٥١)، والصحيح أن الآية عامة في تأييد الله ﷻ لرسوله ﷺ وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، والله أعلم.

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

[٧٦] ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبيًّا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء[1]: ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يهلكون.

[٧٧] ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ إقبال ظلمته؛ أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[2].

[٧٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

[٨٠] ونزل لما أمر بالهجرة[3]: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مرضيًّا لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ بطل الكفر ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان[4].

[٨٢] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان ﴿الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به.

[٨٣] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ ثنى عطفه متبخترًا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ قنوطًا من رحمة الله.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ طريقًا فيثيبه.

[٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى(*).

[٨٦] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٨٥): أخرج البخاري عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه! فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الإسراء (١٧) باب (١٣).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة بني إسرائيل. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

وهذا الحديث يدل على أن هذه الآية مكية، فيتمشى ذلك مع كون السورة كلها مكية، وحديث ابن مسعود السابق قال ابن كثير: «يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية. . . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية.

---

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم [الدر المنثور (٣٥٣/٤)]، وضعفه السيوطي في لباب النقول (ص ١٣٩) وقال: «هذا مرسل ضعيف الإسناد». وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال: هَمَّ أهل مكة بإخراج النبي ﷺ من مكة، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأهلكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلًا... ذكره الطبري في جامع البيان (٩٠/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٥)، وهو مرسل كما في الاستيعاب (٤٥٢/٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعًا به، وأحمد في المسند (٤٧٤/٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، وأحمد (١٨٤٧) عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩١/٣): «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ عظيمًا؛ حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

[٨٨] ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الفصاحة والبلاغة[١] ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معينًا.

[٨٩] نزل ردًّا لقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[٢]: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل؛ ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للحق.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف على «أبى»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ عينًا ينبع منها الماء.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعًا ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ مقابلة وعيانًا فنراهم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾ تصعد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَٰبًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّى﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ أي قولهم منكرين: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٥] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ إذ لا يُرسَلُ إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ عالمًا[٣] ببواطنهم وظواهرهم.

---

(١) ذكر العلماء أن أوجه الإعجاز في القرآن عديدة؛ ومنها: الإخبار بالغيبيات، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الأسلوب، والإيجاز في العبارة مع إفادة المعاني الكثيرة، وكونه لا يَخْلَقُ مع كثرة التلاوة ولا يَمَلُّ سامِعُهُ، وكونه يجمع علومًا ومعارفَ لم يجمعها كتابٌ غيره، وغير ذلك.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) والعلم غير البصر، وإن كان من لوازمه، فنثبت هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

[٩٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ تلهبًا واشتعالاً.

[٩٨] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟﴾ منكرين للبعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٩٩] ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مَعَ عِظَمِهِمَا ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا له.

[١٠٠] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ لبخلتم ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ خوف نفاذها بالإنفاق فتفتقروا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ بخيلاً.

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ وهي اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، ونقص الثمرات[1] ﴿فَسْـَٔلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو فقلنا له: اسأل، وفي قراءة بلفظ الماضي[2] ﴿إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقلك.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ عبرًا، ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء[3] ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكًا أو مصروفًا عن الخير.

[١٠٣] ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعًا أنتم وهم.

---

(١) وهذه هي الآيات التي أوتيها موسى عليه السلام لفرعون وقومه، وهي غير الآيات التي أوتيها لحمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، كما تقدم في تفسير سورة يونس آية (٧٥).

(٢) أي «فسأل»، والمناسب أن يقول: «وقرئ» جريًا على طريقته؛ لأنها قراءة شاذة.

(٣) أي: من ﴿عَلِمْتُ﴾، وهي للكسائي.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

[١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعتره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالنار. [١٠٦] ﴿وَقُرْآنًا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ نزلناه مفرقًا في عشرين سنة أو وثلاث ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ شيئًا بعد شيء على حسب المصالح. [١٠٧] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾. [١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهًا له عن خلف الوعد ﴿إِن﴾ مخففة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾. [١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعًا لله. [١١٠] وكان ﷺ يقول: «يا الله يا رحمن» فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهًا آخر معه، فنزل: ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ أي: سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن[1] ﴿أَيًّا﴾ شرطية ﴿مَّا﴾ زائدة؛ أي: أيَّ هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿فَلَهُ﴾ أي: لمسماهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهذان منها، فإنها كما في الحديث: «الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» [رواه الترمذي][2]، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك بها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ لينتفع أصحابك ﴿وَابْتَغِ﴾ اقصد ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا وسطًا(*). [١١١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِّنَ﴾ أجل ﴿الذُّلِّ﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمةً تامة عن اتخاذ الولد الشريك والذل وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته، وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آية العز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ إلى آخر السورة»[3]. والله - تعالى - أعلم(*).

سُورَةُ الكَهْفِ

[مكية إلا ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية.
مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية، نزلت بعد سورة الغاشية][4]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد

(*) ما جاء في نزول الآية (١١٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن، وكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به، فكان النبي ﷺ يخفض صوته بالقرآن ما كان يسمعه أصحابه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾. النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجه أيضًا بنحوه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).

(*) قَالَ مُؤَلِّفُهُ: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي أَلَّفَهُ الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم(*)، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو - في الحقيقة - مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرأً نَظَرَ بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خَطَأ؛ فأطلعني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

(١) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٧٣/٤)]، وضعف صاحب الاستيعاب إسناده (٤٦٤/٢). (٢) الترمذي (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وأسماء الله ﷻ ليست محصورة بهذه الأسماء، بل لا حصر لها، أو لا سبيل للبشر إلى ذلك، كما قال ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». أخرجه أحمد في المسند (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (١٠٢).
(٣) أحمد (١٥٠٨١) عن معاذ بن أنس مرفوعًا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩) والسلسلة الضعيفة (٥٣/٤) رقم (١٥٤٧).
(٤) من أول سورة الكهف يبدأ القسم الذي فسره الجلال المحلي رحمه الله.

(*) وهو أربعون يومًا؛ حيث فرغ من جمعه وتسويده، أما تحريره ونقله من المسودة فإلى سادس صفر، وهي مدة أربعة أشهر إلا أربعة أيام كما سيأتي.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ أي: فيه ﴿عِوَجَا﴾ اختلافًا أو تناقضًا، والجملة حال من «الكتاب».

[٢] ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيمًا، حال ثانية مؤكدة ﴿لِّيُنذِرَ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بَأْسًا﴾ عذابًا ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ من قبل الله ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾. [٣] ﴿مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو الجنة [٤] ﴿وَيُنذِرَ﴾ من جملة الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. [٥] ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ «كلمة» تمييز مفسّر للضمير المبهم، والمخصوص بالذم محذوف؛ أي: مقالتهم المذكورة ﴿إِن﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولاً ﴿كَذِبًا﴾.

[٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ﴾ بعدهم؛ أي: بعد توليهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا﴾ غيظًا وحزنًا منك؛ لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. [٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الناس الناظرين إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه؛ أي: أزهد له[1]. [٨] ﴿وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتًا ﴿جُرُزًا﴾ يابسًا لا ينبت. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم، وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَانُوا۟﴾ في قصتهم ﴿مِنْ﴾ جملة ﴿ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾ خبر كان، وما قبله حال؛ أي: كانوا عجبًا دون باقي الآيات، أو أعجبها، ليس الأمر كذلك.

[١٠] اذكر ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ جمع فتى، وهو الشاب الكامل، خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من قِبَلِك ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هداية.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: أنمْناهُمْ ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ معدودة. [١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة

=

حَمَدتُ اللَّهَ رَبِّي إِذْ هَدَانِي ... لِمَا أَبْدَيْتُ مَع عَجْزِي وَضَعْفِي

فَمَنْ لِي بِالْخَطَإِ فَأَرُد عَنْهُ ... وَمَنْ لِي بِالْقَبُولِ وَلَوْ بِحَرْفِ

هذا، ولم يكن قط في خَلَدي أن أتعرض لذلك؛ لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعًا جَمًّا؛ يفتح به قلوبًا غُلْفًا، وأعينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وكأني بمن اعتاد المطولات، وقد أَضْرَبَ عن هذه التكملة وأصلها حسمًا، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقها فهمًا ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقًا واطِّلاعًا على دقائق كلماته وتحقيقًا، وجعلنا به ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، والله أعلم.

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي - رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى - أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أَيُّهُمَا أحسنُ وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي. فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئًا يجيبه والشيخ يبتسم ويضحك.

قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة؛ كيف وَغَالِبُ ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندي في ذلك، وأما الذي رُئِيَ في المنام المكتوب أعلاه؛ فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفتُ وضعه فيها؛ لنكتة، وهي يسيرة جدًّا، ما أَظُنُّهَا تبلغ عشرة مواضع: مِنْهَا: أن الشيخ قال في «سورة ص»: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه. وكنت تبعته أولاً؛ فذكرت هذا الحد في «سورة الحجر»، ثم ضربت عليه؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله - تعالى - لا نعلمه؛ فالإمساك عن تعريفها أَوْلَى؛ ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ؛ فنمسك عنها. وَمِنْهَا: أن الشيخ قال في «سورة الحج»: الصابئون فرقة من اليهود. فذكرتُ ذلك في «سورة البقرة»، وزدتُ: أو النصارى؛ بيانًا لقول ثانٍ؛ فإنه المعروف؛ خصوصًا عند أصحابنا الفقهاء، وفي «المنهاج»: وإن خالفتِ السامرةُ اليهودَ والصابئةُ النصارى في أصل دينهم، وفي «شروحه»: أن الشافعي ﷺ نَصَّ على أن الصابئين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعًا ثالثًا؛ فكأن الشيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

---

(١) قال في حاشية الصاوي: «والمعنى: نميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة؛ فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك» (٣/٤). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «أي أخلصه وأصوبه». تيسير الكريم الرحمن، ص (٥٠٤).

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَىٰ﴾ أفعل بمعنى أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾ للبثهم، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ غاية. [١٣] ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ نقرأ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾. [١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قويناهم على قول الحق ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ بين يديْ ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط؛ أي: إفراط في الكفر إن دعونا إلهًا غير اللَّه، فرضًا [١٥] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا﴾ هلَّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ـ تعالى ـ.

[١٦] قال بعض الفتية لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس(١): ما ترتفقون به من غداء وعشاء.

[١٧] ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت [تَّزَّاوَرُ]﴾ بالتشديد والتخفيف(٢) تميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ﴾ متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ دلائل قدرته ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

[١٨] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ لو رأيتهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ أي: منتبهين؛ لأن أعينهم منفتحة، جمع (يقِظ) بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ ۚ﴾ نيام، جمع راقد ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ يديه ﴿بِٱلْوَصِيدِ ۚ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا [وَلَمُلِّئْتَ]﴾ بالتشديد والتخفيف(٣) ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ بسكون العين وضمها(٤)، منعهم اللَّه بالرعب من دخول أحد عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا۟﴾ متوقفين في ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم [بِوَرْقِكُمْ]﴾ بسكون الراء وكسرها(٥)؛ بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يقال: إنها المسماة الآن (طَرَسوس) بفتح الراء(٦) ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أيُّ أطعمة المدينة أحل ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا﴾ أي: إن عدتم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾.

---

(١) بفتح الميم وكسر الفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

(٣) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة وأبي عمرو.

(٦) وفي معجم ما استعجم للبكري: «(طُرْسُوس) بضم أوله، وإسكان ثانيه: معروفة، من الثغور الجزَرية. قال أبو حاتم: هكذا يقول الأصمعي. وغيره يقول: (طَرَسُوس)...» (٣/٨٩٠).

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾

[٢١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقّٞ﴾ بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهَآ إِذۡ﴾ معمول لـ«أعثرنا» ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُواْ﴾ أي الكفار: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم﴾ أي: حولهم ﴿بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ يسترهم ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون[١]: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم﴾ حولهم ﴿مَّسۡجِدٗا﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ أي: ظنًّا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له؛ أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل. وذكرهم سبعة[٢] ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ تجادل ﴿فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم﴾ تطلب الفتيا ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدٗا﴾.

[٢٣] وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غدًا» ولم يقل: إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ﴾[٣] أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان [٢٤] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: إلا ملتبسًا بمشيئة الله ـ تعالى ـ بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مشيئته معلقًا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس[٤] ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رَشَدٗا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

[٢٥] ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ﴾ بالتنوين[٥] ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لـ«ثلاثمائة»، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

[٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ ممن اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: علمه ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ﴾ أي: بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسۡمِعۡۚ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه، وهما على جهة المجاز[٦]، والمراد أنه ـ تعالى ـ لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُم﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ ناصر ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ لأنه غني عن الشريك.

[٢٧] ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ ملجأ.

---

(١) الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وقيل: هم أهل الشرك منهم وليسوا المسلمين. وعلى أي حال فقد جاء شرعنا بتحريم ذلك، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحذر ما فعلوا. رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، وقال ﷺ: «... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عنه [الدر المنثور (٣٩٣/٤)].

(٣) أخرج نحوه ابن المنذر عن مجاهد [الدر المنثور (٣٩٤/٤)] وذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير (٧٠/٣، ٧٧)، وضعف إسناده في الاستيعاب (٤٧١/٢).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١٦٢/٥)، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن دينار عن عطاء أنه قال: من حلف على يمين فله الثنيا حلب ناقة. قال: وكان طاووس يقول: ما دام في مجلسه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٥) وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين.

(٦) بل هما على جهة الحقيقة، نثبتهما لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

[٢٨] ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تعالى، لا شيئًا من أعراض الدنيا، وهم الفقراء ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن، هو عيينة ابن حصن وأصحابه ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ إسرافًا(*).

[٢٩] ﴿وَقُلِ﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ ما أحاط بها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كعكر الزيت ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ﴾ من حرّه إذا قرب إليها ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَآءَتْ﴾ أي: النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ تمييز منقول عن الفاعل؛ أي: قبح مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلا فأي ارتفاق في النار.

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر «إن الذين»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجرهم؛ أي: نثيبهم بما تضمنه.

[٣١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ قيل: «من» زائدة، وقيل: للتبعيض، وهي جمع أسورة كأحمرة، جمع سوار ﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾ ما رقّ من الديباج[1] ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[2] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

[٣٢] ﴿۞ وَٱضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُم﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يقتات به.

[٣٣] ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ «كلتا» مفرد يدل على التثنية، مبتدأ ﴿ءَاتَتْ﴾ خبره ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ تنقص ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا﴾ أي: شققنا ﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ يجري بينهما.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني[3]، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة وخشُب، وبدنة وبدْن ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يفاخره: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عشيرة.

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج ابن ماجه عن خباب في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه، فخلوا به، وقالوا: نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت. قال: نعم. قالوا فاكتب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليًا ليكتب، ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجالس الأشراف ـ ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني عيينة والأقرع ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ قال: هلاكًا. قال: أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا. قال خباب: فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم. ابن ماجه ـ كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٢٩).

---

(١) أي الحرير.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) بضمهما قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو، وبضم الثاء وسكون الميم قراءة أبي عمرو، وبفتح الثاء والميم قراءة عاصم.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها، ولم يقل: جنتيه؛ إرادة للروضة، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تنعدم ﴿هَٰذِهِ أَبَدًا﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ مرجعًا.

[٣٧] ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يجاوبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾ عدلك وصيرك ﴿رَجُلًا﴾.

[٣٨] ﴿لَّٰكِنَّا﴾ أصله (لكن أنا)، نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تفسيره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول: ﴿ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾.

[٣٩] ﴿وَلَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ وفي الحديث: «من أعطي خيرًا من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه؛ لم ير فيه مكروهًا»[1] ﴿إِن تَرَنِ أَنَا﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

[٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ جمع حسبانة؛ أي: صواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضًا ملساء لا يثبت عليها قدم [٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ بمعنى: غائرًا، عطف على «يُرْسِلَ» دون «تُصْبِحَ»؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ حيلة تدركه بها.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ بأوجه الضبط السابقة[2] مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندمًا وتحسرًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ في عمارة جنته ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ دعائمها للكَرْم بأن سقطت، ثم سقط الكَرْم ﴿وَيَقُولُ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾.

[٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ بالتاء والياء[3] ﴿لَّهُ فِئَةٌ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه.

[٤٤] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو: النصرة، وبكسرها[4]: الملك ﴿لِلَّهِ [ٱلْحَقُّ]﴾ بالرفع صفة «الولاية»، وبالجر صفة الجلالة[5] ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وَخَيْرٌ [عُقُبًا]﴾ بضم القاف وسكونها[6]؛ عاقبة للمؤمنين، ونصبهما على التمييز.

[٤٥] ﴿وَٱضْرِبْ﴾ صيِّر ﴿لَهُم﴾ لقومك ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول أول ﴿كَمَآءٍ﴾ مفعول ثانٍ ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فرَوِيَ وحَسُنَ ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾ يابسًا متفرقة أجزاؤه ﴿تَذْرُوهُ﴾ تنثره وتفرقه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ فتذهب به، المعنى: شبه الدنيا بنبات حسن فيَبِسَ فتكسَّر ففرقته الرياح، وفي قراءة: ﴿ٱلرِّيحُ﴾[7] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ قادرًا.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرج نحوه أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعًا بلفظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة؛ من أهلٍ أو مالٍ أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع الله عنه كلَّ آفة، حتى تأتيه منيته». وانظر: [الدر المنثور (٤/٤٠٥)]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٢٦).

(٢) أي: السابق بيانها في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ وللقراء أنفسهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٤) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٥) بالرفع قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٦) بالسكون قرأ عاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالضم.

(٧) لحمزة والكسائي.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: «سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر»، زاد بعضهم: «ولا حول ولا قوة إلا باللَّه»[١] ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند اللَّه ـ تعالى ـ.

[٤٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ [تُسَيَّرُ الْجِبَالُ]﴾[٢] يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباءً منبثًا، وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب «الجبال» ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

[٤٨] ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي: فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَ﴾ن مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعث.

[٤٩] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَتَنَا﴾ هَلَكَتَنَا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ عدها وأثبتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ مثبتًا في كتابهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة[٣] تحية له ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قيل: هو نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع[٤]، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أعداء حال ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة اللَّه.

[٥١] ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أعوانًا في الخلق، فكيف تطيعونهم؟!

[٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون[٥]: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ الأوثان ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَّوْبِقًا﴾ واديًا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعًا، وهو من (وَبَقَ) بالفتح: هلك.

[٥٣] ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧١/١) موقوفًا على عثمان بن عفان ﷺ لما سئل: فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥١٣): إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (٧٥/٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به، والحاكم في مستدركه (٥١٢/١) وصححه وأقره الذهبي. وصححه ابن حبان (الإحسان ١٠٢/٢)، وقال المناوي: «قال الهيثمي: إسناد أحمد حسن» فيض القدير (٤٩٩/١). وضعفه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٨).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بالنون، وكسر الياء ونصب «الجبال».

(٣) قال القرطبي: اختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن السجود عبادة؛ فقال الجمهور: كان هذا أمرًا للملائكة بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(٤) وهذا القول هو الصحيح الذي تشهد له النصوص؛ فإبليس ليس من الملائكة، ولا نوعًا منها كما ذكر البعض؛ لأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». رواه مسلم (٢٩٩٦). وهل هو أصل الجن أم واحد منهم؟ قولان لأهل العلم؛ ذهب الجلالان إلى أنه أصل الجن، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٢٣٥/٤، ٣٤٦).

(٥) بالنون قراءة حمزة.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنّا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ مفعول ثان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فاعل؛ أي: سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ [قِبَلًا]﴾[1] مقابلة وعيانًا، وهو القتل يوم بدر، وفي قراء بضمتين جمع (قبيل)؛ أي: أنواعًا.

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوفين للكافرين ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بقولهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾[2] ونحوه ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ﴾ ليبطلوا بجدالهم ﴿ٱلْحَقَّ﴾ القرآن ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ به من النار ﴿هُزُوًا﴾ سخرية.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ ملجأ.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي: أهلها؛ كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا [لِمُهْلَكِهِم]﴾[3] لإهلاكهم، وفي قراءة بفتح الميم؛ أي: لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾.

[٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه ويخدمه ويأخذ عنه العلم: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق؛ أي: المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ دهرًا طويلاً في بلوغه إن بعد.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل، ونسي موسى تذكيره[4] ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ أي: جعله بجعل الله ﴿سَرَبًا﴾ أي: مثل السَّرَب، وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله - تعالى - أمسك عن الحوت جري الماء، فانجاب عنه فبقي كالكوّة لم يلتئم وجَمدَ ما تحته منه.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ الباقون ﴿قُبُلًا﴾ بضمتين.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتح الميم واللام الثانية، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية.

(٤) أكثر المفسرين على أنهما حملا الحوت معهما، وهو الصحيح لموافقته حديث البخاري الآتي، كما أن ظاهر سياق الآيات يشهد له، وقيل: إنما نسب النسيان إليهما، مع أنه من الفتى وحده؛ للصحبة، كقوله - تعالى -: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، وفي رواية لحديث البخاري: «فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت»، وفيها أن الفتى هو الذي نسي تذكير موسى، خلاف ما ذكره المفسر. البخاري (٤٧٢٦).

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ تعبًا، وحصوله بعد المجاوزة. [٦٣] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي: تنبه ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يبدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال؛ أي: أنساني ذكره ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ مفعول ثان؛ أي: يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه. [٦٤] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فقدنا الحوت ﴿مَا﴾؛ أي: الذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقصانها ﴿قَصَصًا﴾ فأتيا الصخرة. [٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخضر(١) ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه أكثر العلماء(٢) ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من قِبَلِنا ﴿عِلْمًا﴾ مفعول ثانٍ؛ أي: معلومًا من المغيبات، روى البخاري حديث: «إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، فأخذ حوتًا فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه، فسقط في البحر ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قال: وكان للحوت سربًا ولموسى ولفتاه عجبًا.. إلخ»(٣). [٦٦] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ [رَشَدًا]﴾(٤) أي: صوابًا أَرْشُدُ به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك؛ لأن الزيادة في العلم مطلوبة. [٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [٦٨] ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾، في الحديث السابق عقب هذه الآية: «يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه» وقوله: ﴿خُبْرًا﴾ مصدر بمعنى: لم تحط؛ أي: لم تخبر حقيقته. [٦٩] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي﴾ أي: وغير عاصٍ ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ تأمرني به، وقيد بالمشيئة؛ لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين. [٧٠] ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون(٥) ﴿عَن شَيْءٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: أذكره لك بعلته، فقبل موسى شرطه؛ رعاية لأدب المتعلم من العالم. [٧١] ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الخضر بأن اقتلع لوحًا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع «أهلها»(٦) ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا منكرًا، روي أن الماء لم يدخلها.

[٧٢] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

[٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾(*) مشقة في صحبتي إياك؛ أي: عاملني فيها بالعفو واليسر.

[٧٤] ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسيانًا». البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٥) إذا حنث ناسيًا في الأيمان.

---

(١) وهو قول الجمهور. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». البخاري (٣٤٠٢).

(٢) وذكر غيره أن الجمهور على أنه نبي، واختاره القرطبي وغيره، وهو الأقرب، قال القرطبي: «والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي...والأول الصحيح»، ومن اختار أنه ولي احتج بأن الله لم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيًا أو رسولًا لذكر ذلك كما ذكر غيره، وعلى أي من القولين، فموسى عليه السلام أفضل من الخضر؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، ولا مانع من وجود علم عند الخضر ليس موجودًا عند موسى - عليهما السلام -...وكما قال بعض أهل العلم: لو فرضنا أن الله أطلع بعض أوليائه كما أطلع الخضر عليه من أمور باطنة لم يجز له التصرف في الظاهر بما يخالف أحكام الشرع المنزل...فليكن معلومًا...

(٣) البخاري (٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب مرفوعًا.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضم الراء وسكون الشين.

(٥) لنافع وابن عامر.

(٦) لحمزة والكسائي.

﴿۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾

﴿غُلَٰمٗا﴾ لم يبلغ الحِنْث[1] يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهًا ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعًا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال[2]، وأتى هنا بالفاء العاطفة؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إذا»: ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا [زَاكِيَةَۢ]﴾[3]؛ أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة ﴿زَكِيَّةَۢ﴾ بتشديد الياء بلا ألف ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ أي: لم تقتل نفسًا ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ بسكون الكاف وضمها[4]؛ أي: منكرًا.

[٧٥] ﴿۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ زاد «لك» على ما قبله؛ لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾ لا تتركني أتبعك ﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي﴾ بالتشديد والتخفيف[5]: من قِبَلي ﴿عُذۡرٗا﴾ في مفارقتك لي.

[٧٧] ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ هي أنطاكية[6] ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا﴾ ارتفاعه مائة ذراع[7] ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فَأَقَامَهُۥۖ﴾ الخضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَوۡ شِئۡتَ [لَتَخِذۡتَ]﴾[8]، وفي قراءة: ﴿لَتَّخَذۡتَ﴾ ﴿عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ جُعْلاً، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] ﴿قَالَ﴾ له الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراق ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد، سوَّغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾.

[٧٩] ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾ عشرة ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ بها مؤاجرة لها؛ طلبًا للكسب ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿مَّلِكٞ﴾ كافر ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصۡبٗا﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ فإنه كما في حديث مسلم[9] طبع كافرًا، ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له، يتبعانه في ذلك. [٨١] ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن [يُبَدِّلَهُمَا]﴾ بالتشديد والتخفيف[10] ﴿رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾ أي: صلاحًا وتُقًى ﴿وَأَقۡرَبَ﴾ منه ﴿رُحۡمٗا﴾ بسكون الحاء وضمها[11]: رحمة؛ وهي: البر بوالديه، فأبدلهما ـ تعالى ـ جارية تزوجت نبيًّا فولدت نبيًّا، فهدى الله ـ تعالى ـ به أمة[12]. [٨٢] ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ﴾ مال مدفون من ذهب وفضة ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ فَحُفِظَا بصلاحِهِ في أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إيناس رشدهما ﴿وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ مفعول له عامله، أراد ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ﴾ أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ أي: اختياري بل بأمر إلهام[13] من الله ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ يقال: اسطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، ونُوِّعت العبارة في ﴿فَأَرَدتُّ﴾، ﴿فَأَرَدۡنَآ﴾، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾[14]. [٨٣] ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ اسمه الإسكندر[15]، ولم يكن نبيًّا ﴿قُلۡ سَأَتۡلُواْ﴾ سأقص ﴿عَلَيۡكُم مِّنۡهُ﴾ من حاله ﴿ذِكۡرًا﴾ خبرًا.

---

(١) أي لم يبلغ حد التكليف. (٢) والأولى الإعراض عن ذكر كل هذه الأقوال؛ لعدم ثبوتها، ولعدم الفائدة منها.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة «زَكِيَّة» بتشديد الياء وبلا ألف.

(٤) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان. (٥) بالتخفيف قراءة نافع وشعبة، وأسكن شعبة الدال وأشمها بالضم.

(٦) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «لئامًا»؛ أي بخلاء. وقيل: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو : المضيق الجامع بين البحرين؛ «المتوسط» و«الأسود». وقال السُّهيلي: هي : «بَرْقة» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر «المتوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يبغيان، والظاهر أنه ملتقى خليج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ا هـ. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كنعان في قرة العينين ص (٣٨٩، ٣٩١). (٧) وهذا لا دليل صحيح عليه، ولا فائدة من تحديده. (٨) فتخفيف التاء وكسر الخاء من غير ألف وصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٩) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا، ولفظ البخاري: «فكان كافرًا» (٣١٤٩). (١٠) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو. (١١) بالضم قراءة ابن عامر.

(١٢) هذا الذي ذكره المفسر ـ رحمه الله ـ يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علماؤنا: وهذا بعيد».

(١٣) اختار المصنف أن الخضر كان وليًّا ولم يكن نبيًّا، وعلى القول الآخر يكون هذا وحيًا لا إلهامًا. والله أعلم.

(١٤) وذلك على سبيل التأدب مع الله، بنسبة ما ظاهره إفساد محض إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى.

(١٥) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعني الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلًا عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ طريقًا يوصله إلى مراده.

[٨٥] ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقًا نحو الغرب.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود، وغروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا[١] ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بإلهام ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسر.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها[٢] شديدًا في النار.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ [جَزَاءُ][٣] ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة، والإضافة للبيان، وفي قراءة: بنصب ﴿جَزَآءً﴾ وتنوينه، قال الفراء: ونصبه على التفسير؛ أي: لجهة النسبة[٤] ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: نأمره بما يسهل عليه.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ نحو المشرق.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سِتْرًا﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء[٥]، ولهم سروب[٦] يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها.

[٩١] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خُبْرًا﴾ علمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها[٧]، هنا وبعدهما[٨]؛ جبلان بمنقطع بلاد الترك[٩]، سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: أمامهما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بطء، وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف[١٠].

[٩٤] ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز وتركه[١١] هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جُعْلاً من المال، وفي قراءة: ﴿خَرَاجًا﴾[١٢] ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزًا فلا يصلون إلينا.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى﴾ وفي قراءة: بنونين من غير إدغام[١٣] ﴿فِيهِ رَبِّى﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعًا ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزًا حصينًا.

[٩٦] ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قطعه، على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها، وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ [ٱلصُّدُفَيْنِ]﴾ بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني[١٤]؛ أي: جانبي الجبلين بالبناء، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هو النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان، وحذف من الأول[١٥]؛ لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المُحمَّى فدخل بين زبره فصارا شيئًا واحدًا.

[٩٧] ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾ أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره؛ لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ لصلابته وسمكه.

---

(١) لعله يقصد أعظم من الأرض، أو أرض الدنيا.
(٢) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان.
(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بنصب «جزاء» والتنوين.
(٤) أي نسبة الخبر المقدم إلى المبتدأ المؤخر، وتقديره: «فله الحسنى يُجزى بها جزاءً».
(٥) قال القاضي كنعان: «... لا وجه له؛ لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل بناء...» قرة العينين ص (٣٩٣) هامش (١).
(٦) قال القاضي كنعان: «قوله: «لهم سروب» يناقض نفي الستر في الآية... فيكون المعنى الصحيح: قوم لا يتخذون شيئًا يسترهم من الشمس» السابق ص (٣٩٣) هامش (١).
(٧) بالضم قراءة السبعة عدا ابن كثير وأبي عمرو وحفص.
(٨) أي: في هذه الآية، وفي قوله الآتي: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، فقرأ فيه بالضم نافع وابن عامر وشعبة.
(٩) هذا الذي قطع به المصنف من أن السد في بلاد الترك لا دليل عليه.
(١٠) لحمزة والكسائي.
(١١) بترك الهمزة قراءة السبعة عدا عاصم.
(١٢) لحمزة والكسائي.
(١٣) لابن كثير.
(١٤) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبضم فسكون قراءة شعبة.
(١٥) أي هو وضميره، والأصل: آتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَٰذَا﴾ أي: السد؛ أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ نعمة[1]؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مدكوكًا مبسوطًا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كائنًا.

[٩٩] قال - تعالى -: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم خروجهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا﴾.

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من «الكافرين» ﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عميٌ لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوه عليهم بغضًا له فلا يؤمنون به.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزيرًا ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابًا مفعول ثانٍ لـ«يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ«حسب» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز[2]، وبيَّنهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملاً يجازون عليه.

[١٠٥] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: لا نجعل لهم قدرًا.

[١٠٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره، مبتدأ، خبره: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾؛ أي: مهزوءًا بهما.

[١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلاها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلاً.

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾ تحولاً إلى غيرها.

[١٠٩] ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجائبه[3] بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ بالتاء والياء[4]: تفرغ ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز[*].

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ «أن» المكفوفة بـ«ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليَّ وحدانية الإله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يرائي ﴿أَحَدًا﴾.

* * *

(*) ما جاء في نزول الآية (١٠٩): أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فأنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ إلى آخر الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة الإسراء. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وتفسيرها بها من قصر العام على بعض أفراده، فضلًا عن كونه من أبواب التأويل ونفي صفة الرحمة عن الله ﷻ كما هي طريقة المصنف - غفر الله لنا وله.

(٢) أي في الجمع؛ فـ«أعمالًا» تمييز جاء جمعًا مطابقًا للمميز وهو «الأخسرين».

(٣) وهذا من قصر العام على بعض أفراده، وكلمات الله ﷻ تشمل كلامه - سبحانه - وحكمه وآياته الدالة عليه، وهذا لأن المصنف - غفر الله لنا وله - يقول بالكلام النفسي، ولا يُثبِتُ الكلام له ﷻ على الوجه اللائق به كما هي طريقة السلف.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سُورَةُ مَرْيَمَ

[مكية، أو: إلا سجدتها فمدنية، أو إلا: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية، نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ مفعول ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بيان له.

[٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ سرًّا جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جميعُهُ ﴿مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل(١)؛ أي: انتشر الشيب في شعره؛ كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خائبًا فيما مضى؛ فلا تخيبني فيما يأتي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ أي: الذين يلونني في النسب؛ كبني العَمِّ ﴿مِن وَرَآءِي﴾ أي: بعد موتي على الدين أن يُضَيِّعُوهُ، كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابنًا.

[٦] ﴿[يَرِثْنِي]﴾(٢) بالجزم: جواب الأمر، وبالرفع: صفة ﴿وَلِيًّا﴾ ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين(٣) ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدّي، العلمَ والنبوةَ ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضيًا عندك.

[٧] قال - تعالى - في إجابة طَلَبِهِ الابنَ الحاصل به رحمته: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يرث كما سألت ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مسمى بيحيى.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ [عُتِيًّا]﴾(٤) من «عتا»: يبس؛ أي: نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانيًا وتسعين سنة، وأصل «عُتِيّ»: «عُتُوو»، وكسرت التاء تخفيفًا، وقلبت الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانية ياء لتدغم فيها الياء.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خَلْقِ غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن أَرُدَّ عليك قوةَ الجماعِ، وأَفْتِقَ رَحِمَ امرأتك لِلْعُلُوقِ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ قبل خلقك؛ ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بما يدل عليها.

[١٠] ولما تَاقَتْ نفسه إلى سرعة المُبَشَّرِ به ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم؛ بخلاف ذكر الله ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي: بأيامها؛ كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل «تُكَلِّمَ» أي: بلا علة.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فَتْحَهُ؛ ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة؛ فَعَلِمَ بِمَنْعِهِ من كلامِهِمْ حَمْلَهَا بيحيى.

---

(١) تقديره: اشتعل شيب رأسي.

(٢) للكسائي وأبي عمرو وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) أي بالجزم والرفع، والجزم للكسائي، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) بضم العين، وهي قراءة سبعية لأبي عمرو وشعبة ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون ﴿عِتِيًّا﴾ بكسر العين.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى
غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ
مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

[١٢] وبعد ولادته بسنتين قال الله - تعالى - له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ النبوة[1] ﴿صَبِيًّا﴾ ابن ثلاث سنين[2].

[١٣] ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمةً للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةً﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ روي أنه لم يَعْمَلْ خطيئة ولم يَهُمَّ بها.

[١٤] ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

[١٥] ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المـَخُوفة التي يَرى مَا لَمْ يَرَهُ قَبْلَهَا؛ فهو آمن فيها.

[١٦] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: خبرها ﴿إِذِ﴾ حين ﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار.

[١٧] ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترًا تستتر به؛ لِتُفَلِّي رَأْسَهَا أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ تام الخلق.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فتنتهي عني بتعوذي.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ [لِيَهَبَ][3] لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ بالنبوة.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ زانية.

[٢١] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خَلْقِ غُلَامٍ منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به، ولكون ما ذُكِرَ في معنى العلة؛ عَطَفَ عليه: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ به في علمي؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فأحست بالحمل في بطنها مُصَوَّرًا.

[٢٢] ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ﴾ تنحت ﴿بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدًا من أهلها.

[٢٣] ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ جاء بها ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ وَجَعُ الولادةِ ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليه؛ فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة[4] ﴿قَالَتْ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

[٢٤] ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ أي: جبريل، وكان أَسْفَلَ منها[5] ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهر ماءٍ كان قد انقطع.

[٢٥] ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة، و«الباء»: زائدة ﴿[تَسَّاقَطْ]﴾[6] أصله بتاءين؛ قلبت الثانية سينًا، وأدغمت في السين، وفي قراءة تركها[7] ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ صفته.

---

(١) وقيل: الحكمة والفقه في الدين. ذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره (١١١/٣). وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الفهم. [الدر المنثور (٤٨٤/٥)].

(٢) هذا قول قتادة، كما في الدر المنثور (٤٨٤/٥).

(٣) وهي قراءة قالون بخلف عنه، وورش، وأبي عمرو، وقرأ الباقون «لأهب» وهو الوجه الثاني لقالون.

(٤) هذا قول ابن عباس. ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١١٤/٣) واستغربه، وقال: «فالمشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن...» اهـ.

(٥) وهذا قول ابن عباس، وقيل: المنادي عيسى، وكان ذلك معجزة وآية وتسكينًا لقلبها. قال القرطبي: والأول أظهر - يعني: أنه جبريل عليه السلام.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص بفتح التاء والقاف، ومع تشديد السين إلا حمزة.

(٧) أي ترك التاء المقلوبة سينًا.

فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾

[٢٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرُّطَب ﴿وَٱشۡرَبِي﴾ من السريّ ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ بالولد؛ تمييز محول من الفاعل؛ أي: لتقر عينك به؛ أي: تسكن؛ فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها على الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي: إمساكًا عن الكلام في شأنه، وغيره من الأناسي؛ بدليل: ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ أي: بعد ذلك.

[٢٧] ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ﴾ حالٌ؛ فرأوه ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ عظيمًا؛ حيث أتيت بولد من غير أب.

[٢٨] ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾(٥) هو رجل صالح؛ أي: يا شبيهته في العفة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ أي: زانيًا ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ أي: زانية؛ فمن أين لك هذا الولد؟!.

[٢٩] ﴿فَأَشَارَتۡ﴾ لهم ﴿إِلَيۡهِۖ﴾ أن كلموه ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾.

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ أي: نفّاعًا للناس، إخبار بما كتب له ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾.

[٣٢] ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ منصوب بـ«جعلني» مقدرًا(١) ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا﴾ متعاظمًا ﴿شَقِيّٗا﴾ عاصيًا لربه.

[٣٣] ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

[٣٤] قال - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ [قَوۡلُ] ٱلۡحَقِّ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ مقدر؛ أي: قول ابن مريم، وبالنصب: بتقدير «قلت»(٢)، والمعنى: القول الحق ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ من المرية؛ أي: يشكون؛ وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا: [٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ﴾ تنزيهًا له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ بالرفع: بتقدير «هو»، وبالنصب: بتقدير «أن»(٣)؛ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

[٣٦] ﴿[وَإِنَّ] ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ بفتح ﴿أَنَّ﴾ بتقدير «اذكر»، وبكسرها(٤) بتقدير «قل»؛ بدليل: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾(٥) ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿صِرَٰطٞ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٞ﴾ مؤدٍّ إلى الجنة.

[٣٧] ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟! ﴿فَوَيۡلٞ﴾ فشدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بما ذُكِرَ وغيره ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

[٣٨] ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ بهم، صيغتا تعجب؛ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ في الآخرة ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: بيِّنٍ؛ به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره؛ أي: اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًّا عميًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ، قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك؛ فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء.

(١) أي: التقدير: جعلني برًّا.
(٢) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.
(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.
(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.
(٥) المائدة: ١١٧.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

[٣٩] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوِّفْ يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة؛ يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥] به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم؛ بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه للجزاء.

[٤١] ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغًا في الصدق ﴿نَّبِيًّا﴾ ويبدل من خبره: [٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْـًٔا﴾ من نفع أو ضر.

[٤٣] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا﴾ طريقًا ﴿سَوِيًّا﴾ مستقيمًا.

[٤٤] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان.

[٤٥] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ ناصرًا وقرينًا في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ فتعيبها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن التعرض لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة، أو بالكلام القبيح؛ فاحذرني ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ دهرًا طويلاً.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ مني؛ أي: لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ من «حَفِيَ»؛ أي: بارًّا؛ فيجيب دعائي، وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾[١] وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ كما ذُكِرَهُ في براءة[٢].

[٤٨] ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟﴾ أعبد ﴿رَبِّى عَسَىٰٓ أَ﴾ نْ ﴿لَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ ابنين يأنس بهما ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ للثلاثة ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ رفيعًا؛ هو: الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

[٥١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ [مُخْلِصًا]﴾ بكسر اللام وفتحها[٣]؛ من أخلص في عبادته، وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة. فيشرئبون ـ أي يمدون أعناقهم ـ وينظرون. فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار. فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيُذبح. ثم يقول: يا أهل الجنّة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت». ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، وأخرجه مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بفتح اللام بقية السبعة.

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

[٥٢] ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ بقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[١] ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ مناجيًا؛ بأن أسمعه الله ـ تعالى ـ كلامَه.

[٥٣] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ نعمتنا[٢] ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدلٌ أو عطفُ بيان ﴿نَبِيّٗا﴾ حالٌ؛ هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أسَنَّ منه.

[٥٤] ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ لم يَعِدْ شيئًا إلا وَفَى به، وانتظر من وَعَدَهُ ثلاثة أيام، أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾ إلى جرهم ﴿نَّبِيّٗا﴾.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ أي: قومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ أصله «مرضوو»؛ قلبت الواوان ياءين، والضمة كسرة.

[٥٦] ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ هو جَدُّ أبي نوح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾.

[٥٧] ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت، وأحيي ولم يخرج منها[٣].

[٥٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ صفة له ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة «للنبيين»، فقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي: إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة؛ أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب؛ أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ أي: من جملتهم، وخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾ جمع «ساجد» «وباك»؛ أي: فكونوا مثلهم، وأصل «بُكِيّ»: بُكُوْيٌ؛ قلبت الواو ياء والضمة كسرة.

[٥٩] ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها؛ كاليهود والنصارى[٤] ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ هو وادٍ في جهنم؛ أي: يقعون فيه.

[٦٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيۡـٔٗا﴾ من ثوابهم.

[٦١] ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ إقامة، بدلٌ من ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ حالٌ؛ أي: غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ أي: موعوده ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ بمعنى: آتيًا، وأصله «مأتوي»، أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله.

[٦٢] ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا.

[٦٣] ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي ونُنْزِلُ ﴿مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ بطاعته.

[٦٤] ونَزَلَ لما تأخر الوحي أيامًا، وقال النبي ﷺ لجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا﴾[٥] أي: أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلۡفَنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ بمعنى ناسيًا؛ أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك[٥].

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٤): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا ...﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة مريم (١٩) باب (٢).

---

(١) القصص: ٣٠.

(٢) وهذا تأويل لصفة الرحمة ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٣) لا يوجد دليل قطعي على صحة هذا التفسير، والأقرب أن المراد بهذه الرفعة ما أعطاه الله إياه من شرف النبوة والثناء الحسن، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة، وأخرج مسلم عن أنس بن مالك في حديث المعراج بطوله، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾». مسلم (١٦٢).

(٤) وقيل: المراد بإضاعتها فعلها بعد خروج أوقاتها. وقيل: المراد لم يأتوا بها على الوجه المشروع. والظاهر أن كل ذلك يدخل في إضاعة الصلاة، ولا تعارض بين هذه الأقوال، كما لا وجه ظاهر لحصر المراد بالآية في اليهود والنصارى، بل هي عامة؛ فتشمل كل من لم يقم بحقوق الصلاة، وهذا نص في أن إضاعة الصلاة من الكبائر.

(٥) أخرج نحوه البخاري (٣٢١٨) عن ابن عباس.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

[٦٥] هو ﴿رَّبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ مسمى بذلك؟ لا.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث؛ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية: ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى[1] ﴿مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ من القبر؛ كما يقول محمدٌ؟! فالاستفهام بمعنى: النفي؛ أي: لا أحيا بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد، وكذا «اللام».

[٦٧] وردَّ عليه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَا [يَذَّكَّرُ][2] ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أصله «يتذكر»؛ أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة: تركها، وسكون الذال وضم الكاف ﴿أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: نجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جِثِيّٗا﴾ على الركب، جمع «جاث»، وأصله «جِثُوو» أو «جِثُوي» من «جثا يجثو» أو «يجثي» لغتان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ جراءة.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم، الأشد[3] وغيره منهم ﴿صِلِيّٗا﴾ دخولاً واحتراقًا؛ فنبدأ بهم، وأصله «صِلُوي» من «صلي» بكسر اللام وفتحها.

[٧١] ﴿وَإِن﴾ أي: ما ﴿مِّنكُمۡ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ أي: داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ حَتَمَهُ وَقَضَى به، لا يتركه.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مشددًا ومخففًا[4] ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الشركَ والكفرَ منها ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثِيّٗا﴾[*] على الرُّكَبِ.

[٧٣] ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات، حالٌ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيۡرٞ مَّقَامٗا﴾ منزلاً ومسكنًا؛ بالفتح: من قام، وبالضم: من أقام[5] ﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ بمعنى: النادي؛ وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه؛ يعنون: نحن؛ فنكون خيرًا منكم.

[٧٤] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَمۡ﴾ أي: كثيرًا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا﴾ مالاً ومتاعًا ﴿وَرِءۡيٗا﴾ منظرًا من الرؤية؛ فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

[٧٥] ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ شرطٌ، جوابه: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾ بمعنى الخبر؛ أي: يمد ﴿لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ أعوانًا، أَهُمْ أَمِ المؤمنون، وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم[6] الملائكة؟.

[٧٦] ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بالإيمان ﴿هُدٗىۗ﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الطاعة[7] تبقى لصاحبها ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ أي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا﴾.

(*) فائدة: أخرج مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار ـ إن شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها». قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾. فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾». مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

---

(١) وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري وغيره بالخبر «إذا»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿يَذۡكُرُ﴾.

(٣) أي: (الأشد على الرحمن عتيًا).

(٤) مخففًا قراءة الكسائي، ولازمه إسكان النون.

(٥) بالضم قراءة ابن كثير.

(٦) متعلق بـ«جندا»؛ لتضمينه معنى المعاونين، كما وقع لهم في بدر من انخذال إبليس وجنده عنهم، وقتال الملائكة مع المؤمنين.

(٧) وجاء في الحديث أنها: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدم في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

[٧٧] ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب ابن الأرت القائل له: تُبعَثُ بعد الموت، والمطالب له بمال: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأقضيك[1].

[٧٨] قال ـ تعالى ـ: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: أَعَلِمَهُ، وأنه يؤتى ما قاله، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل؛ فحذفت ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ بأن يؤتى ما قاله؟!.

[٧٩] ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ نزيده بذلك عذابًا فوق عذاب كفره.

[٨٠] ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد(٥).

[٨١] ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: كفارُ مكةَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ شفعاء عند الله؛ بأن لا يعذبوا.

[٨٢] ﴿كَلَّا﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفونها؛ كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[2] ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أعوانًا وأعداءً.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ سَلَّطْناهُمْ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿أَزًّا﴾.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَدًّا﴾ إلى وقت عذابهم.

[٨٥] اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ جمع وافد؛ بمعنى: راكب.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ جمع وارد؛ بمعنى: ماشٍ عطشان.

[٨٧] ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الناس ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله[3].

[٨٨] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قال ـ تعالى ـ لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ أي: منكرًا عظيمًا.

[٩٠] ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء[4] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ [يَنْفَطِرْنَ]﴾ بالنون[5]، وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء[6]؛ بالانشقاق، ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تنطبق عليهم؛ من أجل: [٩١] ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به ذلك [٩٣] ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعًا يوم القيامة؛ منهم: عزير وعيسى.

[٩٤] ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

---

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٧ ـ ٨٠): أخرج البخاري عن خباب قال: كنت رجلاً قينًا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقاضيك حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد. فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة مريم (١٩) باب (٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، وانظر ما جاء في نزول الآيات.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) هذا قول ابن عباس، نقله عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات. [الدر المنثور (٥/٥٤١)].

(٤) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٥) لأبي عمر وابن عامر وحمزة وشعبة.

(٦) مع قراءة «تكاد»؛ تُقرأ: «ينفطرن» و«يتفطرن» بالنون والتاء. ومع قراءة «يكاد» بالياء؛ تقرأ: «يتفطرن» بالتاء فقط.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

[٩٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾(*) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله - تعالى -.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾ تخوف ﴿بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع ألد؛ أي: جَدِلٍ بالباطل؛ وهم: كفار مكة.

[٩٨] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ تجد ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾ صوتًا خفيًّا؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

* * *

سُورَةُ طه

[مكية مائة وخمس وثلاثون آية، أو: أربعون، أو: اثنتان، نزلت بعد مريم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿طه﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل؛ أي: خفف عن نفسك.

[٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن أنزلناه ﴿تَذْكِرَةً﴾ به ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ يخاف الله.

[٤] ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ جمع «عليا»؛ كـ«كبرى» و«كُبر».

[٥] هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استواء يليق به[١].

[٦] ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ هو التراب الندي؛ والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحته.

[٧] ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ منه؛ أي: ما حدثت به النفس وما خطر، ولم تحدث به؛ فلا تجهد نفسك بالجهر.

[٨] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث[٢]؛ والحسنى مؤنث الأحسن.

[٩] ﴿وَهَلْ﴾ قد[٣] ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾.

[١٠] ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ لامرأته: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ هنا؛ وذلك في مسيره من مَدْيَنَ طالبًا مصر ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة في رأس فتيلة أو عود ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أي: هاديًا يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

[١١] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وهي شجرة عوسج[٤] ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

[١٢] ﴿إِنِّىٓ﴾ بكسر الهمزة؛ بتأويل ﴿نُودِىَ﴾ بـ«قيل»، وبفتحها؛ بتقدير الباء[٥] ﴿أَنَا۠﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طُوًى﴾ بدلٌ، أو عطفُ بيان؛ بالتنوين وتركه[٦]، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث؛ باعتبار البقعة مع العلمية.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانًا فَأَحِبَّهُ. قال: فينادي في السماء، ثم تَنزِلُ له المحبة في أهل الأرض؛ فذلك قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ...» الحديث. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سورة مريم، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢٨).

---

(١) سبق التعليق على هذا التفسير، وأنه إذا كان المراد بالتفويض تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يريد أن معنى الاستواء مجهول فهو فرار من إثبات صفة العلو والصعود والارتفاع والاستقرار على العرش التي هي من معاني الاستواء عند السلف.

(٢) سبق التعليق على هذا الحصر، وذكرنا أن الأسماء الحسنى لا يحصي عددها إلا الله ﷻ في تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٣) وهو قول بعض أهل اللغة، واختاره بعض المفسرين، واختار غيرهم أنها على بابها من الاستفهام، وقد يراد به التقرير.

(٤) وهذا أحد الأقوال فيها، وقيل غير ذلك، ولا دليل على الجميع، وذكر ابن كثير أن الضمير يعود إلى النار.

(٥) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٦) بترك التنوين قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

[١٣] ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليك مني.

[١٤] ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قربها بعلاماتها ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ به من خير أو شر.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يصرفنك ﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ أي: فتهلك إن صددت عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنة ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؟ الاستفهام للتقرير؛ ليرتب عليه المعجزة فيها [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾ أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَهُشُّ﴾ أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فتأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ جمع مأربة؛ مثلث الراء؛ أي: حوائج ﴿أُخْرَىٰ﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام؛ زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

[١٩] ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَىٰ﴾ تمشي على بطنها سريعًا؛ كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان؛ المعبر به فيها في آية أخرى[١].

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى حالتها ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ فأدخل يده في فمها؛ فعادت عصًا؛ فتبين أن موضع الإدخال موضعُ مسكها بين شعبتيها، وأُرِيَ ذلك السيد موسى؛ لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون.

[٢٢] ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأَخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: برص، تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ وهي بيضاء، حالان من ضمير «تَخْرُجْ».

[٢٣] ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك؛ لإظهارها ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه؛ كما تقدم وأخرجها.

[٢٤] ﴿ٱذْهَبْ﴾ رسولاً ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ جاوز الحدَّ في كفره إلى ادعاء الإلهية.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَسِّعْهُ لِتَحمُّل الرسالةِ.

[٢٦] ﴿وَيَسِّرْ﴾ سهل ﴿لِيٓ أَمْرِي﴾ لأبلغها.

[٢٧] ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ حَدَثَتْ من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير[٢].

[٢٨] ﴿يَفْقَهُواْ﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة.

[٢٩] ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ معينًا عليها ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾.

[٣٠] ﴿هَٰرُونَ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان.

[٣١] ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ أي: الرسالة، والفعلان بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم[٣]، وهو جواب الطلب.

[٣٣] ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحًا ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٤] ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ ذِكْرًا ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالمًا[٤]؛ فأنعمت بالرسالة.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ منًّا عليك.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾.

---

(١) وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠].

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في بيان العقدة وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سعيد بن جبير، نقلها عنه عبد ابن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/٥٦٦، ٥٦٧)، قال: مُجمجة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين همَّ بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقًا فيه جمر وتمر، فأخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه. وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه خِلقة. وعلى كلا القولين فهي عقدة كانت في لسانه حلَّها الله تعالى كما أخبر، وهذا يكفي.

(٣) بصيغتي المضارع المجزوم؛ أي: ﴿أَشْدُدْ﴾ بهمزة قطع مفتوحة، و﴿أُشْرِكْهُ﴾ بهمزة مضمومة، وهي قراءة ابن عامر.

(٤) العلم غير البصر، وإن كان من لوازمه؛ فنثبت صفة البصر لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه.

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا
تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا
لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ
عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ منامًا أو إلهامًا لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ في أمرك، ويبدل منه: [٣٩] ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخبر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ لتحب في الناس؛ فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ تُرَبَّى على رعايتي وحفظي لك(١).

[٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ مريم؛ لتتعرف من خبرك، وقد أحضروا مراضعَ وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ فأجيبت؛ فجاءت بأمه فَقَبِلَ ثديها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذٍ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر(٢)؛ فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشرًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب(٣) النبي وتزوجك بابنته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في علمي بالرسالة؛ وهو: أربعون سنة من عمرك ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِى﴾ بالرسالة.

[٤٢] ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التسع(٤) ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا ﴿فِى ذِكْرِى﴾ بتسبيح وغيره.

[٤٣] ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ بادِّعائه الرُّبوبية.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ الله؛ فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا يرجع.

[٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي: يَعْجَلَ بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ علينا؛ أي: يتكبر.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بعَوْني(٥) ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقولُ ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعلُ.

[٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى الشَّام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: خَلِّ عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة؛ كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: السلامة له من العذاب.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه؛ فأتياه وقالا جميع ما ذكر.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ اقتصر عليه؛ لأنه الأصل، وَلِإِدْلَالِهِ عليه بالتربية [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُۥ﴾ الذي هو عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

---

(١) وفيها إثبات صفة العين لله - سبحانه - على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح.

(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قتل قبطيًا كافرًا. تفسير البغوي (٢٧٣/٥). وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ». مسلم (٢٩٠٥).

(٣) المشهور عند كثير من العلماء أن صاحب مدين المذكور في سورة القصص هو شعيب ؑ، وقيل غير ذلك، وإنما هو رجل مؤمن من أهل «مدين»؛ لأن شعيبًا ؑ كان قبل موسى بزمن، والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر تجب به الحجة في ذلك. (انظر كلام ابن كثير والسعدي في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨).

(٤) هذا قول ابن عباس، وسبق بيان هذه الآيات في تفسير الآية (٧٥) من سورة يونس. وقيل: المقصود هنا: آيات التوراة.

(٥) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته - سبحانه - مع خلقه نوعان - كما تقدم في آخر النحل - معية عامة؛ ومعناها: إحاطته بكل الخلق علمًا وقدرة، ومعية خاصة لأوليائه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق، وقد اشتمل القرآن عليهما.

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عِلْمُهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ربي شيئًا.

[٥٣] هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ فراشًا ﴿وَسَلَكَ﴾ سهل ﴿لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ طرقًا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مطرًا، قال ـ تعالى ـ تتميمًا لما وصفه به موسى، وخطابًا لأهل مكة: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافًا ﴿مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ صفة ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و﴿شَتَّىٰ﴾ جمع «شتيت»؛ كـ«مريض» و«مرضى»؛ من شتَّ الأمرُ: تفرق.

[٥٤] ﴿كُلُواْ﴾ منها ﴿وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡ﴾ فيها، جمع نَعَم؛ وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رَعَت الأنعام ورعيتها. والأمر للإباحة، وَتَذْكِير النِّعْمَةِ، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»؛ أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لعبرًا ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ لأصحاب العقول، جمع «نُهْيَة»؛ كـ«غُرْفَة» و«غُرَف»؛ سُمِّيَ به العقلُ؛ لأنه ينهى صاحبَهُ عن ارتكاب القبائح.

[٥٥] ﴿۞ مِنۡهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخۡرَىٰ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يوحد اللَّه ـ تعالى ـ.

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ يعارضه ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ لذلك ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا﴾ منصوب بنزع الخافض في ﴿[سِوًى]﴾ بكسر أوله وضمه[١]؛ أي: وسطًا تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحٗى﴾ وقته للنظر فيما يقع.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ بهم الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهم اثنان وسبعون[٢] مع كل واحد حبل وعصا: ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ أي: ألزمكم اللَّه الويل ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما[٣]؛ أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٖ﴾ من عنده ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ كذب على اللَّه.

[٦٢] ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ أي: الكلام بينهم فيهما [٦٣] ﴿قَالُوٓاْ﴾ لأنفسهم: ﴿[إِنَّ هَٰذَيۡنِ]﴾ لأبي عمرو، ولغيره: «هذان»[٤]، وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث، ﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ مؤنث «أمثل»؛ بمعنى: أشرف؛ أي: بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما.

[٦٤] ﴿[فَاجْمَعُوا][٥] كَيۡدَكُمۡ﴾ من السحر؛ بهمزة وصل وفتح الميم من جَمَعَ؛ أي: لَمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع: أحكم ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا﴾ حالٌ؛ أي: مصطفين ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ غلب.

---

(١) بالكسر قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) سبق أن الأولى في مثل هذه المواطن التي لم يصح فيها دليل الاقتصار على موضع العبرة والفائدة، فلو كان في العلم بعددهم فائدة لَبَيَّنَهُ اللهُ الكريم.

(٣) بفتحهما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) فيها ثلاث قراءات سبعية ـ غير قراءة أبي عمرو وهي سبعية أيضًا ـ ؛ الأولى: «إنْ هذانّ» بتخفيف «إنْ» وتشديد نون «هذانّ»، وهي قراءة ابن كثير، مع المد المشبع. والثانية: تخفيف «إنْ» ونون «هذان» وهي قراءة حفص، والثالثة: تشديد نون «إنَّ» وتخفيف نون «هذانِ» وهي قراءة الباقين.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بهمزة قطع وكسر الميم «أجمعوا».

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اختر ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ عصاه.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ فألقوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ﴾ أصله: «عُصُوو»؛ قلبت الواوان ياءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا﴾ حيات ﴿تَسۡعَىٰ﴾ على بطونها.

[٦٧] ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ أي: خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس؛ فلا يؤمنوا به.

[٦٨] ﴿قُلۡنَا﴾ له: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ عليهم بالغلبة.

[٦٩] ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿تَلۡقَفۡ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ أي: جنسه ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ بسحره؛ فألقى موسى عصاه؛ فتلقفت كل ما صنعـوه.

[٧٠] ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾ خروا ساجدين لله ـ تعالى ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿[أَآمَنتُمۡ]﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا[١] ﴿لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ معلمكم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ حالٌ؛ بمعنى: مختلفة؛ أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يعني نفسه وربَّ موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ أدوم على مخالفته.

[٧٢] ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ خلقنا، قسَمٌ، أو: عطفٌ على ﴿مَا﴾ ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ النصب[٢] على الاتساع[٣]؛ أي: فيها، وتُجزى عليه في الآخرة.

[٧٣] ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ تعلمًا وعملاً؛ لمعارضة موسى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ منك ثوابًا إذا أُطيع ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ منك عذابًا إذا عُصِيَ.

[٧٤] قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ كافرًا؛ كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حياةً تنفعه.

[٧٥] ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفرائضَ والنوافلَ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ جمع «عُليا» مؤنث «أعلى».

[٧٦] ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: إقامة، بيان له[٤] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الذنوب.

(١) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) أي نصب «هذه» المبدل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي في اللغة؛ أي: نُصبت بنزع الخافض؛ بتقدير: «إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا»، وهذا خلافًا لما كثر واطّرد؛ حيث يكثر ويطرد حذف الجار مع «أنْ» و «أنَّ»، ويأتي الحذف في غيرهما قليلاً على سبيل الاتساع والتّسمُّح، كما ذكر ابن هشام في «مغني اللبيب».

(٤) أي لقوله: «الدرجات العلى».

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

[٧٧] ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ بهمزة قطع من «أسرى»، وبهمزة وصل وكسر النون[١] من «سَرَى» لغتان؛ أي: سِرْ بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ أي: يابسًا؛ فامتثل ما أُمِرَ به، وأيبس اللَّهُ الأرضَ؛ فمروا فيها ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ غرقًا.

[٧٨] ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ﴾ أي: البحر ﴿مَا غَشِيَهُمۡ﴾ فأغرقهم.

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[٢].

[٨٠] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ فنؤتي موسى التوراةَ للعمل بها ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ هما «التُّرَنْجَبِين» و«السُّمانَى»؛ بتخفيف الميم والقصر، والمنادى مَنْ وُجِدَ من اليهود زَمَنَ النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم اللَّه به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئةً لقوله - تعالى - لهم: [٨١] ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي: المُنْعَم به عليكم ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ بكسر الحاء؛ أي: يجب، وبضمها[٣]؛ أي: ينزل ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي﴾ بكسر اللام وضمها[٤] ﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ سقط في النار.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وحّد اللَّه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ يَصْدُقُ بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ باستمراره على ما ذُكِرَ إلى موته.

[٨٣] ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة[٥] ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾.

[٨٤] ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ﴾ أي: بالقرب مني يأتون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ عني؛ أي: زيادة في رضاك، وقَبْلَ الجواب، أَتَى بالاعتذار[٦]، بحسب ظنه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العِجْلَ.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفٗاۚ﴾ شديد الحزن.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ أي: صدقًا أنه يعطيكم التوراةَ ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ بعبادتكم العِجْلَ ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ وتركتم المجيء بعدي.

[٨٧] ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ مثلث الميم[٧]؛ أي: بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا [حُمِّلۡنَآ]﴾ بفتح الحاء مخففًا، وبضمها وكسر الميم مشددًا[٨] ﴿أَوۡزَارٗا﴾ أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي: حُلِيِّ قوم فرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بِعِلَّةِ عُرْسٍ[٩]؛ فبقيت عندهم ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حليهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

---

(١) بهمزة وصل وكسر النون قراءة نافع وابن كثير.
(٢) غافر: ٢٩.
(٣) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.
(٤) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.
(٥) أي شيء جعلك متعجلًا عن قومك وسابقًا لهم؟
(٦) عن سبقه لقومه.
(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبالضم قراءة حمزة والكسائي.
(٨) بالفتح قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.
(٩) وقيل: إن الحلي كان لبني إسرائيل، وراجع ما تقدم في تفسير آية الأعراف رقم (١٤٨).

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صَاغَهُ من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحمًا ودمًا[١] ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: صوت يُسمع؛ أي: انقلب كذلك بسبب التراب الذي أَثَرُهُ الحياةُ فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صَوْغِهِ في فَمِهِ ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي: السامري وأتباعه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ موسى ربه هنا، وذهب يطلبه.

[٨٩] قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَ﴾ نْ، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العجلُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يرد لهم جوابًا ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه؛ أي: فكيف يُتَّخذُ إلهًا؟!.

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ فيها.

[٩١] ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بعبادته [٩٣] ﴿أَ﴾نْ ﴿لَّا تَتَّبِعَنِ﴾ لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ بإقامتك بين من يعبد غيرَ الله ـ تعالى ـ؟!.

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿[يَبْنَؤُمَّ]﴾ بكسر الميم وفتحها[٢]؛ أراد أمي، وَذِكْرُهَا أعطفُ لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضبًا ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجلَ ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتغضب عليَّ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِى﴾ فيما رأيته في ذلك.

[٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَٰسَٰمِرِىُّ﴾؟.

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ بالياء والتاء[٣]؛ أي: علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في صورة العجل المصاغ[٤] ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زَيَّنَتْ ﴿لِى نَفْسِى﴾ وَأُلْقِيَ فيها أن آخُذَ قبضة من تراب ما ذُكِرَ، وألقيها على ما لا روح له يصير له روحٌ، ورأيتُ قومَك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهًا؛ فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجلُ إلههم[٥].

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن رأيته: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا تقربني؛ فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحدًا أو مسه أحدٌ حُمَّا جميعًا[٦] ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَّن [تُخْلِفَهُۥ]﴾ بكسر اللام؛ أي: لن تغيب عنه، وبفتحها[٧]؛ أي: بل تبعث إليه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾ أصله «ظللت»؛ بلامين، أولاهما مكسورة حذفت تخفيفًا؛ أي: دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيمًا تعبده ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ نُذْرِيَنَّهُ في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه[٨] ما ذَكَرَهُ.

[٩٨] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ تمييزٌ محولٌ عن الفاعل؛ أي: وسع علمه كل شيء.

---

(١) هذا قول الحسن البصري وقتادة، واختاره الجلال المحلي هنا. وقال مجاهد: بل كانت الريح إذا دخلت من دُبُره، خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة؛ أي لم يصر حيًّا. ويشهد له ظاهر قوله: «جسدًا» الذي يدل على أنه لا حياة فيه. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة. وقرأ الباقون بالفتح.

(٣) بالتاء قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون بالياء.

(٤) الصواب: «المصوغ»؛ لأنه من «صاغ» الثلاثي.

(٥) ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين، واختلفوا متى رأى السامري جبريل عليه السلام، وكيف اختص برؤيته ومعرفته من بين الناس، بينما ذهب بعض أهل العلم إلى: أن كل هذا ليس عليه أَثَارَةٌ من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم؛ ولذا فسّره بعضهم بوجه آخر، وهو أن يكون المراد بـ«الرسول»: موسى عليه السلام، وبـ«أثره»: سنته ورسمه الذي أمر به، فكأن السامري قال: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول؛ أي: شيئًا من سنتك ودينك، فقذفته؛ أي: طرحته، فصار ما صار. وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب، كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ وبماذا يأمر الأمير؟ وأما دعاؤه موسى عليه السلام رسولًا مع جحده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله ـ تعالى ـ عنهم قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وإن لم يؤمنوا بالإنزال، فالله أعلم.

(٦) هذا أيضًا مما لا دليل صحيح يعتمد عليه، وفسّره البعض: بأن المراد المنع من أن يخالط أحدًا أو يخالطه أحدٌ، عقوبةً له، وفسّره آخرون: بأنه كناية عن انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنسه؛ لأن المس يكنى به عن النكاح. فالله أعلم.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالفتح.

(٨) اختار الجلال المحلي أنه عجل حي من لحم ودم. وسبق ذكر الخلاف في ذلك.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

[٩٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ﴾ أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآنًا.

[١٠٠] ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ تمييزٌ مفسرٌ للضمير في «ساء»، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: «وزرهم»، واللام للبيان، ويبدل من ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونهم مع سواد وجوههم [١٠٣] ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارُّون ﴿إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها.

[١٠٤] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك؛ أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أعدلُهُمْ ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جدًّا لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

[١٠٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطًا ﴿صَفْصَفًا﴾ مستويًا.

[١٠٧] ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ ارتفاعًا.

[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ إلى المحشر بصوته؛ وهو: إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لاتباعهم؛ أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر؛ كصوت أخفاف الإبل في مشيها[1].

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ﴾ أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ لا يعلمون ذلك.

[١١١] ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ خضعت ﴿لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي: الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شركًا.

[١١٢] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته.

[١١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ معطوف على ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشركَ ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآنُ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم؛ فيعتبرون.

---

(١) وقيل: هو همس الشفاه. وعلى كلا القولين؛ «فالهمس» هو الصوت الخفي.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾

[١١٤] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ عما يقول المشركون ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي: بقراءته ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ أي: يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ أي: بالقرآن؛ فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه.

[١١٥] ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: قبل أكله منها ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك عهدنا ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ حزمًا وصبرًا عما نهيناه عنه.

[١١٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ وهو أبو الجن، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ﴾ عن السجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾[1].

[١١٧] ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ حواء بالمد ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ تتعب؛ بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك، واقتصر على شقائه؛ لأن الرجل يسعى على زوجته.

[١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَ﴾ نْ ﴿لَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾.

[١١٩] ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها[2] عطف على اسم ﴿إِنَّ﴾ وجملتها ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا﴾ تعطش ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ لا يحصل لك حرُّ شمس الضحى؛ لانتفاء الشمس في الجنة.

[١٢٠] ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي: التي يخلد من يأكل منها ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ لا يفنى، وهو لازم الخلد.

[١٢١] ﴿فَأَكَلَا﴾ أي: آدم وحواء ﴿مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما قُبُلُهُ وَقُبُل الآخر وَدُبُرُهُ، وسمي كل منهما سوأة؛ لأن انكشافه يسوء صاحبَهُ ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ ليستترا به ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ بالأكل من الشجرة.

[١٢٢] ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قرَّبهُ ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ قَبِلَ توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي: هداه إلى المداومة على التوبة.

[١٢٣] ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا﴾ أي: آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿مِنۡهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ من ظلم بعضهم بعضًا ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ في الآخرة.

[١٢٤] ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ بالتنوين؛ مصدر بمعنى: ضيقة، وفسرت في حديث[3] بعذاب الكافر في قبره ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ﴾ أي: المعرضُ عن القرآن ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ أعمى البصر.

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ في الدنيا، وعند البعث.

---

(١) سورة ص: ٧٦.

(٢) قراءتان سبعيتان، وبالكسر قرأ نافع وشعبة، وبالفتح قرأ الباقون.

(٣) أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأخرجه ابن أبي شيبة والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا، وكذلك أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، والحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعًا [الدر المنثور (٥٥٦/٤)]. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٢، ج٣).

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

[١٢٦] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ تُترَكُ في النار.

[١٢٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أدوم.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ﴾ يتبين ﴿لَهُمۡ﴾ لكفار مكة ﴿كَمۡ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾ أي: كثيرًا إهلاكنا ﴿قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ أي: الأمم الماضية؛ بتكذيب الرسل ﴿يَمۡشُونَ﴾ حال من ضمير ﴿لَهُمۡ﴾ ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا، وما ذُكِر[١] من أخذ[٢]: «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدري؛ لرعاية المعنى لا مانع منه[٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ لعبرًا ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول.

[١٢٩] ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامٗا﴾ لازمًا لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ مضروب لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصلُ بخبرها مكانَ التأكيد.

[١٣٠] ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخ بآية القتال ﴿وَسَبِّحۡ﴾ صَلِّ ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ حالٌ؛ أي: متلبسًا به ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحۡ﴾ صَلِّ المغربَ والعِشاءَ ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ عطف على محل ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ﴾ المنصوب؛ أي: صَلِّ الظهرَ؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس؛ فهو طَرَف النصف الأول، وطَرَف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ بما تُعْطَى من الثواب.

[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافًا ﴿مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ بأن يطغوا ﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيۡرٞ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبۡقَىٰ﴾ أدوم.

[١٣٢] ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ﴾ اصبر ﴿عَلَيۡهَاۖ﴾[٤] لَا نَسۡـَٔلُكَ﴾ نكلفك ﴿رِزۡقٗاۖ﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ الجنة ﴿لِلتَّقۡوَىٰ﴾ لأهلها.

[١٣٣] ﴿وَقَالُواْ﴾ المشركون: ﴿لَوۡلَا﴾ هَلَّا ﴿يَأۡتِينَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ مما يقترحونه ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم﴾ بالتاء والياء[٥] ﴿بَيِّنَةُ﴾ بيان ﴿مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ المشتمل عليه القرآن؛ من أنباء الأمم الماضية، وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

[١٣٤] ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ قبل محمد الرسول ﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾ هَلَّا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القيامة ﴿وَنَخۡزَىٰ﴾ في جهنم.

[١٣٥] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿كُلّٞ﴾ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾ منتظر ما يئول إليه الأمرُ ﴿فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الطريق ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم؟

* * *

(١) في تفسير: «كم أهلكنا».

(٢) أي: أخذ المصدر.

(٣) أي: لا مانع منه لغة.

(٤) أي: على الصلاة؛ بإقامتها بحدودها وأركانها وخشوعها؛ فإن ذلك شاق على النفس، ولكن ينبغي جهادها على ذلك والصبر معها. فالضمير في قوله: «عليها» يرجع إلى الصلاة، وليس إلى «أهلك».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر وشعبة.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

[مكية، وهي: مائة وإحدى عشرة، أو: واثنتا عشرة آية، نزلت بعد سورة إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿۞ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن التأهب له بالإيمان.

[٢] ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ شيئًا فشيئًا؛ أي: لفظ قرآن(١) ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون.

[٣] ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلامَ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدلٌ من واو ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ ﴿هَلْ هَٰذَا﴾ أي: محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سِحْرٌ ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.

[٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنًا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿الْعَلِيمُ﴾ به.

[٥] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شِعْرٌ ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ كالناقة والعصا واليد.

[٦] قال تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.

[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي﴾ وفي قراءة: بالياء وفتح الحاء(٢) ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد(٣).

[٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجسادًا ﴿لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾ المصدقين لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.

[١٠] ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه بلغتكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

---

(١) وهذا على مذهب الأشاعرة الباطل أن القرآن معنى قائم بذات الرب، أما الألفاظ فمخلوقة، وأن كلام الله قديم، وأنه وصف قائم بالذات، وهذا خلاف مذهب السلف في كلام الله ﷻ وأنه تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن مع الإمالة، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرةً ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ شَعَرَ أهلُ القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين.

[١٣] فقالت لهم الملائكةُ استهزاءً: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نُعِّمتُم ﴿فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ شيئًا من دنياكم على العادة.

[١٤] ﴿قَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالكفر.

[١٥] ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزرع المحصود بالمناجل؛ بأن قتلوا بالسيف ﴿خَٰمِدِينَ﴾ ميتين؛ كخمود النار إذا طفئت.

[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ عابثين، بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا.

[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يُلْهَى به من زوجة أو ولد ﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا؛ من الحور العين والملائكة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك، لكنا لم نفعله، فلم نُرِدْه.

[١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ نرمي ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى الْبَٰطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ يذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب، و«دَمَغَهُ» في الأصل: أصاب دماغه بالضرب، وهو مَقْتَلٌ ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿الْوَيْلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ اللَّهَ به من الزوجة أو الولد.

[١٩] ﴿وَلَهُۥ﴾ - تعالى - ﴿مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلكًا ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ أي: الملائكة، مبتدأٌ خبرهُ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيون.

[٢٠] ﴿يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ عنه؛ فهو كالنَّفَس منّا لا يشغلنا عنه شاغلٌ.

[٢١] ﴿أَمِ﴾ بمعنى بل؛ للانتقال، والهمزة للإنكار ﴿اتَّخَذُوا ءَالِهَةً﴾ كائنةً ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾ أي: الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يحيون الموتى؟! لا، ولا يكون إلهًا إلا من يحيي الموتى.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: خرجتا عن نظامهما المشاهد؛ لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه[١] ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تنزيه ﴿اللَّهِ رَبِّ﴾ خالق ﴿الْعَرْشِ﴾ الكرسي[٢] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الكفارُ اللَّهَ به من الشريك له وغيره.

[٢٣] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ عن أفعالهم.

[٢٤] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ﴾ - تعالى -؛ أي: سواه ﴿ءَالِهَةً﴾؟! فيه استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أمتي؛ وهو: القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم؛ وهو: التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب اللَّه، ليس في واحد منها أن مع اللَّه إلهًا مما قالوا - تعالى عن ذلك - ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ توحيدَ اللَّه ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

---

(١) يشير بذلك إلى ما يذكره المتكلمون من دليل التمانع، وهو استدلال في غير محله، كما بين ذلك شارحُ الطحاوية، وذلك أنهم يستدلون بالآية على توحيد الربوبية وتفرد الخالق، بينما الآية في إثبات وحدانيته - سبحانه - في ألوهيته.

(٢) جَرَى الجلالان - السيوطي والمحلي - على القول: بأن «العرش والكرسي» شيءٌ واحدٌ، والصحيح أن العرشَ غيرُ الكرسي وأكبر منه. كما هو ظاهر الأحاديث، وراجع التعليقات على آية الكرسي رقم (٢٥٥) من سورة البقرة .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٥] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا [يُوحَىٰ]﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء[1] ﴿إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أي: وحِّدوني.

[٢٦] ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ من الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ﴾ هم ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

[٢٧] ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: بعده.

[٢٨] ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ - تعالى - أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ - تعالى - ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٩] ﴿۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: الله؛ أي: غيره؛ وهو: إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ﴿أَوَلَمۡ﴾ بواو وتركها[2] ﴿يَرَ﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ سدًّا؛ بمعنى: مسدودة ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ جعلنا السماء سبعًا والأرض سبعًا، أو فَتْقُ السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، وفَتْقُ الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ من نبات وغيره؛ أي: فالماء سبب لحياته[3] ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بتوحيدي؟!

[٣١] ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا﴾ الرواسي ﴿فِجَاجٗا﴾ مسالك ﴿سُبُلٗا﴾ بدلٌ، طرقًا نافذة واسعة ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

[٣٢] ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا﴾ للأرض؛ كالسقف للبيت ﴿مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها؛ فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من: (الشمس والقمر) وتابعه؛ وهو: (النجوم) ﴿فِي فَلَكٖ﴾ مستدير؛ كالطاحونة في السماء ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ يسيرون بسرعة؛ كالسابح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

[٣٤] وَنَزَلَ - لما قال الكفار: إن محمدًا سيموت -: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ فيها؟! لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ﴾ كفقر وغنى، وسقم وصحة ﴿فِتۡنَةٗۖ﴾ مفعول له؛ أي: لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالنون وكسر الحاء، وقرأ بقية السبعة بالياء وفتح الحاء.

(٢) بتركها قراءة ابن كثير.

(٣) قال صاحب قرة العينين ص (٤٢٣): «... هذا التفسير ... غير مطابق لنص الآية؛ إذ لو كان المعنى كما ذكره المحلي؛ لكان لفظ الآية: «وجعلنا من الماء، أو بالماء، كل شيء حيًّا»، وليس كذلك؛ فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة لـ «شيء»، وقوله تعالى: «جعلنا» بمعنى: «خلقنا»؛ أي خلقنا كل شيء حي من الماء»... يؤيد قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ﴾ [النور: ٤٥]...» انتهى كلامه بتصرف يسير.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾[1] أي: مَهْزُوءًا به، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيبها ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾ به؛ إذ قالوا: ما نعرفه.

[٣٧] وَنَزَلَ في استعجالهم العذاب: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فيه؛ فأراهم القتل ببدر.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منها في القيامة، وجواب ﴿لَوْ﴾: ما قالوا ذلك.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

[٤١] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

[٤٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من عذابه إن نزل بكم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله؛ لإنكارهم له[2] ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ أي: القرآن ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيه.

[٤٣] ﴿أَمْ﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار؛ أي: أ ﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ مما يسوؤهم ﴿مِّن دُونِنَا﴾ أي: أَلَهُمْ من يمنعهم منه غيرنا؟ لا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فلا ينصرونهم ﴿وَلَا هُم﴾ أي: الكفار ﴿مِّنَّا﴾ من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾ يجارون، يقال: صحبك الله؛ أي: حفظك وأجارك.

[٤٤] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ فاغتروا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ بالفتح على النبي ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾؟ لا، بل النبي[3] وأصحابه.

---

(١) بضم الزاي وبالهمز، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرأ حمزة (هُزْءًا) بالهمز مع سكون الزاي، وقرأ حفص (هُزُوًا) بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا.

(٢) ويحتمل أن يكون المعنى: أي من يحرسكم ويحفظكم (بالليل) حال نومكم (والنهار) وقت انتشاركم وغفلتكم (من الرحمن) أي بدل الرحمن؛ أي هل يحفظكم أحد غيره؟! لا حافظ إلا هو. تيسير الكريم الرحمن ص (٥٦٥) بتصرف يسير.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء[1] ﴿مَا يُنذَرُونَ﴾ هم؛ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار؛ كالصم

[٤٦] ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾(*) ذوات العدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من نقص حسنةٍ أو زيادة سيئةٍ ﴿وَإِن كَانَ﴾ العملُ ﴿مِثْقَالَ﴾ زنةَ ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ محصين كل شيء.

[٤٨] ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَآءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ عظةً بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ عن الناس؛ أي: في الخلاء عنهم ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٥٠] ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؟ الاستفهام فيه للتوبيخ.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ بأنه أهلٌ لذلك.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي: على عبادتها مقيمون.

[٥٣] ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فاقتدينا بهم.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن.

[٥٥] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ فيه؟.

[٥٦] ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ به.

[٥٧] ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف - أي: يصيح - فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ الآية؟». فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارقتهم؛ أشهدكم أنهم أحرار كلهم. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

(١) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وأما تسهيل الثانية فهو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جُذَاذًا﴾ بضم الجيم وكسرها[1]؛ فُتاتًا بِفَأْسٍ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ علَّق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره.

[٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فيه.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يعيبهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦١] ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهرًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أَأَنتَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه[2] ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ ساكتًا عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[*] فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله[3] تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزُهُ عن الفعل لا يكون إلهًا.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بالتفكر ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتكم من لا ينطق [٦٥] ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾ من الله ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ردوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!.

[٦٦] ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئًا إذا لم تعبدوه.

[٦٧] ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها[4]؛ بمعنى مصدر؛ أي: نتنًا وقبحًا ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله ـ تعالى ـ؟.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نصرتها؛ فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار.

[٦٩] قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله: ﴿وَسَلَامًا﴾ سلم من الموت ببردها.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

[٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران» من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار؛ وهي: الشام[5]، نزل إبراهيم بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة[6]، وبينهما يوم.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم ـ وكان سأل ولدًا كما ذكر في الصافات ـ ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة عن المسئول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

(*) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات؛ ثنتين في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وواحدة في شأن سارة؛ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك؛ فإن سألني فأخبريه أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام...» الحديث. مسلم ـ كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل.

---

(١) بالكسر قراءة الكسائي.

(٢) حاصل ما ذكر المفسر خمس قراءات وكلها سبعية.

(٣) أي في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر بدون تنوين قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن قتادة [الدر المنثور (٤/٥٨١، ٥٨٢)].

(٦) هي قرى قوم لوط؛ سميت بذلك لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء[١]، يُقْتَدَى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: أن تُفْعَلَ وَتُقَامَ وَتُؤْتَى منهم ومن أتباعهم، وَحَذْفُ هاء «إقامة» تَخْفِيفٌ ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

[٧٤] ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ فصلًا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور وغير ذلك[٢] ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر «سَاءَهُ»، نقيض «سَرَّهُ» ﴿فَٰسِقِينَ﴾.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ﴾[٣] إلخ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

[٧٧] ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ منعناه ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هو زرعٌ أو كَرْمٌ ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: رَعَتْهُ ليلًا بلا راعٍ؛ بأن انفلتت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين، قال داود: لصاحبِ الحرثِ رقابُ الغنم.

وقال سليمان: ينتفع بدَرِّهَا ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرثُ كما كان؛ بإصلاح صاحبها فيردها إليه.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي: الحكومة ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وحكمهما باجتهاد، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحي، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا﴾هُ ﴿حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلك سُخِّرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فَتْرَةً[٤] لينشط له ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تَسْخِيرَ تسبيحهما معه، وإن كان عجبًا عندكم؛ أي: مجاوبته[٥] للسيد داود.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَّكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿[لِنُحْصِنَكُم]﴾ بالنون[٦]: لله، وبالتحتانية[٧]: لداود، وبالفوقانية: للبوس[٨] ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَٰكِرُونَ﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

[٨١] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى: ﴿رُخَآءً﴾[٩] أي: شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ من ذلك: عِلْمُه تعالى بأن ما يعطيه سليمانَ يَدْعُوهُ إلى الخضوعِ لربه؛ فَفَعَلَهُ - تَعَالَى - على مُقْتَضَى عِلْمِهِ.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتسهيل بين بين، وذهب بعض أهل الأداء إلى إبدال الهمزة الثانية ياء خالصة، وهكذا في جميع المواضع التي وردت فيها الكلمة وهي خمسة.

(٢) أخرج ابن عساكر عن الحسن ﷺ مرسلًا: «عشر خصال عملتها قوم لوط بها أهلكوا وتزيدها أمتي بخلة؛ إتيان الرجال بعضهم بعضًا، ورميهم بالجلاهق، والخذف ولعبهم بالحمام وضرب الدفوف وشرب الخمور وقص اللحية وطول الشارب والصفر والتصفيق ولباس الحرير، وتزيدها أمتي بخلة؛ إتيان النساء بعضهم بعضًا». وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٧١١): موضوع.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) أي فتورًا.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: (مجاوبةً).

(٦) وهي قراءة شعبة.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ حفص وابن عامر بالتاء.

(٨) وذلك ردًّا على المعنى، لأن اللبوس: الدرع، والدرع مؤنثة، وقيل: ردًّا على الصيغة.

(٩) سورة ص: ٣٦.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٢] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سوى الغوص؛ من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ من أن يُفسِدوا ما عملوا؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره[1].

[٨٣] ﴿۞ وَ﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ لما ابْتُلِيَ بفقد جميع ماله وولده، وتمزيق جسده، وهَجْرِ جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثًا أو سبعًا أو ثماني عشرة وضيق عيشه[2] ﴿أَنِّى﴾ بفتح الهمزة؛ بتقدير الباء ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: الشدة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[٨٤] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ أولاده الذكور والإناث؛ بأن أُحْيُوا له[3] وكل من الصنفين ثلاثٌ أو سبعٌ[4] ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ من زوجته وَزِيدَ في شبابها[5]، وكان له أندر للقمح وأندر للشعير؛ فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذَّهَبَ، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الْوَرِقَ حتى فَاضَ[6] ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ صفة ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ليصبروا؛ فيثابوا.

[٨٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ من النبوة[7] ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لها، وَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ؛ لأنه تَكَفَّلَ بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب؛ فَوَفَّى بذلك، وقيل: لم يكن نبيًّا[8].

[٨٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا ٱلنُّونِ﴾ صاحب الحوت؛ وهو: يونس بن متى، ويبدل منه: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومه؛ أي: غضبان عليهم مما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نقضي عليه بما قضيناه من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن

[٨٨] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بِنَا داعين[9].

[٨٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك.

[٩٠] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ ولدًا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فأتت بالولد بعد عُقْمِهَا ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: مَنْ ذُكِرَ من الأنبياء ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ متواضعين في عبادتهم.

---

(١) وذلك باعتبار أن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يعود على الشياطين، وهو قول الجمهور، باعتبارهم أقرب مذكور، وقيل: المعنى حافظين لهم من أن يهربوا أو يمتنعوا أو يخرجوا عن أمره. واختار بعض المفسرين عود الضمير على داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ؛ والمعنى: كنا لهم مؤيدين ومعينين، قال ابن كثير: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي: يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره. اهـ. وأما ما ذكره المفسر هنا من إفسادهم للعمل، فلا دليل عليه.

(٢) صحح الألباني حديث أنس مرفوعًا في قصة أيوب عليه السلام: وفيه أن البلاء لبث به ثمان عشرة سنة، وأنه رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكذلك زوجته. وعزاه لأبي يعلى وأبي نعيم. «الصحيحة: ١٧».

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن جريج وعن الحسن وقتادة. تفسير الطبري (١٧/٧٢، ٧٣).

(٤) ذكر البغوي في تفسيره عن وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين، وذكر عن ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. [تفسير البغوي (٥/٣٤٧)].

(٥) أخرج نحوه ابن مردويه وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا كما في الدر المنثور (٥/٦٦٠).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه عن أنس مرفوعًا [الدر المنثور (٤/٥٩٣)]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٣، رقم ١٧).
و«الأندر»: البَيْدر، وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام. و«الورق» الفضة.

(٧) النبوة من آثار رحمة الله عز وجل وليست هي الرحمة، وصنيع المفسر هذا جريًا على طريقته في تأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات التي أثبتها ربنا عز وجل لنفسه ونثبتها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

(٨) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، وهذا هو المشهور. وأما سبب تسميته التي ذكرها المفسر فلا دليل عليها. وقد رجح بعض المحققين أنه حزقيل عليه السلام، فالله أعلم.

(٩) كما عند الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعًا: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها =

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

[٩١] ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل؛ حيث نفخ في جيب دِرْعِها؛ فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة؛ حيث ولدته من غير فَحْلٍ.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكون عليها ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ حالٌ لازمةٌ ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ وحِّدون.

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي: بعضُ المخاطبين ﴿أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: تفرقوا أمرَ دينِهم متخالفين فيه؛ وهم: طوائف اليهود والنصارى، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

[٩٤] ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ بأن نأمر الحَفَظَةَ بِكَتْبِهِ؛ فنجازيه عليه.

[٩٥] ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ أريد أهلها ﴿أَنَّهُمۡ لَا﴾ زائدة ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ أي: مُمْتَنِعٌ رجوعُهم إلى الدنيا.

[٩٦] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتۡ﴾ بالتخفيف والتشديد[1] ﴿يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ بالهمز وتركه[2]؛ اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُقَدَّرُ قبله مضافٌ؛ أي: سَدُّهُمَا، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾(*) يسرعون.

[٩٧] ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة[3] ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون: ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَنَا﴾ هلاكنا ﴿قَدۡ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل.

[٩٨] ﴿إِنَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٩] ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثانُ ﴿ءَالِهَةٗ﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ دخلوها ﴿وَكُلّٞ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿لَهُمۡ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ﴾ شيئًا؛ لشدة غليانها.

[١٠١] ونَزَلَ ـ لما قال ابن الزِّبَعْرى: عُبِدَ عزير والمسيح والملائكة؛ فهم في النار[4] على مقتضى ما تقدم ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا﴾ المنزلة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ ومنهم مَنْ ذُكِرَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها ـ ....» الحديث. البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلم ـ كتاب الفتن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهور الفتن.

= رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) بتركه قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) وهي تسميته عند بعض النحويين، ويسمى عند جمهور البصريين: ضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالته وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وسموه بذلك؛ لأنه يرمز للشأن؛ أي: الحال التي يراد الكلام عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥/٣، ١٦ رقم ٩٨٦)، وأحمد في المسند (٣١٧/٣، ٣١٨)، والطبراني في الكبير (١١٨/١٢، ١١٩)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١٧٣/٢، ١٧٤)، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك (٣٨٤/٢، ٣٨٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه بمجموع طرقه في الاستيعاب (٤٩٤/٢).

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ من النعيم ﴿خَٰلِدُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾ تستقبلهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدرًا قبله ﴿نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ اسم مَلَكٍ[١] ﴿[لِلْكِتَابِ]﴾ صحيفةُ ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجل»: الصحيفة، والكتاب بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على[٢]، وفي قراءة[٣]: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ جمعًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عَدَمٍ ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ«نعيده»، وضميرهُ عائدٌ إلى ﴿أَوَّلَ﴾ و«ما» مصدرية ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ منصوب بـ«وعدنا» مقدرًا قبْلَهُ، وهو مؤكدٌ لمضمونِ ما قَبْلَهُ ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ما وَعَدْنَاهُ.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ بمعنى: الكتاب؛ أي: كتب اللَّه المنزلة ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ بمعنى: أم الكتاب الذي عند اللَّه ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الجنة[٤] ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ عامٌ في كل صالح.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ كفايةً في دخول الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ عاملين به.

[١٠٧] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن بك.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: ما يوحى إليَّ في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ منقادون لما يُوحَى إلي من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

[١٠٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حالٌ من الفاعل والمفعول؛ أي: مستوين في علمه لا أستبد به دونكم؛ لتتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب، أو القيامة المشتملة عليه؟ وإنما يعلمه اللَّه.

[١١٠] ﴿إِنَّهُۥ﴾ - تعَالَى - ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم من السِّرِّ.

[١١١] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُۥ﴾ أي: ما أَعْلَمْتُكُم به، ولم يُعْلَمْ وَقْتُهُ ﴿فِتْنَةٌ﴾ اختبارٌ ﴿لَّكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأول المترجَّى بـ«لعل»، وليس الثاني محلًا للترجي[٥].

[١١٢] ﴿[قُلْ]﴾ وفي قراءة[٦]: ﴿قَٰلَ﴾: ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بيني وبين مكذبي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم؛ فعذبوا ببدر، وأُحُد، وحنين، والأحزاب، والخندق، وَنُصِرَ عليهم ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على اللَّه في قولكم: «اتخذ ولدًا»، وَعَلَيَّ في قولكم: «ساحر» وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

* * *

(١) والصحيح أن السجل هي الصحيفة، كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس ونقله عن غير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة.

(٢) المعنى: أي كطي السجلِّ على الكتاب.

(٣) قرأ «للكتب» حفص وحمزة والكسائي، وبقية السبعة (الكتاب).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين في تفسير «الأرض» في هذه الآية، وفي آية الزمر ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة وغيرهم. وتعقب ذلك القاضي كنعان في قرة العينين واختار أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المعهودة. بقوله: «... تفسير «الأرض» بالجنة بعيد، ولا دليل عليه، ولم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة» لا في القرآن ولا في السنة». قرة العينين ص (٦١٦، ٦١٧) بتصرف يسير.

(٥) أي: المترجَّى بـ «لعل» هو: كون تأخير العذاب فتنة. أما قوله: «ومتاع إلى حين» فليس كذلك؛ لأنه واقع بالفعل.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص: ﴿قل﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

سُورَةُ الحَجِّ

[مكية إلا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ﴾ الآيتين، أو إلا ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الست آيات فمدنيات، وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية، نزلت بعد النور]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قربُ الساعة[1] ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوعٌ من العقاب.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: تَنْسَاهُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حُبْلَى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ من الشَّرَابِ ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

[٣] وَنَزَلَ في النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ[2] وَجَمَاعَتِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين. وَأَنْكَرُوا البعثَ وإحياءَ من صار ترابًا ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: متمرد.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قُضِيَ على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: النار.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شَكٍّ ﴿مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ أي: أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامدُ ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كَمَالَ قدرتنا؛ لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنف[3] ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلًا﴾ بمعنى: أطفالًا ﴿ثُمَّ﴾ نعمركم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: الكمال والقوة؛ وهو: ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يموت قبل بلوغ الأشدِ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنبَتَتْ مِن﴾ زائدة ﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن.

---

(١) هذا قول علقمة والشعبي وجماعة من المفسرين. واختار ابن جرير أن الآية تشير إلى هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة. واحتجوا بحديث عمران بن حصين عند أحمد والترمذي وأبي داود وغيرهم، أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم القيامة، يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار...» الحديث. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن (٤٨)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦١٨). وأخرجه أحمد مختصرًا في المسند (٤/٤٣٢). كما استدل أصحاب هذا القول بأحاديث تلا النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما جاء في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (١) باب (٩٦).

(٢) هذا قول مجاهد، وأبي مالك، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/١٢) ولباب النقول ص (١٤٨)، ونسبهما لابن أبي حاتم. وهما مرسلان. وذكره البغوي في تفسيره (٥/٣٦٥).

(٣) يعني أن الواو في قوله: ﴿ونقر﴾ استئنافية وليست عطفًا على ﴿لنبين﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

[٨] وَنَزَلَ في أبي جهل[1]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ له نور معه.

[٩] ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ حالٌ؛ أي: لَاوِيَ عنقه تكبرًا عن الإيمان؛ والعطف: الجانب عن يمين أو شمال ﴿[لِيَضِلَّ]﴾ بفتح الياء[2] وضمها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ عذابٌ؛ فقتل يوم بدر[3] ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: الإحراق بالنار.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي: قدمته، عَبَّرَ عنه بهما دون غيرهما؛ لأن أكثرَ الأفعالِ تزاولُ بهما ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[١١] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي: شَكٍّ في عبادته، شبه بالحالِ على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ صِحَّةٌ وسلامة في نفسه وماله ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنةٌ وسقمٌ في نفسه وماله ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ بفوات ما أَمِلَهُ منها ﴿وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ بالكفر ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ البَيِّنُ(*).

[١٢] ﴿يَدْعُوا۟﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن عَبَدَهُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الحق.

[١٣] ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن﴾ اللام زائدة ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ بعبادته ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ إن نفع بتخيله ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو؛ أي: الناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ الصاحب هو.

[١٤] وَعَقَّبَ ذِكْرَ الشَّاكِّ بالخسران بِذِكْرِ المؤمنينَ بالثوابِ في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه.

[١٥] ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: محمدًا نبيه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به؛ بأن يقطع نفسه من الأرض؛ كما في «الصَّحاح»[4] ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَغِيظُ﴾ منها؛ المعنى: فليختنق غيظًا منها؛ فلا بد منها.

(*) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلامًا ونُتِجَتْ خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

(١) روي ذلك عن ابن عباس، كما ذكره النيسابوري والألوسي وغيرهما، وقيل: نزل في النضر بن الحارث أيضًا وهو قول ابن عباس أيضًا. والتكرير للمبالغة في الذم. قاله القرطبي. وقيل: هي عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم. وقيل: الآية الأولى واردة في الأتباع المقلِّدين. وهذه الآية واردة في المتبوعين المقلَّدين.

(٢) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو، والباقون بالضم.

(٣) أي أبو جهل؛ لاختيار المصنف أنها نزلت فيه.

(٤) كتاب «مختار الصَّحاح» في اللغة للجوهري.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات، حالٌ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ هداه، معطوفٌ على هاء ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهودُ ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة، وإدخال غيرهم النارَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من عملهم ﴿شَهِيدٌ﴾ عالِمٌ به عِلْمَ مشاهدةٍ.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: يخضع له بما يُرادُ منه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم المؤمنون؛ بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون؛ لأنهم أَبَوُا السجودَ المتوقفَ على الإيمان ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ يُشْقِه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ مُسْعِدٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

[١٩] ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصمٌ، والكفار الخمسة[1] خصمٌ، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها؛ يعني: أُحيطتْ بهم النار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ الماءُ البالغُ نهاية الحرارة.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ﴾ يُذاب ﴿بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ من شُحومٍ وغيرها ﴿وَ﴾ تشوى به ﴿ٱلْجُلُودُ﴾[*].

[٢١] ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ لضرب رءوسهم.

[٢٢] ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: البالغ نهايةَ الإحراق.

[٢٣] وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ [وَلُؤْلُؤٍ]﴾ بالجر؛ أي: منهما؛ بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب[2]: عطفًا على محل ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو المُحَرَّمُ لُبْسُهُ على الرجال في الدنيا.

(*) ما جاء في نزول الآيتين (١٩، ٢٠): أخرج البخاري عن قيس بن عُبَاد عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: عليّ وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب (٣).

---

(١) يشير المصنف إلى أهل الملل الكافرين الخمسة المذكورين في الآية المتقدمة، وانظر ما جاء في سبب نزول الآية.

(٢) بالجر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وهو: لا إله إلا الله[1] ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله المحمودة ودينه.

[٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ﴾ منسكًا ومتعبدًا ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ﴾ المقيم ﴿فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾ الطارئ ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِ﴾ الباءُ زائدةٌ ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي: بسببه؛ بأن ارتكب منهيًّا، ولو شَتْم الخادم ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(*) مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّ﴾؛ أي: نذيقهم من عذاب أليم.

[٢٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ بَوَّأۡنَا﴾ بيّنا ﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ ليبنيه، وكان قد رُفِع زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد؛ المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّن﴾ ناد ﴿فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ فنادى على جبل[2] أبي قبيس: يأيها الناس إن ربكم بَنَى بيتًا وأوجب عليكم الحجَّ إليه؛ فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا؛ فأجابه كُلُّ من كُتِبَ له أن يَحُجَّ من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللّهم لبيك، وجواب الأمر: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقيام ﴿وَ﴾ ركبانًا ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ أي: بعير مهزول، وهو يطلق على الذَّكر والأنثى ﴿يَأۡتِينَ﴾ أي: الضوامر حملًا على المعنى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] ﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾ أي: يحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة[3]، أو فيهما، أقوالٌ ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوالٌ ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا[4] ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ أي: الشديد الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾ أي: يزيلوا أوساخهم وشَعَثَهُمْ؛ كطول الظفر ﴿وَلۡيُوفُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد[5] ﴿نُذُورَهُمۡ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾ طوافَ الإفاضةِ ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أكلًا بعد الذَّبح ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريمه في ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾[6] الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلًا، والتحريم لما عَرَض من الموت ونحوه ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾ للبيان؛ أي: الذي هو الأوثان ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ أي: الشرك بالله في تلبيتكم، أو شهادة الزور.

(*) فائدة: أخرج أحمد عن ابن مسعود قال في قوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ قال: لو أن رجلًا همَّ فيه بإلحاد وهو بِعَدَنِ أَبْيَن لأذاقه الله ﷻ عذابًا أليمًا. المسند (١/٤٢٨، ٤٥١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤٠٧١). و«عَدَن أَبْيَنَ»: مدينة معروفة باليمن؛ أضيفت إلى «أبينَ» وهو رجل من حِمْير عَدَنَ بها؛ أي أقام. (النهاية لابن الأثير ٣/١٩٢).

(١) هذا على أحد الأقوال، أن المراد: هُدُوا في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: قراءة القرآن، والقول الآخر أن المراد: هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول؛ وهو: الحمد والتسبيح والسلام، ويشهد له قوله ـ تعالى ـ: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] وغيرها من الآيات. وعلى القول الأول: فيحتمل أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، فيكون المعنى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد جنات... والله أعلم.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (٤/٦٣٧)]، وقال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف.

(٣) لعله يريد بذلك ما قيل: إن المراد بالمنافع: المناسك؛ كعرفات والمشعر الحرام، وما يترتب على ذلك من الأجر والمغفرة.

(٤) فالمراد بذكر اسم الله حينئذٍ التسمية عند الذبح والنحر ـ وهو قول الأكثرين ـ، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فبين لهم الله أن الواجب الذبح على اسم الله. وقيل: إن ﴿عَلَىٰ﴾ تعليلية؛ والمعنى: لأجل ما رزقهم من تلك الأنعام؛ فلو شاء لحظرها عليهم ولجعلها أوابد متوحشةً.

(٥) بالتشديد قراءة شعبة.

(٦) المائدة: ٣.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ تأكيدٌ لما قبله، وهما حالان من الواو ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي: تأخذه بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: تسقطه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد، فهو لا يرجى خلاصه.

[٣٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله: الأمر، مبتدأ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي: فإن تعظيمها ـ وهي البدن التي تُهْدَى لِلْحَرَم بأن تُستحسن وتُستسمن ـ ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ منهم، سُمِّيَتْ شَعَائِرَ؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هدي؛ كطعن حديدة بسنامها.

[٣٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كرُكوبها، والحمل عليها ما لا يضرها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: مكان حل نحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: عنده؛ والمراد: الحَرَم جميعه.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين: مصدرٌ، وبكسرها[1]: اسم مكان؛ أي: ذبحًا قربانًا، أو مكانه ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ المطيعين المتواضعين.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من البلايا ﴿وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[٣٦] ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنَة؛ وهي: الإبل ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ نفع في الدنيا ـ كما تقدم ـ وأجر في العقبى ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَآفَّ﴾ قائمة على ثلاث، معقولة[2] اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر؛ وهو: وقت الأكل منها ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ﴾ الذين يقنع بما يُعْطَى، ولا يسأل، ولا يتعرَّض ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ السائل أو المتعرض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ بأن تُنحر وتركب وإلا فلم تُطَق ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنعامي عليكم.

[٣٧] ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي: يرفعان إليه ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الموحدين.

[٣٨] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ غوائل المشركين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته؛ وهم: المشركون؛ المعنى: أنه يعاقبهم[3].

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) أي مربوطة.

(٣) وهذا تأويل لانتفاء الصفة بلازمها، والحب والبغض صفتان لله ﷻ، ومذهب السلف إثباتهما لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ أي: المؤمنين أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا﴾ لظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، وما أخرجوا ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده، وهذا القول حق؛ فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل؛ بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ بالتشديد: للتكثير، وبالتخفيف[1] ﴿صَوَامِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي: المواضع المذكورة[2] ﴿اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ منيع في سلطانه وقدرته(*).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ جواب الشرط، وهو وجوابه صلةُ الموصول، ويقدر قبله: «هم» مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إليه في الآخرة.

[٤٢] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخره فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث ﴿قَوْمُ﴾ باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح.

[٤٣] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كَذَّبَهُ القِبْطُ لا قومه بنو إسرائيل؛ أي: كذب هؤلاء رسلهم؛ فلك أسوة بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستفهام للتقرير؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٥] ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي: كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ [أَهْلَكْتُهَا]﴾[3] وفي قراءة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: أهلها؛ بكفرهم ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ رفيع، خال بموت أهله.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار؛ فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيد.

(*) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم! إنا لله وإنا إليه راجعون. ليهلكنَّ؛ فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فعرفت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٥).

وأخرج الترمذي عن سعيد بن جبير قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال رجل: أخرجوا نبيهم! فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الترمذي - الموضع السابق.

---

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

(٢) هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فيها﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها، وبناء عليه يجب أن يحمل المعنى على ما قبل تحريف الأمم السابقة دينهم... وصوَّب هذا التأويل ابن عطية.
واختار ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فيها﴾ يعود إلى «المساجد» فقط؛ لأنها أقرب المذكورات، كما في لغة العرب. وعلى كلا القولين فلا تشمل الآية «الكنائس» و«الكُنُس» التي يتخذها اليهود والنصارى بعد بعثة محمد ﷺ؛ لأنها لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتنزيه، كما يجب أن يذكر. قرة العينين ص ٤٣٩ بتصرف.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أهلكناها﴾.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بإنزال العذاب؛ فأنزله يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالتاء والياء[1]؛ في الدنيا.

[٤٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[٤٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّنُ الإنذارِ، وأنا بَشِيرٌ للمؤمنين.

[٥٠] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

[٥١] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن؛ بإبطالها ﴿[مُعَجِّزِينَ][2]﴾ من اتبع النبي؛ أي: ينسبونهم الى العجز ويثبطونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين لنا؛ أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار.

[٥٢] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ هُوَ نَبِيٌّ أُمِرَ بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالتبليغ[3] ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: «تلك الغرانيق العُلَا، وإن شفاعتهن لترتجى»؛ ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك؛ فحزن؛ فَسُلِّيَ بهذه الآية ليطمئن[4] ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ يبطل ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يثبتها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذُكِرَ ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء.

[٥٣] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين؛ عن قبول الحق ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ حيث جرى على لسانه ذِكْرُ آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ أي: القرآن؛ بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل[5] ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار؛ كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

---

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿معاجزين﴾.

(٣) هذا القول هو المشهور الشائع، والصحيح المختار هو أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وانظر: الرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤، ١٥)، والنبوات لابن تيمية ص (٢٥٥).

(٤) وهذا كلام باطل، وقد اتفق جمهور العلماء على أن قصة الغرانيق هذه باطلة مَتْنًا ولا أصل لها سَنَدًا. قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: غير ثابتة نَقْلًا ورواتها مطعونون، وردها ابن كثير، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وغيرهم.
ومن أفضل ما قيل في تفسيرها ما ذكره الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده... فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم. ومعنى «يحكم آياته»: يتقنها بالإحكام؛ فيظهر أنها وحي منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور.

(٥) تقدم بطلان هذا التأويل، انظر الهامش السابق.

ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

[٥٦] ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار(١)، ناصب للظرف ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بيَّن بعده ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فضلًا من الله.

[٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ شديدٌ بسبب كفرهم.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أفضل المعطين.

[٥٩] ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ بضم الميم وفتحها(٢)؛ أي: إدخالًا أو موضعًا ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنياتهم ﴿حَلِيمٞ﴾ عن عقابهم.

[٦٠] الأمر ﴿۞ ذَٰلِكَ﴾ قصصناه عليك ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمنين ﴿بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ظلمًا من المشركين؛ أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ منهم؛ أي: ظُلِمَ بإخراجه من منزله ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٞ﴾ لهم، عن قتالهم في الشهر الحرام.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ أي: يدخل كُلًّا منهما في الآخر؛ بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته ـ تعالى ـ التي بها النصر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٞ﴾ بهم؛ حيث جعل فيهم الإيمان؛ فأجاب دعاءهم.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر أيضًا ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء(٣)؛ يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته(٤) ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

[٦٣] ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مطرًا ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته(٥) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٞ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر.

[٦٤] ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

---

(١) أي معنى الاستقرار المقدر.

(٢) بالفتح قراءة نافع.

(٣) بالتاء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا قصر لمعنى «العلي» على أحد مدلولاته وإغفال الباقي؛ فالله ـ سبحانه ـ له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

(٥) ورحمته أيضًا.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من ﴿أَن﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فتهلكوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ في التسخير والإمساك.

[٦٦] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: المشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله؛ بتركه توحيده.

[٦٧] ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها[1]؛ شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة؛ إذ قالوا: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم»[2] ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[٦٨] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٦٩] ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يقول كُلٌّ من الفريقين خِلافَ قولِ الآخر.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما ذُكِرَ ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: علم ما ذُكِرَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهلٌ؟.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ هو الأصنام ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة[3] ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهراتٍ، حالٌ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: الإنكار لها؛ أي: أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ بأكْرَهَ إليكم من القرآن المَتْلُوِّ عليكم؛ هو: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأن مصيرهم إليها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

---

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) راجع ما تقدم في سبب نزول الآيات (١١٩ - ١٢١) من سورة الأنعام.

(٣) أي: عبدوها تقليدًا لآبائهم، من غير دليل ولا حجة.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

[٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس، وَاحِدُهُ ذُبَابَةٌ، يقع على المذكر والمؤنث ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ لخلقه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم؛ من الطيب والزعفران الملطَّخين[1] به ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾ لا يستردوه ﴿مِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله ـ تعالى ـ؟! هذا أمر مستغربٌ، عَبَّرَ عنه بضرب مَثَلٍ ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ المعبود.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾ عظمته؛ إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب.

[٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلًا، نَزَلَ لما قال المشركون: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾[2] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذه رسولًا؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم ـ صلى الله عليهم وسلم ـ.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خَلَّفُوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٧٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب ﴿حَقَّ﴾ على المصدر ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضَيْق؛ بأن سَهَّلَهُ عند الضرورات؛ كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف»[3] ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلهم بلغوهم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثِقُوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الناصر لكم.

* * *

(١) في نسخة الصاوي وبعض النسخ المطبوعة: «الملطخون». وقال الصاوي مستشكلًا ذلك: المناسب أن يقول: «المتلطخين»؛ لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. اهـ. والمثبت من نسخة القاضي كنعان؛ قال: هو هكذا في المخطوطة الثانية، وهو الصواب.

(٢) سورة ص: ٨.

(٣) أي: كَمِلَّة أبيكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

[مكية، مائة وثماني، أو: تسع عشرة آية، نزلت بعد الأنبياء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون(١).

[٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدون.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام.

[٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراري ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهن.

[٧] ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ من الزوجات والسراري؛ كالاستمناء باليد في إتيانهن ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ جمعًا ومفردًا(٢) ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾ جمعًا ومفردًا(٣) ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها.

[١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾(٭) لا غيرهم.

[١١] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذِكْرُ المبدأ بَعْدَهُ.

[١٢] ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء؛ أي: استخرجته منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بـ﴿سُلَالَةٍ﴾.

[١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ منيًا ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرَّحِم.

[١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دمًا جامدًا ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمة قَدْرَ ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عَظْمًا﴾ في الموضعين(٤)، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاث؛ بمعنى: صيرنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين، ومميز ﴿أَحْسَنُ﴾ محذوف للعلم به؛ أي: خلقًا.

[١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سماوات، جمع طريقة(٥)؛ لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَافِلِينَ﴾ أن تسقط عليهم؛ فتهلكهم، بل نمسكها؛ كآية ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾(٦).

(٭) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النَّار؛ فإذا مات فدخل النَّار، ورث أهل الجنة منزله؛ فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾». ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صفة الجنة. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣).

---

(١) الخشوع في الصلاة غير التواضع؛ ومعناه: الخضوع والخوف والسكون؛ أي: باطنًا وظاهرًا.

(٢) بالإفراد قراءة ابن كثير.

(٣) بالإفراد قراءة حمزة والكسائي.

(٤) أي: «عظمًا»، و«العظم»، وهي قراءة ابن عامر وشعبة.

(٥) أي لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملائكة. فهذان تفسيران لسبب التسمية، وصنيع المؤلف يوهم أنه تفسير واحد.

(٦) الحج: ٦٥.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ فيموتون مع دوابهم عطشًا.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صيفًا وشتاءً.

[٢٠] ﴿وَ﴾ أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ [سِينَآءَ]﴾ جبل؛ بكسر السين وفتحها[١]، ومنع الصرف للعلمية، والتأنيث للبقعة ﴿[تُنْبِتُ]﴾ من الرباعي والثلاثي[٢] ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعدِّية على الثاني؛ وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ عطف على «الدهن»؛ أي: إدامٌ يصبغ اللقمة بغمسها فيه؛ وهو: الزيت.

[٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً ۖ﴾ عظة تعتبرون بها ﴿[نَّسْقِيكُم]﴾ بفتح النون وضمها[٣] ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا﴾ الإبل ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أطيعوا اللَّه ووحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ﴾ وهو اسم ﴿مَا﴾ وما قبْلَهُ الخبرُ، و﴿مِّنْ﴾ زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره؟.

[٢٤] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لأتباعهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعًا وأنتم أتباعهُ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بذلك، لا بشرًا ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الأمم الماضية.

[٢٥] ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى زمن موته.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ بسبب تكذيبهم إياي؛ بأن تهلكهم.

[٢٧] قال ـ تعالى ـ مجيبًا دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا[٤] ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء[٥]، وكان ذلك علامةً لنوح ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدْخِلْ في السفينةِ ﴿مِن [كُلِّ][٦] زَوْجَيْنِ﴾ ذكر وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول، و﴿مِن﴾ متعلقة بـ«اسْلُكْ»، وفي القصة: أن اللَّه ـ تعالى ـ حشر لنوح السباعَ والطيرَ وغيرَها؛ فجعل يضرب بيديه في كل نوع؛ فتقع يده اليمنى على الذَّكَرِ واليسرى على الأنثى؛ فيحملهما في السفينة، وفي قراءة: ﴿كُلٍّ﴾ بالتنوين، فـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ مفعولٌ، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ تأكيدٌ له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ﴾ بالإهلاك؛ وهو: زوجته وولده كنعان[٧]، بخلاف سام وحام ويافث؛ فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٨] قيل: «كانوا ستة رجال ونساؤهم»، وقيل: «جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون؛ نصفهم رجال ونصفهم نساء» ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

---

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: من أنبت ونَبَتَ، يشير بذلك إلى القراءتين، وبضم التاء وكسر الباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفيها إثبات صفة العين لله سبحانه على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح، وأما الجمع فللتعظيم لا للتكثير؛ كقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

(٥) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٦) هي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالتنوين.

(٧) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٨) هود: ٤٠.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين وإهلاكهم.

[٢٩] ﴿وَقُل﴾ عند نزولك في الفلك: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي[١]: مكان النزول ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ ما ذكر.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرة الله - تعالى - ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قومَ نوح بإرساله إليهم ووعظه.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قومًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾ هم عاد[٢].

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هودًا[٣] ﴿أَنِ﴾ بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتؤمنون.

[٣٣] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ نعمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَ﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما - وهو مغنٍ عن جواب الثاني -: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: مغبونون.

[٣٥] ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ هو خبر ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأولى، و﴿أَنَّكُمْ﴾ الثانية تأكيدٌ لها لما طَالَ الفصلُ.

[٣٦] ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر؛ أي: بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدةٌ للبيان.

[٣٧] ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و«ما» زائدة ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَٰدِمِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ وهو نبت يبس؛ أي: صيرناهم مثله في اليَبَس ﴿فَبُعْدًا﴾ من الرحمة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المكذبين.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقوامًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾.

---

(١) بفتح الميم وكسر الزاي لشعبة، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح الزاي.

(٢) وقيل: هم ثمود قوم صالح؛ لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة. واعتمده البيضاوي في تفسيره. واختاره السعدي في تيسير الكريم الرحمن ص (٥٩٧) وقال: الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام؛ لأن القصة هذه تشبه قصتهم. اهـ.

(٣) وعلى القول الآخر: يكون الرسول صالحًا.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه، ذَكَّرَ الضمير بعد تأنيثه رعايةً للمعنى.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا [تَتْرًا]﴾ بالتنوين وعدمه[١]؛ متتابعين بين كل اثنين زمان طويل[٢] ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو[٣] ﴿رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بينة؛ وهي: اليد والعصا وغيرهما من الآيات[٤].

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم.

[٤٧] ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ مطيعون خاضعون.

[٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به من الضلالة، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ لم يقل آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة؛ ولادته من غير فحل ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع؛ وهو: بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أقوالٌ ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء جارٍ ظاهرٍ تَرَاهُ العيونُ.

[٥١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

[٥٢] ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حالٌ لازمةٌ، وفي قراءة: بتخفيف النون[٥]، وفي أخرى: بكسرها مشددة[٦]؛ استئنافًا ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ فاحذرون.

[٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ أي: الأتباع ﴿أَمْرَهُم﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حالٌ من فاعل «تقطعوا»؛ أي: أحزابًا متخالفين؛ كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون.

[٥٤] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اترك كفار مكة ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى حين موتهم.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ في الدنيا.

[٥٦] ﴿نُسَارِعُ﴾ نعجل ﴿لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك استدراجٌ لهم.

[٥٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ خوفهم منه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون من عذابه.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون.

[٥٩] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معه غيره.

---

(١) بالتنوين قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأصل «تترا»: «وترى» من «الوَتْر»، وهو: الفرد.

(٢) وقيل: متتابعين بلا مهلة.

(٣) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وتسهيل الثانية هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) تقدم بيانها في تفسير آية الأعراف ١٣٣، ويونس ٧٥.

(٥) لابن عامر.

(٦) بكسر الهمزة وتشديد النون لعاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة وتشديد النون.

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

[٦٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَآ ءَاتَواْ﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة[١] ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبلَهُ: لام الجر[٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ في علم الله.

[٦٢] ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا فليصل جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيْنَا﴾ عندنا ﴿كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ بما عملته؛ وهو: اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا منها؛ فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزاد في السيئات.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ جهالة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ فيعذبون عليها.

[٦٤] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: السيف يوم بدر[٣] ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ يضجون.

[٦٥] يقال لهم: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ لا تمنعون.

[٦٦] ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ ترجعون القهقرى.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالبيت أو الحرم؛ بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَٰمِرًا﴾ حالٌ؛ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الثلاثي؛ تتركون القرآن، ومن الرباعي[٤]؛ أي: تقولون غير الحق في النبي والقرآن.

[٦٨] قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ﴾ أصله يتدبروا؛ فأدغمت التاء في الدال ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؟

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؟

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾؟ الاستفهام للتقرير بالحق؛ من صدق النبي، ومجيء الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله ـ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ـ ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادةً عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجرًا على ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾ وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين[٥]، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرَاجًا﴾ فيهما[٦] ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أفضل من أعطى وآجر.

[٧٣] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ عادلون.

---

(١) أخرج أحمد في مسنده (١٥٩/٦)، والترمذي في سننه (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم الذين يخافون أن لا يقبل منهم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٨٤).

(٢) أي: «لأنهم»؛ فيكون تعليلًا لقوله: ﴿وَجِلَةٌ﴾.

(٣) هذا قول ابن عباس وجماعة. وقيل: المراد بالعذاب: عذاب الآخرة.

(٤) يشير إلى القراءتين، فبضم التاء وكسر الجيم قراءة نافع. جعله من الهُجر، وهو الهذيان وما لا خير فيه من الكلام.

(٥) أي: «خَرْجًا فَخَرْجُ» وهي قراءة ابن عامر.

(٦) أي: «خَرَاجًا فَخَرَاج» وهي لحمزة والكسائي.

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٥] ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي: جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿لَّلَجُّوا۟﴾ تمادوا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ الجوع[1] ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء.

[٧٧] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل[2] ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون.

[٨٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ صُنْعَهُ ـ تَعَالَى ـ؛ فتعتبرون؟.

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

[٨٢] ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الأولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ لا، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين[3].

[٨٣] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة؛ بالضم.

[٨٤] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا [تَذَّكَّرُون]﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال[4]؛ تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداءً قادرٌ على الإحياء بعد الموت؟

[٨٦] ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الكرسي[5].

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تحذرون عبادة غيره؟

[٨٨] ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ والتاء: للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يَحمِي ولا يُحمَى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ [اللَّهُ][6]﴾ وفي قراءة: ﴿لِلَّهِ﴾ بلام الجر في الموضعين[7]؛ نظرًا إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده؛ أي: كيف تخيل لكم أنه باطل؟.

---

(١) أخرج النسائي في تفسيره (٢/٩٨، ٩٩ رقم ٣٧٢)، والطبراني في الكبير (١١/رقم ١٢٠٣٨)، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٧٥٣ـ موارد)، والحاكم في مستدركه (٢/٣٩٤) وصحح إسناده ووافقه الذهبي ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد ، أنشدك الله والرحم؛ فقد أكلنا العِلْهِزَ ـ يعني: الوبر بالدم ـ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾. وحسنه الحافظ في الفتح (٦/٥١٠)، وصححه في الاستيعاب (٢/٥٣٨، ٥٣٩).

(٢) هذا قول ابن عباس، وقال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم.

(٣) أي: وترك الإدخال؛ وقرأ عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرون﴾.

(٥) سبق بيان أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه.

(٦) هذه قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: (لله) بلام الجر.

(٧) أي: الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول فهو بلام الجر باتفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحدٌ.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو:

[٩١] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا﴾ أي: لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مغالبة؛ كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ـهُ به مما ذكر.

[٩٢] ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد؛ بالجر: صفة، والرفع: خبر «هو» مقدرًا[1] ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ تعظّم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ـهُ معه.

[٩٣] ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ﴾ ـهُ من العذاب، هو صادق بالقتل ببدر.

[٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فأهلك بإهلاكهم.

[٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾.

[٩٦] ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يكذبون ويقولون؛ فنجازيهم عليه.

[٩٧] ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ نزغاتهم بما يوسوسون به.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون بسوء.

[٩٩] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ الجمع للتعظيم.

[١٠٠] ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري؛ أي: في مقابلته، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا رجوع ﴿إِنَّهَا﴾ أي: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ ولا فائدة له فيها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ولا رجوع بعده.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتفاخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنها، خلاف حالهم في الدنيا ـ لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يفيقون ـ، وفي آية: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[2].

[١٠٢] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ شَمَرَتْ شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي ونافع وشعبة.

(٢) الصافات: ٥٠.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

[١٠٥] ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تخوَّفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾[١] بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الهداية.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك[٢] - بَعْدَ قَدْرِ الدُّنْيا مَرَّتَيْنِ[٣] -: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ ابعدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لينقطع رجاؤهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ هم: المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ [سُخْرِيًّا]﴾ بضم السين وكسرها[٤] مصدر بمعنى: الهزء؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ فتركتموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء؛ فَنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿[إِنَّهُمْ][٥]﴾ بكسر الهمزة ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بمطلوبهم: استئنافٌ، وبفتحها: مفعول ثان لـ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾.

[١١٢] ﴿قَٰلَ﴾ - تعالَى - لهم بلسان مالك، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾[٦] ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ تمييز؟.

[١١٣] ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: الملائكة المحصين أعمالَ الخلق.

[١١٤] ﴿قَٰلَ﴾ - تعالَى - بلسان مالك[٧]، وفي قراءة: (قُلْ)[٨]: ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلًا بالنسبة إلى لبثكم في النار.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا [تَرْجِعُونَ]﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول[٩]؟ لا، بل لِنَتَعَبَّدَكُمْ بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٠].

[١١٦] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ الكرسي[١١]؛ هو: السرير الحسن.

[١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لا يسعدون.

[١١٨] ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ المؤمنينَ، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أَفْضَلُ رَاحِمٍ.

* * *

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) قال ابن كثير: هذا جواب من الله - تعالى - للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. ونقل عن ابن عباس: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. فَحَمْلُ القولِ على أنه بلسان مالك تأويلٌ خلافَ الظاهر لا دليل عليه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) عن عبد الله بن عمرو، والحاكم وصححه، وأخرجه ابن أبي شيبة عنه في مصنفه أيضًا رقم (٣٤١٢٢)، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن اشتهر بالنقل عن أهل الكتاب.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٥) بالكسر قراءة حمزة والكسائي؛ وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) لحمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) وهذا التفسير خلاف ظاهر القرآن، ولا حامل عليه إلا نفي القول عن الله عز وجل.

(٨) لحمزة والكسائي.

(٩) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول.

(١٠) الذاريات: ٥٦.

(١١) سبق بيان أن العرش غير الكرسي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سُورَةُ النُّورِ

[مدنية، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية، نزلت بعد الحشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ مخففة ومشددة[1]؛ لكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال؛ تتعظون.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين؛ لرجمهما بالسُّنَّة، و«أل» فيما ذُكِرَ موصولة، وهو مبتدأٌ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة، يقال: جَلَدَهُ: ضَرَبَ جِلْدَهُ، ويزاد على ذلك بالسُّنَّة تَغْرِيبُ عَامٍ[2]، والرقيق على النصف مما ذُكِرَ[3] ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: حكمه بأن تتركوا شيئًا من حدهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ الجلد ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: «ثلاثة»، وقيل: «أربعة»، عدد شهود الزنا.

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ﴾ يتزوج ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزَلَ ذلك لما هَمَّ فقراءُ المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم[4](*)؛ فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام ونسخ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾[5].

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ أي: كل واحد منهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لإتيانهم كبيرة.

[٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بإلهامه التوبة، فبها ينتهي فِسْقُهُمْ وتقبل شهادتهم، وقيل: «لا تقبل»؛ رجوعًا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة[6].

[٦] ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ عليه ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ مبتدأ ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ نصب على المصدر[7] ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. [٧] ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تَدْفعُ عنه حد القذف[8].

[٨] ﴿وَيَدْرَأُ﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا.

[٩] ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك(**).

[١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالستر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(*) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن مَرْثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغي يقال لها عَناق، وكانت صديقته، قال: فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكح عَناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فدعاني وقرأها عليَّ، وقال: «لا تنكحها». أبوداود ـ كتاب النكاح (٢٦) باب (١٢) تزويج الزانية. (حسن صحيح) صحيح سنن أبي داود (١٨٠٦).

(**) ما جاء في نزول الآيات (٦ ـ ٩): أخرج البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك» فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا انطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهرك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل =

---

(١) بتشديد الراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٢) روى البخاري (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٠) عن زيد بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتغريب عام.

(٣) لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن سليمان بن يسار أخبره أن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش فجلدنا ولائد من ولائد الإمارة خمسين خمسين في الزنا. الموطأ (١٣٠٣). وفي مسند أحمد عن علي قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى أمة له سوداء زنت لأجلدها. قال: فوجدتها في دمها فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي: «إذا تعالت من نفاسها فاجلدها خمسين». (المسند ١٠٨٦)، وصححه بمجموع طرقه الأرناؤوط في تخريجه على المسند (٣٥٥/٢). وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تخريجه على المسند (١١٤٢).

(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن مقاتل. [الدر المنثور (٣٨/٥)].

(٥) النور: ٣٢. والصحيح أنها عامة، وأنها محكمة، وتفسيرها كما رجحه بعض المفسرين: أن غالب الزناة منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهن إلا في الزواج بزان مثلها، والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا، وعن ابن عباس قال: النكاح في هذه الآية يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنى. واختاره الطبري.

(٦) وهو مذهب أبي حنيفة، والقولُ الأولُ ـ وهو أن الاستثناء إذا تعقَّب جملًا معطوفة عاد إلى جميعها ـ مذهبُ الجمهورِ؛ وهو الراجح.

(٧) أي: المفعول المطلق، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالرفع؛ خبر المبتدأ. (٨) أي: محذوف تقديره ما ذكر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿تَوَّابٌ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره لَبَيَّنَ الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها.

[١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب على عائشة ـ رضي الله عنها ـ أم المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة من المؤمنين، قالت[1]: «حسان بن ثابت، وعبد الله بن أُبَيٍّ، ومسطح، وحمنة بنت جحش»[2] ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجركم الله به، ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه؛ وهو: صفوان، فإنها قالت: «كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع، ودنا من المدينة، وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرَّحْلِ فإذا عِقدي انقطع ـ هو بكسر المهملة: القلادة ـ فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي ـ هو ما يركب فيه ـ على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافًا إنما يأكلن العُلقة ـ هو بضم المهملة وسكون اللام ـ من الطعام ـ أي: القليل ـ، ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا؛ فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرَّس من وراء الجيش فادَّلج ـ هما بتشديد الراء والدال؛ أي: نزل من آخر الليل للاستراحة ـ فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم ـ أي: شخصه ـ؛ فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب؛ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ـ أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون ـ؛ فخمرت وجهي بجلبابي؛ أي غطيته بالملاءة، والله ما كَلَّمَني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، ووطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلةَ حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ـ أي من أوغر؛ واقعين[3] في مكان وغر من شدة الحر ـ فهلك من هلك، وكان الذي تولى كِبْرَهُ منهم: عبدالله بن أُبَيٍّ ابن سلول» اهـ قولها. [رواه الشيخان][4]. قال ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ أي: عليه ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ في ذلك ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: تحمل مُعْظَمَهُ فَبَدَأَ بالخوض فيه وأشاعه؛ وهو: عبد الله بن أُبَيٍّ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار في الآخرة. [١٢] ﴿لَّوْلَآ﴾ هلاَّ ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ظن بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كَذِبٌ بَيِّنٌ، فيه التفات عن الخطاب؛ أي: ظننتم أيها العصبة، وقلتم: [١٣] ﴿لَّوْلَا﴾ هلَّا ﴿جَآءُو﴾ أي: العصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فيه. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصبة؛ أي خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. [١٥] ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التاءين، و﴿إِذْ﴾ منصوب بـ«مسكم» أو بـ﴿أَفَضْتُمْ﴾ ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم. [١٦] ﴿وَلَوْلَآ﴾ هَلَّا ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ هو للتعجب هنا ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تتعظون بذلك.

[١٨] ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيه.

[١٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بنسبتها إليهم؛ وهم: العصبة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بحد القذف ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار لحق الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتفاءها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وجودها فيهم.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها العصبة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم؛ لعاجلكم بالعقوبة.

= جبريل، وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت، فلما كان عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة.

قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت. فقال النبي ﷺ: «أبصروها؛ فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين، خدَلَّج الساقين فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٤) باب (٣). =

(١) أي: عائشة ﵂.
(٢) أخرج نحوه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٣) وفي نسخة: واقفين.
(٤) لم يروه الشيخان بهذا اللفظ، لكن القصة موجودة في البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

[٢١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ أي: طرق تزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي: المُتَّبَعُ ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ شرعًا باتباعها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ من الذنب؛ بقبول توبته منه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قصدتم.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ أصحاب الغِنَى ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لا ﴿يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ نزلت في أبي بكر؛ حَلِفَ أن لا ينفق على مسطح - وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدري - لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: «بلى، أنا أحب أن يغفر اللَّهُ لي»، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه(*).

[٢٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بالزنا ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش؛ بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ باللَّه ورسوله ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: (لهم) ﴿تَشْهَدُ﴾ بالفوقانية والتحتانية[1] ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من قول وفعل؛ وهو: يوم القيامة. [٢٥] ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يَشُكُّونَ فيه؛ ومنهم: عبداللَّه بن أُبَيٍّ، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن.

[٢٦] ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من النساء، ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَبِيثَٰتِۖ﴾ مما ذكر ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ مما ذكر؛ أي: اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء؛ ومنهم: عائشة، وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُم﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء؛ منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقًا كريمًا(**).

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ فيقول الواحد: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟» كما ورد[2] في حديث[3] ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان

= وأخرج أيضًا عن سهل بن سعد أن عويمرًا أتى عاصم بن عدي - وكان سيد بني عجلان - فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلًا؟ أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك. فأتى عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فجاء عويمر فقال يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلًا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه، فتلاعنا.. البخاري - التفسير (السابق) باب (١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضًا فنزلت في شأنهما معًا في وقت واحد، وقد جنح النووي إلى هذا... ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول... ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر - ولم يكن علم بما وقع لهلال. أعلمه النبي ﷺ بالحكم... وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين. [الفتح (٨/ ٣٠٤، ٣٠٥)].

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٢): أخرج البخاري عن عائشة قالت:... فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال أبو بكر: بلى - والله - إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

(**) ما جاء في نزول الآيات (٢٣ - ٢٦): أخرج أحمد عن عائشة قالت: رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضخ من ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي، إذ أوحي إليه، وكان إذا أوحي إليه يأخذه شبه السبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل عليه الوحي، فرفع رأسه وهو يمسح جبينه، فقال: أبشري يا عائشة. فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ حتى بلغ ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾. أحمد - المسند (٦/١٠٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨).

---

(١) بالتحتانية لحمزة والكسائي. (٢) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكثر. ومنهم من فَصَّل؛ فإن وقع بصره على أحد في البيت قَدَّمَ السلام وإلا قَدَّمَ الاستئذان ثم يسلم.

(٣) أخرج أبو داود عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل: السلام عليكم أأدخل»، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل. أبو داود (٤٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٩).

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿لَعَلَّكُمْ [تَذَّكَّرُونَ]﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال[1]؛ خيريته؛ فتعملون به.

[٢٨] ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَزْكَىٰ﴾ أي: خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم عليه.

[٢٩] ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَّكُمْ﴾ باستكنان وغيره؛ كبيوت الرُّبُط، والخانات المُسبَّلة[2] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم؛ من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم.

[٣٠] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عما لا يحل لهم نظره و﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي: خير ﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بالأبصار والفروج؛ فيجازيهم عليه.

[٣١] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان[3]، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني: يَحْرُمُ؛ لأنه مَظِنَّةُ الفتنة، ورُجِّح حسمًا للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسترن الرءوس والأعناق والصدور بالمقانع(٥) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية؛ وهي: ما عدا الوجه والكفين[4] ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل؛ أي: زوج ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره، إلا ما بين السرة والركبة؛ فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بـ﴿نِسَائِهِنَّ﴾ الكافرات؛ فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن[5]، وشمل ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ العبيد[6] ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ في فضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾ بالجر: صفة، والنصب: استثناء[7] ﴿أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذَكَرُ كل ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ بمعنى: الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ للجماع؛ فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج البخاري عن عائشة قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها. البخاري - التفسير (٦٥) سورة النور (٢٤) باب (١٢).

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾.

(٢) الرُّبُط: أماكن ربط الدواب. والخانات المُسَبَّلَة: أي الموقوفة لإيواء ابن السبيل المنقطع. ومثلها الآن: الفنادق والمرافق العامة.

(٣) قال ابن كثير في تفسير الآية: أي ولا يُظهِرن شيئًا من الزينة للأجانب، إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود: كالرداء والثياب... اهـ. وقال فيما جاء عن ابن عباس في الآية: «وجهها وكفيها والخاتم» قال: وهذا يحتمل أن يكون تفسيرًا للزينة التي نهين عن إبدائها.

(٤) راجع التعليق السابق.

(٥) وهذا أحد القولين أن المراد بـ﴿نِسَائِهِنَّ﴾: المؤمنات، أخذًا من الإضافة، وهو مذهب كثيرين، والقول الثاني: أن المراد النساء كلهن، فإنهن سواء في حِلِّ نظر بعضهن إلى بعض؛ وهو مذهب الحنابلة، وهو الأقرب، والله أعلم.

(٦) لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي. وعند مالك التفريق بين الوغد وغيره.

(٧) بالنصب قراءة شعبة وابن عامر.

وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ جمع «أيِّم»؛ وهي: من ليس لها زوجٌ بِكْرًا كانت أو ثَيِّبًا، ومن ليس له زوجٌ، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ وعباد من جموع «عبد» ﴿إِن يَكُونُواْ﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٞ﴾ بهم.

[٣٣] ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ما ينكحون به، من مهر ونفقة، عن الزِّنا ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ فينكحون ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بمعنى: المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها ـ مَثَلًا ـ: كاتبتك على ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا أدَّيتها فأنت حُرٌّ، فيقول: «قَبِلْتُ» ﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للسادة ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ﴾ إماءكم ﴿عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ الزنا ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ تعففًا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه؛ فلا مفهوم للشرط[1] ﴿لِّتَبۡتَغُواْ﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ نَزَلَتْ في عبد الله بن أُبَيٍّ كان يُكْرِهُ جواريه على الكسب بالزِّنا ﴿وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ﴾ لهن ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهن(*).

[٣٤] ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ [مُّبَيَّنَٰتٖ]﴾ بفتح الياء وكسرها[2] في هذه السورة، بيّن فيها ما ذكر، أو بينة[3] ﴿وَمَثَلٗا﴾ خبرًا عجيبًا؛ وهو: خبر عائشة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي: من جنس أمثالهم؛ أي: أخبارهم العجيبة؛ كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[4]. ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[5] إلخ ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم﴾[6] إلخ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ﴾[7] إلخ، وتخصيصها بالمتقين؛ لأنهم المنتفعون بها.

[٣٥] ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: منورهما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفته في قلب المؤمن ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج؛ أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاةُ: الطاقة غير النافذة؛ أي: الأنبوبة في القنديل ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوۡكَبٞ [دِرِّيءٌ]﴾ أي: مضيء، بكسر الدال وضمها[8]: من الدرء؛ بمعنى: الدفع؛ لدفعها الظلام، وبضمها وتشديد الياء[9]: منسوب إلى الدُّرِّ: اللؤلؤ ﴿[تَوَقَّدَ]﴾ المصباح، بالماضي[10]، وفي قراءة[11]: بمضارع أوقد مبنيًّا للمفعول بالتحتانية، وفي أخرى[12]: ﴿تُوقَدُ﴾ بالفوقانية؛ أي: الزجاجة ﴿مِن﴾ زيت ﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ بل بينهما؛ فلا يتمكن منها حرٌّ ولا برد مضران ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾ لصفائه ﴿نُّورٌ﴾ به[13] ﴿عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ بالنار، ونور الله: أي: هداه للمؤمن نور على نور الإيمان ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾ تقريبًا لأفهامهم ليعتبروا؛ فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ ومنه ضرب الأمثال.

[٣٦] ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ بتوحيده ﴿[يُسَبَّحُ]﴾ بفتح الموحدة وكسرها[14]؛ أي: يصلي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ﴾ مصدرٌ؛ بمعنى: الغدوات؛ أي: البُكر ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال.

(*) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾. مسلم ـ كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

(١) أي: ليس إرادتهن التحصُّن شرطًا للنهي؛ فإكراههن حرام على كل حالٍ.
(٢) بالفتح قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وشعبة، وبالكسر قراءة ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي.
(٣) أي: هي بينة، يعني الآيات، وذلك توضيح من المفسر لمعنى القراءة الثانية.
(٤) النور: ٢.
(٥) النور: ١٢.
(٦) النور: ١٦.
(٧) النور: ١٧.
(٨) أي: مع الهمزة، والكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو، والضم قراءة حمزة وشعبة.
(٩) لباقي السبعة.
(١٠) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.
(١١) لنافع وابن عامر وحفص.
(١٢) لحمزة والكسائي وشعبة
(١٣) أي: بالزيت.
(١٤) بالفتح قراءة شعبة وابن عامر.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

[٣٧] ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء، وعلى فتحها نائب الفاعل: له، و﴿رِجَالٌ﴾ فاعلُ فِعْلٍ مقدر جواب سؤال مقدر؛ كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حذف هاء «إقامة» تخفيف ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ من الخوف؛ القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال: هو يوم القيامة.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: ثوابه و﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب؛ أي: يوسع؛ كأنه لا يحسب ما ينفقه.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع؛ أي: في فلاة، وهو شعاع يُرى فيها نصف النهار، في شدة الحرّ، يُشْبِهُ الماءَ الجاريَ ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي: العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما حسبه؛ كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه، حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله؛ أي: لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: عند عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ﴾ أي: جازاه عليه في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة.

[٤٠] ﴿أَوْ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ ۚ﴾ أي: غيم، هذه ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ الناظرُ ﴿يَدَهُۥ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

[٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ جمع طائر، بين السماء والأرض ﴿صَٰٓفَّٰتٍ ۖ﴾ حال؛ باسطات أجنحتهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيه تغليب العاقل.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يضم بعضه إلى بعض؛ فيجعل القِطَعَ المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن﴾ زائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء، بدلٌ بإعادة الجار ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ أي: بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ لمعانه ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ الناظرة له؛ أي: يخطفها.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

[٤٤] ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ دلالة ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ لأصحاب البصائر على قدرة الله ـ تعالى.

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ أي: حيوان ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ نطفة[1] ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

[٤٦] ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ أي: بينات، هي القرآن ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: دين الإسلام.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون: ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِٱللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ هُمَا فيما حكَما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يُعرِض ﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ عنه ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن المجيء إليه [٤٩] ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ مسرعين طائعين.

[٥٠] ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: شكوا في نبوته ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ في الحكم؛ أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بالإعراض عنه.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ فالقول اللائق بهم ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ بالإجابة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ حينئذٍ ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الناجون.

[٥٢] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿[ويَتَقِهْ]﴾ بسكون الهاء وكسرها[2]؛ بأن يطيعه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ بالجنة.

[٥٣] ﴿۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ غايتها ﴿لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾ للنبي خير من قَسَمِكُم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

---

(١) هذا قول الجمهور، كما قال الشوكاني في فتح القدير. وعلى هذا القول في الآية تنزيل الغالب منزلة الكل؛ لأن في الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة.
وقال جماعة: إن المراد الماء المعروف؛ لأن آدم خلق من الماء والطين.

(٢) بالسكون قراءة شعبة وأبي عمرو وهشام في أحد وجهيه، وخلاد من أحد الوجهين، وبالكسر مع اختلاس الحركة قراءة قالون وهشام في أحد أوجهه، وابن ذكوان في أحد وجهيه، والباقون بالكسر مع الإشباع، وكذا هشام في وجهه الثالث، وخلاد في الوجه الثاني.

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعته، بحذف إحدى التاءين، خطاب لهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: التبليغ البين.

[٥٥] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدلًا عن الكفار ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[١] ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل بدلًا عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام؛ بأن يظهره على جميع الأديان، ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿[وَلَيُبَدِّلَنَّهُم]﴾ بالتخفيف والتشديد[٢] ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الكفار ﴿أَمْنًا﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر، وأثنى عليهم بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم به ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: رجاء الرحمة.

[٥٧] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالفوقانية والتحتانية[٣]، والفاعل: الرسول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ﴾ مرجعهم ﴿ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٥٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ من الأحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه؛ أي: هي أوقات، وبالنصب[٤]: بتقدير «أوقات» منصوبًا بدلًا من محل ما قبله، قام المضاف إليه مقامه[٥]؛ وهي: لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌۢ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة، هم ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾(*) بما دبَّره لهم، وآية الاستئذان قيل: «منسوخة»، وقيل: «لا»، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان[٦].

(*) فائدة: أخرج أبو داود عن عكرمة أن نفرًا من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس، كيف ترى في هذه الآية التي أُمرنا فيها بما أمرنا، ولا يعمل بها أحد؛ قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ...﴾ الآية؟ قال ابن عباس: إن الله حليم رحيم بالمؤمنين، يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال [جمع حَجَلة، وهي: بيت كالقبة يُستر بالثياب، وتكون له أزرار كبار]، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل، والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم أر أحدًا يعمل بذلك بعد.

أبو داود ـ كتاب الأدب (٣٥) باب (١٤١) الاستئذان في العورات الثلاث. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٣٢٤).

---

(١) بالبناء للمفعول قراءة شعبة.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة وابن كثير.

(٣) بالتحتانية قراءة حمزة وابن عامر.

(٤) أي: بنصب (ثلاثَ)، وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٥) أي المعنى: «ليستأذنكم أوقاتَ ثلاثِ عورات»؛ فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه.

(٦) وهذا الأخير هو الصحيح؛ أنها محكمة واجبة ثابتة في حق الرجال والنساء، يجب عليهم أن يأمروا صبيانهم ومماليكهم بالاستئذان في تلك الأوقات إذا دخلوا عليهم، وليس لهم أن يدخلوا دون إذن. قال القرطبي: وهو قول أكثر أهل العلم.

قال ابن كثير: «ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلًا جدًا أنكر ابن عباس ذلك على الناس...». ثم ساق الآثار في ذلك. (تفسير ابن كثير ٣/٢٩٣).

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أيها الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ خفية؛ كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم.

[٦١] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابليهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت أولادكم[1] ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ خزنتموه لغيركم[2] ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم في مودته؛ المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾[*] متفرقين، جمع «شَتّ»، نَزَلَ فيمن تحرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل[3] ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها[4] ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؛ فإن الملائكة تَرُدُّ عليكم، وإن كان بها أهلٌ فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر «حيّا» ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يثاب عليها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

(*) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ فكان الرجل يَحْرَجُ أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية؛ فنسخ ذلك الآية التي في النور؛ قال: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾ إلى قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكل من مال غيره، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣١٩٢).

---

(١) وهو قول غير واحد من المفسرين، قالوا: نسب - سبحانه - بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الولد كسب والده، وماله كماله. والدليل أنه - تعالى - عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد، وإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى. وقال بعضهم: أي بيوت أزواجكم وعيالكم، أضافه إليهم؛ لأن بيت المرأة كبيت الزوج. وقال بعضهم: هي على ظاهرها، كأنه يقول: مساكنكم التي فيها أهاليكم وأولادكم؛ فقد يكون للأهل والولد شيء من ملكهم، فليس عليه حرج أن يأكل معهم من ذلك القوت. وهو قول حسن ظاهر.

(٢) أي: حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه؛ فلا بأس أن تأكلوا من ثمرته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قاله ابن عباس. وقالت عائشة: كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمنائهم، ويقولون لهم: قد أحللناكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أذنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾. [أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٦/٨ رقم ١٤٨٧٥)، والبزار في مسنده (٦١/٣، ٦٢ رقم ٢٢٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح]. وصححه في الاستيعاب (٥٩٢/٢، ٥٩٣).

(٣) روي نحو هذا عن عكرمة وابن جريج. ذكره الطبري والسيوطي في الدر المنثور. وضعفه في الاستيعاب (٥٩٧/٢).

(٤) الأظهر أن البيوت هنا عامة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فتشمل بيت الإنسان وبيت غيره، وقال بعض العلماء: وسواء كان في البيت ساكن أم لا. وزاد بعضهم: المسجد، فجعل له الحكم نفسه، واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن ابن عمر وابن عباس في السلام باللفظ الذي ذكره المفسر إذا كان البيت أو المسجد فارغًا... وعلى الأظهر فيكون معنى: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضكم على بعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

[٦٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لعُرُوض عُذْرٍ لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(*).

[٦٣] ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ بأن تقولوا: «يا محمد»، بل قولوا: «يا نبي الله، يا رسول الله» في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، و﴿قَدْ﴾ للتحقيق[1] ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: الله ورسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء[2] ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

[٦٤] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ ملكا وخلقًا وعبيدًا ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق.

﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ فيه التفات عن الخطاب؛ أي: متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ﴾ من الخير والشر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌۢ﴾.

سُورَةُ الفُرْقَانِ

[مكية إلا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿رَّحِيمًا﴾ فمدني، وهي: سبع وسبعون آية، نزلت بعد يس]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن؛ لأنه فرّق بين الحق والباطل ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن دون الملائكة ﴿نَذِيرًا﴾ مخوفًا من عذاب الله.

[٢] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ سوّاه تسوية.

(*) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية، نسختها التي في النور: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أبو داود ـ كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القفول بعد النهي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧٧١).

(١) راجع التعليق على آية (١٠٣) من سورة النحل؛ في دخول «قد» على الفعل المضارع.

(٢) قال ابن كثير: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم؛ من كفر أو نفاق أو بدعة.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ افْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي: الكفار ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي: إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بعثًا للأموات.

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كفرًا وكذبًا؛ أي: بهما.

[٥] ﴿وَقَالُوٓا﴾ أيضًا: هو ﴿أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم؛ جمع أسطورة، بالضم ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك[1] القوم بغيره[2] ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوة وعشيًا.

[٦] قال - تعالى - ردًا عليهم: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يصدقه.

[٨] ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة: ﴿نَأْكُلُ﴾ بالنون[3]؛ أي: نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

[٩] قال - تعالى -: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَٰلَ﴾ بالمسحور، والمحتاج إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إليه.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير ﴿الَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ﴾ أي: في الدنيا؛ لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل﴾ بالجزم ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ أيضًا، وفي قراءة: بالرفع[4] استئنافًا.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ نارًا مسعرة؛ أي: مشتدة.

---

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا، والمناسب أن يقول: «من أولئك القوم».

(٢) أي أمر غيره بنسخها له؛ فإنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) لشعبة وابن عامر وابن كثير.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غليانًا؛ كالغضبان إذا غَلَى صَدْرُهُ من الغضب ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه(١).

[١٣] ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف(٢)؛ بأن يضيق عليهم، و﴿مِنْهَا﴾ حالٌ من ﴿مَكَانًا﴾ لأنه في الأصل صفة له ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مصفدين قد قرنت ـ أي: جُمِعَتْ ـ أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديدُ للتكثير ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا.

[١٤] فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ ها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه ـ تعالى ـ ﴿جَزَآءً﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا.

[١٦] ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وَعْدُهُمْ مَا ذكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ يسأله من وُعِد به: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾(٣) أو تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾(٤).

[١٧] ﴿وَيَوْمَ [نَحْشُرُهُمْ]﴾ بالنون والتحتانية(٥) ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ ـ تعالى ـ بالتحتانية والنون(٦) ـ للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه(٧) ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

[١٨] ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى﴾ يستقيم ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ مفعول أول، و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني(٨) فكيف نَأمُرُ بعبادتنا؟ ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ من قبلهم؛ بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ هلكى.

[١٩] قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي: كذب المعبودون العابدين ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية(٩)، أنهم آلهة ﴿فَمَا [يَسْتَطِيعُونَ]﴾ بالتحتانية والفوقانية(١٠)؛ أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا ۚ﴾ منعًا لكم منه ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ يشرك ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ شديدًا في الآخرة.

[٢٠] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ بليَّةً؛ أُبْتُلِي الغنيُّ بالفقير، والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كُلٍّ: ما لي لا أكون كالأول في كُلٍّ؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ ۗ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟ استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

---

(١) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو أن السماع ليس على حقيقته؛ بل المراد منه: الرؤية والعلم. وعلى القول الأول يكون المراد سماع ما يدل على التغيظ وهو الغليان.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) آل عمران: ١٩٤.

(٤) غافر: ٨.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير. وقوله: والتحتانية؛ يعني: الياء، وهي القراءة الأخرى.

(٦) بالنون قراءة ابن عامر.

(٧) قرأ قالون وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير بالتسهيل من غير إدخال، ولورش الإبدال حرف مد مع الإشباع، وهشام بالتسهيل والتحقيق وكل منهما مع الإدخال وبقية السبعة بالتحقيق بلا إدخال.

(٨) أي: قوله: ﴿مِن دُونِكَ﴾ المفعول الثاني.

(٩) أي: باتفاق العشرة.

(١٠) بالتاء قراءة السبعة عدا حفص.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

[٢١] ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَآ﴾ هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانوا رسلًا إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمدًا رسوله، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا ﴿فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ طَغَوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلبهم رؤية اللَّه ـ تعالى ـ في الدنيا، و«عُتوا» بالواو على أصله، بخلاف «عِتيًّا» بالإبدال في مريم(1).

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق؛ هو: يوم القيامة، ونصبه بـ«اذكر» مقدرًا ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة؛ أي: عَوْذًا مُعاذًا؛ يستعيذون من الملائكة(2).

[٢٣] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير؛ كصدقة وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ هو ما يُرى في الْكُوَى التي عليها الشمس؛ كالغبار المفرق؛ أي: مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا.

[٢٤] ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا(3) ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم؛ أي: موضع قائلة فيها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحرِّ، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار؛ كما ورد في حديث(4).

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: كل سماء ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: معه؛ وهو: غيم أبيض ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تَنزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه بـ«اذكر» مقدرًا، وفي قراءة: بتشديد شين ﴿تَشَّقَّقُ﴾(5) بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: ﴿نُنْزِلُ﴾(6) بنونين الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب ﴿الملائكةَ﴾.

[٢٦] ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يشركه فيه أحدٌ ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشركُ: عقبةُ بنُ أبي معيط، كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاءً لِأُبَيِّ بنِ خلف(7) ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندمًا وتحسرًا في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمدٍ ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الهدى.

[٢٨] ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة؛ أي: ويلتي؛ ومعناه: هلكتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي: أُبَيًّا(8) ﴿خَلِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ بأن رَدَّني عن الإيمان به، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء.

[٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمدٌ: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشًا ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ متروكًا.

[٣١] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوًّا من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصرًا لك على أعدائك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال ـ تعالى ـ: نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ متفرقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أتينا به شيئًا بعد شيء بتمهل وَتُؤَدَةٍ؛ لتيسير فهمه وحفظه.

---

(1) يشير إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

(2) هذا قول ابن جُريج كما حكاه عنه ابن جرير. قال ابن كثير: «وهذا القول ـ وإن كان له مأخذ ووجه ـ ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد، لا سيما قد نص الجمهور على خلافه» واختار ابن كثير وابن جرير أن الضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ عائد على الملائكة؛ أي تقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم. تفسير ابن كثير (٣/٣٠٤).

(3) الظاهر أن المراد المفاضلة بينهما في الآخرة، وهو الأبلغُ في المعنى وَالأَبْيَنُ في الفرق بين حال الفريقين؛ فالمؤمنون مستقرون في الجنة، والكافرون مستقرون في النار. فيا له من وعد ويا له من وعيد. وأما قوله: ﴿خَيْرٌ﴾، فهو من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف المقابل شيء منه.

(4) راجع التعليق على الآية رقم (٢٠٢) من سورة البقرة، والآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(5) لنافع وابن كثير وابن عامر.

(6) وهي قراءة ابن كثير.

(7) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون. وقد روى آخرون القصة معكوسة وأن أبي بن خلف رجع إرضاء لعقبة، وروى آخرون أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف. [الدر المنثور (٥/١٢٥ـ ١٢٧)]. وضعفها كلها في الاستيعاب (٣/٩ـ ١٥).

(8) يعني أُبي بن خلف، كما روي في سبب نزول الآية، وسبق بيان ضعف هذا القول وغيره.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ بيانًا.

[٣٤] هم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾(*) أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا من غيرهم؛ وهو: كفرهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ مُعينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القبط فرعون وقومه، فذهبا إليهم بالرسالة؛ فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكناهم إهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحًا لطول لبثه فيهم؛ فكأنه رُسُلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرُّسُلِ لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿آيَةً﴾ عبرةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا سوى ما يحل بهم في الدنيا.

[٣٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اسم بئر(١)، ونبيهم قيل: شعيب، وقيل: غيره، كانوا قعودًا حولها؛ فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًا﴾ أقوامًا ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرَّسِّ.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ في إقامة الحجة عليهم؛ فلا نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ أي: مَرَّ كُفَّارُ مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ مصدر ساء؛ أي: بالحجارة؛ وهي: عُظْمَى قُرَى قَوْمِ لوط؛ فأهلك اللَّهُ أهلها لفعلهم الفاحشةَ ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في سفرهم إلى الشام؛ فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا﴾ بعثًا؛ فلا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا [هزوًا](٢)﴾ مَهْزُوءًا به، يقولون: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محتقرين له عن الرسالة.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عيانًا في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا، أهم أم المؤمنون؟

[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهويه، قدم المفعول الثاني؛ لأنه أهم، وجملة ﴿مَنِ اتَّخَذَ﴾ مفعول أول لـ«رأيت»، والثاني: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك ﵁، أن رجلًا قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟». قال قتادة: بلى وعزة ربنا. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١١).

---

(١) جمهور أهل اللغة على أن «الرس» لغة هو: البئر. أما «أصحاب الرس» فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين جاء ذكرهم في سورة البروج. واختار ذلك ابن جرير. وقيل: هم أهل أنطاكية؛ أصحاب القرية المذكورون في سورة «يس». وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(٢) بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وحمزة، وقرأ حمزة: ﴿هُزْءًا﴾، وقرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيمًا لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي: الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ خفيًّا بطلوع الشمس.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترًا كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان؛ بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ منشورًا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ وفي قراءة: ﴿الرِّيحَ﴾[1] ﴿[نُشُرًا][2] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفًا[3]، وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر[4]، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون[5]؛ أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نشور؛ كرسول، والأخيرة: بشير ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهرًا.

[٤٩] ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ إبلًا وبقرًا وغنمًا ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين؛ فأبدلت النون ياء، وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أصله: يتذكروا؛ أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: ﴿لِيَذْكُروا﴾[6] بسكون الذال وضم الكاف؛ أي: نعمة اللّٰه به ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للنعمة؛ حيث قالوا: مطرنا بِنَوْءِ كذا.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرًا؛ ليعظم أجرك.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

[٥٣] ﴿۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ سترًا ممنوعًا به اختلاطهما.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر؛ بأن يتزوج ذكرًا كان أو أنثى طلبًا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادرًا على ما يشاء[7].

[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها؛ وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ مُعينًا للشيطان بطاعته.

---

(١) لابن كثير.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: ﴿نُشْرًا﴾، وهي: لابن عامر.

(٤) أي: ﴿نَشْرًا﴾، وهي لحمزة والكسائي.

(٥) أي: ﴿بُشْرًا﴾، وهي قراءة عاصم.

(٦) لحمزة والكسائي.

(٧) الأولى أن يقول: قادر على كل شيء، كما هو ظاهر آيات القرآن في إثبات القدرة، كما أنه الأكمل في حقه ـ سبحانه ـ، ولله الأسماء الحسنى والصفات المُثْلَى.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

[٥٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مخوفًا من النار.

[٥٧] ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ طريقًا بإنفاق ماله في مرضاته ـ تعالى ـ؛ فلا أمنعه من ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: قل: «سبحان الله والحمد لله» ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ عالمًا، تعلق ﴿بِهِۦ﴾ بـ«ذُنُوب».

[٥٩] هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بدلٌ من ضمير ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: استواء يليق به[1] ﴿فَسْـَٔلْ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾ بالرحمن ﴿خَبِيرًا﴾ يخبرك بصفاته.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والتحتانية[2]، والآمر محمد ولا نعرفه؟ لا ﴿وَزَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورًا﴾ عن الإيمان.

[٦١] قال ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت؛ وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضًا ﴿سِرَٰجًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾، وفي قراءة: ﴿سُرُجًا﴾[3] بالجمع؛ أي: نيرات، وخصَّ القمر منها بالذكر لنوع فضيلة.

[٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منها الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف[4] ـ كما تقدم ـ: ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: شكرًا لنعمة ربه عليه فيهما.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ﴾[5] غير المعترض فيه[6] ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: قولًا يسلمون فيه من الإثم.

[٦٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمًا﴾ بمعنى: قائمين يصلون بالليل.

[٦٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازمًا.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ﴾ بئست ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي؛ أي: موضع استقرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟﴾ على عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ بفتح أوله وضمه[7]؛ أي: يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطًا.

---

(١) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنه إذا كان يراد به تفويض الكيفية فهو حَقٌّ، وأما إن كان يراد به تفويض معنى الاستواء الذي هو الاستقرار والعلو فهو خلاف فَهْم السلف وَمَذْهَبِهِمْ.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة.

(٥) وهو ـ أعني قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ﴾ ـ خبر المبتدأ، على اختيار المفسر، ويحتمل أن يكون الخبر قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ ويكون قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٦) أي باستثناء الجمل الاعتراضية؛ وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية [الفرقان: ٦٨]، إلى قوله: ﴿مَتَابًا﴾.

(٧) بضم أوله مع كسر التاء قراءة نافع وابن عامر، وأما القراءة بفتح الياء فمع كسر التاء لابن كثير وأبي عمرو، ومع ضمها لباقي السبعة.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: واحدًا من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُضَعَّفْ﴾ بالتشديد[١] ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين: بدلًا، وبرفعهما[٢]: استئنافًا ﴿مُهَانًا﴾ حال.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك(*).

[٧١] ﴿وَمَن تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا؛ فيجازيه خيرًا.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والإفراد[٣] ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا؛ بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخير.

[٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء[٤] ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ من الملائكة.

[٧٦] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع إقامة لهم، و﴿أُولَٰئِكَ﴾ وما بعده خبر: «عباد الرحمن» المبتدأ.

[٧٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَا﴾ نافية ﴿يَعْبَأُ﴾ يكترث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾(**) ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا؛ فقُتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

* * *

(*) ما جاء في نزول الآيات (٦٨ ـ ٧٠): أخرج البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا؛ فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؛ فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضًا عن عبدالله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله ندًا وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك». فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾. البخاري ـ كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

(**) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان، والقمر، والروم، والبطشة، واللزام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾... وقال البخاري: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: هلكة. البخاري ـ كتاب تفسير القرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

(١) لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالرفع فيهما لشعبة وابن عامر، مع تشديد العين وحذف الألف لابن عامر ـ كما سبق بيانه.

(٣) بالإفراد في قوله: ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾ قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[مكية إلا: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إلى آخرها فمدني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية. نزلت بعد الواقعة][*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ اللَّه أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: من ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها غمًّا من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟﴾ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و«لعل» هنا للإشفاق؛ أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

[٤] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع؛ أي: تظل؛ أي: تدوم ﴿أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها؛ جمعت الصفة منه جمع العقلاء.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ صفة كاشفة[1] ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: كثيرًا ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نوع حسن.

[٨] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دلالة على كمال قدرته - تعالى - ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في علم اللَّه، و﴿كَانَ﴾ قال سيبويه: زائدة.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين.

[١٠] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ رسولًا.

[١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر باللَّه، وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يَتَّقُونَ﴾ اللَّه بطاعته فيوحدونه؟

[١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ﴾ معي.

[١٤] ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به.

[١٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أي: أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ كُلًّا منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك.

[١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فأتياه فقالا له ما ذكر.

[١٨] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرًا قريبًا من الولادة بعد فطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه، وكان يسمى ابنه.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد.

(*) فائدة: أخرج أحمد عن معديكرب قال: أتينا عبد اللَّه؛ فسألناه أن يقرأ علينا: ﴿طسٓمٓ﴾ المائتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم مَنْ أخذها مِن رسول اللَّه ﷺ: خباب بن الأرت. قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (١/٤١٩)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠).

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: «﴿طسٓمٓ﴾ المائتين» يبين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣/٣٦٦).

---

(١) وهذا جريًا على مذهب المفسر أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام اللَّه ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام اللَّه - تَعَالَى -، وأنه - سُبْحَانَهُ - لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: حينئذٍ ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ علمًا ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ أصله: تمن بها علي ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بيان لـ«تلك»؛ أي: اتخذتهم عبيدًا ولم تستعبدني؛ لا نعمة لك بذلك؛ لظلمك باستعبادهم، وَقَدَّر بَعْضُهُمْ أولَ الكلامِ همزةَ استفهامٍ للإنكار[1].

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله؛ أي: أي شيء هو؟

[٢٤] ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته ـ تَعَالَى ـ وإنما يعرفونه بصفاته، أجابه موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ببعضها: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بأنه ـ تَعَالَى ـ خالقه؛ فآمنوا به وَحْدَهُ.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهذا ـ وإن كان داخلًا فيما قبله ـ يغيظ فرعون؛ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أنه كذلك فآمنوا به وَحْدَهُ.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ كان سجنه شديدًا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وَحْدَهُ لا يبصر ولا يسمع فيه أحدًا.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أتفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ بُرهَانٍ بيِّنٍ على رسالتي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حيَّة عظيمة.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة[2].

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟

[٣٦] ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أَخِّـرْ أَمْـرَهُمَا ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ جامعيـن.

[٣٧] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

---

(١) أي: «أوَتلك».

(٢) أي: السُّمرة.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

[٤٠] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ الاستفهام لِلْحَثِّ على الاجتماع، والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم؛ فلا يتبعوا موسى.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين(١) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: حينئذٍ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ ـ بَعْدَ مَا قَالُوا لَهُ: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾(٢) ـ: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلًا إلى إظهار الحق.

[٤٤] ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

[٤٥] ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى.

[٤٦] ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

[٤٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَأَمَنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا(٣) ﴿لَهُۥ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلَّمكم شيئًا منه وغَلَبَكُمْ بآخر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٠] ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضَرَرَ علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة.

[٥١] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي: بأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا.

[٥٢] ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عُتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة(٤): بكسر النون ووصل همزة ﴿أَسْرِ﴾ من سرى لغة في أسرى؛ أي: سر بهم ليلًا إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر؛ فأنجيكم وأغرقهم.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل: «كان له ألفُ مدينةٍ واثنا عشرَ ألفَ قريةٍ» ﴿حَٰشِرِينَ﴾ جامعين الجيش قائلًا:

[٥٤] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قيل: «كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا، ومقدمة جيشه سبعمائة ألف»، فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه.

[٥٥] ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا [٥٦] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾(٥) مستعدون، وفي قراءة: ﴿حَذِرُونَ﴾ متيقظون.

[٥٧] قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي: فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار جارية في الدور من النيل.

[٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت كنوزًا؛ لأنه لم يُعْطِ حَقَّ اللَّهِ ـ تعالى ـ منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم.

[٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه.

[٦٠] ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ لحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

---

(١) راجع التعليق على الآية (١١٣) من سورة الأعراف.

(٢) الأعراف: ١١٥.

(٣) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٤) لنافع وابن كثير.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ يدركنا جَمْعُ فرعون، ولا طاقة لنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ بنصره[1] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريقَ النجاة.

[٦٣] قال - تعالَى -: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشرَ فرقًا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينهما مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده.

[٦٤] ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قربنا ﴿ثَمَّ﴾ هناك ﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم.

[٦٥] ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ فرعون وقومه؛ بإطباق البحر عليهم لما تم دخولُهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لَءَايَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير «آسية» امرأة فرعون، و«حزقيل» مؤمن آل فرعون، و«مريم بنت ناموصى» التي دلت على عظام يوسف عليه السلام[2].

[٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين؛ فأنجاهُمْ من الغرق.

[٦٩] ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ويبدل منه: [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ نقيم نهارًا على عبادتها، زادوه في الجواب افتخارًا به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ﴾؟

[٧٣] ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كُمْ إن لم تعبدوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

[٧٦] ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإني أعبده.

[٧٨] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين.

[٧٩] ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾.

[٨٠] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

[٨١] ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

[٨٢] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ علمًا ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ النبيين.

---

(١) هذا من لوازم معيته - سُبْحَانَهُ - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته - سُبْحَانَهُ - مع خلقه نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وحقيقتها الصحبة اللائقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويًا على عرشه، وكلاهما حق.

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصححه، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا، وفيه أن موسى عليه السلام في قصة خروجه من مصر وسؤاله عن قبر يوسف لينقله معه فدلته عجوز بشرط أن تكون معه في الجنة... وأخرجه أيضًا أبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٧١): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح».

وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾

[٨٤] ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ﴾ ثناءً حسنًا ﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة.

[٨٥] ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ممن يعطاها.

[٨٦] ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بأن تتوب عليه؛ فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو للّٰه كما ذكر في سورة براءة.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخۡزِنِي﴾(*) تفضحني ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ الناس.

[٨٨] قال ـ تعالَى ـ فيه: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ﴾ أحدًا.

[٨٩] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ من الشرك والنفاق؛ وهو: قلب المؤمن؛ فإنه ينفعه ذلك.

[٩٠] ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ فيرونها.

[٩١] ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلۡغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٩٢] ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾؟

[٩٣] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأصنام ﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوۡ يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا.

[٩٤] ﴿فَكُبۡكِبُواْ﴾ ألقوا ﴿فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾.

[٩٥] ﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ﴾ أتباعُهُ وَمَنْ أطاعَهُ من الجن والإنس ﴿أَجۡمَعُونَ﴾.

[٩٦] ﴿قَالُواْ﴾ أي: الغاوون ﴿وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم:

[٩٧] ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ بيِّن.

[٩٨] ﴿إِذۡ﴾ حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في العبادة.

[٩٩] ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ أي: الشياطين، أو: أوَّلُونا الذين اقتدينا بهم.

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

[١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ يهمه أمرنا.

[١٠٢] ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ «لو» هنا للتمني، و«نكون» جوابه.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٠٥] ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له؛ لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد؛ أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل، وتأنيث ﴿قَوۡمُ﴾ باعتبار معناه، وتذكيره باعتبار لفظه.

[١٠٦] ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ﴾ نسبًا ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللّٰه؟

[١٠٧] ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ على تبليغ ما أرسلت به.

[١٠٨] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد اللّٰه وطاعته.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغه ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ أي: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرره تأكيدًا.

[١١١] ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ﴾ نصدق ﴿لَكَ﴾ لقولك ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ وفي قراءة[1]: ﴿وَأَتۡبَاعُكَ﴾ جمع «تابع» مبتدأ ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ السفلة؛ كالحاكة والأساكفة.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يَلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون؛ فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟! فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك، فينظر فإذا هو بِذِيخٍ مُلتَطِخٍ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار». البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٨)، وأخرجه مختصرًا في كتاب التفسير (٦٥) سورة الشعراء (٢٦) باب (١) ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾.

قال الحافظ: «وصف نفسه بالأبعد عن طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل: «الأبعد» صفة أبيه؛ أي إنه شديد البعد من رحمة اللّٰه... وقيل: «الأبعد» بمعنى البعيد، والمراد الهالك...».

قال الحافظ: ويؤيد الأول رواية: «إن أخزيت أبي فقد أخزيت الأبعد». الفتح (٨/٣٥٨، ٣٥٩) بتصرف يسير.

و«الذِيْخ»: ذكر الضباع. وقيل: لا يقال له: «ذيخ» إلا إذا كان كثير الشعر.

وقوله: «ملتطخ»: أي في رجيعه؛ فيتمرغ في نتنه. وذكر الحافظ أن الحكمة من مسخ آزر تنفير نفس إبراهيم منه؛ لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم. الفتح (٨/٣٥٩) بتصرف.

(١) وهي عشرية ليعقوب، لا سبعية.

قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ
لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ
﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ
عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي﴾ أيُّ علم لي ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[١١٣] ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ فيجازيهم ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ تعلمون ذلك ما عبّدتموهم.

[١١٤] ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ بيِّنُ الإنذار.

[١١٦] ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشتم.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ أي: احكم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[١١٩] قال - تعالى -: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ﴾ بعد إنجائهم ﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾.

[١٢٦] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[١٢٨] ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةٗ﴾ بناءً علمًا للمارة ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير «تبنون».

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ كأنكم ﴿تَخۡلُدُونَ﴾ فيها لا تموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ من غير رأفة.

[١٣١] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به.

[١٣٢] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَجَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني.

[١٣٦] ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ﴾ مُستوٍ عِندنا ﴿أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ أصلاً؛ أي: لا نرعوي لوعظك.

إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[١٣٧] ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي خوّفتنا به ﴿إِلَّا [خَلۡقُ][1] ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الخاء واللام؛ أي: ما هذا الذي نحن عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين؛ أي: طبيعتهم وعادتهم.

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

[١٣٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

[١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٤١] ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٤٣] ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾.

[١٤٤] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٤٥] ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ من الخيرات ﴿ءَامِنِينَ﴾.

[١٤٧] ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾.

[١٤٨] ﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ لطيف لين.

[١٤٩] ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا [فَرِهِينَ][2]﴾ بطِرين، وفي قراءة: ﴿فَٰرِهِينَ﴾ حاذقين.

[١٥٠] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

[١٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

[١٥٣] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيرًا حتى غلب على عقلهم.

[١٥٤] ﴿مَآ أَنتَ﴾ أيضًا ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾.

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ بعظم العذاب.

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرَها بَعْضُهُمْ بِرِضَاهُمْ ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ على عقرِها.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقية السبعة: ﴿خُلُقُ﴾ بضم الخاء واللام.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿فارهين﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

[١٦٠] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٦١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٦٢] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٦٣] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٦٤] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٦٥] ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الناس؟

[١٦٦] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ أي: أقبالهن؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١٦٧] ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدتنا.

[١٦٨] ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ المبغضين.

[١٦٩] ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عذابه.

[١٧٠] ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٧١] ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين أهلكناها.

[١٧٢] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أهلكناهم.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة، من جملة الإهلاك[1] ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مطرهم.

[١٧٤] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٧٦] ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ وفي قراءة[2]: بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء؛ هي: غيضة شجر قُرْب مَدْيَنَ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٧٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ - لم يقل: أخوهم؛ لأنه لم يكن منهم -: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٧٨] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٧٩] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٨٠] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٨١] ﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين.

[١٨٢] ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي.

[١٨٣] ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئًا ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره، من «عثي» بكسر المثلثة: أفسد، و﴿مُفْسِدِينَ﴾ حالٌ مُؤَكِّدَةٌ لمعنى عاملها.

---

(١) أي: لم يهلكهم بإمطار الحجارة فقط، بل جعل عالي قراها سافلها.

(٢) لنافع وابن كثير وابن عامر. وقوله: وفتح الهاء، يعني به فتح تاء التأنيث، في حالة الوصل؛ أي: «لَيْكَةَ».

[١٨٤] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ الخليقة ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[١٨٥] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

[١٨٦] ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

[١٨٧] ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا [كِسْفًا] ﴾ بسكون السين وفتحها[1]؛ قطعًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حرٍّ شَدِيدٍ أصابهم؛ فأمطرت عليهم نارًا؛ فاحترقوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٩٢] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ جبريلُ.

[١٩٤] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ بيِّنٍ، وفي قراءة[2]: بِتَشْدِيدِ ﴿نزل﴾ وَنَصْبِ ﴿الروح﴾ والفاعل: اللَّه.

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لَفِى زُبُرِ﴾ كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالتوراة والإنجيل.

[١٩٧] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَايَةً﴾ على ذلك ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كعبداللَّه بن سلام، وأصحابه من الذين آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك ﴿ويكن﴾ بالتحتانية وَنَصْبِ ﴿ءَايَةً﴾ وبالفوقانية وَرَفْعِ ﴿آية﴾[3].

[١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ كفار مكة ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنَفَةً من اتباعه.

[٢٠٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ كفار مكة بقراءة النبي.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فيقال لهم: «لا»، فقالوا: متى هذا العذاب؟

[٢٠٤] قال ـ تعالَى ـ: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

---

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) لحمزة والكسائي وشعبة وابن عامر.

(٣) بالتاء مع رفع ﴿آية﴾ لابن عامر.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمۡلِ

[٢٠٧] ﴿مَآ﴾ استفهامية بمعنى أي: شيء ﴿أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يغن.

[٢٠٨] ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ رسل تنذر أهلها.

[٢٠٩] ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

[٢١٠] وَنَزَلَ رَدًّا لقول المشركين: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمۡ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾ بالشُّهب.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه.

[٢١٤] ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهارًا. [رواه البخاري ومسلم][1].

[٢١٥] ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ أَلِنْ جانِبَكَ ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الموحدين.

[٢١٦] ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ عشيرتك ﴿فَقُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ بالواو والفاء[2] ﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الله؛ أي: فوض إليه جميع أمورك.

[٢١٨] ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة.

[٢١٩] ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلين.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ـ بحذف إحدى التاءين من الأصل ـ؟

[٢٢٢] ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٖ﴾ فاجر، مثل «مُسَيْلِمَة» وغيره من الكهنة.

[٢٢٣] ﴿يُلۡقُونَ﴾ الشياطينُ ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ يضمون إلى المسموع كذبًا كثيرًا، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء.

[٢٢٤] ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم؛ فهم مذمومون.

[٢٢٥] ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾ يمضون؛ فيجاوزون الحدَّ مدحًا وهجاءً.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفۡعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.

[٢٢٧] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾(٭) لم يشغلهم الشعر عن الذِّكر ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ بهجوهِمُ الكفار ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ بهَجْوِ الكفار لهم في جملة المؤمنين؛ فليسوا مذمومين، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾[3] وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[4] ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ﴾ مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

* * *

(٭) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ فنسخ من ذلك واستثنى فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾. أبو داود ـ كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٤١٩٥).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» ـ لبطون من قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر، ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾. البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٤) عن ابن عباس.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) البقرة: ١٩٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

[مكية وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية، نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين به بالجنة.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمونها بالاستدلال، وأعيد: ﴿هُمْ﴾، لما فصل بينه وبين الخبر.

[٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون فيها لقبحها عندنا.

[٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ يلقى عليك بشدة ﴿مِن لَّدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

[٧] اذْكُرْ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ ءَاتِيكُم [بِشِهَابِ] قَبَسٍ﴾ بالإضافة للبيان، وتركها[١]؛ أي: شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها؛ تستدفئون من البرد.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ﴾ أي: بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس، و«بارك» يتعدى بنفسه وبالحرف، ويقدر بعد: في مكان[٢] ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من جملة ما نودي[٣]؛ ومعناه: تنزيه الله من السوء.

[٩] ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يرجع؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ﴾ عندي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ من حية وغيرها.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له.

[١٢] ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها من الأدمة[٤] ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص، لها شعاع يُغْشي[٥] البصر، آية ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾[٦] مرسلًا بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضيئة واضحة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن ظاهر.

---

(١) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: «بشهاب».

(٢) على تفسيره الأول أن من في النار هو موسى، ويكون التقدير: أن بورك من في مكان النار.

(٣) قال ابن كثير: أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا في مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم المباين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسماوات؛ بل هو الأحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات.

(٤) أي السُّمرة، وفي هذا رد على أهل الكتاب وما جاء في كتبهم أنها خرجت برصاء مثل الثلج.

(٥) أي: إن شعاعها يجعل البصر «أعشى»، وفي بعض النسخ: «يُغشي» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٦) تقدم بيانها في تفسير آية رقم (٧٥) من سورة يونس.

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ
ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ لم يقروا ﴿وَ﴾ قد ﴿ٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرًا عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ التي علمتها من إهلاكهم.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شكرًا لله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ البَيِّنُ الظَّاهِرُ.

[١٧] ﴿وَحُشِرَ﴾ جُمِعَ ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ في مسير له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يجمعون ثم يساقون.

[١٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ هو بالطائف أو بالشام، نمله صغار أو كبار ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ملكةُ النملِ وقد رأت جند سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يكسرنكم ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

[١٩] ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ابتداءً ﴿ضَاحِكًا﴾ انتهاءً ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح؛ فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبانًا ومشاةً في هذا السير[١] ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء.

[٢٠] ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بنقره فيها؛ فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي: أَعَرَضَ لي ما منعني من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها.

[٢١] قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾ تعذيبًا ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذَنَبِهِ ورميه في الشمس؛ فلا يمتنع من الهوام[٢] ﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة[٣] ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ببرهان بَيِّنٍ ظاهرٍ على عُذْرِهِ.

[٢٢] ﴿[فَمَكُثَ]﴾ بضم الكاف وفتحها[٤] ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يسيرًا من الزمن، وحضر لسليمان متواضعًا برفع رأسه وإرخاءِ ذَنَبِهِ وجناحيه؛ فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ بالصرف وتركه[٥]: قبيلة باليمن، سميت باسم جد لهم باعتباره صُرِفَ ﴿بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿يَقِينٍ﴾.

(١) مثل هذه التفاصيل لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها، وغالبًا ما تكون من الإسرائيليات. وقوله: «حملته إليه الريح» يعارض نص الآية؛ فقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٢) لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان عليه السلام الهدهد هو هذا الذي ذكره المصنف الجلال المحلي، والآية أطلقت العذاب ووصفته بالشدة.

(٣) وهذه الأخيرة قراءة ابن كثير.

(٤) بالضم قراءة السبعة عدا عاصم.

(٥) قرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمزة من غير تنوين، وقرأ قنبل بإسكانها.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ أي: هي ملكة لهم اسمها «بَلْقِيس» ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٞ﴾ طوله ثمانون ذراعًا وعرضه أربعون زراعًا وارتفاعه ثلاثون ذراعًا، مضروب من الذهب والفضة، مُكَلَّلٌ بالدُّرِّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق[1].

[٢٤] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ أي: أن يسجدوا له، فزيدت «لا» وأدغم فيها نون «أن»؛ كما في قوله - تَعَالَى -: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[2] والجملة في محل مفعول ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ بإسقاط «إلى» ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ مصدر بمعنى: المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا [يُخۡفُونَ][3]﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا [يُعۡلِنُونَ][4]﴾ بألسنتهم.

[٢٦] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩﴾ استئناف، جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم.

[٢٧] ﴿۞قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: من هذا النوع، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ: أم كذبت فيه، ثم دَلَّهُمْ على الماء فاستخرج وارتووا وتوضئوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتابًا صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين»، ثم طَبَعَهُ بالمسك وختمه بخاتمه[5] ثم قال للهدهد:

[٢٨] ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ وَقِفْ قريبًا منهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ يردون من الجواب؛ فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاها في حجرها، فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفًا، ثم وقفت على ما فيه.

[٢٩] ثم ﴿قَالَتۡ﴾ لأشراف قومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوًا مكسورة[6] ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ مختوم.

[٣٠] ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: مضمونه: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [٣١] ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوًا[7]؛ أي: أشيروا علي ﴿فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ تحضرون.

[٣٣] ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾نا نُطِعْـكِ.

[٣٤] ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أي: مرسلو الكتاب[8].

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ من قبول الهدية أو رَدِّهَا؛ إن كان ملكا قَبِلَهَا، أو نبيًا لم يَقْبَلْهَا؛ فأرسلت خدمًا ذكورًا وإناثًا ألفًا بالسوية وخمسمائة لَبِنَة من الذهب، وتاجًا مُكَلَّلًا بالجواهر ومسكًا وعنبرًا وغير ذلك مع رسول بكتاب؛ فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر؛ فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانًا، وأن يبنوا حوله حائطًا مشرفًا من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله[9].

(١) لا دليل على مثل هذه التفاصيل ولا فائدة في ذكرها، وسبق التعليق على مثل هذه الإسرائيليات، وأن الأولى في تفسير كلام الله ﷻ أن لا يعتمد إلا ما هو قطعي وأن يترك المفسر تفصيل ما أجمله الله ﷻ.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) قرأ حفص والكسائي: ﴿تخفون﴾ بالتاء، والباقون بالياء: ﴿يخفون﴾.

(٤) قرأ حفص والكسائي: ﴿تعلنون﴾ بالتاء، والباقون بالياء: ﴿يعلنون﴾.

(٥) هذه التفاصيل والدقائق لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها.

(٦) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٧) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٨) اختار المصنف أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ هو من تمام كلام المرأة. وقد ذهب غيره إلى أنه من كلام الله تعالى تصديقًا لقولها، وأن الوقف على ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ وقف تام.

(٩) لا دليل صحيح على ذلك أيضًا، والأولى ترك حشو التفاسير بذكره.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾
قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ
وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا
عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا
وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن
قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسولُ بالهدية ومعه أتباعُهُ ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوةِ والملكِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

[٣٧] ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين؛ فلما رجع إليها الرسولُ بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسًا، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قَيْل، مع كل قَيْل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها[١].

[٣٨] ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ﴾ في الهمزتين ما تقدم[٢] ﴿يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ منقادين طائعين[٣]، فَلِيَ أَخْذُهُ قبل ذلك لا بعده[٤].

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هو القوي الشديد: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء؛ وهو: من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

[٤٠] ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المنزل؛ وهو: «آصف بن برخيا»، كان صدِّيقًا يعلم اسم اللَّه الأعظم الذي إذا دعا به أجيب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: «انظر إلى السماء»؛ فنظر إليها، ثم رَدَّ بِطَرْفِهِ فوجده موضوعًا بين يديه، ففي نَظَرِهِ إلى السماء دَعَا «آصف» بالاسم الأعظم أن يأتي اللَّه به؛ فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان[٥] ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ ساكنًا ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي: الإتيان لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة الأخرى وتركه[٦] ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمةَ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لأجلها؛ لأن ثواب شُكْرِهِ له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمةَ ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شُكْرِهِ ﴿كَرِيمٌ﴾ بالأفضال على من يكفرها.

[٤١] ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غيروه إلى حال تنكره إذا رأته ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل: إن فيه شيئًا. فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ﴾ لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها؛ إذ لم يقل: أهذا عرشك. ولو قيل: هذا. قالت: نعم. قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلمًا: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة اللَّه ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضًا: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك، اصطنعه سليمانُ لما قيل له: «إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار»[٧] ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حسانًا ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ من زجاج، وَدَعَاهَا إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأراد تزوجها فكَرِهَ شَعْرَ ساقيها؛ فعملت له الشياطين النُّوْرَةَ فأزالته بها؛ فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان[٨] - روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة - فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

---

(١) سبق التعليق على هذه الأخبار ونحوها من الإسرائيليات. (٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بقلبها واوًا مكسورة، وهي ثلاث قراءات سبعية.

(٣) جمهور المفسرين أن هذه المقالة من سليمان مجيء هديتها وردِّه إياها. (٤) قاله قتادة وعطاء وزهير بن محمد وغير واحد، والمعنى أنهم متى أسلموا حرمت أموالهم.

(٥) سبق التعليق على نحو هذه الأخبار، وأنه لا دليل عليها، ولا فائدة في ذكرها.

(٦) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٧) أحسن ما قيل في بناء الصرح هو أنه أراد أن يريها ملكًا أعظم من مُلكها ليكون حاملًا لها على أن تسلم. وما قيل غير ذلك فإسرائيليات لا تثبت ولا تليق بمقام النبوة.

(٨) مثل هذه السياقات والدقائق التي ذكرها المفسر الأقرب فيها أنها مُتَلَقَّاةٌ عن أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم؛ كروايات كعب ووهب، فيما نَقَلَا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حُرِّفَ وَبُدِّلَ وَنُسِخَ، وقد أغنانا الله - سُبْحَانَهُ - عن ذلك بما هو أصح منه وأوضح وأبلغ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين، فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ للمكذبين: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعذاب قبل الرحمة؛ حيث قلتم: «إن كان ما أتيتنا به حقًّا فأتنا بالعذاب» ﴿لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا تعذبون؟

[٤٧] ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله تطيرنا؛ أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل؛ أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ المؤمنين؛ حيث قُحِطوا المطر[1] وجاعوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بالخير والشر.

[٤٨] ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: رجال ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي؛ منها: قرضهم الدنانير والدراهم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالطاعة.

[٤٩] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ أي: احلفوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية[2] ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: من آمن به؛ أي: نقتلهم ليلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية[3] ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ لولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حضرنا ﴿[مَهْلِكَ] أَهْلِهِۦ﴾ بضم الميم وفتحها[4]؛ أي: إهلاكهم أو هلاكهم؛ فلا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عقوبتهم[5] ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بصيحة جبريل، أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم.

[٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ أي: خالية، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ بظلمهم؛ أي: كفرهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتنا؛ فيتعظون.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الشرك.

[٥٤] ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدرًا قبله، ويبدل منه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: اللواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يبصر بعضُكم بعضًا انهماكًا في المعصية؟

[٥٥] ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين[6] ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة فعلكم.

---

(١) أي: احتبس عنهم المطر.

(٢) بالتاء وضم التاء الثانية قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالتاء وضم اللام الثانية قراءة حمزة والكسائي.

(٤) بضم الميم وفتح اللام قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتحهما وحفص بكسر اللام.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ هي فيما سيقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٦) سهل الثانية مع إدخال الألف قالون وأبو عمرو، ومن غير إدخال ورش وابن كثير وحققها هشام مع الإدخال وعدمه، وبقية السبعة كذلك من غير إدخال.

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال.

[٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم.

[٥٩] ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾ هُمْ ﴿ءَآللَّهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه[1] ﴿خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا [تُشْرِكُونَ]﴾ بالتاء والياء[2]؛ أي: أهل مكة به؛ أي: الآلهة خير لعابديها.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة؛ وهو: البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حُسْنٍ ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة[3] ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أعانه على ذلك؛ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

[٦١] ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده.

[٦٢] ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ﴾ الإضافة بمعنى: في؛ أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا [تَذَّكَّرُونَ]﴾ تتعظون؛ بالفوقانية والتحتانية[4]، وفيه إدغام التاء في الذال، و﴿مَّا﴾ زائدةٌ لتقليل القليل.

[٦٣] ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلًا وبعلامات الأرض نهارًا ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾ قدام المطر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره.

---

(١) هذا سبق قلم من الشارح؛ لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، وغاية ما أجازوه: وجهان فقط؛ تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفًا ممدودة مدًّا لازمًا.

(٢) بالتاء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

(٣) أي وتركه، وقوله: «في مواضعه السبعة» أي: مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ (أإله) خمس مرات و(أئذا) و(أئنا). وانظر التعليق على الآية رقم (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) بالتحتانية مع تشديد الذال قراءة أبي عمرو وهشام، وقراءة الباقين بالتاء لكن مع التشديد لنافع وابن كثير وابن ذكوان وشعبة، ومن غير تشديد لحفص وحمزة والكسائي.

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

[٦٤] ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يفعل شيئًا مما ذكر إلا اللَّه، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن معي إلهًا فعل شيئًا مما ذكر، وَسَأَلوه عن وقت قيام الساعة؛ فنزل: [٦٥] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الملائكة والنـاس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلِ﴾ بمعنى: هل ﴿[أَدْرَكَ]﴾[1] وزن أكرم، وفي قراءة أخرى: ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ بتشديد الدال، وأصله تدارك؛ أبدلت التاء دالًا وأدغمت في الدال، واجتلبت همزة الوصل؛ أي: بلغ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بها حتى سألوا عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ من عمي القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»؛ استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أيضًا في إنكار البعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة بالضم؛ أي: ما سطر من الكذب.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم[2]؛ وهي: هلاكهم بالعذاب.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسلية للنبي ﷺ أي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإنا ناصروك عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾ قرب ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل ببدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم.

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الهاء للمبالغة؛ أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن؛ هو: اللوح المحفوظ، ومكنون[3] علمه - تَعَالَى -، ومنه تعذيب الكفار.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبيِّنا ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿ادَّارك﴾.
(٢) في نسخة: «بإنكاره».
(٣) وهذا تفسير ثانٍ، فالواو هنا بمعنى (أو).

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدًا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ الدين البيّن، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالًا لهم بالموتى وبالصم وبالعمي، فقال: [٨٠] ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء(١) ﴿وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

[٨١] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٨٢] ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة(٢)، وعلى قراءة: فتح همزة ﴿إِنَّ﴾(٣) تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر(٤)، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾(٥).

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم: رؤساؤهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ فيه إدغام «ما» الاستفهامية(٦) ﴿ذَا﴾ موصول؛ أي: ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى: يبصر فيه ليتصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصَعِقَ﴾ والتعبير فيه بالماضي؛ لتحقق وقوعه. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه؛ أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل(٧) ﴿دَٰخِرِينَ﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لعظمها ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ المطر(٨) إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبثوثة، ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباء منثورًا(٩) ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعًا ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا [يَفْعَلُونَ]﴾ بالياء والتاء(١٠) أي:

---

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو. (٢) وغيرهم. (٣) بالكسر لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨). (٥) هود: ٣٦. (٦) أي: إدغام ميم «أم» في ميم «ما» الاستفهامية.

(٧) فيقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو؛ أي: ﴿ءَاتُوهُ﴾، وهي قراءة السبعة عدا حفص وحمزة. (٨) المـَطر: أي: ذي المطر.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسر من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، يحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهويل والتخويف، وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للفناء يوم القيامة يحصل عند إهلاك جميع الخلائق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا ينافي قوله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فتكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾، اعتراضًا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأهوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

[٨٩] ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ أي: (لا إله إلا الله) يوم القيامة ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ﴾ ثواب ﴿مِّنۡهَا﴾ أي: بسببها، وليس للتفضيل؛ إذ لا فعل خير منها[١]، وفي آية أخرى: ﴿عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾[٢] ﴿وَهُم﴾ الجاءون بها ﴿مِّن [فَزَعِ يَوۡمَئِذٍ]﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و﴿فَزَعٖ﴾ منونًا وفتح الميم[٣] ﴿ءَامِنُونَ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ بأن وُلِّيَتْهَا، وذكرت الوجوه؛ لأنها موضع الشَّرَف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تبكيتًا: ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩١] قل لهم: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ أي: مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرمًا آمنًا لا يسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحدٌ، ولا يصاد صيدها، ولا يُختلى خلاها[٤]، وذلك من النعم على قريش - أهلها - في رفع الله عن بلدهم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَهُۥ﴾ - تعالى - ﴿كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ لله بتوحيده.

[٩٢] ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَقُلۡ﴾ له: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ المخوفين، فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٩٣] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا [يَعۡمَلُونَ]﴾ بالياء والتاء[٥]، وإنما يمهلهم لوقتهم.

سُورَةُ القَصَصِ

[مكية إلا: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ الآية، نزلت بالجحفة، وإلا: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى: ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى: من ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل.

[٣] ﴿نَتۡلُواْ﴾ نقص ﴿عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ﴾ خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ﴾

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

الصدق ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنتفعون به.

[٤] ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾ تعظّم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فرقًا في خدمته ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ هم: بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ المولودين ﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ يستبقيهن أحياء؛ لقول بعض الكهنة له: «إن مولودًا يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك» ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء[٦]؛ يُقتدى بهم في الخير ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ مُلك فرعون.

---

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للتفضيل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجح أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا لأفل التفضيل، فقد بين - سُبۡحَانَهُ - في سورة الأنعام أن له عشر أمثالها.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الميم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منونًا وفتح الميم (فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ).

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا
أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ
﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

[٦] ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة[1]: ﴿وَيَرَى﴾ بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب مُلْكُهُمْ على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي ۖ﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه، وأغلقته، وألقته في بحر النيل ليلًا.

[٨] ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿آلُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعوه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبنًا[2] ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبه الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا ۗ﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة[3]: بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ«أحزنه» ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ من الخطيئة؛ أي: عاصين؛ فعوقبوا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هَمَّ مع أعوانه بقتله هو: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فَارِغًا ۖ﴾ مما سواه ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر، أي: سَكَّنَّاهُ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم: ﴿قُصِّيهِ ۖ﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خَبَرَهُ ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاسًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل رَدِّهِ إلى أمه؛ أي: مَنَعْنَاهُ من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُ﴾ بالمَلِك، جوابًا لهم[4]، فأجيبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبةُ الريح طيبةُ اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال ـ تعالى ـ: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذٍ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بردِّه إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أختهُ وهذه أمهُ، فمكث عندها إلى أن فَطَمَتْهُ، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال ـ تعالى ـ حكايةً عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[5].

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يصان التفسير عنها.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) لا يمتنع أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ أي للطفل؛ فلا يقصرون في خدمته وتربيته. وصنيع المصنف يشير إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: وثلاث ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: بلغ أربعين سنة(١) ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهًا في الدين قبل أن يبعث نبيًّا(٢) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القيلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإسرائيلي ليحمل حطبًا إلى مطبخ فرعون ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقال له موسى: خَلِّ سَبِيلَهُ. فقيل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله(٣) عليك» ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديدَ القوةِ والبطشِ ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله(٤)، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ قتله ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المهيج غضبي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ الإضلال.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادمًا: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بقتله ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: المتصف بهما أزلًا وأبدًا.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك(٥) ﴿عَلَىَّ﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عونًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتني.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ الغواية لما فعلته الأمس واليوم.

[١٩] ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظَانًّا أنه يبطش به لِما قال له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطي ذلك؛ فعلم أن القاتل موسى؛ فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك؛ فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى؛ فأخذوا في الطريق إليه.

[٢٠] ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ هو: مؤمنُ آلِ فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لُحُوقَ طالبٍ، أو غوثَ اللهِ إياه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قوم فرعون.

---

(١) الأظهر أن بلوغ الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عمرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المزاج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأظهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ فقد فسرها ـ أي النعمة ـ هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى عليه السلام بذلك إلا بالوحي. وأما القتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سبب خطئه عليه السلام هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بمكانته كنبي، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لنبي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الحطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الفتنة تجيء من هاهنا ـ وأومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله عز وجل له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]».

(٥) فالباء عنده للقسم، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به عليَّ؛ فالباء حينئذ سببية.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي: قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدين بن إبراهيم»، ولم يكن يعرف طريقها ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكًا بيده عَنَزَة فانطلق به إليها[١].

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ سواهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ [يَصْدُرَ] ٱلرِّعَآءُ﴾ جمع راعٍ؛ أي: يرجعون من سقيهم خوفَ الزحام فنسقي، وفي قراءة[٢]: ﴿يُصْدِرَ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفوا مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربهما، رَفَعَ حجرًا عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لسَمُرة[٣] من شدة حر الشمس، وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج؛ فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعيه لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي: واضعة كُمَّ دِرْعِهَا على وجهها حياءً منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها منكرًا في نفسه أخذ الأجرة - كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها -، فمشت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها؛ فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباها؛ وهو: شعيب - عليه السلام[٤] - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال: أخاف أن يكون عوضًا مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضًا. قال: لا، عادتي وعادة آبائي نُقْرِي الضيفَ وَنُطْعِمُ الطعامَ. فأكل وأخبره بحاله[٥]، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى: المقصوص؛ من قَتْلِهِ القبطيَّ، وقصدهم قَتْلَهُ، وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي المرسَلة الكبرى أو الصغرى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ اتخذه أجيرًا يرعى غنمنا بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»[٦] وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيرًا لي في رعي غنمي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك[٧] ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدةٌ؛ أي: رعيه ﴿قَضَيْتُ﴾ به؛ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطيَ موسى عصًا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عِصِيُّ الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى بِعِلْمِ شعيب[٨].

---

(١) وهذه التفاصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، وخبر إرسال الملك إلى موسى عليه السلام ليدله على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولًا لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُصْدِرَ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزم بأنه شعيب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نظر؛ وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح ومال إليه ابن كثير كونه غيره؛ لأن شعيبًا النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة. ثم يبعد أن يترك قومُهُ المؤمنون به بناته يعملن ويسقين ولا يقوموا عنهن بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقي موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك.

(٦) رُوي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبزار، وفي إسناد الطبراني عديد بن أبي عمران الجوني؛ ضعفه ابن معين وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي عليه السلام؛ فيكون صلاحه محققًا. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره.

(٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأولى الاقتصار على ما أخبرنا الله - سُبْحَانَهُ - به. وسبق بيان أن أبا المرأتين ليس شعيب النبي على الراجح.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: رعيه؛ وهو: ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بتثليث الجيم(١)؛ قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار؛ بكسر اللام وفتحها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾ جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من: ﴿شَٰطِيِٕ﴾ بإعادة الجار لنباتها فيه؛ وهي: شجرة عُنّاب أو عليق أو عوسج(٢) ﴿أَن﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هاربًا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: يرجع؛ فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ﴾.

[٣٢] ﴿ٱسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة(٣) ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تُغْشي(٤) البصر ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ [ٱلرَّهَبِ]﴾ بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه(٥)؛ أي: الخوف الحاصل من إضاءة اليد؛ بأن تدخلها في جيبك؛ فتعود إلى حالتها الأولى، وَعَبَّرَ عنها بالجناح؛ لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿[فذانِّكَ]﴾ بالتشديد والتخفيف(٦)؛ أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذُكِّرَ المُشَار بِهِ إِلَيْهِمَا «المُبْتَدَأ» لِتَذْكِيرِ خَبَرِهِ ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ مرسلان ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أبين ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينًا، وفي قراءة(٧): بفتح الدال بلا همزة ﴿[يُصَدِّقْني]﴾ بالجزم:

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

جواب الدعاء، وفي قراءة(٨): بالرفع، وجملته صفة: ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبا ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لهم.

(١) أي: بفتحها وضمها وكسرها، فقرأ بالضم حمزة، وقرأ عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر.
(٢) وهذا لا دليل عليه، ولا فائدة في تعيينه.
(٣) السُّمرة.
(٤) أي تجعل بصر ناظرها ضعيفًا لشدة ضوئها. وفي بعض النسخ: «تغشى» بالمعجمة وهو تصحيف.
(٥) قرأ بفتح الراء والهاء نافع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.
(٦) بتشديد النون مع المد المشبع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.
(٧) أي: «ردًا» لنافع.
(٨) والقراءة المذكورة أولًا بسكون القاف للسبعة عدا عاصم وحمزة.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات، حال ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾ مختلق ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ كائنًا ﴿فِيٓ﴾ أيام ﴿ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها[١] ﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَن﴾ عطف على «من» قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالفوقانية والتحتانية[٢] ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ فاطبخ لي الآجرَّ ﴿فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا﴾ قصرًا عاليًا ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في ادعائه إلهًا آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا [يَرۡجِعُونَ]﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول[٣].

[٤٠] ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ﴾ طرحناهم ﴿فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةٗ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء[٤]؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾ خزيًا ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ حالٌ من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ لمن آمن به ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

---

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالبناء للفاعل قراءة نافع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول.

(٤) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل، أو الوادي، أو المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به.

[٤٥] ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أممًا من بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ طالت أعمارهم؛ فنسوا العهود، واندرست العلوم، وانقطع الوحي؛ فجئنا بك رسولًا، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم فتخبر بها.

﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك[1] بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[٤٧] ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ؛ والمعنى: لولا الإصابة المسبَّبُ عنها قولُهم، أو لولا قولهم المسبَّبُ عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولًا.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات؛ كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا۟﴾ فيه وفي محمد: ﴿[سَاحِرَانِ][2]﴾، وفي قراءة: ﴿سِحْرَانِ﴾ أي: القرآن والتوراة ﴿تَظَٰهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ﴾ من النبيَّيْن والكتابَيْن ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ من الكتابين ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم.

[٥٠] ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أضل منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

---

(١) أي: أرسلناك رسولًا، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿سِحْرَانِ﴾.

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٥١] ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

[٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ أيضًا، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره[١]، ومن النصارى قدموا من الحبشة[٢] ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ موحدين.

[٥٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكتابين[٣] ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام متاركة؛ أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لا نصحبهم.

[٥٦] ونزل في حرصه ﷺ على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[*].

[٥٧] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ قومه: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ ننتزع منها بسرعة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿[تُجْبَىٰ]﴾ بالفوقانية والتحتانية[٤] ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من كل أوب ﴿رِّزْقًا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما نقوله حقّ.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ عيشها، وأريد بالقرية: أهلها ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يومًا أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ منهم.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل.

(*) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مسلم ـ كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن حَزْن. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة القصص (٢٨) باب (١).

---

(١) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٢٠/٥٦، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسل ضعيف. وأخرج الطبري أيضًا في جامعه (٢٠/٥٦)، والطبراني في الكبير (٥/٥٣ رقم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، وغيرهما عن رفاعة القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة، أنا أحدهم... قال الهيثمي في المجمع (٧/٨٨): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ورجاله ثقات...» وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٦/٤٢٢) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «بسند جيد». وصححه في الاستيعاب (٣/٢٨).

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٩٢) عن سعيد بن جبير، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣/٣٥).

(٣) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنبيه، وأدرك النبي فآمن به، واتبعه، وصدقه؛ فله أجران...» الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٤) بالتاء قراءة نافع.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم، ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابه ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بالتاء والياء[1]؛ أن الباقي خير من الفاني؟

[٦١] ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ وهو مُصِيبُهُ؛ وهو: الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر؛ أي: لا تساوي بينهما.

[٦٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ اللَّهُ ﴿فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾هُمْ شركائي؟

[٦٣] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ بدخول النار؛ وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾هُمْ، مبتدأ، وصفة[2]، ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾ خبرُهُ، فغووا ﴿كَمَا غَوَيۡنَاۖ﴾ لم نكرههم على الغيّ ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء اللَّه ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوُاْ﴾ هم ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ أبصروه ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ إليكم.

[٦٦] ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ لم يجدوا خبرًا لهم فيه نجاة ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنه، فيسكتون.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ صدق بتوحيد اللَّه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ الناجين بوعد اللَّه.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ عن إشراكهم.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ بألسنتهم من ذلك.

[٧٠] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ﴾ الدنيا ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالنشور.

---

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ. و﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾: صفة. وجملة ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾: خبره.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائمًا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك؟!

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾ تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟!

[٧٣] ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيهما.

[٧٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذُكر ثانيًا ليُبنى عليه:

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكًا، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ابن عمه، وابن خالته[1] وآمن به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالكِبْرِ والعلوّ وكثرة المال ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ تثقل ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُو۟لِى﴾ أصحاب ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ أي: تثقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فَرَحَ بَطَرٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

[٧٧] ﴿وَٱبْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم[2].

---

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروي عن ابن عباس أيضًا أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصفة المحبة وانتفائها ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي: المال ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ أي: في مقابلته، وكان أعلَمَ بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ للمال؛ أي: هو عالم بذلك، ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لِعِلْمِهِ ـ تعَالَى ـ بها؛ فيدخلون النارَ بلا حساب.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾ بأتباعه الكثيرين ركبانًا مُتَحَلِّينَ بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٖ﴾ وافٍ فيها.

[٨٠] ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بما وعد اللَّهُ في الآخرة: ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

[٨١] ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ﴾ بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ منه.

[٨٢] ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ أي: من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ﴾ يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾ يضيق على ما يشاء، و«وي» اسم فعل؛ بمعنى: أعجب؛ أي: أنا، و«الكاف» بمعنى اللام(١) ﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول(٢) ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ لنعمة اللَّه؛ كقارون.

[٨٣] ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ بعمل المعاصي ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ عقابَ اللَّهِ بعمل الطاعات.

[٨٤] ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ﴾ ثواب بسببها؛ وهو: عشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: مثله.

---

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «ويكأن» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أنزله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة[1]، وكان قد اشتاقها[2] ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ نزل جوابًا لقول كفار مكة له: إنك في ضلال. أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في ضلال، و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعينًا ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ على دينهم الذي دعوك إليه.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله: يصدونَنَك؛ حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل؛ لالتقائها مع النون الساكنة ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَٱدْعُ﴾ الناسَ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم، ولم يُؤثِّر الجازم في الفعل لبنائه.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبُدْ ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا إياه[3] ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاءُ النافذُ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور من قبوركم.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراد بذلك.

[٢] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟﴾ أي: بقولهم: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون[4].

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم علم مشاهدة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الشركَ والمعاصي ﴿أَن يَسْبِقُونَا ۚ﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم؟ ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ ـهُ حكمهم هذا.

[٥] ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾ يخاف ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ به ﴿لَءَاتٍ ۚ﴾ فليستعد له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

[٦] ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهادَ حربٍ أو نفسٍ ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ﴾ فإن منفعة جهادِه له لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

---

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالمعاد يوم القيامة، قال: فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وهذا أقرب، والله أعلم.

(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جدًّا في الاستيعاب (٤٠/٣).

(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نثبتها له ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق به، ولا شك أن الوجه يستلزم الذات. ولكن لا يجوز إرادة اللازم ونفي الملزوم؛ بل يجب إثباتهما معًا.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤١/٣، ٤٢).

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن، ونصبه بنزع الخافض: الباء ﴿ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاءً ذا حسن؛ بأن يبرَّهُما، ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في الإشراك(*) ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جَآءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ حذفت منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان؛ فأشركونا في الغنيمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لامُ قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر(١)، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللامُ في الفعلين(٢) لامُ قسم، وحُذف فاعلهما: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله؛ فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ مشركون.

(*) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة ـ وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعامًا، ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي فتحوا] فاها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾.

الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٤، ١٥)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

---

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وليحملُنَّ﴾، و﴿ليسألُنَّ﴾.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: نوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر[١] حتى كثر الناس.

[١٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير من غيره.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تقولون كذبًا: إن الأوثان شركاء لله[٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ أي: تكذبوني يا أهل مكة[٣] ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ إلا البلاغ البيِّن، في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ.

[١٩] وقال - تعالى - في قومه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ بالياء والتاء[٤]؛ ينظروا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله، وقرئ بفتحه[٥]؛ من بدأ وأبدأ؛ بمعنى: أي يخلقهم ابتداءً ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ أي: الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكيف ينكرون الثاني؟!

[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ [ٱلنَّشَاءَةَ] ٱلْءَاخِرَةَ﴾ مدًّا، وقصرًا مع سكون الشين[٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون.

[٢٢] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتم فيها؛ أي: لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه.

[٢٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: القرآن والبعث ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي: جنتي[٧] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

---

(١) إثبات هذا يحتاج إلى دليل صحيح.
(٢) وقال عكرمة وقتادة والحسن: تنحتونها أصنامًا. واختاره ابن جرير.
(٣) وقيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام.
(٤) بالتاء قراءة حمزة والكسائي.
(٥) أي: شذوذًا.
(٦) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو.
(٧) وهذا تأويل لصفة الرحمة بأحد لوازمها. ومذهب السلف إثباتها له - سُبْحَانَهُ - على الوجه اللائق به كما سبق مرارًا.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

[٢٤] قال ـ تعالى ـ في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ التي قذفوهُ فيها؛ بأن جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إنجائه منه ﴿لَءَايَـٰتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها، وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد اللّه وقدرته؛ لأنهم المنتفعون بها.

[٢٥] ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا﴾ تعبدونها، و«ما» مصدرية ﴿[مَّوَدَّةُ] بَيْنِكُمْ﴾ خبر «إن»، وعلى قراءة النصب[١]: مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: تواددتم على عبادتها ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ مصيركم جميعًا ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ مانعين منها.

[٢٦] ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ صدق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ إلى حيث أمرني ربي، وَهَجَرَ قَوْمَهُ وهاجر من سَوَادِ العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العُلَى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ [أَئِنَّكُمْ][٢]﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين[٣] ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ أي: أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم؛ فترك الناسُ الممرَّ بكم[٤] ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي: مُتَحَدَّثكم ﴿ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

[٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ العاصين بإتيان الرجال؛ فاستجاب اللّهُ دعاءه.

---

(١) والقراءة المذكورة أولًا بالرفع والإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحمزة: ﴿مودةَ بينِكم﴾ بالفتح والإضافة. وقرأ الباقون: ﴿مودةً بينَكم﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة وإرهابهم بأخذ أموالهم وسفك دمائهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ كافرين.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ﴾ أي: الرسل: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ [لَنُنَجِّيَنَّهُۥ]﴾ بالتخفيف والتشديد[1] ﴿وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٣٣] ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ صدرًا؛ لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسلُ ربه ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ بالتشديد والتخفيف[2] ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ وَنَصْبُ «أهلك» عطف على محل الكاف.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد[3] ﴿عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ به؛ أي: بسبب فِسْقِهِم.

[٣٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾ ظاهرةً؛ هي: آثار خرابها ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٣٦] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ اخشوه؛ هو: يوم القيامة ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ حالٌ مؤكدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المثلثة؛ أفسد.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٣٨] ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادٗا [وَثَمُودَاْ]﴾ بالصرف وتركه[4]؛ بمعنى: الحي والقبيلة[5] ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكُهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ بالحِجْر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

---

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصرف قراءة السبعة عدا حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف «ثمود» إذا كان بمعنى: الحي، ويمنع من الصرف إذا كان اسمًا للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.

[٣٩] ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ من قبل ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾ فائتين عذابَنا.

[٤٠] ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحًا عاصفةً فيها حصباء؛ كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم نوح، وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

[٤١] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أصنامًا يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ أضْعَفَ ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حرًّا ولا بردًا؛ كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها.

[٤٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون، بالياء والتاء[1] ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره ﴿مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤٣] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ المتدبرون.

[٤٤] ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقًّا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٤٥] ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعًا أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به.

وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

---

(١) بالتاء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ بأن حاربوا وأَبَوْا أن يُقِرُّوا بالجزية؛ فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمن قَبِلَ الإقرارَ بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾(*) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ مطيعون.

[٤٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ القرآنَ؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد ظهورها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي: اليهود[1]، وظهر لهم أن القرآن حقٌّ والجائي به محقٌّ، وجحدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا﴾ أي: لو كنت قارئًا كاتبًا ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾ شَكَّ ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ اليهودُ فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: اليهودُ، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوۡلَآ﴾ هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ أي: محمد ﴿[ءَايَةٞ] مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾[2] وفي قراءة: ﴿ءَايَٰتٞ﴾ كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآنَ ﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ عظة ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ بصدقي ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ منكم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في صفقتهم؛ حيث اشتروا الكفرَ بالإيمان.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ وما أنزل إليكم» الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا...

قال الحافظ: «وصنيع البخاري هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ...﴾ وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴾ وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه...» الفتح (٢٠/٨) بتصرف يسير.

---

(١) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاليهود وغيرهم. فالآية تشمل هؤلاء جميعًا، ولا فائدة في حصرها في اليهود.

(٢) ...

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له ﴿لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلًا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [وَنَقُولُ]﴾[1] فيه؛ بالنون: أي: نأمر بالقول، وبالياء[2]: ﴿يَقُولُ﴾ أي: الموكل بالعذاب: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تفوتوننا.

[٥٦] ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ في أي أرض تيسَّرت فيها العبادة؛ بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها، نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء والياء[3]؛ بعد البعث.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ ننزلنهم، وفي قراءة[4]: بالمثلثة بعد النون؛ من الثَّواء: الإقامة، وتعديته إلى ﴿غُرَفًا﴾ بحذف «في» ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر.

[٥٩] هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

[٦٠] ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضمائركم.

[٦١] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي: الكفار ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ بعد البَسْطِ؛ أي: لمن يشاء ابتلاءه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه محلُّ البسط والتضييق.

[٦٣] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يشركون به؟! ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقضهم في ذلك.

---

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحمزة والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئته ـ سُبْحَانَهُ ـ واختياره.

(٣) قرأ شعبة بالياء وبقية السبعة بالتاء.

(٤) أي: وبالياء بدل الهمزة فتكون ﴿لنثوينهم﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

[٦٤] ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأما القرب فمن أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ بمعنى: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها.

[٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدعاء؛ أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة[1]: بسكون اللام؛ أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

[٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلًا وسبيًا دونهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

[٦٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: فيها ذلك، وهو منهم.

[٦٩] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ في حقّنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر والعون[2].

سُورَةُ الرُّومِ

[مكية، وهي: ستون، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده في ذلك.

[٢] ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان؛ ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.

[٣] ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس ﴿وَهُم﴾ أي: الروم ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول؛ أي: غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس.

[٤] ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾(*) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الرومُ فارسَ ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من قبل غلب الروم ومن بعده؛ المعنى: أن غلبة فارس أولًا وغلبة الروم ثانيًا بأمر الله؛ أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تَغلِب الرومُ ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥] ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وَعَلِمُوا به يوم وقوعه؛ أي: يوم بدر بنزول جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه(**) ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ ... خرج أبو بكر الصديق ﷺ يصيح في نواحي مكة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم؛ زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين؛ أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى ـ وذلك قبل تحريم الرهان ـ فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل؟ البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين؛ فسمّ بيننا وبينك وسطًا تنتهي إليه. قال: فسمَّوا بينهم ست سنين. قال: فمضت الستُّ سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلمَّا دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ وأسلم عند ذلك ناس كثير. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) ومن سورة الروم، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٢).

(**) ما جاء في نزول الآيات (١ ـ ٥): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: ففرح المسلمون بظهور الروم على الفرس. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) سورة الروم، (صحيح بما بعده) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٠).

(١) لحمزة والكسائي وابن كثير وقالون.

(٢) وهذا من لوازم معيته ـ سُبْحَانَهُ ـ الخاصة بعباده المؤمنين، وحقيقتها الصحبة اللائقة كما سبق، ولا تنافي بينها وبين كونه مستويًا على عرشه بائنًا من خلقه.

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر، بدلٌ من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَهم اللَّهُ النصرَ ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة[1] ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده - تعالى - بنصرهم.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ إعادة ﴿هُمْ﴾ تأكيدٌ.

[٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك تفنى عند انتهائه، وبعده البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كفار مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلهم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبر ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَٰقِبَةُ﴾[2] واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَٰقِبَةَ﴾ والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[١١] ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ [يُرْجَعُونَ]﴾ بالياء والتاء[3].

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يسكت المشركون؛ لانقطاع حجتهم.

[١٣] ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ أي: لا يكون ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي: متبرئين منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ المؤمنون والكافرون.

[١٥] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون.

---

(١) الأَوْلَى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولًا أوليًا.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء؛ وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ اعتراض؛ ومعناه: يحمده أهلهما ﴿وَعَشِيّٗا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ أي: يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿[تَخۡرُجُونَ]﴾ من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول(١).

[٢٠] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ﴾ من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نُطَفِ الرجال والنساء ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم﴾ جميعًا ﴿مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله - تعالى -.

[٢٢] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ أي: لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿[لِّلۡعَالِمِينَ]﴾ بفتح اللام وكسرها(٢)؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم﴾ بالنهار ﴿مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءتكم ﴿ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعٗا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أي: يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يتدبرون.

---

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصًا.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

[٢٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها أحياء، فخروجكم منها بدعوة؛ من آياته - تَعَالَى -.

[٢٦] ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ مطيعون.

[٢٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند اللَّه - تَعَالَى - سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: الصفة العليا؛ وهي: أنه لا إله إلا اللَّه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلْقِهِ.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ كائنًا ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ﴾ وهو: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي: من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ أي: أمثالكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي؛ المعنى: ليس مماليككم شركاء لكم - إلى آخره - عندكم؛ فكيف تجعلون بعضَ مماليكِ اللَّهِ شركاءَ له؟ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نُبيِّنُها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٢٩] ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب اللَّه.

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلًا إليه؛ أي: أخلص دينك للَّه أنت ومن تبعك ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ وهي دينه؛ أي: الزموها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ لدينه؛ أي: لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(*) المستقيمُ توحيدُ اللَّهِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد اللَّه.

[٣١] ﴿۞ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ - تَعَالَى - فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل ﴿أَقِمْ﴾ وما أريد به؛ أي: أقيموا ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[٣٢] ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ﴾ فرقًا في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون، وفي قراءة: ﴿فَارَقُوا﴾(١) أي: تركوا دينهم الذي أُمِرُوا به.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟». يقول أبو هريرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾. البخاري - كتاب الجنائز (٢٣) باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات؛ هل يُصلى عليه. وكتاب التفسير (٦٥) سورة الروم (٣٠) باب لا تبديل لخلق الله. وأخرجه مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة. وعنده زيادة قول أبي هريرة: «اقرءوا إن شئتم...».

---

(١) لحمزة والكسائي.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر[١] ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة.

[٣٥] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجةً وكتابًا ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرهم بالإشراك؟! لا.

[٣٦] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة وغيرها ﴿رَحْمَةً﴾ نعمةً ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ فرحَ بطرٍ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

[٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٣٨] ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البرِّ والصِّلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر من الصدقة، وأمة النبي تبَعٌ له في ذلك ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابه بما يعملون[٢] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٣٩] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ بأن يعطي شيئًا هبةً أو هدية ليطلُب أكثَر منه؛ فسمي[٣] باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ المعطين؛ أي: يزيد ﴿فَلَا يَرْبُوا۟﴾ يَزْكُو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا ثواب فيه للمعطين ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب.

[٤٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ ممن أشركتم بالله ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾؟ لا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٤١] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي: القفار؛ بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: البلاد التي عليها الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياء والنون[٤] ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

---

(١) الصواب أن الرحمة عامة وتشمل هنا الخلاص من كل شدة تنزل بهم، وهو المناسب لتفسيره الضر بالشدة. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى.

(٢) وفيه إثبات لصفة الوجه التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، ونثبتها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى.

(٣) أي: هذا العطاء، سماه الله ﷻ ربًا لذلك. وهذا تفسير ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم لهذه الآية.

(٤) بالنون قراءة قنبل بخلاف عنه.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[٤٢] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية.

[٤٣] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد؛ يتفرقون بَعْدَ الحساب إلى الجنة والنار.

[٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره؛ وهو: النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يثيبهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يعاقبهم[١].

[٤٦] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بها ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النِّعَم يا أهل مكة؛ فتوحدوه.

[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم؛ فكذبوهم ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ بفتح السين وسكونها[٢]؛ قطعًا متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطر.

[٤٩] ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين من إنزاله.

[٥٠] ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ [أَثَرِ]﴾[٣] وفي قراءة: ﴿آثَارِ﴾ ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي: نعمته[٤] بالمطر ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة بلازمها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) بسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿آثار﴾.

(٤) نعمته - سُبْحَانَهُ - بالمطر أثر من آثار رحمته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

[٥١] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مضرة على نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟﴾ صاروا، جواب القسم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء[١] ﴿وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

[٥٣] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضُعْفٍ﴾ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشاب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً ۚ﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه[٢] ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ﴾ قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة اللبث».

[٥٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وُقُوعَهُ.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء[٣] ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ﴾ تنبيهًا لهم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

[٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث؛ أي: لا يحملنَّك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركنه.

* * *

---

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوجهين، والوجه الآخر لحفص بخلف عنه، وحمزة، وشعبة: ﴿ضَعف﴾ بالفتح.

(٣) بالتاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لقمان

[مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ الآيتين؛ فمدنيتان، وهي: أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصافات]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى: من.

[٣] هو ﴿هُدًى [وَرَحْمَةٌ]﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة: بالنصب(١)، حالًا من الآيات العامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة.

[٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيدٌ.

[٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٦] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما يعني ﴿[لِيَضِلَّ]﴾ بفتح الياء وضمها(٢) ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب: عطفًا على «يضل»، وبالرفع(٣): عطفًا على ﴿يَشْتَرِى﴾، ﴿[هُزُؤًا]﴾(٤) مَهْزُوءًا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(*) ذو إهانة.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ صممًا، وجملتا التشبه حالان من ضمير: ﴿وَلَّىٰ﴾، أو: الثانيةُ بيانٌ للأولى ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أَعْلِمْهُ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، ذَكَر البشارة تهكم به؛ وهو: النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة(٥)، ويقول: إن محمدًا يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم. فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

[٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[٩] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرًا خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وَحَقَّهُ حَقًّا ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يضع شيئًا إلا في محله.

[١٠] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العمد، جمع عماد؛ وهو: الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلًا ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا مرتفعة لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف حسن.

[١١] ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِى﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره؛ أي: آلهتكم حتى أشركتموها به - تَعَالَى -؟ و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي بِصِلَتِهِ خَبَرُهُ، و«أروني» معلق عن العمل، وَمَا بَعْدَهُ سَدَّ مَسَدَّ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن بإشراكهم وأنتم منهم.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القَيْنات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام»، في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٢) ومن سورة لقمان. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٥٣).
قال ابن الأثير: «القَيْنَة: الأمة؛ غنَّت أو لم تُغنِّ... وجمعها: قينات...»، (النهاية ٤/ ١٣٥). وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية؛ قال: «الغناء وأشباهه». صحيح الأدب المفرد (٩٥٥).

(١) الرفع قراءة حمزة. وقرأ الباقون بالنصب.
(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.
(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.
(٤) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا، وقرأ حمزة وصلًا: ﴿هُزْءًا﴾؛ بسكون الزاي مهموزًا، ووقفًا: ﴿هُزَا، هُزْوَا﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿هُزُؤًا﴾ بضم الزاي مهموزًا.
(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٢) عن الكلبي ومقاتل. وهما متهمان بالكذب، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٠٥) عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وثلاثتهم متهمون بالكذب. وانظر: الاستيعاب (٣/٥٩، ٦٠).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ منها: العلمُ والديانةُ والإصابةُ في القول، وَحِكَمُهُ كثيرةٌ مأثورةٌ، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كفيت[1]!. وقيل له: أي الناس شر؟ قال: «الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئًا» ﴿أَنِ﴾ أي: وقلنا له: أن ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب شُكْرِهِ له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

[١٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فرجع إليه وأسلم.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يَبِرَّهُمَا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فطامه ﴿فِى عَامَيْنِ﴾ وقلنا له: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع.

[١٥] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بالمعروف؛ البر والصلة[٭] ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَىَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

[١٦] ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ﴾ أي: الخصلة السيئة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها.

[١٧] ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة[2]: ﴿تُصَاعِرْ﴾ ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبرًا ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

[١٩] ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينة والوقار ﴿وَٱغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أقبحها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أَوَّلُهُ زَفِيرٌ وَآخِرُهُ شَهِيقٌ.

(٭) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٥): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت فيَّ أربع آيات ـ فذكر قصة ـ ... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله أوصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: فمكثت ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى ...﴾ وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص. وتقدم في تفسير آية العنكبوت (٨) ذكر الاختلاف في قصة سعد والآية التي نزلت فيها، وترجيح أنها آية لقمان، والله أعلم.

---

(١) هذه الأخبار عن لقمان عليه السلام وابنه مما لم تثبت بدليل صحيح، فالأولى أن لا تعتمد في تفسير كلام الله عز وجل وأن يقتصر على موضع العبرة والفائدة من القصة.

(٢) لحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو.

أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم؛ لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾ وهي: حسن الصورة وتسوية الأعضاء، وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي: المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ قال ـ تعالَى ـ: ﴿أَ﴾ يتبعونه ﴿وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: موجباته؟ لا.

[٢٢] ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يُقبل على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ مرجعها.

[٢٣] ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُۥٓ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها كغيره[1] فمجاز عليه.

[٢٤] ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو: عذاب النار لا يجدون عنه محيصًا.

[٢٥] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، و«واو» الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وجوبه عليهم.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا؛ فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود في صنعه.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ [وَٱلْبَحْرَ]﴾[2] عطف على اسم «أن» ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مدادًا ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بِكَتْبِهَا بتلك الأقلام، بذلك المداد، ولا بأكثر من ذلك؛ لأن معلوماته[3] ـ تعالَى ـ غير متناهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

[٢٨] ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ خلقًا وبعثًا؛ لأنه بكلمة «كن» فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مُبْصَر، لا يشغله شيء عن شيء.

---

(١) أي: كغير ما في الصدور، فلا تخفى عليه ـ سُبْحَانَهُ ـ خافية.

(٢) بالنصب، وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿والبحرُ﴾ بالضم.

(٣) تفسير كلمات اللَّه بمعلوماته عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف منها، وكلماته ـ سُبْحَانَهُ ـ هي كلامه وقوله الذي لا نفاد له؛ فهو ـ سُبْحَانَهُ ـ لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء، وما ذهب إليه المفسر راجع إلى مذهب الأشاعرة وغيرهم أن كلام اللَّه معنى واحد قائم بالنفس قديم لا يوصف بالتعدد، وهذا خلاف مذهب السلف وطريقتهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِىٓ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو: يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء[1]؛ يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على خلقه بالقهر[2] ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ العظيم.

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ عبرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي اللَّه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمته.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي: علا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ كالجبال التي تُظل من تحتها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باقٍ على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنه الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعَم اللَّه تعالى.

[٣٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة[3] ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى﴾ يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فيه شيئًا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حِلْمِهِ وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطانُ.

[٣٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿[وَيُنزِلُ]﴾ بالتخفيف والتشديد[4] ﴿ٱلْغَيْثَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذَكَرٌ أم أُنثى، ولا يعلم واحدًا من الثلاثة غير اللَّه - تعالى - ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، ويعلمه اللَّه - تعالى - ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه اللَّه - تعالى - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌۢ﴾ بباطنه كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾» إلى آخر السورة[5].

* * *

(١) بالتاء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا من قصر العام على بعض أفراده، واللَّه ﷻ له العلو المطلق ذاتًا وشأنًا وقهرًا.

(٣) الخطاب لأهل مكة ولغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفاتح» وأخرجه أيضًا في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

سورة السجدة

[مكية، ثلاثون آية](*)

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ خبر ثانٍ.

[٣] ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ محمد؟ لا ﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوۡمٗا مَّآ﴾ نافيه ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ بإنذارك.

[٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة[١] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواءً يليق به[٢] ﴿مَا لَكُم﴾ يا كفار مكة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيّٖ﴾ اسم ﴿مَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

[٥] ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير[٣] ﴿إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل»: ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[٤] وهو يوم القيامة؛ لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث[٥].

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

[٧] ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ بفتح اللام: فعلًا ماضيا صفة، وبسكونها[٦]: بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٖ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ علقة ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾ أي: جعله حيًا حساسًا بعد أن كان جمادًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لذريته ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ القلوب ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ ﴿مَّا﴾ زائدةٌ مؤكدة للقلة.

[١٠] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: منكرو البعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ غبنا فيها بأن صرنا ترابًا مختلطًا بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين[٧]، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[١١] ﴿۞ قُلۡ﴾ لهم: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾. البخاري ـ كتاب الجمعة (١١) باب (١٠) ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.

وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾. الترمذي ـ كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

---

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثمَّ شمس».

(٢) سبق التعليق مرارًا على هذا التفويض، وذكرنا الفارق بين تفويض الكيفية والذي هو حق، وبين تفويض المعنى وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو.

(٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله ـ تعالى ـ على خلقه.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) رواه أحمد (١١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا [الدر المنثور (٦/٤١٧)]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج٢).

(٦) بسكونها قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطئوها حياءً يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿لَوْ﴾: لرأيت أمرًا فظيعًا، قال ـ تعالى ـ: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الخزنة[1] إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته(*) ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ﴾ خُبِّئ ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(**) ما تقر به أعينهم، وفي قراءة[2]: بسكون الياء؛ مضارع ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: المؤمنون والفاسقون.

[١٩] ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ هو ما يعد للضيف ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(**) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم اقترأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(١) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخزنة، وكلام الله ـ سُبْحَانَهُ ـ المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتبكيت.

(٢) أي: ﴿أُخْفِىْ﴾، وهي لحمزة.

[٢١] ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا؛ بالقتل، والأسر، والجدب سنين، والأمراض ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان.

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾ هاديًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء[1]؛ قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم، وفي قراءة[2]: بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

[٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي: يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرًا ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ؟.

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا، فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم.

[٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟.

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

[٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بك حادثَ موتٍ أو قتلٍ فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

***

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

---

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

[مدنية، ثلاث وسبعون آية، نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دُمْ على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه.

[٢] ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وفي قراءة[1]: بالتحتانية.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، وأمته تبع له في ذلك كله.

[٤] ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾ ردًّا على من قال من الكفار: «إن له قلبين يعقل بكل منهما، أفضل من عقل محمد»[2] ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء وبلاء ياء[3] ﴿[تَظَّهَّرُونَ]﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها[4]، والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ يقول الواحد مثلًا لزوجته: «أنت عليَّ كظهر أمي» ﴿أُمَّهَٰتِكُمْۚ﴾ أي: كالأمهات في تحريمها بذلك، المعد في الجاهلية طلاقًا، وإنما تجب به الكفارة بشرطه؛ كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ جمع دعي؛ وهو: من يُدعى لغير أبيه ابنًا له ﴿أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ حقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾ أي: اليهود والمنافقين، قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبنَّاهُ النبيُّ ﷺ، قالوا: تزوج محمدٌ امرأةَ ابنه. فأكذبهم اللَّه ـ تعالَى ـ في ذلك[5] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[٥] لكن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾ بنو عمكم[6] ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ في ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ﴾ فيه؛ أي: بعد النهي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك(ه).

[٦] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ وأريد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ في الموضعين: اللوح المحفوظ.

(ه) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد اللَّه بن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: أن زيد بن حارثة مولى رسول اللَّه ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضًا عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ: «... كان من تبَنَّى رجلًا في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾، فردوا إلى آبائهم، فمن لم يعلم له أب كان مولى وأخًا في الدين... ». البخاري ـ كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكفاء في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦١/٦) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٨/٣، ٧٩).

(٣) قرأ أبو عمرو والبزي بياء ساكنة مع المد المشبع، وقرأ ورش بياء مكسورة، وقرأ قالون وقنبل بهمزة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمزة مكسورة وياء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد الظاء. وقرأ عاصم: ﴿تُظاهرون﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٢٩٤)، والبغوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) المولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعوهم بالأخوة الإيمانية والموالاة على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، ويا أخي ويا مولاي، ولا تظنوا أن عدم علمكم بآبائهم عذر في دعوتهم إلى من تبناهم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

[٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كَالذَّرِّ: جمع ذرة؛ وهي: أصغر النمل ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه؛ وهو: اليمين بالله ـ تعالى ـ، ثم أخذ الميثاق.

[٨] ﴿لِّيَسْأَلَ﴾ اللهُ ﴿الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتًا للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ ـ تعالى ـ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا، هو عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء: من حفر الخندق، وبالياء[1]: من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة؛ وهي: منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة بالنصر واليأس.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبيَّن المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

[١٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعفُ اعتقاد: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلًا.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: المنافقون: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي: أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها[2]؛ أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع ـ جبل خارج المدينة ـ للقتال ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يُخشى عليها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾ بالمد والقصر[3]؛ أي: أعطوها وفعلوها[4] ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

---

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) بالفتح قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) بالقصر قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالترتيب على القراءتين.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم
بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا﴾ إن فررتم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية آجالكم.

[١٧] ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم﴾ يجيركم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ هلاكًا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيرًا؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالوا ﴿إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً وسمعةً.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير ﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى﴾ كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وَحِيزَتِ الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الغنيمة يطلبونها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ حقيقةً ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباطُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ إلى مكة؛ لخوفهم منهم ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كَرَّةً أخرى ﴿يَوَدُّوا۟﴾ يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ هذه الكَرَّة ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً وخوفًا من التعيير.

[٢١] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ [إِسْوَةٌ]﴾ بكسر الهمزة وضمها[1] ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداءٌ به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِّمَن﴾ بدل من ﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بخلاف من ليس كذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ تصديقًا بوعد الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

(١) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين(*).

[٢٤] ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ به.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزًا﴾ غالبًا على أمره.

[٢٦] ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم، جمع صيصة؛ وهو: ما يتحصن به ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم؛ وهم: المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم؛ أي: الذراري.

[٢٧] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ﴾ بعْدُ؛ وهي: خيبر أُخِذَتْ بعد قريظة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ وهن تسع، وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أطلقكن من غير ضرار.

[٢٩] ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة؛ فاخترن الآخرة على الدنيا(**).

[٣٠] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ [مُبَيَّنَةٍ]﴾ بفتح الياء وكسرها(١)؛ أي: بُيِّنَتْ، أو هي بيِّنة ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وفي قراءة(٢): ﴿يُضَعَّفْ﴾ بالتشديد، وفي أخرى(٣): ﴿نُضَعِّفْ﴾ بالنون معه ونَصْبِ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ ﴿لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن اللَّه أشهدني قتال المشركين ليرين اللَّه ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني اعتذرت إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني لأجد ريحها من دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول اللَّه ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. البخاري - كتاب الجهاد والسير (٥٦) باب (١٢).

(**) ما جاء في نزول الآيتين (٢٨، ٢٩): أخرج مسلم عن جابر بن عبد اللَّه قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول اللَّه ﷺ فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا. قال: فقال: لأقولن شيئًا أضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول اللَّه ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول اللَّه ﷺ ما ليس عنده، فقلن: واللَّه لا نسأل رسول اللَّه ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك». قالت: وما هو يا رسول الله؟

فتلا عليها الآية قالت: أفيك يا رسول اللَّه أستشير أبويَّ؟! بل أختار اللَّه ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها؛ إن اللَّه لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا وميسرًا». مسلم - كتاب الطلاق (١٨) باب (٤) بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بنية.

---

(١) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة.

(٢) لأبي عمرو.

(٣) لابن كثير وابن عامر.

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة[1]: بالتحتانية في ﴿[تَعْمَلْ]﴾ و﴿نُّؤْتِهَآ﴾ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة.

[٣٢] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ كجماعة ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فإنكن أعظم ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ للرجال ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ من غير خضوع.

[٣٣] ﴿[وَقِرْنَ]﴾ بكسر القاف وفتحها[2] ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار، وأصله: «أقررن» بكسر الراء وفتحها؛ من قررت، بفتح الراء وكسرها، نُقلت حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[3] ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الإثم يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ منه ﴿تَطْهِيرًا﴾(*).

[٣٤] ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآنِ ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ السُّنَّةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه.

[٣٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ المطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ للمعاصي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على الطاعات(**).

(*) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج أحمد عن أم سلمة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ ببرمة في خزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: «ادعي زوجك وابنيك». قالت: فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دُكَّان تحته كساء له خيبري، قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فأولى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي؛ فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله. قال: «إنك إلى خير، إنك إلى خير». أحمد ـ المسند (٢٩٢/٦)، وصححه الأرناؤوط بمجموع طرقه في تخريجه على المسند (١١٧/٤٤، ١١٨)، وأخرجه الترمذي عن عمر بن أبي سلمة بنحوه مختصرًا. (صحيح)، صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٢).

والخزيرة: لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم فهي عصيدة. وقيل غير ذلك. والبرمة: القدر مطلقًا، وجمعها: بِرام، والمنامة هنا: القطيفة. والدُكَّان: الدَّكَّة المبنية للجلوس عليها. النهاية (١٢١/١، ١٣١/٥، ١٢٨/٢).

(**) ما جاء في نزول الآية (٣٥): أخرج الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقال: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء. فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾الآية. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٥).

وأخرج أيضًا عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]. قال مجاهد: فأنزل فيها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾. سبق تخريجه في سورة النساء آية (٣٢).

---

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) النور: ٣١.

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن [تَكُونَ]﴾ بالتاء والياء[١] ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خلاف أمر اللّه ورسوله، نزلت في عبد اللّه ابن جحش وأخته زينب خطبها النبي لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما؛ لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا[٢] للآية: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ بيّنًا؛ فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين؛ فوقع في نفسه حبها[٣]، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها. فقال: «أمسك عليك زوجك»؛ كما قال ـ تعالى ـ: [٣٧] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق؛ وهو: زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسولُ اللّه ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبنّاه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره؛ من محبتها[٤]، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه. ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في كل شيء، وتزوّجْها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزًا ولحمًا ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ مقضيه ﴿مَفْعُولًا﴾(*).

[٣٨] ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: كسنة الله، فنصب بنزع الخافض ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فعله[٥] ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ مقضيًّا. [٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ«الذين» قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل اللّه لهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبتهم.

[٤٠] ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد؛ أي: والده؛ فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ [وَخَاتَمَ][٦] ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبيًّا، وفي قراءة: بفتح التاء؛ كآلة الختم؛ أي: به ختموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ منه؛ بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته[٧].

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

[٤١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

[٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره.

[٤٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يرحمكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليديم إخراجه إياكم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (٣٧): أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأخرج الترمذي عن أنس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ في شأن زينب بنت جحش؛ جاء زيد يشكو، فهمَّ بطلاقها، فاستأمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٧).

---

(١) بالتاء: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٢) جمهور المفسرين وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أنها نزلت في زينب بنت جحش عندما كرهت نكاح زيد لكونه مولى. وذكر بعض المفسرين ـ كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير وغيره ـ أن عبد اللّه بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيا وسلما. ورواية المصنف هي المنقولة عن قتادة دون ذكر عبد اللّه بن جحش، أخرجها الطبري في جامعه (٩/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣٦/٢٤، ٣٧ رقم ١٢٣، ١٢٤) من طرق عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧): رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح. وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (١١٥/٣).

(٣) هكذا أورد غير واحد من المفسرين هذا الكلام في تفسير الآية الكريمة، ولا أساس له من الصحة كما بين ذلك المحققون من أهل العلم كابن كثير وابن حجر وغيرهما، وإنما هو من الباطل الذي يريد أعداء الإسلام به أن يسيئوا إلى النبي ﷺ، والصواب في ذلك أن اللّه ـ تعالى ـ أعلم نبيه ﷺ ذلك مخافة أن يقول الناس: كيف يتزوج محمد زوجة ابنه؟ وكان يقول لزيد: «أمسك عليك زوجك».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) قال ابن كثير في تفسير الآية: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره اللّه ـ تعالى ـ وحتمه، وهو كائن لا محالة.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم بفتح التاء.

(٧) أي بشريعة محمد ﷺ.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه - تعالى - ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ بلسان الملائكة[١] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

[٤٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على من أُرسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذَّبك بالنار

[٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ هو الجنة.

[٤٨] ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾ اترك ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ مفوضًا إليه.

[٤٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة[٢]: ﴿تُمَاسُوهُنَّ﴾ أي: تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالإقراء وغيرها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَصْدِقَةٌ، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي؛ كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماء بشراء وغيره؛ بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرئ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

(١) إذا قلنا: إن التحية منه - سُبْحَانَهُ - بمعنى أنه يسلم عليهم كما قال - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾، فنسبة هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الذين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له. والتفسير الأول أظهر وهو اختيار ابن كثير.

(٢) لحمزة والكسائي، وهي بضم التاء وبإشباع المد بعد السين.

۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

[٥١] ﴿۞ [تُرْجِئُ]﴾ بالهمزة والياء بدله[1]؛ تؤخِّر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: أزواجك عن نوبتها(*)[2] ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ منهن فتأتيها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضمها إليك، خُيِّرَ في ذلك بعد أن كان القَسْم واجبًا عليه[3] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ ما ذُكِر المخير فيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد للفاعل في ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيرًا عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا﴾ عن عقابهم.

[٥٢] ﴿لَّا [تَحِلُّ]﴾ بالتاء والياء[4] ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد التسع اللاتي اخترنك ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وَتَنْكِحَ بَدَلَ مَنْ طَلَّقْتَ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء؛ فتحل لك، وقد ملك ﷺ بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ حفيظًا.

[٥٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدخول بالدعاء ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾ نضجه، مصدر أَنَى يأْني ﴿وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن يخرجكم، أي: لا يترك بيانه[5] وقرئ[6]: ﴿يَسْتَحِي﴾ بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾(**).

[٥٤] ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ من نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم عليه.

(*) ما جاء في نزول الآية (٥١): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟! فلما نزلت: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. البخاري كتاب النكاح (٦٧) باب (٢٩) هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

(**) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تزوج رسول اللَّه ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية. البخاري ـ التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٥٩).

وأخرج أيضًا عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع ـ وهو صعيد أفيح ـ فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول اللَّه ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ـ زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاءً، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة؛ حرصًا على أن ينزل الحجاب، فأنزل اللَّه آية الحجاب. البخاري ـ كتاب الوضوء (٤) باب (١٣) خروج النساء إلى البراز.

وأخرج أيضًا عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزل اللَّه الحجاب. البخاري ـ التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٨).

---

(١) بالهمزة المضمومة قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج البخاري عن معاذ عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أن رسول اللَّه ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إليّ فإني لا أريد يا رسول اللَّه أن أوثر عليك أحدًا. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٧). وهذا الحديث يؤيد تخصيص المصنف تخييره ﷺ بين الإرجاء والإيواء بزوجاته ﷺ؛ أي في القَسْم بينهن كيف يشاء. وهذا أحد القولين في تفسير الآية. والقول الثاني: أن الآية عامة في الواهبات أنفسهن له ﷺ؛ في قبول من شاء منهن ورد من شاء، وكذا في زوجاته اللاتي عنده؛ في القسم بينهن. واختار هذا القول ابن جرير واستحسنه ابن كثير، وفيه جمع بين الأحاديث.

(٣) ولكنه ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل كما في حديث عائشة عند أبي داود (٢١٣٥) قالت: كان رسول اللَّه ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسْم... الحديث، وحسنه الألباني في الإرواء (٧/٨٥).

(٤) بالتاء قراءة أبي عمرو.

(٥) والصواب إثبات صفة الحياء للَّه عَزَّ وَجَلَّ على الوجه الذي يليق به، ومن لوازم الإثبات الترك، وتفسير الصفة بلازمها ليس مذهب السلف.

(٦) أي: شذوذًا.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

[٥٥] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يَرَوْهُنَّ ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيءٌ.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(*) أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

[٥٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم: الكفار، يصفون اللهَ بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: النار.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيّنًا.

[٥٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾(**) جمع جلباب؛ وهي: الملاءة التي تشتمل بها المرأةُ؛ أي: يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينًا واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتعرض لهن بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا﴾ بهن إذ سترهن.

[٦٠] ﴿۞ لَّئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالزنا(١) ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم(٢): قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنونك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون.

[٦١] ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَنَّ اللهُ ذلك ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

(*) فائدة: أخرج أحمد عن كعب بن عُجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». المسند (٢٤٤/٤)، وصححه الأرناؤوط (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية؛ البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(**) فائدة: أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من الأكسية. أبو داود - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: بحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرجفون المؤمنين بقولهم.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

[٦٣] ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها؛ أي: أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نارًا شديدة يدخلونها.

[٦٥] ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدرًا خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

[٦٧] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة[1]: ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ طريق الهدى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾ عذبهم ﴿لَعْنًا [كَثِيرًا][2]﴾ عدده، وفي قراءة: بالموحدة؛ أي: عظيمًا.

[٦٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ بقولهم ـ مثلًا ـ: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل؛ ففَرَّ الحجرُ به حتى وقف بين ملإٍ من بني إسرائيل؛ فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه ولا أُدْرة به[3]؛ وهي: نفخة في الخُصية ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا جاه، ومما أوذي به نَبِيُّنا ﷺ أنه قَسَم قَسْمًا، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ـ تعالى ـ. فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا؛ فَصَبَرَ»[4] [رواه البخاري].

[٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يتقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهمًا ونطقًا ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ به.

[٧٣] ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ «اللام» متعلقة بـ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل آدم[5] ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم.

* * *

(١) لابن عامر.
(٢) للسبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم: ﴿كبيرًا﴾ بالموحدة.
(٣) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).
(٤) البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود.
(٥) قال ابن كثير: أي إنما حُمّلَ ابنُ آدم الأمانة وهي التكاليف؛ ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات... إلخ.

سُورَةُ سَبَإٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سُورَةُ سَبَإٍ

[مكية إلا: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ الآية، فمدنية، وهي: أربع، أو: خمس وخمسون آية، نزلت بعد لقمان]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد ـ تعالى ـ نفسه بذلك؛ والمراد به: الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد؛ وهو: الوصف بالجميل لله ـ تعالى ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ في خلقه.

[٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماء وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لهم.

[٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بالجر: صفة، والرفع[1]: خبر مبتدأ، و﴿علَّام﴾[2] بالجر ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن؛ هو: اللوح المحفوظ.

[٤] ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة.

[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿[مُعجِّزين]﴾[3] وفي قراءة هنا، وفيما يأتي: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: مقدرين عجزنا، أو مسابقين لنا فيفوتونا؛ لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيئ العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم بالجر والرفع[4]، صفة لـ﴿رِّجْزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٌ﴾.

[٦] ﴿وَيَرَى﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل[5] ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: الله أي: ذي العزة المحمود.

[٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى: تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وكذلك في الآية الآتية رقم (٣٨)، وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعاجزين﴾.

(٤) بالجر قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير، وهي بالجر: صفة لـ ﴿رجز﴾، وبالرفع: صفة لـ ﴿عذاب﴾.

(٥) أي ضمير فصل، وهو لا محل له من الإعراب.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

[٨] ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها[١]؛ قطعًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء[٢] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المرئي ﴿لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتابًا، وقلنا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ رجعي ﴿مَعَهُۥ﴾ بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفًا على محل الجبال؛ أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ منه ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعًا كوامل، يجرُّها لابسها على الأرض ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: نسج الدروع، قيل لصانعها: سرّاد؛ أي: اجعله بحيث تتناسب حِلَقُهُ ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ أي: آل داود معه ﴿صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم به.

[١٢] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وقراءة الرفع[٣] بتقدير: تسخير ﴿غُدُوُّهَا﴾ مسيرها من الغدوة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أُعطي سليمان ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه مَلَك بسوط منها ضربة تحرقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثلته بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حرامًا في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جَفْنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ي، جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث قائمًا على عصاه حولًا ميتًا، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عادتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأَرَضَةُ عَصَاهُ فَخَرَّ ميتًا ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر أُرِضَت الخشبة بالبناء للمفعول؛ أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ بالهمز وتركه بألف[٤]: عصاه؛ لأنها تُنْسَأ؛ يُطرد[٥] ويُزجر بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتًا ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ انكشفت لهم ﴿أَن﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياتَهُ، خلاف ظنهم علمَ الغيبِ، وعُلِمَ كونُه سَنَةً بحساب ما أكلته الأَرَضَة من العصا بعد موته، يومًا وليلة مثلًا.

---

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) أي: ﴿يشأ﴾، و﴿يخسف﴾، و﴿يسقط﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعيتان، قرأ نافع وأبو عمرو بألف من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: «لأنها تنسأ: تطرد»، وفي نسخة أخرى: «لأنها يُنْسأ ويُطرد».

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه[1]؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي [مَسَاكِنِهِمْ]﴾[2] باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباخ[3]، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها[4] ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع عَرِمَة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل واديهم الممسوك بما ذكر؛ فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أُكُلِ خَمْطٍ﴾[5] مُرٍّ بَشِعٍ، بإضافة ﴿أُكُلٍ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ [يُجَازَى] إِلَّا [الْكَفُورُ]﴾ بالياء[6]، والنون مع كسر الزاي ونصب ﴿الْكَفُورَ﴾ أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر؛ وهي: قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: وقلنا: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا [بَعِّدْ]﴾[7] وفي قراءة: ﴿بَاعِدْ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ [صَدَقَ]﴾ بالتخفيف والتشديد[8] ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فـ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلًّا منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُ﴾ - تعالى - ﴿مِنْهُم﴾ من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ معين.

---

(١) قرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمزة من غير تنوين، وقرأ قنبل بإسكان الهمزة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمزة: ﴿مسكَنهم﴾ بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مسكِنهم﴾ بالإفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباع».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكتفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام. وقرأ بقية السبعة: ﴿باعِد﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ - تعالى - ردًّا لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة وضمها[1] ﴿لَهُۥ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[2] ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا۟﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا۟﴾: القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي: قد أذن فيها[3] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فوق خلقه بالقهر[4] ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾(٭) العظيم.

[٢٤] ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن، في الإبهام تلطف بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وُفِّقوا لَهُ.

[٢٥] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأنّا بريئُونَ منكم.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾ أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لهم عن اعتقاد شريكٍ له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه؛ فلا يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ حال من «الناس»، قُدِّمَ للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشرًا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟.

[٣٠] ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه؛ وهو: يوم القيامة.

[٣١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تَقَدَّمَهُ؛ كالتوراة والإنجيل، الدالين على البعث لإنكارهم له. قال - تعالى - فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ الرؤساء: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

(٭) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمرًا في السماء ضَرَبت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير...» الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...﴾.

---

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) أي في الشفاعة.

(٤) وهذا من قصر العام على بعض أفراده، وهو - سُبْحَانَهُ - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

[٣٢] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾؟ لا ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ في أنفسكم.

[٣٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ أي: الفريقان ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعيير ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في النار ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ رؤساؤها المتنعمون: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٧] ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ قُرْبى؛ أي: تقريبًا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاء العمل: الحسنة ـ مثلًا ـ بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة: ﴿ٱلْغُرْفَةِ﴾[1] بمعنى الجمع.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآنِ بالإبطال ﴿[مُعَجِّزِينَ]﴾[2] لنا مقدِّرين عَجْزَنَا، وأنهم يفوتوننا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لَهُۥ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءً ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق[3] الله.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعاجزين﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «برزق الله».

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

[٤٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ [نَحْشُرُهُمْ][1] جَمِيعًا﴾ أي: المشركين ﴿ثُمَّ [نَقُولُ][2] لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها[3] ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؟.

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين؛ أي: يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ مصدقون فيما يقولون لهم.

[٤٢] قال ـ تعالى ـ: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَّفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذيبًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات بلسان نبيّنا محمد ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا مَا هَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذبٌ ﴿مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ القرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّنٌ.

[٤٤] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فمن أين كذبوك؟!.

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا﴾ أي: هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم العقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٦] ﴿۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ هي ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أي: لأجله ﴿مَثْنَىٰ﴾ أي: اثنين اثنين ﴿وَفُرَادَىٰ﴾ واحدًا واحدًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمد ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أسألكم عليه أجرًا ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِعٌ يَعْلَمُ صِدْقِي.

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.
(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.
(٣) قوله: «وإبدال الأولى ياء»، هذا سبق قلم من المفسر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ؛ إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقراءة أبي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقراءة ورش، وعكسه قالون والبزي، ولورش أيضًا إبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى.

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

[٤٩] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلامُ ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكفرُ ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثرٌ.

[٥٠] ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من القرآنِ والحكمةِ ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عند البعث؛ لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم مِنّا؛ أي: لا يفوتوننا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

[٥٢] ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بواو وبالهمزة بدلها(١)؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحرٌ، شاعرٌ، كاهنٌ، وفي القرآن: سحرٌ، شعرٌ، كهانةٌ.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أشْباهِهِمْ في الكفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ مُوقِعٍ في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

سُورَةُ فَاطِرٍ

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان][*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمِد ـ تعالى ـ نفسه بذلك كما بُيِّنَ في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة(٢) ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسْكَانِكُمُ الحَرَمَ وَمَنْعِ الغَارَاتِ عَنْكُمْ ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، و﴿خَٰلِقٍ﴾ مبتدأ ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع والجر(٣): نعت لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ لفظًا ومحلًّا، وخبر المبتدأ: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات؟ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

(*) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(١) بالهمزة بدل الواو؛ ﴿التنآوش﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٢) سبق التعليق على نحو هذا مرارًا بأن الأولى التعميم وعدم التخصيص.

(٣) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

[٤] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة؛ فيجازي المكذبين وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حِلْمِهِ وإمهاله ﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطانُ.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ أَتْبَاعَهُ في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هَذَا بيَانُ مَا لِمُوَافِقِي الشيطانِ وَمَا لِمُخَالِفِيهِ.

[٨] وَنَزَلَ في أبي جهل وغيره: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ بالتمويه ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾ «من» مبتدأ، خبره: كمن هداه الله؟ لا، دل عليه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على الْمُزَيَّنِ لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ بِاغْتِمَامِكَ أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه[1].

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ وفي قراءة[2]: ﴿الرِّيحَ﴾ ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: تزعجه ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف[3]؛ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها؛ أي: أنبتنا به الزرع وَالْكَلَأَ ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

[١٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ فلا تُنَالُ منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يَعْلَمُهُ[4]؛ وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يَقْبَلُهُ ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنبي في دار الندوة؛ من تقييده، أو قتله، أو إخراجه، - كما ذكر في الأنفال[5] - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يهلك.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: مَنِيٍّ بِخَلْقِ ذُرِّيَّتِهِ مِنْهَا ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حالٌ؛ أي: معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أي: ذلك المعمَّر، أَوْ معمَّر آخَرَ[6] ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هَيِّنٌ.

---

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر السيوطي في لباب النقول ص (١٨١) عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به، وجويبر متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًّا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٨/٣).

(٢) لحمزة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر الله لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله ﷻ جريًا على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائد على الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعمَّر بل على غيره؛ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه»، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية على هذا القول: أي ما يعطى بعض النطف - عند نفخ الروح وكتب الأجل - من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديدُ العذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ شُرْبُهُ ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديدُ الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من المِلْح، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ السفنَ ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تَشُقُّهُ بجَرْيِهَا فيه مقبلةً ومدبرةً بريح واحدة ﴿لِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ - تعالَى - بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللَّه على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل اللَّهُ ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد[1] ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد[2] ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ لِفافة النواة.

[١٤] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ فرضًا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله؛ أي: يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدَّارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ عالِم؛ هو: اللَّه تعَالَى.

[١٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود في صنعه بهم.

[١٦] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.

[١٧] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمةٌ؛ أي: لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ﴾ نفسٌ ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحدًا ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المَدْعُو ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ قَرابَةٍ؛ كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين[3] حكم من اللَّه ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وَمَا رَأَوْهُ؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تَطَهَّرَ من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فصَلَاحُهُ مختص به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع؛ فيجزي بالعمل في الآخرة.

---

(١) أي: الليل ويطول.

(٢) أي: النهار ويطول.

(٣) أي في الحمل القهري في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الكافرُ والمؤمنُ.

[٢٠] ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفرُ ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ الإيمانُ.

[٢١] ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ الجنةُ والنارُ.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنون ولا الكفارُ، وزيادة «لَا» في الثلاثة تأكيدٌ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هِدايَتَهُ؛ فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتى - فيجيبون.

[٢٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذرٌ لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سَلَفَ ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبيٌّ يُنْذِرُها.

[٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ جمع جُدّة؛ طريق في الجبل وغيره[1] ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصُفْرٌ ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ عطف على ﴿جُدَدٌ﴾ أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرًا: أسود غربيب، وقليلًا: غربيب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرءون ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ تهلك.

[٣٠] ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

---

(١) قال القاضي كنعان في قرة العينين ص (٥٧٥): «يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخُطّة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال خُطط وطرائق مختلفة الألوان...».

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ تقدَّمَهُ من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ عالم بالبواطن والظواهر(١).

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا﴾ أعطينا ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يَضُمُّ إلى العلم التعليمَ والإرشادَ إلى العمل ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بإرادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾(٥).

[٣٣] ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: إقامة ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول(٢)؛ خبرُ ﴿جَنَّٰتُ﴾ المبتدأ ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ خبرٌ ثانٍ ﴿فِيهَا مِنۡ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ مُرَصَّع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ جميعَهُ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعة.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ تعَبٌ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ إعْيَاءٌ من التعب؛ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿[يُجۡزَىٰ](٣) كُلَّ كَفُورٖ﴾ كافر، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي وَنَصْبِ ﴿كُلَّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ منها ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ فيقال لهم: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا﴾ وَقْتًا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ الرسولُ فيما أجبتم ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرينَ ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع العذابَ عنهم.

[٣٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب؛ فَعِلْمُهُ بغيره أَوْلَى بالنظر إلى حال الناس(٤).

---

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة فاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

---

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرُۢ﴾ فنعم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٞ﴾ بذلك أيضًا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

[٣٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضًا ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: وَبَال كُفْرِهِ ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غَضَبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للآخرة.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاءُ اللهِ - تعالَى - ﴿أَرُونِى﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شِرْكَةٌ مع الله ﴿فِى﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ حجةٍ ﴿مِّنْهُ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِن﴾ ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلًا، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي: سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في تأخير عقاب الكفار.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسولٌ ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ اليهودِ والنصارى وغيرهم؛ أي: أيَّ واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضًا؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[1] وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[2] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمدٌ ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعدًا عن الهدى.

[٤٣] ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وهو الماكر، ووصْفُ المكر بالسيئ أصل[3]، وإضافته إليه قبلُ[4]: استعمالٌ آخر، قُدِّرَ فيه مضاف[5]؛ حذرًا من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسلَهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

---

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: «مكر العمل السيئ».

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ نَسَمَةٍ تَدُبُّ عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سُورَةُ يسٓ

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ الآية، أو: مدنية[١]، ثنتان وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يسٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكم بعجيب النَّظْم وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رَدٌّ لقول الكفار له: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾.

[٥] ﴿تَنزِيلُ[٢] ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بخلقه، خبر مبتدأ مقدر؛ أي: القرآن.

[٦] ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ﴿تَنزِيل﴾ ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: لم ينذروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿غَٰفِلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ بأن تُضَمَّ إليها الأيدي؛ لأن الغُلَّ يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهِىَ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذَقَن؛ وهي: مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ والمراد: أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين[٣] ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضًا لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه[٤] ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ نَصْبُهُ بِفِعْلٍ يفسره: ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ ضَبَطْنَاهُ ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب بيِّن؛ هو: اللوح المحفوظ[٥].

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب» فلم ينتقلوا. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

---

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية بإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿تنزيلَ﴾؛ إما مفعولًا مطلقًا، أو لفعل محذوف مقدر.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وفَصَل بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالون وهشام، والأكثرون عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفًا خالصة.

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[١٣] ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصۡحَٰبَ﴾ مفعول ثان ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذۡ جَآءَهَا﴾ إلى آخره؛ بدلُ اشتمال من ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أي: رسل عيسى[١].

[١٤] ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره؛ بدلٌ من ﴿إِذۡ﴾ الأولى ﴿[فَعَزَزۡنَا]﴾ بالتخفيف والتشديد[٢]؛ قوّينا الاثنين ﴿بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾.

[١٥] ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ﴾ ما ﴿أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾.

[١٦] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ جار مجرى القسم، وَزِيدَ التأكيدُ به وباللام، على ما قبْلَهُ، لِزيَادَةِ الإنكارِ في ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ التبليغ البيّن الظاهر بالأدلة الواضحة؛ وهي: إبراءُ الأكْمَهِ وَالأبْرَصِ والمريض وإحياء الميت[٣].

[١٨] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمۡۖ﴾ لانقطاع المطر عنّا بِسَبَبِكُمْ[٤] ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلِمٌ.

[١٩] ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمۡۚ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾ همزة استفهام دخلت على «إن» الشرطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينها - بوجهيها - وبين الأخرى[٥] ﴿ذُكِّرۡتُمۚ﴾ وُعِظْتُمْ وَخُوِّفْتُمْ، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ متجاوزون الحدَّ بِشِرْكِكُمْ.

[٢٠] ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ﴾ هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسل، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسۡعَىٰ﴾ يشتد عَدْوًا لما سمع بتكذيب القومِ الرسلَ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ تأكيدٌ للأول ﴿مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ فقيل له: أنت على دينهم. فقال: [٢٢] ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني؛ أي: لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم[٦].

[٢٣] ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾[٧] وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصنامًا ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ التي زعمتموها ﴿شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ صفة ﴿ءَالِهَةً﴾.

[٢٤] ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ أي: إنْ عَبَدْتُ غَيْرَ اللهِ ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ بيِّن.

[٢٥] ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ أي: اسمعوا قولي؛ فرجموه فمات.

[٢٦] ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ وقيل: دخلها حيًّا ﴿قَالَ يَٰ﴾ حرف تنبيه ﴿لَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾.

---

(١) اختار ابن كثير أنهم رسل من الله تعالى، وهو ما يؤيده سياق الآيات، وليس ما اختاره المصنف وبعض المفسرين أنهم رسل عيسى.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٣)، (٤) تفسير الأدلة بهذه الآيات، والتشاؤم بسبب انقطاع المطر مما لا دليل صحيح على ثبوته، وكذلك ما سيأتي من تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة بحبيب النجار، وما سبق من تسمية القرية بأنطاكية؛ فالأولى في تفسير القرآن إجمال ما أجمله وتفصيل ما فصله والاقتصار على موضع الفائدة والعبرة، كما عليه أهل التحقيق من المفسرين فلا يعتمدون في إيضاح مبهمات القرآن إلا ما قام عليه دليل قاطع.

(٥) راجع التعليق على الآية رقم (١١٣) من سورة الأعراف.

(٦) في نسخة القاضي كنعان المطبوعة: «كغيركم».

(٧) أي: من القراءات، وتقدم بيانها.

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

[٢٨] ﴿۞ وَمَآ﴾ نافية ﴿أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ أي: حبيب[1] ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد موته ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

[٢٩] ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتۡ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ ساكنون ميتون.

[٣٠] ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسلَ فأهلكوا، وهي شدة التألم، ونداؤها مجاز؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ مسوق لبيان سببها[2]؛ لاشتماله على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبَّب عنه الحسرة.

[٣١] ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي: ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾، والاستفهام للتقرير؛ أي: علموا ﴿كَمۡ﴾ خبرية بمعنى: كثيرًا معمولة لما بعدها، معلَّقة ما قبلها عن العمل[3]؛ والمعنى: إنا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ كثيرًا ﴿مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ أي: المهلكين ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: المكذبين ﴿لَا يَرۡجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و﴿أَنَّهُمۡ﴾ إلخ، بدلٌ مِمَّا قَبْلَهُ، بِرِعَايَةِ المعنى المذكور.

[٣٢] ﴿وَإِن﴾ نافية أو مخففة ﴿كُلّٞ﴾ أي: كل الخلائق، مبتدأ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد؛ بمعنى: إلَّا، أو بالتخفيف[4]، فـ«اللام» فارقة و«ما» مزيدة ﴿جَمِيعٞ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: مجموعون ﴿لَّدَيۡنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحۡضَرُونَ﴾ للحساب، خبرٌ ثانٍ.

[٣٣] ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ على البعث، خبرٌ مُقدَّمٌ ﴿ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ بالتخفيف والتشديد[5] ﴿أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا﴾ كالحنطة ﴿فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾ أي: بعضها.

[٣٥] ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ بفتحتين وضمتين[6]؛ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ أي: لم تعمل الثمر[7] ﴿أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ أَنْعُمَهُ ـ تعالى ـ عليهم؟.

[٣٦] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

[٣٧] ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ على القدرة العظيمة: ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ﴾ نفصل ﴿مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

[٣٨] ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: جريها ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾(*) بخلقه.

[٣٩] ﴿وَٱلۡقَمَرَ﴾ بالرفع والنصب[8]، وهو منصوبٌ بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلًا، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلة إن كان تسعةً وعشرين يومًا ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ أي: كعود الشماريخ إذا عَتُقَ فإنه يَرِقُّ وَيَتَقَوَّسُ وَيَصْفَرُّ.

[٤٠] ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾ يسهل ويصح ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلّٞ﴾ ـ تنوينه عوضٌ عن المضاف إليه ـ من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٖ﴾ مستدير ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ يسيرون، نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة يس (٣٦) باب (١) ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾.

---

(١) راجع ما تقدم في التعليق من أنه لا دليل على صحة تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى حبيبًا.

(٢) أي: سبب الحسرة.

(٣) لأن «كم» الخبرية يكون لها الصدارة؛ فلا يعمل ما قبلها ـ وهو «يروا» ـ فيها.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٥) بالتشديد قراءة نافع.

(٦) بضمتين قراءة حمزة والكسائي.

(٧) هذا باعتبار أن (ما) نافية، وهو أحد الأقوال، والقول الثاني ـ وهو الأظهر ـ أنها موصولة، في موضع خفض على العطف، وهو اختيار ابن جرير، ولم يذكر غيره. والمعنى: ومما عملته أيديهم، وهو ما يتخذ من الثمر كالعصير والدبس ونحوهما، أو المراد الذي عملته بالغرس، والسقي، والآبار.

(٨) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[٤١] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[١] أي: آباءهم الأصول[٢] ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ أي: سفينة نوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء.

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على شَكْلِهِ من السفن الصغار والكبار بِتَعْلِيمِ اللهِ - تَعَالَى - ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مُغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: قال فقراء الصحابة[٣] ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ استهزاء بهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن، وللتصريح بكفرهم[٤] موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي: نفخة إسرافيل الأُولَى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ [يَخِصِّمُونَ]﴾ بالتشديد، أصله: يختصمون؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها بِتَخَاصُمٍ وَتَبَايُعٍ وَأَكْلٍ وَشُرْبٍ وَغَيْرِ ذلك، وفي قراءة: ﴿يَخْصِمُونَ﴾[٥] كـ«يضربون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضًا.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة[٦] ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الكفار منهم: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدرٌ لا فِعْلَ له من لَفْظِهِ ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾ أي: البعث ﴿مَآ﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أقرّوا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

[٥٤] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين... إلخ.

(٤) أي في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: التشنيع عليهم.

(٥) لحمزة، والقراءة المفسرة أولًا، لورش وهشام وابن كثير، وقرأ قالون بإخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى [شُغْلٍ]﴾ بسكون الغين وضمها[١]، عمَّا فيه أهل النار مما يتلذذون به، كافتضاض الأبكار، لا شغل يتعبون فيه؛ لأن الجنةَ لا نَصَبَ فيها ﴿فَٰكِهُونَ﴾ ناعمون، خبرٌ ثانٍ لـ﴿إِنَّ﴾ والأول ﴿فِى شُغُلٍ﴾.

[٥٦] ﴿هُمْ﴾ مبتدأٌ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظُلَّة أو ظِلّ؛ خبرٌ؛ أي: لا تصيبهم الشمسُ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة؛ وهو: السرير في الحجلة[٢]، أو الفُرُش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ خبرٌ ثانٍ متعلق ﴿عَلَى﴾.

[٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ يتمنون.

[٥٨] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأٌ ﴿قَوْلًا﴾ أي: بالقول، خَبَرُهُ: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ بهم؛ أي: يقول لهم: سلام عليكم.

[٥٩] ﴿وَ﴾ يقول: ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

[٦٠] ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ آمركم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ العداوة.

[٦١] ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقًا، جمع جبيل؛ كقديم، وفي قراءة: بضم الباء[٣] ﴿كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما حَلَّ بهم من العذاب فتؤمنون؟.

[٦٣] ويقال لهم في الآخرة: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

[٦٤] ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٦٥] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: الكفار لقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٤] ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناها طمسًا ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾ ابتدروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق، ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حينئذٍ؟ أي: لا يبصرون.

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾[٥] جمع مكانة؛ بمعنى: مكان؛ أي: في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء.

[٦٨] ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿[نَنْكُسْهُ]﴾ وفي قراءة: بالتشديد[٦]؛ من التنكيس ﴿فِى ٱلْخَلْقِ﴾ فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفًا وهرمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن القادرَ على ذلك المعلوم عندهم قادرٌ على البعث فيؤمنون؟ وفي قراءة: بالتاء[٧].

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: النبي ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ رد لقولهم: إن ما أتى به من القرآن شعرٌ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ يسهل ﴿لَهُۥٓ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ مظهر للأحكام وغيرها.

[٧٠] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء والتاء[٨]؛ به ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به؛ وهم: المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به.

---

١) بالسكون لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

٢) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس.

٣) أي: مع ضم الجيم وهي لحمزة والكسائي وابن كثير.

٤) الأنعام: ٢٣.

٥) لشعبة.

٦) وهي قراءة عاصم وحمزة، وقرأ الباقون ﴿نَنْكُسْه﴾ بالتخفيف.

٧) لنافع وابن ذكوان.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون[١].

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المُنْعِمَ عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله - تعالى - بشفاعة آلهتهم، بزعمهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: آلهتهم، نَزَلُوا مَنْزِلَةَ العُقَلَاءِ ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: آلهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بزعمهم نَصْرَهم ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ في النار معهم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[٢] وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازيهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يعلم؛ وهو: العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ، إلى أن صَيَّرْنَاهُ شديدًا قويًّا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديدُ الخصومة لنا ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّنها، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المنيّ، وهو أغرب من مَثَلِه ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: رميمة - بالتاء -؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أَخَذَ عَظْمًا رميمًا فَفَتَّتَهُ، وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي اللهُ هذا بعد ما بَلِيَ وَرَمَّ؟ فقال ﷺ: «نَعَمْ، وَيُدْخِلُكَ النَّارَ»[٣].

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملًا ومفصلًا، قبل خَلْقِهِ وَبَعْدَ خَلْقِهِ.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المَرْخُ والعَفَار[٤]، أو كل شجر إلا العُنَّاب[٥] ﴿نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب؛ فلا الماء يطفئ النارَ، ولا النارُ تحرق الخشبَ.

[٨١] ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أجاب نَفْسَهُ ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شأنه[٦] ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة[٧]: بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولَ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ مُلْكُ، زِيدَتِ الواوُ والتاءُ للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُردون في الآخرة.

* * *

(١) أي قاهرون مذللون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية بالملك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وذللناها﴾ تأسيسًا لنعمة أخرى لا تتميمًا لما قبله.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة عن ابن عباس [الدر المنثور (٥/٥٠٧)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضًا كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٧) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعا القدح.

(٥) لم يذكر الجلال المحلي سبب هذا الاستثناء لـ «العُنَّاب» من جملة شجر النَّار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا العُنَّاب». وهذا مُتعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كنعان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[مكية، مائة واثنتان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الملائكة، تَصُفُّ نفوسهَا في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به. [٢] ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ الملائكة تزجر السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ أي: قُرَّاء القرآن يتلونه[1] ﴿ذِكْرًا﴾ مصدر من معنى التاليات. [٤] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَوَٰحِدٌ﴾.

[٥] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ أي: والمغارب للشمس، ولها كل يوم مشرق ومغرب.

[٦] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا [بزينةِ] ٱلْكَوَاكِبِ﴾ أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كَقِرَاءَةِ تنوين «زينة» المُبَيَّنَة بالكواكب[2]. [٧] ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمقدر ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ عَاتٍ خارج عن الطاعة. [٨] ﴿لَّا [يَسْمَعُونَ][3]﴾ أي: الشياطين، مستأنف[4]، وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه[5] ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الملائكة في السماء، وَعُدِّيَ السماع بـ﴿إِلَى﴾ لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من آفاق السماء.

[٩] ﴿دُحُورًا﴾ مصدر دَحَرَهُ؛ أي: طَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم. [١٠] ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ أي: لا يسمع إلا الشيطانُ الذي سمع الكلمةَ من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ كوكب مضيء[6] ﴿ثَاقِبٌ﴾ يثقبه، أو يحرقه، أو يَخْبِلُهُ[7]. [١١] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة تقريرًا أو توبيخًا: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من الملائكة والسماوات والأرضين وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ﴿مَّنْ﴾ تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي: أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ لازم، يَلْصَق باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف؛ فلا يتكبروا[8] بإنكار النبي والقرآن، المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء[9]: خطابًا للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ من تعجبك. [١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وُعِظُوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ لا يتعظون. [١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يستهزئون بها. [١٥] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ فيها: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنٌ. وقالوا منكرين للبعث: [١٦] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين[10]. [١٧] ﴿[أَوْ] آبَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بسكون الواو عطفًا بـ﴿أَوْ﴾ وبفتحها[11]، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محل «إن» واسمها، أو: الضمير في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، والفاصل: همزة الاستفهام. [١٨] ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي: صاغرون.

[١٩] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضمير مبهم يفسره ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي: صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يفعل بهم. [٢٠] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الكفار: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ يوم الحساب والجزاء. ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾. ويقال للملائكة: [٢٢] ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾. [٢٣] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ طريق النار.

[٢٤] ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

(١) في نسخة مطبوعة: «تتلوه».

(٢) قرأ بالإضافة السبعة عدا عاصم وحمزة، وقرأ شعبة بنصب الكواكب مع ترك الإضافة، على أنها مفعول لمحذوف تقديره: (أعني).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بتشديد السين والميم من التسمع، وهو: تَطَلُّب السماع.

(٤) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.

(٥) يشير بهذا إلى أن قوله: ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ على حذف مضاف؛ أي: من سماع كل شيطان.

(٦) المقصود بشهب تنفصل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس».

(٧) أي يفسد عقلَه أو أعضاءه.

(٨) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».

(٩) وفي قراءة حمزة والكسائي بضمها، ويكون المتعجب هو اللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ، إثباتًا للصفة على الوجه اللائق به.

(١٠) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقرأ نافع والكسائي عكسه.

(١١) قرأه ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقرأ الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

[٢٥] ويقال لهم توبيخًا: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضًا، كَحالِكُمْ في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ منقادون أذلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم للمتبوعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها: لِحَلِفِكُمْ أنكم على الحقِّ؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتمونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا﴾ أي: الْمَتبُوعونَ لهم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما يصدقُ الإضلالُ مِنَّا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلَيْنَا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تقهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعًا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بالعذاب؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1] ﴿إِنَّا﴾ جميعًا ﴿لَذَائِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ المعلل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾.

[٣٣] قال ـ تعالَى ـ: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لاشتراكهم في الغواية.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: نعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في همزتيه ما تقدم[2] ﴿لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال ـ تعالَى ـ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزاؤهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بُكْرَةً وَعَشِيًّا.

[٤٢] ﴿فَوَاكِهُ﴾ بدلٌ، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذًا لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ بثواب اللَّه ـ سُبْحَانَهُ وتَعالَى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفًا بعض.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء.

[٤٦] ﴿بَيْضَاءَ﴾ أشد بياضًا من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ بفتح الزاي وكسرها[3]؛ من نُزِفَ الشارب، وأَنْزَفَ؛ أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ﴾ ضخام الأعين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَّكْنُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، وَلَوْنُهُ ـ وهو البياض في صفرة ـ أحسنُ ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما مرَّ بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحبٌ يُنْكِرُ البعثَ.

---

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتًا: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم(١) ﴿لَمَدِينُونَ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُوَى الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تشميتًا: ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدتَّ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينِ﴾ لتهلكني بإغوائك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ عليَّ في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تَلَذُّذٍ وَتَحَدُّثٍ بنعمة الله ـ تعالى ـ؛ من تأبيد الحياة وعدم التعذيب(٢).

[٦٠] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذُكِرَ لأهل الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أخبث الشجر المرّ بتهامة، يُنْبِتُهَا اللهُ في الجحيم؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تُحْرِقُ الشجرَ فكيف تنبته؟

[٦٤] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دَرَكَاتِهَا.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ الحيات(٣) القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه، فيختلط بالمأكول منها؛ فيصير شوبًا(٤) له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها(٥).

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ يُزْعَجون إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ من الرسل مخوِّفين.

[٧٣] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ [ٱلْمُخْلِصِينَ](٦)﴾ أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن اللهَ أخلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: «رب أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ»(٧) ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ له نحن؛ أي: دعانا على قومه، فأهلكناهم بالغرق.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

---

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبكيت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: المراد بذلك ضرب من الحيات؛ رءوسها بشعة، واختار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رءوس الشياطين حقيقة، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي فيصير الحميم شوبًا؛ أي خليطًا للزقوم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الحميم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿المخلَصين﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ * وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسْلِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وكان له ثلاثة أولاد: «سام» وهو أبو العرب والفرس والروم، و«حام» وهو أبو السودان، و«يافث» وهو أبو الترك والخزر[1] ويأجوج ومأجوج، وما هنالك.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناء حسنًا ﴿فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأمم، إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿سَلَٰمٌ﴾ منَّا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ كفار قومه.

[٨٣] ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة[2]، وكان بينهما هود وصالح.

[٨٤] ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشَّك وغيره.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ مُوَبِّخًا: ﴿مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾؟

[٨٦] ﴿أَئِفْكًا﴾ في همزتيه ما تقدم[3] ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ و«إفكًا» مفعول له، و﴿ءَالِهَةً﴾ مفعول به لـ﴿تُرِيدُونَ﴾ والإفكُ: أسوأ الكذب؛ أي: أتعبدون غير الله؟

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين، فخرجوا إلى عيدٍ لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم - زَعَمُوا التَّبَرُّكَ عليه -؛ فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا.

[٨٨] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ إيهامًا لهم أنه يعتمد عليها؛ ليعتمدوه.

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ عليلٌ؛ أي: سأسقم.

[٩٠] ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾.

[٩١] ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي: الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاءً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ فلم ينطقوا.

[٩٢] فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾؟ فلم يُجَبْ[4].

[٩٣] ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ بالقوة[5]؛ فكسرها؛ فبلغ قومَه ممن رآه.

[٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟!.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ لهم مُوَبِّخًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصنامًا؟!

[٩٦] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم؛ فاعبدوه وَحْدَهُ، و﴿مَا﴾ مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة.

[٩٧] ﴿قَالُوا۟﴾ بينهم: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ فاملئوه حطبًا وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ النارِ الشديدةِ.

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين؛ فخرج من النار سالمًا.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ مهاجرٌ إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه؛ وهو: الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: [١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ ولدًا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حِلْم كثير.

[١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين. وقيل: ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي: رأيت ﴿فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حقٌّ، وأفعالهم بأمر اللَّه - تعالَى - ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي؟ شَاوَرَهُ ليأنس بالذبح، وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة[6] ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على ذلك.

---

(١) وهم التتار.

(٢) وقيل: غير ذلك، ولا دليل صحيح معتبر على التحديد، والصواب عدمه، واللَّه أعلم.

(٣) أي: من تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها.

(٤) في نسخة من المطبوع: «تُجِب»؛ أي الأصنام.

(٥) تفسير اليمين بالقوة خلاف ظاهر اللفظ، ولو قال: إنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى لكان أظهر. وقيل المراد باليمين قسمه الوارد في آية الأنبياء: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ وتكون الباء سببية.

(٦) أي في: «أبي».

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خضعَا وانْقادَا لأمر الله - تعالى - ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ صَرَعَهُ عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك بِمِنًى، وَأَمَرَّ السكينَ على حَلْقِهِ فلم تعملْ شيئًا بمانع من القدرة الإلهية.

[١٠٤] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾. [١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي: يكفيك ذلك، فجملة ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ جواب «لما» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الاختبار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ أي: المأمور بذبحه؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان[1] ﴿بِذِبْحٍ﴾ بكبش ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنة، وهو الذي قَرَّبَهُ هابيل[2]، جاء به جبريل عليه السلام، فذبحه السيد إبراهيم مُكَبِّرًا. [١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ثناءً حسنًا. [١٠٩] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. [١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ استدل بذلك على أن الذبيح غيره ﴿نَبِيًّا﴾ حالٌ مقدرة؛ أي: يوجد مقدرًا نبوته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. [١١٣] ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ وَلَدِهِ؛ بجعلنا أَكْثَرَ الأنبياء من نَسْلِهِ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنٌ الكفر.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ بالنبوة. [١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: استعباد فرعون إياهم. [١١٦] ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ على القبط ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾. [١١٧] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ البليغَ البيانِ فِيمَا أَتَى به من الحدودِ والأحكامِ وغيرِها؛ وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. [١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ثناءً حسنًا.

[١٢٠] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٣] ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بالهمزة أوله وتركه[3] ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو ابن أخي[4] هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدرًا ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله؟ [١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلدُ أيضًا مضافًا إلى «بك»؛ أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟. [١٢٦] ﴿[ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ] ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ برفع الثلاثة على إضمار «هو»، وبنصبها[5] على البدل من ﴿أَحْسَنَ﴾.

---

(١) والراجح الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبيح فدل على أنه غيره.

(٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضًا (٨٧/٢٣) أنه كبش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقيل: بل هو كبش من الكباش المعروفة. والأولى الاقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.

(٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصولًا - فإذا ابتدأ فتح الهمزة.

(٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إلياس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).

(٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار. [١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها.

[١٢٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ ثناءً حسنًا.

[١٣٠] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ قيل: هو إلياس المتقدم ذكره. وقيل: هو ومن آمن معه؛ فجُمعوا معه تغليبًا؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة: ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ بالمد[١]؛ أي: أهله، المراد به إلياس أيضًا. [١٣١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [١٣٢] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٣٣] ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. اذكر [١٣٤] ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾. [١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب. [١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ كفار قومه. [١٣٧] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ أي: وقت الصباح؛ يعني: بالنهار. [١٣٨] ﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به؟! [١٣٩] ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. [١٤٠] ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ السفينة المملوءة حين غاضَبَ قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به؛ فركب السفينة، فوقفت في لُجَّة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة[٢]. [١٤١] ﴿فَسَاهَمَ﴾ قَارَعَ أهلَ السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين بالقرعة؛ فألقوه في البحر. [١٤٢] ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آتٍ بما يُلامُ عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه. [١٤٣] ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيرًا في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [١٤٤] ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لصار بطن الحوتِ قبرًا له إلى يوم القيامة. [١٤٥] ﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ﴾ أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بوجه الأرض؛ أي: بالساحل من يومه، أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يومًا[٣] ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عَليلٌ كالفرخ المُمَّعِط[٤]. [١٤٦] ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ وهي: القَرْعُ تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزةً له، وكانت تأتيه وَعِلَةٌ[٥] صباحًا ومساءً يشرب من لبنها حتى قوي. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ بعد ذلك كَقَبْلِهِ إلى قوم بـ«نِينَوَى» من أرض المَوْصِل ﴿إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾ بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا. [١٤٨] ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ أبقيناهم ممتعين بما لهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقضي آجالهم فيه.

[١٤٩] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخًا لهم: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بناتُ الله ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ فيختصون بالأسنى؟

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ خَلْقَنا؛ فيقولون ذلك؟.

[١٥١] ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾: [١٥٢] ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيه.

[١٥٣] ﴿أَصْطَفَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت؛ أي: أختار ﴿ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾؟

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) ذكر ابن كثير وأكثر المفسرين أن السفينة لما أشرفت على الفرق ساهموا على من تقع عليه القرعة ليلقى به في البحر لتخف السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس ثلاث مرات، وهم يضنون به أن يلقى من بينهم.

(٣) ولا دليل على شيء من تلك الأقوال.

(٤) المُمَّعِط: أي: المنتوف الشعر.

(٥) وهي أنثى الوَعِل؛ ذكر الأروى، وهو الشاة الجبلية.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الذال[١]؛ أنه ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ منزه عن الولد؟

[١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن للَّه ولدًا؟ [١٥٧] ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ذلك.

[١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: المشركون ﴿بَيْنَهُ﴾ ـ تَعَالَى ـ ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ أي: الملائكة؛ لِاجْتِنَانِهِمْ[٢] عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قائلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها.

[١٥٩] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيهًا له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن للَّه ولدًا.

[١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: فإنهم ينزهون اللَّه ـ تَعَالَى ـ عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ أي: أحدًا[٣]. [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ في علم اللَّه ـ تَعَالَى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا مِنَّا﴾ معشر الملائكة أحدٌ ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في السماوات يَعْبُدُ اللهَ فيه لا يتجاوزه.

[١٦٥] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أقدامنا في الصلاة.

[١٦٦] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون اللَّه عما لا يليق به.

[١٦٧] ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ كتابًا ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادةَ له.

[١٧٠] قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[٤]. أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الكفارَ، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة.

[١٧٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ تؤمر فيه بقتالهم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبةَ كفرِهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاءً: متى نزول هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال ـ تَعَالَى ـ تهديدًا لهم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾؟.

[١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفَرَّاءُ: «العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بئس صباحًا ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ فيه إقامةُ الظاهرِ مقامَ المضمرِ.

[١٧٨] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾.

[١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسليةً له ﷺ.

[١٨٠] ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدًا.

[١٨١] ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن اللَّه التوحيدَ والشرائعَ.

[١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاكِ الكافرين.

* * *

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرون﴾ بتخفيف الذال.

(٢) أي: استتارهم.

(٣) أي: بمضلين أحدًا.

(٤) المجادلة: ٢١.

سُورَةُ صٓ

[مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد القمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صٓ﴾ اللَّه أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

[٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

[٣] ﴿كَمْ﴾ أي: كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «نادوا»؛ أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

[٤] ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم، ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر: ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾. [٥] ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله؛ أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: عجيب. [٦] ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»[1] ﴿أَنِ امْشُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ منا. [٧] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ كذب. [٨] ﴿أَأُنزِلَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه[2] ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرُ﴾ أي: القرآن ﴿مِن بَيْنِنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؛ أي: لم ينزل عليه، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ وحيي؛ أي: القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾ لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاءوا؟!. [١٠] ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاءوا؟! و«أم» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿جُندٌ مَّا﴾ أي: هم جند حقير ﴿هُنَالِكَ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ صفة «جند» ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضًا؛ أي: كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾ أي: الغيضة[3]، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدًا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي نفخة القيامة، تُحِلُّ بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ بفتح الفاء وضمها[4]؛ رجوع. ﴿وَقَالُوا﴾ لما نزل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾[5] إلخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاءً.

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشًا شكوا النبي ﷺ إلى أبي طالب؛ فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدين لهم العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله»؛ فقالوا: إلهًا واحدًا؟!! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق. قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي.
وأخرج الحاكم القصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقالون وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿أَأُلْقِيَ﴾، وفي موضع آل عمران ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾.

(٣) وهي الأشجار الملتفة المجتمعة. (٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي. (٥) الحاقة: ١٩.

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قال ـ تعَالَى ـ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه[١] ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها. [١٩] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿ٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ﴾ من الجبال والطير ﴿لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى طاعته بالتسبيح.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قويناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿۞ وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر هنا على سبيل الفرض؛ لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها[٢] ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تجر ﴿وَٱهْدِنَآ﴾ أرشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي: على ديني ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِى﴾ غلبني ﴿فِى ٱلْخِطَابِ﴾ أي: الجدال، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال ـ تعَالَى ـ: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية بمحبته تلك المرأة[٣] ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾؛ أي: ساجدًا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟﴾ بنسيانهم ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

---

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) ، (٣) حاشا لله أن ينسب لنبي كريم من أنبياء الله ﷻ الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البيِّن، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيليات المفتراة على صفوة خلق الله ﷻ. وهذان الخصمان هما من بني آدم حقيقة على القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعجة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا أنثى الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبسطها، والمراد منها تنبيه داود عليه السلام ومَنْ بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والغنى وبسط الدنيا.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ عبثًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ واد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. [٢٨] ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون، و«أم» بمعنى همزة الإنكار.

[٢٩] ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ أصله: يتدبروا؛ أدغمت التاء في الدال ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول.

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي: سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجّاع في التسبيح والذكر، في جميع الأوقات. [٣١] ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيل، جمع صافنة؛ وهي: القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صَفَنَ يَصْفِنُ صُفُونًا ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ جمع جواد، وهو السابق؛ المعنى: أنها إذا استُوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس، عرضت عليه بعد أن صلى الظهر؛ لإرادته الجهاد عليها العدوّ، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس، ولم يكن صلى العصر فاغتم [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ أي: صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي: الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

[٣٣] ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ بالسيف ﴿بِٱلسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها تقربًا إلى الله ـ تَعَالَى ـ؛ حيث اشْتَغَلَ بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيرًا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها[١]، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجني وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه[٢]. [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى﴾ لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾(ه) أي: سواي نحو ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾[٣]؛ أي: سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾. [٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أراد. [٣٧] ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

[٣٨] ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم. وقلنا له: [٣٩] ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. [٤٠] ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ تقدم مثله.

[٤١] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾؛ أي: بأني ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ ضر ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدبًا معه ـ تعالى ـ. وقيل له: [٤٢] ﴿ٱرْكُضْ﴾ اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره.

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن عفريتًا من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم؛ فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رب هب لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فرددته خاسئًا». البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة صٓ (٣٨) باب (٢) ﴿هب لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ...﴾.

---

(١) هذا كلام باطل لا أساس له من الصحة، وهو من الإسرائيليات التي ثبت كذبها بمخالفتها ما يليق بمقام النبوة، والصحيح الذي عليه المحققون، وتشهد له النصوص الصحيحة أن الفتنة هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي ألقي على كرسيه، كما عند البخاري وغيره أن سليمان حلف ليطوفن على نسائه لتحمل كل امرأة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق ولد.

(٢) كل هذا من الإسرائيليات التي ثبت كذبها ومخالفتها للنصوص الصحيحة، وتتعارض مع مقام النبوة. وإنما معنى ﴿أناب﴾ في الآية: أي رجع إلى الله تعالى واستغفره، يفسره قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ...﴾.

(٣) الجاثية: ٢٣.

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده، ورزقه مثلهم ﴿رَحۡمَةٗ﴾ نعمة[١] ﴿مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ﴾ عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ هو حزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يومًا ﴿وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ رجّاع إلى الله تعالى.

[٤٥] ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة[٢]: ﴿عَبۡدَنَآ﴾، و«إبراهيم» بيان له، وما بعده عطف على ﴿عَبۡدَنَآ﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ هي ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة[٣] بالإضافة، و«هي» للبيان.

[٤٧] ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ﴾ المختارين ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ جمع خيّر بالتشديد.

[٤٨] ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فرّوا إليه من القتل[٤] ﴿وَكُلّٞ﴾؛ أي: كلهم ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ جمع خيّر بالتثقيل.

[٤٩] ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ بدل، أو عطف بيان لـ«حسن مآب» ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾.

[٥٢] ﴿۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ حابسات العين على أزواجهن ﴿أَتۡرَابٌ﴾ أسنانهن واحدة؛ وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع ترْب.

[٥٣] ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿مَا [يُوعَدُونَ]﴾ بالغيبة[٥]، وبالخطاب؛ التفاتًا ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من «رزقنا»، أو خبر ثان لـ«إن»؛ أي: دائمًا أو دائم.

[٥٥] ﴿هَٰذَاۚ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ مستأنف ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ الفراش.

[٥٧] ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿[وَغَسَاقٌ]﴾ بالتخفيف[٦] والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿[وَأُخَرُ]﴾ بالجمع[٧] والإفراد ﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ﴾ جمع ﴿مُّقۡتَحِمٞ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمۡ﴾ النار بشدة، فيقول المتبوعون[٨]: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُواْ﴾ أي: الأتباع: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُواْ﴾ أيضًا: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نثبتها لله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مرارًا.

(٢) لابن كثير.

(٣) لنافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإفراد.

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾

[٦٢] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة وهم في النار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾.

[٦٣] ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ [سُخۡرِيًّا]﴾ بضم السين وكسرها[١]؛ كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب؛ أي: أمفقودون هم؟ ﴿أَمۡ زَاغَتۡ﴾ مالت ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ فلم ترهم؟!، وهم فقراء المسلمين؛ كعمار وبلال وصهيب وسلمان.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ﴾ واجب وقوعه، وهو: ﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ كما تقدم.

[٦٥] ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ﴾ مخوف بالنار ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ لخلقه.

[٦٦] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ لأوليائه.

[٦٧] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾.

[٦٨] ﴿أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾ أي: القرآن الذي أنبأتكم به، وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي، وهو قوله: [٦٩] ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ أي: الملائكة ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم حين قال الله ـ تعالَى ـ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾[٢] إلخ.

[٧٠] ﴿إِن﴾ ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي: أني ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ بيِّن الإنذار.

[٧١] اذكر ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ هو آدم.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخۡتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيًّا، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء[٣].

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان.

[٧٤] ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في علم الله ـ تعالَى ـ.

[٧٥] ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: توليت خلقه[٤]، وهذا تشريف لآدم؛ فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ الآن عن السجود، استفهام توبيخ ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟.

[٧٦] ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ مطرود.

[٧٨] ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

---

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) راجع التعليق على الآية رقم (٣٤) من سورة البقرة.

(٤) وهذا الذي ذهب إليه المفسر، هو تعطيل لصفة اليدين التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهو عدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، والمفسر يرد على نفسه حيث قال بعدها: وهذا تشريف لآدم؛ فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ـ فما وجه اختصاصه بذلك إذن؟!

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

[٨٤] ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني[(١)]؛ فنصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جُعْل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٨٧] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة.

[٨٨] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ أي: يوم القيامة، و«عَلِمَ» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

سُورَةُ الزُّمَرِ

[مكية إلا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ][(*)]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحدًا له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قربى، مصدر بمعنى تقريبًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[(٢)] ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ واتخذه ولدًا، غير من قالوا من[(٣)]: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ﴾ تنزيهًا له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لخلقه.

[٥] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ متعلق بـ«خلق» ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل[(٤)] ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لأوليائه.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧١١).

---

(١) بالرفع ثم النصب قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «إن» بدلًا من «من»، وفي نسخة بدون «من».

(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كمعنى الإيلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾. وروي عن قتادة: يغشى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيعقبه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف والليّ؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

[٦] ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم؛ الضأن والمعز ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ من كلٍّ زوجان[1]: ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطفًا ثم عَلَقًا ثم مُضَغًا ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره؟!

[٧] ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراده من بعضهم[2] ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ الله، فتؤمنوا ﴿[يَرْضَهْ]﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه[3]؛ أي: الشكر ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٨] ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ تضرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾ أعطاه إنعامًا ﴿مِّنْهُ نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُو﴾ يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو الله، فـ«ما» في موضع «مَنْ» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿[لِّيَضِلَّ]﴾ بفتح الياء وضمها[4] ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿[أَمَنْ]﴾[5] بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَانِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ﴾ جنة[6] ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، فـ«أم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على الطاعة، وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

---

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكرًا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) ﴿يرضه﴾ قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحمزة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحمزة، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَمَّن﴾ بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ فتفسير الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونثبتها له على الوجه اللائق به.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٤] ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشرك.

[١٥] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره، فيه تهديد لهم، وإيذان بأنهم لا يعبدون الله - تعالى - ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ البيِّن.

[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق ﴿مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين، ليتقوه، يدل عليه: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا﴾ أقبلوا ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾؛ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[1] الآية ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾ تُخرج ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فتنقذه من النار.

[٢٠] ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.

[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخُضرة مثلًا ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فتاتًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ تذكيرًا ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يتذكرون به؛ لدلالته[2] على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

---

(١) هود: ١١٩.

(٢) في نسخة مطبوعة: «دلالته».

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

[٢٢] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن.

[٢٣] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرآنًا ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضًا، في النظم وغيره ﴿مَّثَانِىَ﴾ ثُنّي فيه الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

[٢٤] ﴿أَفَمَن يَتَّقِى﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: أشده، بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه.

[٢٥] ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[٢٨] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: لَبْس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك والموحِّد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مثلًا» ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون، سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا [سَالِمًا][(1)]﴾ خالصًا ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[(*)].

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديد. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣).

وأخرجه أيضًا أحمد (١/١٦٧) مطولًا بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أيكرَّرُ علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواصِّ الذنوب؟ قال: «نعم، ليُكرَّرَنَّ عليكم حتى يُؤدَّى إلى كل ذي حق حقُّه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديد». وحسن الأرناؤوط إسناده (١٤٣٤). وكذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿سَلَمًا﴾ بدون ألف.

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿۞ فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ بلى.

[٣٣] ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون فـ«الذي» بمعنى «الذين» ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

[٣٤] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بإيمانهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ «أسوأ» و«أحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ أي: النبي[1]؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

[٣٨] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ [مُمْسِكَاتٌ رَحْمَتَهُ]﴾ لا، وفي قراءة[2] بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَن﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله ببدر.

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي لحمزة والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولًا لأبي عمرو بالتنوين في الكلمتين: «كاشفاتٌ» و«ممسكاتٌ»، مع النصب في «ضرَّه» و«رحمتَه»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾.

[٤١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ اهتداؤه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الهدى.

[٤٢] ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ﴾ يتوفى ﴿ٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس[1] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

[٤٣] ﴿أَمِ﴾ بل ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام آلهة ﴿شُفَعَآءَ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَ﴾ يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

[٤٤] ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون آلهتهم ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ يظنون.

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(١) أي: فمتى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقيق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعامًا ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من اللّٰه بأني له أهل[1] ﴿بَلْ هِىَ﴾ أي: القولة ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلية، يبتلى بها العبد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التخويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كقارون وقومه الراضين بها ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾؛ أي: جزاؤها ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين عذابنا، فقُحِطوا سبع سنين، ثم وُسِّع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه، لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٣] ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا [تَقْنِطُوا]﴾ بكسر النون وفتحها[2]، وقرئ بضمها[3]؛ تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(*).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ بمنعه إن لم تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القرآن ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقته.

[٥٦] فبادروا قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته[4] ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: وإني ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ بدينه وكتابه.

(*) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الزمر (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين أسرفوا. ورواه أيضًا مسلم ـ كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤)... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

---

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.

(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذًا.

(٤) وقال الفراء: في قرب اللّٰه وجواره.

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾(*) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ متصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ «غير» منصوب بـ«أعبد» المعمول لـ«تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك[1].

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ والله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضًا ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه وتصرفه[2] ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾(**) بقدرته[3] ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(*) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة؛ فيقول: لو أن الله هداني. فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار؛ فيقول: لولا أن الله هداني. فيكون له شكرًا». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(**) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنّم». الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

---

(١) قوله: (بإدغام)؛ أي مع فتح الياء وسكونها، وقوله: (وفك)؛ أي مع سكون الياء لا غير؛ فقرأ ابن عامر بنونين، وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الياء، وكذلك فتحها ابن كثير.

(٢)، (٣) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣) من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك». فالواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ من الحور والولدان وغيرهما[1] ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[*] ينتظرون ما يفعل بهم.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ[2] ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا.

[٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ جواب «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[3] الآية ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ مقدرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير: قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حالًا ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسَوْقُهم وفتحُ الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم، وسَوْق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُواْ﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة[4] ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الجنة.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي بسوق المدينة: لا والذي اصطفى موسى على البشر. قال: فرفع رجل من الأنصار يده فصك بها وجهه. قال: تقول هذا وفينا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله...». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

---

(١) قيل: كالشهداء، أو خواص الملائكة، أو إسرافيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بثنتيه، إذ لا يصار إلى بيان المبهمات إلا بقاطع.

(٢) الصواب عدم تخصيص النبيين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب وبعيد، ولا تخصيص الشهداء بأمته عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فقيل بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحفظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هنالك بيان اعتراض القاضي كنعان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وليست أرض الجنة، والله أعلم.

وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

[٧٥] ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير حافين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد؛ أي: يقولون: سبحان اللّٰه وبحمده ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العدل، فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ خُتِمَ استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة(١).

سُورَةُ غَافِرٍ

[مكية، إلا: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ﴾ الآيتين، خمس وثمانون آية، نزلت بعد الزمر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ اللّٰه أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

[٣] ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لهم مصدر ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للكافرين؛ أي: مشدده ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل هذه الصفات، فإضافة المشتق منها للتعريف(٢) كالأخيرة ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[٤] ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار.

[٥] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾ يزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لهم؛ أي: هو واقع موقعه.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية(٣) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ بدل من «كلمة».

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾(*) مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد؛ أي: يقولون: سبحان اللّٰه وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ - تعالى - ببصائرهم؛ أي: يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وسعت رحمتك كلَّ شيء، وعلمُك كلَّ شيء ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار.

(*) فائدة: أخرج أبو داود عن جابر بن عبد اللّٰه عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللّٰه من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». أبو داود - كتاب السنة (٣٤) باب (١٩) في الجهمية، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤).

---

(١) وقيل: إن القائل هم المؤمنون، وقال ابن كثير: أي: ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - للّٰه رب العالمين بالحمد؛ في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

(٢) أي فإضافة المشتق من هذه الصفات؛ «غافر» و«قابل» و«شديد»؛ لتعريف المضاف؛ ليصح أن يكون صفة للمعرفة؛ وهو لفظ الجلالة المتقدم في قوله: «من الله».

(٣) هود: ١١٩.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ
أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ
إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ
وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في: «وأدخلهم»، أو: في: «وعدتهم» ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٩] ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ من قبل الملائكة، وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

[١١] ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إماتتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين؛ لأنهم نطفًا[١] أمواتٌ، فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا، لنطيع ربنا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ طريق، وجوابهم: لا.

[١٢] ﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ يُجعَلْ له شريك ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾ العظيم.

[١٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ يرجع عن الشرك.

[١٤] ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إخلاصكم منه.

[١٥] ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه[٢] ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: قوله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ يخوف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ بحذف الياء وإثباتها[٣]؛ يوم القيامة؛ لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يقوله - تعالى - ويجيب نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أي: لخلقه.

---

(١) كذا في بعض النسخ بنصب «نطفًا» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطفًا... اهـ. من حاشية الصاوي.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصلًا ووقفًا قراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصلًا فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك[١].

[١٨] ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أزِف الرحيل: قرُب ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفًا ﴿لَدَى﴾ عند ﴿ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ ممتلئين غمًّا، حال من «القلوب»، عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلًا، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[٢] أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء؛ أي: لو شفعوا فرضًا لم يقبلوا.

[١٩] ﴿يَعۡلَمُ﴾ أي: الله ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ القلوب.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء[٣] ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأفعالهم.

[٢١] ﴿۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ﴾ وفي قراءة[٤]: «منكم» ﴿قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ عذابه.

[٢٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ برهان بيِّن ظاهر.

[٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ﴾: هو ﴿سَٰحِرٞ كَذَّابٞ﴾.

[٢٥] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ﴾ استبقوا ﴿نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ هلاك.

---

(١) سبق بيان أن هذا سبق قلم من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالتاء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ
إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يكفُّونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم إياي، فتتبعوه ﴿[وَأَنْ] يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: بفتح الياء والهاء وضم الدال[1].

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي: لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالبين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب[2].

[٣١] ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله؛ أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الياء وإثباتها[3]؛ أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وأن يُظهِرَ في الأرض الفسادَ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وأن يَظْهَرَ في الأرض الفسادُ﴾، وقرأ شعبة وحمزة والكسائي: ﴿أو أن يَظهرَ في الأرض الفسادُ﴾، وقرأ حفص: ﴿أو أن يُظهِرَ في الأرض الفسادَ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يوم الأحزاب﴾ مفرد في معنى الجمع؛ أي أيامها؛ حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين؛ كقوم نوح وغيرهم ممن كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلًا ووقفًا، وأثبتها ورش وصلًا فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى، وهو يوسف ابن يعقوب في قول(١)، عَمَّرَ إلى زمن موسى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب في قول، ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاك فيما شهدت به البينات.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته مبتدأ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمْ كَبُرَ﴾ جدالهم، خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ﴾ مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿ٱللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ [قَلْبِ] مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ بتنوين «قلب» ودونه(٢)، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس، و«كل» على القراءتين لعموم الضلال جميعَ القلب، لا لعموم القلب(٣).

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بناءً عاليًا ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾.

[٣٧] ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿[فَأَطَّلِعُ]﴾ بالرفع(٤) عطفًا على «أبلغ»، وبالنصب جوابًا لـ«ابن» ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي: موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ في أن له إلهًا غيري، قال فرعون ذلك تمويهًا ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ [وَصَدَّ] عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها(٥) ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ خسار.

[٣٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ [ٱتَّبِعُونِي]﴾ بإثبات الياء وحذفها(٦) ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ تقدم.

[٣٩] ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ [يُدْخَلُونَ] ٱلْجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء، وبالعكس(٧) ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(١) وهو الراجح، لكن قول المفسر إنه عمَّر إلى زمن موسى غريب، وخلاف الظاهر، وردَّه غير واحد من أهل العلم، بل المراد: جاء آباءكم.
(٢) بالتنوين قراءة أبي عمرو وابن ذكوان.
(٣) أي: يختم الله بالضلال على جميع القلب.
(٤) قراءة السَّبعة عدا حفص.
(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.
(٦) بالياء وصلًا ووقفًا قراءة ابن كثير. وأثبتها وصلًا فقط أبو عمرو وقالون.
(٧) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. وبالعكس قراءة بقية السبعة.

﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾

[٤١] ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

[٤٢] ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ لمن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ لأعبده ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ أي: استجابة دعوة[1] ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ قومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ الغرق.

[٤٦] ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ يحرقون بها ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ صباحًا ومساءً[2] ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال: ﴿[ادۡخُلُوا][3]﴾ يا ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ يَتَحَآجُّونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبٗا﴾ جزاء ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

[٤٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾.

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة توجب له الألوهية، ولعله أقرب.
(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.
(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿أدخلوا﴾ بفتح الهمزة.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

[٥٠] ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الخزنة تهكمًا: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم، فإنا لا نشفع للكافرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء[١] ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدٗى﴾ هاديًا ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ تذكرة لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقّٞ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ ليُستن بك ﴿وَسَبِّحۡ﴾ صَلِّ متلبسًا ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ الصلوات الخمس[٢].

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمۡ إِن﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ﴾ من شرهم ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ونزل في منكري البعث: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ابتداء ﴿أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالبصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ فيه زيادة «لا»[٣] ﴿قَلِيلٗا مَّا [يَتَذَكَّرُونَ]﴾ يتعظون، بالياء والتاء[٤]؛ أي: تذكرهم قليل جدًّا.

(١) بالتاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٢) يعني أن التسبيح في هذين الوقتين يراد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غدوة وركعتان عشية. والأقرب أن المراد بالتسبيح أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تنزيهه ـ سُبْحَانَهُ ـ بالذكر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلة.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(*) أي: اعبدوني أثبكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس[1] ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

[٦١] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يُبْصَرُ فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان.

[٦٣] ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مثل إفك هؤلاء إفك ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[٦٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

[٦٥] ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

[٦٦] ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالعكس.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالًا ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامل قوتكم، من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرها[1] ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتًا محدودًا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون.

[٦٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ بضم النون وفتحها[2] بتقدير «أن»؛ أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور[3].

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان.

[٧٠] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ بالقرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على «الأغلال» فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ أي: يُجرُّون بها.

[٧٢] ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أُحضرت[4]؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[5]؛ أي: وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٧٥] ويقال لهم أيضًا: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح.

[٧٦] ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

[٧٧] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه «إنْ» الشرطية مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أولَ الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط[6].

---

(١) قرأ ورش وحفص وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحمزة وابن كثير وابن ذكوان والكسائي بالكسر.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظر؛ حيث إن الأمر والقول غير الإرادة، وهذا الكلام مبناه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أجاب به المفسر عما يقال: إن حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فأجاب بأنهم أولًا تضل عنهم آلهتهم ويتبرأون، ثم تحضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: لقوله: ﴿نتوفينك﴾؛ لأن جواب ﴿نرينك﴾ محذوف كما تقدم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا[1]، والظاهر: والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدَّر والنسل والوبَر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أي» أشهر من تأنيثه[2].

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿بِمَا عِندَهُم﴾ أي: الرسل[3] ﴿مِّنَ الْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكرين له[4] ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ﴾ نصبهُ على المصدر بفعل مقدر من لفظه[5] ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

* * *

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من «أية».

(٣) الراجح أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا آثروه على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجح؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: سنّ اللّه بهم سُنَّة من قبلهم.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ فُصِّلَتْ (١)

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مبتدأ.

[٣] ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بُيِّنَتْ بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كتاب» بصفته(٢) ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بـ«فصلت» ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.

[٤] ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قرآنًا» ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول.

[٥] ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبي: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَٱعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على ديننا.

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.

[٩] ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى(٣) ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والاثنين(٤) ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾ أي: مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون؛ تغليبًا للعقلاء.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل الأجنبي(٥) ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسَّم ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِىٓ﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء(٦) ﴿سَوَآءً﴾ منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواءً لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

[١١] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال؛ أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكر العاقل، أو: نُزِّلتا لخطابهما منزلته.

---

(١) في بعض النسخ «حم السَّجْدَة» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعند أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمعنى أن المسوغ لمجيء الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: ﴿فصلت آياته﴾.

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية بين بين مع إدخال الألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبقية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤)، (٦) تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: «من أيام الدنيا؛ أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثَمَّ شمس».

(٥) وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ»؛ قال في حاشية الصاوي: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ
إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه؛ أي: صيرها ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة(١)، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم(٢)، ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ الذي أمر به مَن فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَحِفْظًاۚ﴾ منصوب بفعله المقدر؛ أي: حفظناها من استراق الشياطين السَّمعَ بالشهب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

[١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ أي: كفار مكة، عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: عذابًا يهلككم مثل الذي أهلكهم.

[١٤] ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَ﴾ن، أي: بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ﴾ لما خوفوا بالعذاب: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ أي: لا أحد، كان واحدُهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة شديدة الصوت، بلا مطر ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها(٣)؛ مشئومات عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ الذل ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰۖ﴾ أشد ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بمنعه عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ بيَّنَّا لهم طريق الهدى ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ المهين ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الله.

[١٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ بالياء والنون المفتوحة، وضم الشين وفتح الهمزة(٤) ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يساقون.

[٢٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) راجع ما تقدم في التعليق على تعيين هذه الأيام على هذا النحو.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها آلافًا من السنين. أو يكون مراده: أنه خلق في مثل هذا اليوم، كما تقول: ولد محمد يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

(٣) بسكونها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: الأخيرة من (أعداء)، وهي قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالياء، ورفع ﴿أعداءُ﴾.

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

[٢١] ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام اللَّه ـ تعالَى ـ كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

[٢٢] ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ على العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يطلبوا العتبى أي: الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ المرضيين[*].

[٢٥] ﴿۞ وَقَيَّضْنَا﴾ سبَّبنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية[1] ﴿فِىٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ائتوا باللَّغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكت عن القراءة.

[٢٧] قال اللَّه ـ تعالَى ـ فيهم: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: أقبح جزاء عملهم.

[٢٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوًا[2] ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَآءًۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[٢٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في النار: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي: إبليس وقابيل[3]؛ سنَّا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشد عذابًا منا.

(*) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ ـ ٢٤): أخرج أحمد عن عبد اللَّه (ابن مسعود) قال: كنت مستترًا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر؛ ثقفي وختناه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم. قال: فتحدثوا بينهم بحديث، قال: فقال أحدهم: أترى اللَّه ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما رفعنا، وما خفضنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئًا فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ قال: فنزلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾. أحمد (١/ ٤٤٤)، وصححه الأرناؤوط في تخريجه على المسند (٢٧٣/٧). وأخرجاه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

---

(١) هود: ١١٩.

(٢) تحقيق الهمزة الثانية هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها واوًا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) هذا القول مروي عن علي بن أبي طالب ﵁؛ وتُعقب بأنه لا يصح عن علي ﵁؛ فإن قابيل مؤمن عاصٍ. ويكون المقصود من قوله: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَ﴾ن بأن ﴿لَّا تَخَافُواْ﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿نُزُلًا﴾ رزقًا مهيئًا، منصوب بـ«جعل» مقدرًا ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿ٱدْفَعْ﴾ السيئة ﴿بِٱلَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(*) أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ«الذي» مبتدأ، و«كأنه» الخبر، و«إذا» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٣٦] ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي: يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ لا يملون.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله وضعضع لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد[١] ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب[٢] ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ نجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ منيع.

[٤٢] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله المحمود في أمره.

[٤٣] ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿فُصِّلَتْ﴾ بيِّنت ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ حتى نفهمها ﴿ءَا۬﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِىٌّ وَ﴾ نبي ﴿عَرَبِىٌّ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفًا، بإشباع ودونه[٣] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الجهل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة.

[٤٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: بذي ظلم؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٤].

---

(١) يشير إلى القراءتين، فبفتح الياء والحاء ﴿يَلْحَدون﴾ قرأ حمزة، من «لَحَدَ» الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلحِدون﴾ بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تحريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق الهمزة الثانية، وقرأ قنبل وهشام ـ بخلاف عنهما ـ بالخبر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين بين، وكل على أصله.

(٤) النساء: ٤.

﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ٤٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾

[٤٧] ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن [ثَمَرَةٍ]﴾ وفي قراءة[1] ﴿ثَمَرَٰتٖ﴾ ﴿مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ أوعيتها؛ جمع «كِمٍّ» بكسر الكاف، إلا بعلمه ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكًا.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين[2] معلّق عن العمل، وجملة النفي[3] سدَّت مسدَّ المفعولين.

[٤٩] ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٠] ﴿وَلَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَذَقۡنَٰهُ﴾ آتيناه ﴿رَحۡمَةٗ﴾ غنى وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي: بعملي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

[٥١] ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ الجنس ﴿أَعۡرَضَ﴾ عن الشكر ﴿[وَنَاءَ][4] بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عطفه متبخترًا، وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ كثير.

[٥٢] ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٖ﴾ عن الحق، أوقع هذا[5]، موقع: «منكم» بيانًا لحالهم.

[٥٣] ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض، من النيِّرات، والنبات، والأشجار ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلۡحَقُّۗ﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعل «يكف» ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ بدل منه؛ أي: أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما؟!.

[٥٤] ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ - تعالى - ﴿بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ علمًا وقدرةً، فيجازيهم بكفرهم.

* * *

(١) لحمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ثمرات﴾.

(٢) أي في قوله: ﴿ما منا﴾، وقوله: ﴿ما لهم﴾؛ فالنفي فيهما مُعلّق لكل من: «آذن»، و«ظن» عن العمل لفظًا لا محلًا.

(٣) أي: في الموضعين؛ في قوله: ﴿ما لهم من محيص﴾، وقوله: ﴿ما منا من شهيد﴾؛ فالجملة الأولى سَدّت مسدَّ مفعولي ﴿ظنوا﴾، والثانية: سدَّت مسدَّ المفعول الثاني لـ ﴿آذن﴾، وأما المفعول الأول فهو كاف الخطاب في ﴿آذناك﴾.

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان، وقرأ بقية السبعة: ﴿ونأىٰ﴾.

(٥) أي: قوله: ﴿مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ﴾.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

[مكية، إلا: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾.

[٢] ﴿عٓسٓقٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤] ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٥] ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء[1] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ [يَنْفَطِرْنَ]﴾ بالنون[2]، وفي قراءة بالتاء والتشديد ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾؛ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ملابسين للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾ مُحْصٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تحصل المطلوب منهم وما عليك إلا البلاغ.

[٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾ تخوِّف ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ يوم القيامة، تُجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ النار.

[٨] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

[٩] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ «أم» منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار[3]؛ أي: ليس المتَّخَذُون أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

---

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمزة الإنكار»؛ أي: إن «أم» بمعنى: همزة الإنكار.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[١١] ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حيث خلق حواء من ضِلَع آدم ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجَعْل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يُقال ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ لما يُفعل.

[١٢] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنهما؛ من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة(١) ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصَى به، والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يقبل إلى طاعته.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن وحَّد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة.

[١٥] ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدْعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع.

---

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشريعة شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن ائتوا نوحًا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأما آدم فإنه أول نبي.

[١٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ﴾ نبيه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ بالإيمان، لظهور معجزته[1] وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾.

[١٧] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يُعلِمُكَ ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٞ﴾ و«لعل» معلّق للفعل[2] عن العمل، وما بعده سدَّ مسدَّ المفعولين.

[١٨] ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظنًّا منهم أنها غير آتية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾.

[١٩] ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برِّهِمْ وفاجِرِهِمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعًا بمعاصيهم ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ من كلٍّ منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: كسبها، وهو الثواب ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ﴾ بالتضعيف فيه؛ الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ بلا تضعيف، ما قُسِم له ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿لَهُمۡ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُواْ﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُم﴾ للكفار ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازَوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ أنزهها، بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ
مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم
مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

---

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدريك».

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ﴾ من البشارة مخففًا ومثقلًا[(١)] به ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن أسألكم أن تَوَدُّوا قرابتي، التي هي قرابتكم أيضًا، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ﴾ بنسبة القرآن إلى الله - تَعَالَى - ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره، وقد فعل[(٢)] ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ منهم ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المُتَابِ عَنْهَا ﴿وَيَعۡلَمُ مَا [يَفۡعَلُونَ]﴾ بالياء والتاء[(٣)].

[٢٦] ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون[(٤)] ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.

[٢٧] ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوۡاْ﴾ جميعهم؛ أي: طغوا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن [يُنۡزِلُ]﴾ بالتخفيف والتشديد[(٥)]؛ من الأرزاق ﴿بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾.

[٢٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ المطر ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ يبسط مطره[(٦)] ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فَرَّقَ ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾ هي ما يدب على الأرض[(٧)] من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

[٣٠] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للمؤمنين[(٨)] ﴿مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ بلية وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي: كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تُزَاوَلُ بها ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو - تَعَالَى - أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا مشركون ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ الله هربًا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فتفوتوه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ يدفع عذابه عنكم.

---

(١) ﴿يَبْشُرُ﴾ مخففًا قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُبَشِّرُ﴾.

(٢) الراجح وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية كقوله - تَعَالَى -: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾، والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه ﷺ لو افترى على الله كذبًا لمنعه من ذلك قطعًا فختم على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله ﷺ.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٤) فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب، وقيل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيبون لربهم فينقادون له ويلبون دعوته، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم وزادهم توفيقًا ونشاطًا على العلم ومضاعفة في الأجر. وهذا القول أقرب، والله أعلم.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.

(٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولوازم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار هنالك، واستبعده غيرهم من أهل العلم.

(٨) الظاهر أن الخطاب عام للمؤمنين وغيرهم.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

[٣٢] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ كالجبال في العِظَم.

[٣٣] ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة، ويشكر في الرخاء.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ عطف على ﴿يُسْكِنِ﴾؛ أي: يغرقهن بعَصْف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يغرق أهله.

[٣٥] ﴿[وَيَعْلَمُ]﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب[1] معطوف على تعليل مقدر؛ أي: يغرقهم لينتقم منهم، ويعلمَ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي «يعلم»، والنفي معلّق عن العمل.

[٣٦] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها، ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٣٧] ويعطف عليه[2]: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود، من عطف البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يتجاوزون.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه، من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله. وَمَنْ ذُكِرَ صنف.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ صنف؛ أي: ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال - تعالى -: [٤٠] ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله؛ فيجيبه: أخزاك الله ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الود بينه وبين المعفو عنه ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: البادئين بالظلم، فيترتب[3] عليهم عقابه[4].

[٤١] ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: ظلم الظالم إياه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ مؤاخذة.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ يعملون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالمعاصي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٤٣] ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها؛ بمعنى المطلوبات شرعًا.

[٤٤] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: أحد يلي هدايته، بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ طريق؟

---

(١) بالرفع قراءة نافع وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب؛ ﴿وَيَعْلَمَ﴾.

(٢) في بعض النسخ المطبوعة: «عليهم»، والصواب المثبت؛ أي: على قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

(٣) في نسخة القاضي: «فيرتب».

(٤) هذا من آثار عدم محبته ﷻ للظالمين، وليس هذا تفسير مقابل المحبة، وهذه طريقة المفسر غفر الله لنا وله، في تأويل هذه الصفة بآثارها ولوازمها.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾ خائفين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ضعيف النظر، مسارقةً، و«من» ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله - تعالى -.

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يرده ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ إنكار لذنوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة[١]؛ كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةٌ﴾ بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدّموه، وعبّر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء[٢].

[٥١] ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحي إليه ﴿وَحْيًا﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِىَ﴾ الرسول إلى المرسَل إليه؛ أي: يكلمه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾ عن صفات المحدثين[٣] ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

---

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبته المفسر رحمه الله إنما هو منه جريًا على طريقة الأشاعرة.

(٣) وهذا من قصر العام على بعض أفراده؛ فضلاً عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله عز وجل، والآية من أدلة إثبات صفة العلو التام لله عز وجل ذاتًا وقهرًا وشأنًا.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

[٥٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي: شرائعه ومعالمه، والنفي معلّق للفعل عن العمل، وما بعده سدَّ مسَدَّ المفعولين ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[٥٣] ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ ترجع.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

[مكية، وقيل: إلا: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ الآية، تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة.

[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ أوجدنا[1] الكتاب ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.

[٤] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مثبت ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة.

[٥] ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾ إمساكًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ مشركين؟ لا.

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِم﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق في آيات ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.

[٩] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.

[١٠] زاد - تعالى -: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشًا كالمهد للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

---

(١) تفسير الجعل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإنزال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبغوي وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعدٍ إلى مفعولين، فلا يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

[١١] ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفانًا ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء.

[١٢] ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ حُذف العائد اختصارًا، وهو مجرور في الأول[١]؛ أي: فيه، منصوب في الثاني[٢].

[١٣] ﴿لِتَسْتَوُۥا﴾ لتستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكر الضمير، وجمع الظهر؛ نظرًا للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين.

[١٤] ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(ﻫ) لمنصرفون.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الوالد، والملائكة من عباده ـ تعالى ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ القائل ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ بَيِّن ظاهر الكفر.

[١٦] ﴿أَمِ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أتقولون ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ أخلصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.

[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ جعل له شَبَهًا بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الوالد؛ المعنى: إذا أخبر أحدُهم بالبنت تُولَد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ متغيرًا تغيُّر مغتمّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غمًّا، فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.

[١٨] ﴿أَوَ﴾ همزة الإنكار، واو العطف، بجملة[٣]؛ أي: يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحجة[٤]؛ لضعفه عنها بالأنوثة؟!

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا﴾ حضروا ﴿خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيترتب عليهم العقاب.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راضٍ بها، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به.

[٢١] ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن، بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

(ﻫ) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا، ثم قال: «﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا...» الحديث. مسلم ـ كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

---

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «وجعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «وجعل لكم من الأنعام ما تركبونها».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) في نسخة القاضي كنعان: «الحجته».

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ منعموها مثل قول قومك: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ متبعون.

[٢٤] ﴿۞ [قُلۡ][1]﴾ لهم: ﴿أَ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[٢٥] قال ـ تعالى ـ تخويفًا لهم: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ أي: من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ أي: بريء ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمة التوحيد[2] المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[3] ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم.

[٢٩] ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا﴾ هلَّا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ﴾ أهل ﴿ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ من أية منهما ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

[٣٢] ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ النبوة ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ فجعلنا بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ بالغنى ﴿فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم﴾ الغني ﴿بَعۡضٗا﴾ الفقير ﴿سُخۡرِيّٗاۗ﴾ مسخرًا في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرئ[4] بكسر السين ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة[5] ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٣] ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على الكفر ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ﴾ بدل من «لمن» ﴿[سَقۡفًا]﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما[6]؛ جمعًا ﴿مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ يعلون إلى السطح.

---

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿قال﴾.

(٢) المراد بقوله: (وجعلها) يحتمل أن يكون الله ﷻ، ويحتمل أن يكون إبراهيم ـ عَلَيۡهِ السَّلَامُ ـ؛ قولان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ الآية.

(٣) الصافات: ٩٩. وقوله: «المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ لعله سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومة من قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(٤) أي: شذوذًا.

(٥) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي نفسها.

(٦) بالإفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضمها.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

[٣٤] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهبًا، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذُكِر لأعطيناه ذلك؛ لقلة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ [لَمَا]﴾ بالتخفيف، فـ«ما» زائدة، وبالتشديد(١) بمعنى إلا فـ«إنْ» نافية ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾ نسبب ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ لا يفارقه.

[٣٧] ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ في الجمع رعاية معنى «مَنْ».

[٣٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا [جَاءَانَا](٢)﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له: ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أنت لي.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي: العاشين، تمنيكم وندمكم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، و«إذ» بدل من «اليوم».

[٤٠] ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن؟ أي: فهم لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾ على عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ لشرف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عن القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب بعبادة غير الله.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

---

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة، وهشام بخلاف عنه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جاءنا﴾.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب؛ كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين، سبعة أيام، والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا۟﴾ لموسى لما رأوا العذاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل؛ لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخارًا ﴿فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من النيل ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي: تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي؟.

[٥٢] ﴿أَمْ﴾ تبصرون، وحينئذ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: موسى ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يُظْهِرُ كلامَه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره[١].

[٥٣] ﴿فَلَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقًا ﴿[أَسَاوِرَةٌ] مِّن ذَهَبٍ﴾ جمع أَسْوِرة[٢] كـ«أَغْرِبة»، جمع سوار، كعادتهم فيمن يسودونه، أن يلبسوه أسورة ذهب، ويطوقوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

[٥٤] ﴿فَٱسْتَخَفَّ﴾ استفز فرعون ﴿قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

[٥٥] ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم؛ أي: سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ بعدهم، يتمثلون بحالهم، فلا يُقدمون على مثل أفعالهم.

[٥٧] ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جُعِلَ ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله - تعالَى -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٣] فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى؛ لأنه عُبِدَ من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضحكون فرحًا بما سمعوا[*].

[٥٨] ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى، فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ خصومة بالباطل، لعلمهم أن «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[**] شديدو الخصومة.

[٥٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله - تعالَى - على ما يشاء.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ بأن نهلككم.

(*) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أن عيسى كان نبيًا وعبدًا من عباد الله صالحًا؟ فلئن كنت صادقًا؛ فإن آلهتهم لكما تقولون. قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. أحمد - المسند (١ - ٣١٨)، وحسن الأرناؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٥/٨٦، ٨٧).

(**) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٤) ومن سورة الزخرف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣).

---

(١) سبق بيان ذلك في تفسير سورة «طه» آية (٢٧).

(٢) أي: جمع الجمع، وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

[٦١] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: تَشُكُّنَّ فيها، حذف منه نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾ قل لهم: ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّن العداوة.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فبيَّنَ لهم أمر الدين ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئها قبله.

[٦٧] ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نعت لعبادي ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ تلذذًا ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ نظرًا ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٧٢] ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(*).

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادٍ: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

[٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ساكتون سكوت يأس.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٧٧] ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة[١]: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ مقيمون في العذاب دائمًا.

[٧٨] قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ أي: أهل مكة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟﴾ أي: كفار مكة، أحكموا ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

[٨١] ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فرضًا ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له ـ تعالى ـ فانتفت عبادته.

[٨٢] ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي[٢] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

[٨٣] ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

[٨٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء[٣]؛ أي: معبود ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم.

[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظّم ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ [يُرْجَعُونَ]﴾ بالياء والتاء[٤].

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: من دون الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

[٨٧] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير[٥] ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن عبادة الله؟

[٨٨] ﴿[وَقِيلَهُ]﴾ أي: قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر[٦]؛ أي: وقال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٨٩] قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْفَحْ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء[٧]؛ تهديد لهم.

* * *

(١) وهذا مروي عن ابن عباس كما عند الحاكم وغيره وصححه، ولا حجة فيه لأنه إن صح عنه فقد خالفه غيره من الصحابة، وهو عبد الله بن عمرو، فروي عنه أنه ـ تعالى ـ يجيبهم بعد أربعين سنة وكلاهما ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ معروف بالتحديث عن بني إسرائيل؛ فالأولى ترك ذلك.

(٢) سبق التنبيه على أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه، ويدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة ملقاة في فلاة» الصحيحة (١٠٩).

(٣) سهل الأولى مع المد والقصر قالون والبزي، وأسقطها مع القصر والمد أبو عمر، وسهل الثانية ورش وقنبل، ولورش وقنبل إبدالها ألفًا مع القصر لتحرك ما بعدها، وحققها بقية السبعة.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٥) حذفت نون الرفع لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين.

(٦) أي: وقال: «قيلَه»، وهي قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة، وقرأ عاصم وحمزة: ﴿وقيلِهِ﴾ بالجر عطفًا على «الساعة» في قوله: ﴿وعنده علم الساعة﴾؛ أي: ويعلم وقت قيامها، ويعلم وقت تضرعه وقِيلِه.

(٧) بالتاء قراءة نافع وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الدُّخَانِ

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ الآية،
وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المظهر الحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان[١]، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان[٢] ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَمْرًا﴾ فرقًا ﴿مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل؛ محمدًا ومَنْ قبله.

[٦] ﴿رَحْمَةً﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

[٧] ﴿[رَبُّ] ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ برفع «رب» خبر ثالث، وبجره[٣] بدل من «ربك» ﴿إِن كُنتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمدًا رسوله.

[٨] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[٩] ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاءً بك يا محمد، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»[٤].

[١٠] قال - تعالى -: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فأجدبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض.

[١١] ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبيك.

[١٣] قال - تعالى -: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان[٥] عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن الرسالة.

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشرٌ ﴿مَّجْنُونٌ﴾.

[١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الجوع عنكم زمنًا ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٦] اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة(*).

[١٧] ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٨] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان؛ أي: أظهروا إيمانكم لي[٦] يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على ما أرسلت به.

(*) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرج البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ. فقيل له: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك لجريء» فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(١) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٢) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجرّ.

(٤) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، واللفظ للبخاري.

(٥) الظاهر أن المنفي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحيق بهم من عذاب الدنيا، لا أن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٦) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف والشعراء.

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

[١٩] ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟﴾ تتجبروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ﴾ برهان ﴿مُّبِينٍ﴾ بيِّن على رسالتي، فتوعدوه بالرجم.

[٢٠] فقال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ بالحجارة.

[٢١] ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾ تصدقوني ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ مشركون.

[٢٣] فقال - تعالى -: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها[١] ﴿بِعِبَادِى﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

[٢٤] ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكنًا منفرجًا، حتى يدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ فاطمأن بذلك فأغرقوا.

[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري.

[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن.

[٢٧] ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ متعة ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ﴾ ناعمين.

[٢٨] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ؛ أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَـٰهَا﴾ أي: أموالهم ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء[٢] ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة.

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

[٣١] ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قيل بدل من «العذاب» بتقدير مضاف؛ أي: عذاب، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم؛ أي: العقلاء.

[٣٣] ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر والمنّ والسلوى وغيرها.

[٣٤] ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾: [٣٥] ﴿إِنْ هِىَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نُطَفٌ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.

[٣٦] ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أنا نبعث بعد موتنا؛ أي: نحيا.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نبي، أو رجل صالح[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ﴾ بخلق ذلك، حال.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقين في ذلك؛ ليُستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) بوصلها قراءة نافع وابن كثير، وقرأ بقية السبعة بقطع الهمزة.

(٢) روي هذا عن ابن عباس وغيره كما أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/٢٢ - ٣٦) وروي مرفوعًا عن أنس بنحوه عند الترمذي برقم (٣١٧٨) بلفظ: «ما من مؤمن إلا وله بابان؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾» وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٩٧).

(٣) الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أنه ليس نبيًا، وقومه هم «سبأ» وكانوا يسمّون ملكهم «تُبّعًا» كما يسمى ملك الفرس «كسرى»، و«قيصر» لمن ملك الروم، وقيل: إنه كان كافرًا ثم أسلم وتابع دين موسى عليه السلام، وكان ذلك قبل بعثة عيسى عليه السلام.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الجاثية

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْـًٔا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ هي من أخبث الشجر المر بتهامة، ينبتها الله ـ تَعَالَى ـ في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

[٤٥] ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿[تَغْلِي] فِى ٱلْبُطُونِ﴾ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية[١] حال من «المهل».

[٤٦] ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة.

[٤٧] ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء وضمها[٢]؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وسط النار.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾[٣].

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جبليها أعز وأكرم مني[٤].

[٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ فيه تشكُّون.

[٥١] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ يؤمن فيه الخوف.

[٥٢] ﴿فِى جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾.

[٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رَقَّ من الديباج، وما غَلُظ منه ﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأسِرَّة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ من التزويج، أو قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها.

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾ منها ﴿ءَامِنِينَ﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها[٥]، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلًا، منصوب بـ«تفضل» مقدرًا ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

* * *

(١) بالتاء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) الحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عدو الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

[مكية، إلا: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ الآية،
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته ـ تعالَى ـ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤] ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلى أن صار إنسانًا ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾ يفرّق في الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم[١] ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٥] ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ مطر؛ لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها، مرة جنوبًا، ومرة شمالاً، وباردةً وحارةً ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليل فيؤمنون.

[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«نتلو» ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة[٢] بالتاء.

[٧] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.

[٨] ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٩] ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا [هُزءًا][٣]﴾ أي: مَهْزوءًا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٠] ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم[٤] في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟﴾ من المال والفعال ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

[١١] ﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ موجع.

[١٢] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِّنْهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه ـ تعالَى ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

---

(١) هذه الآية كقوله ـ تعالَى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ فلا يُقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لحمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) بضم الزاي وبالهمز، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرأ حمزة: ﴿هُزْءًا﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية (٣٦).

(٤) في نسخة القاضي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾
أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ وقائعه؛ أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون[١] ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الغَفْر للكفار أذاهم[٢].

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات؛ كالمنّ والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبعثة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ في بعثته ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسدًا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ طريقة ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ﴾ يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ معالم، يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ﴾ اكتسبوا ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٌ﴾[٣] خبر ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار؛ المعنى: أحسِبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين؟ أي: في رغد من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا؛ حيث قالوا للمؤمنين: لئن بُعِثْنا لَنُعْطَى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا؛ من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و«ما» مصدرية؛ أي: بئس حكمًا حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ﴾ خلق ﴿ٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافرُ المؤمنَ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٢) أي المؤمنون؛ فيثيبهم، ويمكن أن يكون المعنى: ليجزي الكافرين على أذاهم للمؤمنين. كما قال الطبري.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿سواءً﴾ بالفتح، على الحال.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٣] ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منه ـ تعالى ـ؛ أي: عالمًا بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾ ظلمة، فلم يبصر الهدى، ويقدر هنا المفعول الثاني لـ«رأيت»: «أيهتدي»؟ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد إضلاله إياه؛ أي: لا يهتدي ﴿أَفَلَا [تَذَّكَّرُونَ]﴾ تتعظون؟ فيه إدغام إحدى التاءين في الذال[١].

[٢٤] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾؛ أي: منكرو البعث: ﴿مَا هِىَ﴾ أي: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ التي في ﴿ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض، ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: مرور الزمان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحاتٍ؛ حال ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أنا نُبعث.

[٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حين كنتم نطفًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أحياء ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يبدل منه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ الكافرون؛ أي: يظهر خسرانهم، بأن يصيروا إلى النار.

[٢٨] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أي: أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾ على الركب، أو: مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا﴾ كتاب أعمالها، ويقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

[٢٩] ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا﴾ ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٠] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ جنته[٢] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ البيِّن الظاهر.

[٣١] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب[٣] ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن﴾ ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المبرد: أصله: إن نحن إلا نظن ظنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنها آتية.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرون﴾ بتخفيف الذال.

(٢) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، ورحمة الله ﷻ صفة له قائمة بذاته، ونثبتها له ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق به.

(٣) بالنصب قراءة حمزة.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

[٣٤] ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ أي: تركتم العمل للقائه ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ مانعين منه.

[٣٥] ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿[هُزُؤًا]﴾[1] ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا [يَخْرُجُونَ]﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول[2] ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يُرضوا ربهم بالتوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين[3] ﴿رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالَم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رب» بدل.

[٣٧] ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ العظمة ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حال؛ أي: كائنة فيهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تقدَّم[4].

سُورَةُ الأَحْقَافِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾ خلقًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ خوفوا به من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أَرُونِى﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة[5] ﴿فِى﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ﴾ منزل ﴿مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ﴾ القرآن ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ﴾ بقية ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دعواكم.

[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدًا ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَـٰفِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

---

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول: ﴿يُخْرَجُونَ﴾.

(٣) أي إنه سبحانه يحمد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحمد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعًا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.

(٤) أي: «العزيز» في ملكه، «الحكيم» في صنعه. كما تقدم في أكثر من موضع.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقًا على ذلك: لو فسَّر الشرك بالشركة لكان أوضح، وفي السمين الحلبي: والشرك: المشاركة.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَـٰفِرِينَ﴾ جاحدين.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايَـٰتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّنٌ ظاهر.

[٨] ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل، وهمزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فرضًا ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ أي: لا تقدرون على دفعه عني، إذا عذبني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ بديعًا ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا[١]؛ أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؟ أو تُرْمَونَ بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئًا ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ الإنذار.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِن كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما[٢] عطف عليه: ألستم ظالمين[٣]؟ دل عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(*).

[١١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ أي: القائلون ﴿بِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَـٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في «مصدق» ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ من مشركي مكة ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين.

[١٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَآءًۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر؛ أي: يُجزون ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن عبد الله بن يوسف قال: سمعت مَالِكًا يحدث عن أبي النضر... عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ الآية. البخاري ـ كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبدالله ابن سلام.

---

(١) قوله: «في الدنيا»؛ هذا قول الحسن البصري وجماعة، وهذا القول ـ كما قال ابن كثير ـ: هو الذي عوَّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه. وعلى القول الآخر تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

(٢) أي: مع ما.

(٣) أي محذوف تقديره: «ألستم ظالمين؟».

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ [حُسْنًا](١)﴾ وفي قراءة: ﴿إِحْسَٰنًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فَنَصْبُ «إحسانًا» على المصدر بفعله المقدر، ومثله «حسنًا» ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لجملة مقدرة؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها، وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ إلخ، نزل في أبي بكر الصديق(٢) لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين(٣)، يُعذَّبون في الله ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول، أبو بكر وغيره ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن ﴿مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ حال؛ أي: كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾(٤).

[١٧] ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ وفي قراءة بالإدغام(٥)؛ أريد به الجنس ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها(٦)؛ بمعنى مصدر؛ أي: نتنًا وقبحًا ﴿لَّكُمَآ﴾ أتضجر منكما ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ وفي قراءة(٧) بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِى﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يسألانه الغوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَيْلَكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى هَلَكْتَ ﴿ءَامِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القول بالبعث ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم.

[١٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي: الله، وفي قراءة(٨) بالنون ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا، يُنقص للمؤمنين، ويزاد للكفار.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة، وبهمزتين، وبهمزة ومدة(٩)، وبهما وتسهيل الثانية(١٠) ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ به، وتعذبون بها.

---

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿إحسانًا﴾.

(٢) يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢٢) والسيوطي في الدر المنثور (٧/٤٤٣) عن عطاء عن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن مردويه. و ذكر البغوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهو مذهب الضحاك. وقيل: إن الآية عامة، وهو قول الحسن. ولعل هذا هو الأقرب؛ فإن أبا قحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يُسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عُمرُ أبي بكر وقتها تسعًا وخمسين سنة. والله أعلم.

(٣) هذا على اختيار المصنف أنها نزلت في أبي بكر، وسبق بيان أن الأقرب أنها عامة.

(٤) التوبة: ٧٢.

(٥) أي: إدغام لام «قال» مع إسكانها، مع لام «لوالديه»، وهو مذهب أبي عمرو في أحد الوجهين من روايتي الدوري والسوسي جميعًا.

(٦) بالفتح من غير تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر من غير تنوين قراءة الباقين عدا نافع وحفص، وقرأ نافع وحفص: ﴿أُفٍّ﴾.

(٧) مع المد المشبع؛ ﴿أتعداني﴾، وهي قراءة سبعية لهشام.

(٨) لحمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٩) المناسب أن يقول: «وبهمزتين محققتين ومدة».

(١٠) قرأ بهمزتين على الاستفهام ابن كثير وابن عامر، كل على أصله في التسهيل وعدمه، والإدخال وعدمه، وقرأ بقية السبعة: ﴿أذهبتم﴾.

* وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

[٢١] ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ إلخ، بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾ خوفهم ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿أَ﴾ن؛ أي: بأن قال: ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أنه يأتينا.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾ هود: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابًا عرض في أفق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: ممطر إيانا[1]؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[*] مؤلم.

[٢٥] ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته[2]؛ أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ غيرهم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ﴾ في الذي ﴿إِن﴾ نافية أو زائدة ﴿مَّكَّنَّٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعًا ﴿وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ قلوبًا ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: شيئًا من الإغناء، و«من» زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة لـ«أغنى» وأشربت معنى التعليل ﴿كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بحججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: من أهلها؛ كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ هلَّا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متقربًا بهم إلى الله ﴿ءَالِهَةً﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول؛ أي: هم، و«قربانًا» الثاني، و«آلهة» بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا۟﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قربانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون، و«ما» مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف؛ أي: فيه.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مَخِيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه، فعرَّفته عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري لعله كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ الآية. البخاري ـ كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾.

---

(١) في نسخة القاضي: «مطر أتانا».

(٢) الأمر غير الإرادة، وغير القدرة، وقد جرت عادة المصنف رحمه الله أن يفسر الأمر بذلك، وهذا مبناه على مذهبه في كلام الله، أنه معنى نفسي لا يقبل التعدد، وهو خلاف مذهب السلف في أن الله عز وجل يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ومن ذلك أنه يأمر بما شاء وكيف شاء ومتى شاء.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

[٢٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَآ﴾ أملنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جن «نصيبين»[1] باليمن، أو جن «نينوى»[2]، وكانوا سبعة[3] أو تسعة[4]، وكان ﷺ ببطن نخلة[5] يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان][6] ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا۟﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا۟﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودًا وقد أسلموا.

[٣٠] ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالتوراة ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريقه.

[٣١] ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ محمدًا ﷺ إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تُغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٢] ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ﴾ لمن لا يجيب ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن ظاهر.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا؛ أي: منكرو البعث ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يَعجِزْ عنه ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ خبر «أن»، وَزِيدَتْ الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة[7]: «أليس الله بقادر؟» ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها، يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قبلك فتكون ذا عزم، و«من» للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض[8] فليس منهم آدم؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[9] ولا يونس؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[10] ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة، لطوله ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾، هذا القرآن ﴿بَلَٰغٌ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فَهَلْ﴾ أي: لا ﴿يُهْلَكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

* * *

(١) «نَصيبين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.

(٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).

(٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبيش (١٣٥/٢٢).

(٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع: «نَخْل»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخلة» هي نخلة اليمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نخل» فهو موضع في نجد على بعد ليلتين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.

(٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.

(٧) قوله: «في قوة: «أليس الله بقادر؟»»: جواب عما يقال: إن الباء لا تُزاد إلا في خبر «ليس» و «ما»، كما قال ابن مالك: وبعد «ما» و«ليس» جر البا الخبر.

(٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. اهـ. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكماله؛ فكلهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) طه: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

سُورَةُ القِتَالِ (١)

[مدنية، إلا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآية، أو: مكية، وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾ أحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، ويُجزون بها في الدنيا، من فضله تعالى(٢).

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾ غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالهم، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ يبين أحوالهم؛ أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن يغفر له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله؛ أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوهم، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾ فأمسكوا عنهم وأْسِروهم، وشُدُّوا ﴿الْوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله؛ أي: تمُنُّون عليهم، بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ تفادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ أي: أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾ أثقالها، من السلاح وغيره؛ بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم به ﴿لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتل منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة(٣) ﴿[قَاتَلُوا]﴾، الآية، نزلت يوم أحد(٤)، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾.

[٥] ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقتل، وأدرجوا في «قتلوا»؛ تغليبًا.

[٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾ بيّنها ﴿لَهُمْ﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير استدلال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

[٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ أي: دينه ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يثبتكم في المعترك.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تَعِسُوا»(٥)، يدل عليه: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: هلاكًا وخيبةً من الله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ عطف على «تَعِسُوا».

[٩] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي: أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾ ولي وناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

---

(١) وتسمى أيضًا: سورة «محمد» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعًا: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسنات ما عَمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للسبعة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هذا قول ابن جريج؛ كما في الدر المنثور (٧/ ٤٦١)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه البغوي لقتادة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٣/ ٢١٨).

(٥) أي: تقديره: «تَعِسُوا».

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ أي: ليس لهم هَمٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فرآه حسنًا، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ في عبادة الأوثان؛ أي: لا مماثلة بينهما.

[١٥] ﴿مَّثَلُ﴾ أي: صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخليها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ بالمد والقصر[١]؛ كضارب وحَذِر؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيتغير بعارض[٢] ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فهو راضٍ عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطًا عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: أَمَنْ هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ أي: مصارينهم فخرجت من أدبارهم، وهو جمع مِعًى بالقصر، وألفه عن ياء؛ لقولهم: معيان[٣].

[١٦] ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: الكفار ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس[٤]، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ بالمد والقصر[٥]؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم ما يتقون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون؛ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذِكْرَاهُمْ﴾ تذكرهم؛ أي: لا ينفعهم.

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: دُمْ يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته؛ لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»[٦] ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

---

(١) بالقصر أي ﴿أسن﴾، قراءة ابن كثير.

(٢) في نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تثنيته.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يُسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي ﴿أنفا﴾ قراءة البزي بخلاف عنه.

(٦) أخرج نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأغر بن يسار مرفوعًا.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ طلبًا للجهاد: ﴿لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي: طلبه ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ﴾ خوفًا منه وكراهة له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ﴾ أي: حَسَنٌ لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: فُرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ [عَسِيتُمْ]﴾ بكسر السين وفتحها[1]، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال[2].

[٢٣] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[*] عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ﴾ بالنفاق ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ أي: زيَّن ﴿لَهُمْ [وَأُمْلِيَ] لَهُمْ﴾ بضم أوله وبفتحه واللام[3]، والمملي الشيطان بإرادته ـ تعالى ـ، فهو المضلُّ لهم.

[٢٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِۖ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سِرًّا، فأظهره الله ـ تعالى ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ [أَسْرَارَهُمْ]﴾ بفتح الهمزة جمع «سِرّ»، وبكسرها[4]: مصدر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: العمل بما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

[٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(*) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾». مسلم ـ كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

---

(١) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٢) في نسخة القاضي: «القتل».

(٣) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ بفتح أوله واللام.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إسرارهم﴾ بكسر الهمزة.

وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ عَرَّفْنَاكَهُمْ، وكررت اللام في: ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يُعَرِّضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾.

[٣١] ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ نختبرنَّكم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ علم ظهور ﴿ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَنَبۡلُوَاْ﴾ نُظْهِرُ ﴿أَخۡبَارَكُمۡ﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون[1] في الأفعال الثلاثة[2].

[٣٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ يبطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المُطْعمين من أصحاب بدر[3] أو: في قريظة والنضير[4].

[٣٣] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ بالمعاصي[5] مثلًا.

[٣٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ نزلت في أصحاب القليب[6].

[٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ تضعفوا ﴿وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ بفتح السين وكسرها[7]؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر[8] ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ﴾ ينقصكم ﴿أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ﴾ البخل ﴿أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾ لدين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ يقال: بخل عليه وعنه ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن طاعته ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أي: يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾[*] في التولي عن طاعته، بل مطيعين له عَزَّ وَجَلَّ.

* * *

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يومًا هذه الآية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ قالوا: ومن يستبدل لنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: «هذا وقومه، هذا وقومه». الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة محمد. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٨).

(١) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة؛ أي: «ليبلونكم»، و«يعلم»، و«يبلو»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٢) في نسخة: «في ثلاثتها»، والأفعال الثلاثة هي: «لنبلونكم» ، «ونعلم»، و«نبلو»، من هذه الآية.

(٣) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا فقراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٤) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٥) ليست كل معصية مبطلة للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعها ؛ كالردة، ومنها ما يبطل بعضها؛ كالرياء في أصل العمل، ومنها ما لا يُبطل شيئًا.

(٦) «القليب»: هو بئر في «بدر»، ألقي فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصًا، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٧) بالكسر قراءة شعبة وحمزة.

(٨) وهذا من لوازم معيته ـ سُبْحَانَهُ ـ الخاصة بعباده المؤمنين، وحقيقتها الصحبة اللائقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستويًا على عرشه بائنًا من خلقه؛ فكلاهما حق.

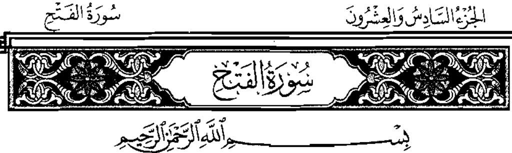
سُورَةُ الفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،
نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية][*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة[١] وغيرها، في المستقبل عَنْوَةً بجهادك ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ بيِّنًا ظاهرًا. [٢] ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه؛ لترغب أمتك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب[٢] ﴿وَيُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَٰطًا﴾ طريقًا ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ ذا عزٍّ لا ذل له.

[٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه؛ أي: لم يزل متصفًا بذلك. [٥] ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أمر بالجهاد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[**]. [٦] ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة[٣]؛ ظنوا أنه لا ينصر محمدًا ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعًا. [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه؛ أي: لم يزل متصفًا بذلك.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلًا، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول اللَّه ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلت أم عمر عمر، نزرْتَ رسول اللَّه ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، فجئت رسول اللَّه ﷺ فسلمت عليه فقال: «لقد أنزل عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضًا عن سهل بن حنيف قال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالًا لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ أنرجع ولا يحكم اللَّه بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول اللَّه ولن يضيعني اللَّه أبدًا»، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه اللَّه أبدًا. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول اللَّه ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «نعم». البخاري ـ كتاب الجزية والموادعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول اللَّه ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالًا... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور يعاهدون اللَّه أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا... فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٦). وأخرج أيضًا عن عبداللَّه بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول اللَّه ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله: «أنا... ونزلت على رسول اللَّه ﷺ سورة الفتح. أحمد ـ المسند (١/ ٣٩١، ٤٦٤)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧١٠).

(**) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليَّ آية أحب إليَّ مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئًا مريئًا يا نبي الله، قد بين اللَّه لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بالفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إعلاء كلمة اللَّه ـ تَعَالَى ـ، بمكابدة مشاق الحروب، واقتحام موارد الخطوب. ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنبًا بالنظر إلى منصبه الجليل».

(٣) هذا سبق قلم من المصنف رحمه الله؛ فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وظننتم ظن السوء﴾؟ ليس فيهما إلا فتح السين باتفاق القراء، وليس فيهما ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح؛ ففي قوله تعالى: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُخوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.

[٩] ﴿[لِّيُؤْمِنُوا] بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالياء والتاء[١]، فيه وفي الثلاثة بعده ﴿[وَيُعَزِّرُوهُ]﴾ ينصروه، وقرئ[٢] بزايين مع الفوقانية ﴿[وَيُوَقِّرُوهُ]﴾ يعظموه، وضميرها للّه أو لرسوله ﴿[وَيُسَبِّحُوهُ]﴾ أي: اللّه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ هو نحو ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٣] ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التي بايعوا بها النبي؛ أي: هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها[٤] ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء والنون[٥] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلَّفهم اللّه عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ اللّه، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبًا لهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَن﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد وضمها[٦] ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أنهم يُستأصلون بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند اللّه بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ نارًا شديدة.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ هي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ وفي قراءة[٧]: ﴿كَلِمَ ٱللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

---

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.
(٢) أي شذوذًا.
(٣) النساء: ٨٠.
(٤) وهذا تفسير باللازم، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة للّه ﷻ على ما يليق به، كما هو مذهب أهل السنة.
(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.
(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.
(٧) لحمزة والكسائي.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المذكورين؛ اختبارًا: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة، هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا.

[١٧] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون[1] ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ بالياء والنون[2] ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٨] ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشًا وأن لا يفروا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، بعد انصرافهم من الحديبية.

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: المعجَّلة، عطف على مقدر؛ أي: لتشكروه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه ـ تعالى ـ.

[٢١] ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ صفة «مغانم» مقدرًا، مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

[٢٢] ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين؛ أي: سن الله ذلك سنة ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

---

(١) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم؛ ليصيبوا منكم فأُخِذُوا وأُتِيَ بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح(*) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا [يَعۡمَلُونَ] بَصِيرًا﴾ بالياء والتاء[1]؛ أي: لم يزل متصفًا بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَٱلۡهَدۡيَ﴾ معطوف على «كم»[2] ﴿مَعۡكُوفًا﴾ محبوسًا حال ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ أي: تقتلوهم مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من «هم» ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ﴾ أي: إثم ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ منكم به، وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب «لَوْلاَ» محذوف؛ أي: لأُذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ من أهل مكة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا.

[٢٦] ﴿إِذۡ جَعَلَ﴾ متعلق بـ«عَذَّبْنَا» ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل من «الحمية»، وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهۡلَهَاۚ﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك، ومن معلومه ـ تعالى ـ أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمنين ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ متعلق بـ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُونَۖ﴾ أبدًا ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

[٢٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ أنك مرسل بما ذكر.

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلًا من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلمًا فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾. مسلم ـ كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) (وهو الذي كف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضًا عن سلمة بن الأكوع قال:... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحتُ [أي كنستُ] شوكها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك؛ إذ نادى منادٍ: يا للمهاجرين؛ قتل ابن زنيم. قال: فاخترطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضِغْثًا [حُزمة] في يدي. قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه، إلا ضربت الذي فيه عيناه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثِنَاهُ» فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾ الآية. مسلم ـ كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربصه ومن آوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش ـ كما في شروط صلح الحديبية ـ وقطعهم الطريق على قوافل قريش وعيرها ـ فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لمَّا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم ...﴾ الآية. البخاري ـ كتاب الشروط (٥٤) ـ باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: «وظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالك» الفتح (٤١٤/٥).

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: الضمير في (صدوكم)، والمعنى منعوكم ومنعوا الهدي.

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾

[٢٩] كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ خبر ثان؛ أي: متعاطفون متوادون، كالوالد مع الولد ﴿تَرَىٰهُمۡ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ حالان ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ﴾ علامتهم، مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِم﴾ خبره، وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا[1] ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنة، وأعرب حالًا من ضميره المنتقل إلى الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمۡ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ بسكون الطاء وفتحها[2]؛ فِراخه[3] ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بالمد والقصر[4]؛ قواه وأعانه ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ غلظ ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ قوي واستقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: زُرَّاعه؛ لحسنه، مثل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بذلك؛ لأنهم بدأوا في قلة وضعف، فكثروا وَقَوُوا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾[5] متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله؛ أي: شُبهوا بذلك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾ الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعيض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ الجنة، وهما[6] لمن بعدهم ـ أيضًا ـ في آيات.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

[مدنية، ثماني عشرة آية]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ من قَدَّمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا تقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٞ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ على[7] النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد[8]. [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إذا نطق ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ إذا ناجيتموه ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ بل دون ذلك إجلالًا له ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين[*]. [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر[9] وغيرهما[10] رضي الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ﴾ اختبر ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أي: لتظهر منهم ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة ـ لأنهم لم يعلموه في أي حجرة ـ مناداة الأعراب بغلظة وجفاء[11] ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ـ فيما فعلوه ـ محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

(*) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ؛ فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أَمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ حتى انقضت =

---

(١) الظاهر أن المراد بالسيما هنا علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالغر المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم استنارت بالجلال ظواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) الشَّطء: فراخ النخل. (٤) بالقصر قراءة ابن ذكوان.

(٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يُبغضون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقلًا عن روح المعاني للألوسي. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصاوي: «الأولى أن يقول: «عند النبي»، وفي نسخة القاضي: «عند». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغهما النهي عن رفع الصوت؛ فصارا يخفضان صوتهما عند النبي ﷺ؛ كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٥/٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢ رقم ١٣١٦)، والهيثمي في المجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣).

(١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأقرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم يُجبه، فقال: يا محمد؛ إن حمدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال ﷺ: «ذاك الله»؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده مختصرًا؛ دون ذكر أنه سبب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾ «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر؛ أي: ثبت(١) ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم. [٦] ونزل في الوليد بن عقبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُصْدِقًا، فخافهم؛ لترة(٢) كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، فهمَّ النبي ﷺ بغزوهم(٣)، فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ صدقه من كذبه، وفي قراءة(٤): ﴿فَتَثَبَّتُوا۟﴾ من الثبات ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا﴾ مفعول له؛ أي: خشية ذلك ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال من الفاعل؛ أي: جاهلين ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾ تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نَٰدِمِينَ﴾ وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالدًا، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك(٥).

[٧] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم دونه؛ إثم التَّسَبُّبِ إلى المرتَّب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حبب إليه الإيمان... إلخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم.

[٨] ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي: أفضل ﴿وَنِعْمَةً ۚ﴾ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامه عليهم.

[٩] ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمارًا، ومر على ابن أُبي، فبال الحمار، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره أطيب ريحًا من مسكك؛ فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف(٦) ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ جمع؛ نظرًا إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ(٧): ﴿اقْتَتَلَتَا﴾ ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾ ثُني نظرًا إلى اللفظ ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾ تعدت ﴿إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الحق ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(*).

[١٠] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ إذا تنازعا، وقرئ(٨): ﴿إِخْوَتِكُمْ﴾ بالفوقانية ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ﴾ الآية، نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين؛ كعمار، وصهيب(٩)، والسخرية: الازدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ﴾ منكم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا فتُعابوا؛ أي: لا يعب بعضكم بعضًا ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟﴾

= الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات (٤٩) باب (٢) وأخرج البخاري أيضًا عن ابن أبي مليكة؛ قال: كاد الخيران أن يهلكا؛ رفع أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم؛ فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع: لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات باب (٣).

(*) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا، فانطلق المسلمون يمشون معه - وهي أرض سبخة - فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾. البخاري - كتاب الصلح (٥٣) باب (١) ما جاء في الإصلاح بين الناس.

(١) أي: ثبت صبرهم. (٢) أي: عداوة.

(٣) روي ذلك من حديث جابر بن عبد الله، كما عند الطبراني في الأوسط (١٣٣/٤، ١٣٤ رقم ٣٧٩٧)، والهيثمي في المجمع (١١٠/٧) وقال: «وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي، وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات». وضعفه في الاستيعاب (٢٧٦/٣). وقد جاء من عدة طرق ذكرها الطبري والسيوطي وغيرهما، حسن بعضها صاحب الاستيعاب (٢٧٥/٣).

(٤) لحمزة والكسائي. (٥) روي ذلك عن قتادة، ذكره الطبري في جامعه (٧٩/٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٨/٧)، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٢٧٧/٣).

(٦) أخرج نحوه البخاري (٢٦٩١) ومسلم (١٧٩٩) عن أنس بن مالك. وليس فيه ذكر البول ولا المسك.

(٧) أي: شذوذًا. (٨) أي: شذوذًا.

(٩) روي ذلك عن مقاتل، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإعضاله، كما في الاستيعاب (٢٨٢/٣).

﴿بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ لا يَدْعُ بعضكم بعضًا بلقب يكرهه؛ ومنه: يا فاسق، يا كافر ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾ أي: المذكور من السخرية[1] واللمز والتنابز ﴿ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ بدل من الاسم؛ لإفادة أنه فسق، لتكرره عادة ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[*].

[١٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي: مُؤثم، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه بالفساق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ حذف منه إحدى التاءين؛ لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم، بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد[2]؛ أي: لا يحسُنُ به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فاكرهوا الأول ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: عقابه في الاغتياب، بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شَعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ هي دون الشعوب، وبعدها: العمـائر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. مثاله: خزيمة: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عِمارة ـ بكسر العين ـ، قصي: بطن، هاشم: فخذ، العباس: فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ حذف منه إحدى التاءين؛ ليعرف بعضكم بعضًا، لا لتفاخروا بعلوّ النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

[١٤] ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد: ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا ظاهرًا ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا [يَأْلِتْكُم]﴾ بالهمز، وتركه، وبإبداله ألفًا[3]: لا ينقصكم ﴿مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعدُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فجهادهم يُظهر صدق إيمانهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا، ولم يوجد منهم غير الإسلام.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مُضعَّف عَلِمَ بمعنى شعر؛ أي: أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم: آمنا؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

[١٧] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم﴾ منصوب بنزع الخافض «الباء»، ويقدر قبل «أن» في الموضعين[4] ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في قولكم: آمنا.

[١٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيهما ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا [يَعْمَلُونَ]﴾ بالياء والتاء[5]: لا يخفى عليه شيء منه.

* * *

(*) ما جـاء في نزول الآية (١١): أخرج أبو داود عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت هذه الآية؛ في بني سلمة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾. قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان وثلاثة، فجعل النبي ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله! إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾. أبو داود ـ كتاب الأدب (٣٥) باب (٧١) في الألقاب. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٤١٥١).

---

(١) في نسخة القاضي: «السَّخَر».

(٢) بالتشديد قراءة نافع.

(٣) قرأ أبو عمرو بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدل منها ألفًا إذا سهل كل همزة ساكنة، وقرأ بقية السبعة: ﴿لا يَلِتْكُم﴾.

(٤) أي: في «أن أسلموا»، و«أن هداكم».

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

سورة ق ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾

سورة ق ٥٠

[مكية، إلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ(١).

[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[٣] ﴿أَإِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين(٢) ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نرجع ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ في غاية البعد.

[٤] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ﴾ تأكل ﴿مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾ بعيونهم، معتبرين بعقولهم، حين أنكروا البعث ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ كائنة ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ شقوق تعيبها؟.

[٧] ﴿وَالْأَرْضَ﴾ معطوف على موضع «إلى السماء»، كيف ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ دحوناها على وجه الماء(٣) ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالًا تثبتها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ يُبْهَجُ به؛ لحسنه.

[٨] ﴿تَبْصِرَةً﴾ مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصيرًا منا ﴿وَذِكْرَى﴾ تذكيرًا ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى طاعتنا.

[٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿الْحَصِيدِ﴾ المحصود.

[١٠] ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طوالًا، حال مقدرة ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ متراكب بعضه فوق بعض.

[١١] ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ مفعول له ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿الْخُرُوجُ﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى «قوم» ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبيهم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح.

[١٣] ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾.

[١٤] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الغيضة، قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: لم نَعْيَ به، فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

---

(١) أي: أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها بقية السبعة من غير إدخال إلا هشامًا فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطناها.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ حال بتقدير «نحن» ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿تُوَسْوِسُ﴾ تحدث ﴿بِهِۦ﴾ الباء زائدة، أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفحتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ«اذكر» مقدرًا ﴿يَتَلَقَّى﴾ يأخذ ويثبت ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثنى.

[١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة، حتى يراه المنكر لها عيانًا، وهو نفس الشدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تهرب وتفزع.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَآءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: [٢٢] ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ حادٌّ تدرك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الملك الموكل به: ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي: الذي ﴿لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ حاضر. [٢٤] فيقال لمالك: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ أي: ألقِ ألقِ، أو «ألقيَنْ»، وبه قرأ الحسن[1]، فأبدلت النون ألفًا ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق.

[٢٥] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في دينه.

[٢٦] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مبتدأ ضُمِّن معنى الشرط، خبره: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أضللته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطغاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يُغيَّر ﴿ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾[2].

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه «ظلام» ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء[3] ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد امتلأت[4]. [٣١] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكانًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيرونها. [٣٢] ويقال لهم: ﴿هَٰذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء[5]؛ في الدنيا، ويبدل من ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجّاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظ لحدوده. [٣٣] ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ مقبل على طاعته. [٣٤] ويقال للمتقين ـ أيضًا ـ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ سالمين من كل مخوف، أو مع سلام؛ أي: سلِّموا وادخلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة. [٣٥] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

---

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرة العينين: «هذا سهو من الجلال المحلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهمزة مكسورة، وبألف ممدودة بعد القاف، وهمزة منصوبة منونة؛ أي: «إلقاءً» مصدر «ألقى».اهـ

(٢) غافر: ١٧.

(٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.

(٤) هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروي عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية ، وعليه تدل الأحاديث. اهـ. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يُلقى في النار، ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حتى يضع قدمه، فتقول قط قط». وفي رواية في الصحيحين أيضًا: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فتقول قط قط وعزّتك...». البخاري (٤٨٤٨، ٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أبي هريرة عندهما مرفوعًا: «... فلا تمتلئ حتى يضع رجله؛ فتقول: قَطْ قَطْ؛ فهنالك تمتلئ...». البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أهلكنا قبل كفار قريش قرونًا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ فتّشوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة[١] ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ تعب، نزل ردًّا على اليهود في قولهم: إن اللَّه استراح يوم السبت[٢]، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزهه - تعالى - عن صفات المخلوقين[٣]، ولعدم المماسة بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].

[٣٩] ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلِّ حامدًا ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾؛ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صلِّ العشاءين ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ بفتح الهمزة: جمع دُبُر، وكسرها[٥]: مصدر أدبر؛ أي: صلِّ النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملابسًا للحمد.

[٤١] ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو إسرافيل ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء[٦]، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن اللَّه يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم[٧].

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

[٤٤] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها[٨] ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلَّقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وهم المؤمنون.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذَرْوًا﴾ مصدر، ويُقال: تذريه ذَرْيًا: تَهُبُّ به. [٢] ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا﴾ ثقلًا، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعد صادق. [٦] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

---

(١) راجع التعليق على تعين هذه الأيام وتحديدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدركه (٥٤٣/٢)، وصححه، وتعقبه الذهبي، وأخرجه أيضًا الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - سُبْحَانَهُ - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحمزة.

(٦) روي هذا عن كعب الأحبار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بجنب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من جملة الاعتراض الآتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» يقدر قبله»اهـ.

(٨) بالتشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠

[٧] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ جمع «حبيكة»؛ كطريقة و«طُرُق»؛ أي: صاحبة الطرق في الخلقة؛ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر، كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن؛ أي: عن الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ صُرف عن الهداية في علم الله ـ تعالى ـ. [١٠] ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لُعِن الكذابون، أصحاب القول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة. [١٢] ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متى مجيئه؟ وجوابهم: يجيء [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: يعذبون فيها. [١٤] ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿الَّذِى كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من الضمير في خبر «إن» ﴿مَا ءَاتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، و«ما» زائدة، و«يهجعون» خبر «كان»، و«قليلًا» ظرف؛ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. [١٨] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يَسأل لتعففه. [٢٠] ﴿وَفِى الْأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿ءَايَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ووحدانيته ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾. [٢١] ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ﴾ آيات ـ أيضًا ـ من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته؟ [٢٢] ﴿وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر المسبِّب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعقاب؛ أي: مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ برفع «مثل»: صفة، و«ما» مزيدة، وبفتح اللام: مركبة مع «ما»[١]، المعنى: مثل نطقكم في حقيقته؛ أي: معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم. [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة؛ اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ«حديث ضيف» ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: هذا اللفظ[٢] ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر؛ أي: هؤلاء.

[٢٦] ﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ سرًّا ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وفي سورة هود ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[٣] أي: مشوي.

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عرض عليهم الأكل. فلم يجيبوا [٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل ربك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذكر في «هود».

[٢٩] ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ صيحة، حال؛ أي: جاءت صائحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط، وعمرها تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو: عمره مائة وعشرون سنة، وعمرها تسعون سنة.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾ أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) أي: الذي صدر منهم هو لفظ: «سلامًا»؛ منصوب بفعل مقدر، والذي صدر منه هو لفظ «سلام»؛ مرفوع على الخبرية لمبتدأ مضمر.

(٣) هود: ٦٩.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

[٣١] ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ كافرين، هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار.

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبسًا ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُلِيمٌ﴾ آت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر، وهي الدَّبُور[1].

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ كالبالي المتفتت.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[2].

[٤٤] ﴿فَعَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي: ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ على من أهلكهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمِ﴾ نُوحٍ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في[3] السماء والأرض آية، وبالنصب[4]؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوة[5] ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قادرون؛ يقال: آد الرجل يئيد قَوِيَ، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدوه.

[٥٠] ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بيِّن الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

---

(١) كما عند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «نُصرتُ بالصَّبَا، وأهلكت عاد بالدَّبور». والصَّبا: هي الريح التي تَهُبُّ من مطلع الشمس، والدَّبور: هي التي تَهُبُّ من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالخفض، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر آد؛ وليس بجمع ليد، فليس في الآية تأويل، ومن ثم فليس فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلًا وتركًا له.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

[٥٢] يُقَدَّر قبل ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾: قل لهم: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ هو: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: مثل تكذيبهم لك، بقولهم: إنك ساحر، أو مجنون، تكذيب الأمم قبلهم رسلَهم، بقولهم ذلك.

[٥٣] ﴿أَتَوَاصَوْاْ﴾ كلهم ﴿بِهِۦ﴾؟ استفهام بمعنى النفي ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ جمعهم على هذا القول طغيانُهم.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ لأنك بلَّغتهم الرسالة.

[٥٥] ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من علم اللَّه ـ تعالى ـ أنه يؤمن. [٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين؛ لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك: بريت هذا القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به. [٥٧] ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ لي، ولأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم. [٥٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد.

[٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالكفر، من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيبًا من العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب ﴿أَصْحَٰبِهِمْ﴾ الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب؛ إن أخَّرتُهم إلى يوم القيامة.

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾ في ﴿يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: يوم القيامة.

سُورَةُ الطُّورِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلطُّورِ﴾ أي: الجبل الذي كلم اللَّه عليه موسى.

[٢] ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾. [٣] ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ أي: التوراة أو القرآن.

[٤] ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ هو في السماء الثالثة(١) أو السادسة(٢) أو السابعة(٣)، بحيال الكعبة(٤)، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدًا(٥). [٥] ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ أي: السماء.

[٦] ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ أي: المملوء(٦). [٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ لنازل بمستحقه. [٨] ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ عنه.

[٩] ﴿يَوْمَ﴾ معمول لواقع ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ تتحرك وتدور.

[١٠] ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ تصير هباء منثورًا، وذلك في يوم القيامة.

[١١] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ للرسل.

[١٢] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ﴾ باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: يتشاغلون بكفرهم.

[١٣] ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يدفعون بعنف، بدل من ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾، ويقال لهم تبكيتًا: [١٤] ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

---

(١) لم أجده، وروي عن أبي هريرة مرفوعًا أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي.

(٢) وهو مروي عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ قال: «أنزل من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الغرق رفعه اللَّه فهو في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبيلة إبليس، ثم لا يرجع إليه أحد يومًا واحدًا أبدًا» [الدر المنثور (٦/١٤٤)].

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (٦/١٤٤)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي.

(٤) أخرج ابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة...» الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٤٤).
وأخرج ابن مردويه عن عبد اللَّه بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسقط عليها...» الحديث.
وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ قال: ذكر لنا أن رسول اللَّه ﷺ قال يومًا لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها...» الحديث. وهناك آثار وأحاديث أخرى. انظر: [الدر المنثور (٦/١٤٤، ١٤٥)]، وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملة القول: أن هذه الزيادة: «حيال الكعبة» ثابتة بمجموع طرقها...»، الصحيحة (١/١٧٨١).

(٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) عن أنس بن مالك وفيه «فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...».
وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا: «... ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...».

(٦) هذا قول قتادة والحسن وجمهور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» المحمي؛ بمنزلة التنور ـ أي الفرن ـ المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي. وقيل غير ذلك.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

[١٦] ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ صبركم وجزعكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾.

[١٨] ﴿فَٰكِهِينَ﴾ متلذذين ﴿بِمَآ﴾ مصدرية ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ عطفًا على ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾ أي: بإتيانهم ووقايتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ حال؛ أي: مهنئين ﴿بِمَا﴾ الباء سببية ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير المستكنّ في قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ عظام الأعين حسانها[١].

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأ ﴿[وَأَتْبَعْنَاهُم][٢]﴾، وفي قراءة: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾ ﴿[ذُرِّيَّاتِهِمْ][٣]﴾، وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ الصغار والكبار ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار[٤]، والخبر: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكرمةً للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ بفتح اللام وكسرها[٥]: نقصناهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِينٌ﴾ مرهون؛ يؤاخذ بالشر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا.

[٢٤] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقاء[٦] ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حُسنًا ولطافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ مصون في الصدف؛ لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذًا واعترافًا بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوٓا۟﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ النار؛ لدخولها في المسام.

[٢٨] وقالوا إيماءً ـ أيضًا ـ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافًا، وإن كان تعليلًا معنى، وبالفتح[٧] تعليلًا لفظًا ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ دُم على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾ خبر «ما» ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر، فيَهْلِك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هلاككم، فعُذبوا بالسيف يوم بدر، والتربص: الانتظار.

---

(١) هذا المذكور تفسير «عين» ومفردها عيناء. وأما معنى «حور» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويُقال: حورت العَيْنُ؛ أي اشتد بياض بياضها، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿واتَّبعتهم﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذريتهم﴾.

(٤) أي: وبإيمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحيازة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمتهم.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعنادهم.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلق القرآن؟ لم يختلقه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ استكبارًا.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُعقَلُ مخلوق بغير خالق، ولا معدوم يَخْلُق، فلا بد لهم من خالق هو اللّه الواحد، فلِمَ لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا اللّه الخالق، فلِمَ لا يعبدونه؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ به، وإلا لآمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخُصُّوا من شاؤوا بما شاؤوا؟ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سيطر، ومثله: بيطر وبيقر[1].

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلامَ الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ مدعي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات اللّه قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾؟ تَعَالَى اللّهُ عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يسلمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوك في دار النَّدوة؟ ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ المغلوبون المهلكون، فحفظه اللّه منهم، ثم أهلكهم ببدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الآلهة، والاستفهام بـ«أم» في مواضعها للتقبيح والتوبيخ.

[٤٤] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ بعضًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2]؛ أي: تعذيبًا لهم ﴿يَقُولُوا۟﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ متراكب نرتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾ بدل من: ﴿يَوْمَهُمُ﴾ ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة.

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا قبل موتهم، فعُذِّبوا بالجوع والقحط سبعَ سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضقْ صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا نراك ونحفظك[3] ﴿وَسَبِّحْ﴾ متلبسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان اللّه وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضًا ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحه أيضًا، أو: صلِّ في الأول العشاءين، وفي الثاني: الفجر[4]، وقيل: الصبح[5].

* * *

(١) أي في الوزن «مُفَيْعِل»، ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُبَيْقِر، من: بيقر؛ أي فسد وهلك، ومشى مشية المتكبر.

(٢) الشعراء: ١٨٧، و﴿كِسْفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات صفة العين له ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق بجلاله، وأما إفرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفيها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

[مكية، اثنتان وستون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ الثُّرَيَّا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغيَّ، وهو جهل من اعتقاد فاسد. [٣] ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ هوى نفسه. [٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. [٥] ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ إياه ملك ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾. [٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة، أو: منظر حسن؛ أي: جبريل عليه السلام ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ استقر. [٧] ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس؛ أي: عند مطلعها، على صورته التي خُلق عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بـ«حراء»، قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشيًا عليه[1]، وكان قد سأله أن يريه نفسه، على صورته التي خُلق عليها، فواعده بـ«حراء»، فنزل جبريل له في صورة الآدميين[2]. [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ زاد في القرب.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾ قدر ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. [١٠] ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ تعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريل ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحَى؛ تفخيمًا لشأنه. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ بالتخفيف والتشديد[3]؛ أنكر ﴿ٱلْفُؤَادُ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ ببصره من صورة جبريل. [١٢] ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ على صورته ﴿نَزْلَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾. [١٤] ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة نَبْق عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ تأوي إليها الملائكة، وأرواح الشهداء، والمتقين[4]. [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ من طير وغيره، و«إذ» معمولة لـ«رآه». [١٧] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مال بصره عن مرئيه المقصود له، ولا جاوزه تلك الليلة. [١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ العظام؛ أي: بعضها؛ فرأى من عجائب الملكوت رفرفًا أخضر سَدَّ أفق السماء[5]، وجبريل له ستمائة جناح[6]. [١٩] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾. [٢٠] ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ لِلَّتَيْنِ قبلها ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرأيتم» الأول: «اللات»، وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فتعبدونها دون اللَّه القادر على ما تقدم ذكره؟ [٢١] ولما زعموا ـ أيضًا ـ أن الملائكة بنات اللَّه مع كراهتهم البنات نزلت: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾. [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرة، من ضازه يضيزه: إذا ظلمه وجار عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي: ما المذكورات ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سَميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصنامًا تعبدونها ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند اللَّه ـ تعالى ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه. [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيها إلا ما يريده ـ تعالى ـ. [٢٦] ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وما أكرمهم عند اللَّه ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ عنه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[7]، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[8]

---

(١) كما في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «جاورتُ بحراء، فلما قضيت جواري هبطتُ، فنوديتُ فنظرتُ عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي؛ فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا...». البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، قال: فدعا ربَّه. قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرك. قال: فجعل يرتفع وينتشر. قال: فلما رآه النبي ﷺ صَعِق. فأتاه فنعشه، ومسح البُزاق عن شِدقَيه. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/٥٧)، والهيثمي في المجمع (٨/٢٥٧)، وقال: رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (المسند ٤/٣٤٨) حديث رقم (٢٩٦٧)، وضعف الأرناؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٢٩٦٥).

(٣) بالتشديد قراءة هشام. (٤) في نسخة القاضي: «أو: أرواح الشهداء، أو: المتقون». (٥) كما في الصحيحين من حديث عبد اللَّه بن مسعود؛ البخاري (٣٢٣٣)، ومسلم (١٧٤). والرفرف: كساء، أو ثوب رقيق. (٦) البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. (٧) الأنبياء: ٢٨. (٨) البقرة: ٢٥٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

[٢٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهما.

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ الجنة.

[٣٢] وبيَّن المحسنين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقبلة واللمسة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللمم يُغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بذلك وبقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صيامنا حجنا[1]: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، ارتد لما عُيِّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع[2].

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكُدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعنده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَ﴾ صحف ﴿إبراهيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ تمم ما أمر به، نحو: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[3].

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلخ، و«أن» مخففة من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَن﴾ أي: أنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخيرَ شيء.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ يبصر في الآخرة.

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ[4] بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

---

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعملهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٢٧/٤٢)، وهو ضعيف جدًّا، كما في الاستيعاب (٣/٢٩٩).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ القَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾.

[٤٦] ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ تصب في الرحم.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ [ٱلنَّشَاءَةَ]﴾ بالمد والقصر[1] ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الخلقة الأخرى للبعث، بعد الخلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أعطى المال المتَّخذ قُنية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة[2] بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَ[ثَمُودًا]﴾ بالصرف اسم للأب، وبلا صرف[3] للقبيلة، وهو معطوف على «عادًا» ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود، أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من عاد وثمود؛ لطول لبث نوح فيهم ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[4] وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك.

[٥٤] ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ أبهم تهويلًا، وفي هود: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[5].

[٥٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَٰذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أُرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ قربت القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نفسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[6]. [٥٩] ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيبًا. [٦٠] ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده.

[٦١] ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهون غافلون عما يُطلب منكم؟

[٦٢] ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾[7] الذي خلقكم ﴿وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

سُورَةُ القَمَرِ

[مكية، إلا ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ قربت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ انفلق فلقتين، على أبي قبيس وقُعَيْقَعَان، آيةً له ﷺ، وقد سئلها فقال: «اشْهَدُوا» [رواه الشيخان][8]. [٢] ﴿وَإِن يَرَوْاْ﴾ أي: كفار قريش ﴿ءَايَةً﴾ معجزة له ﷺ ﴿يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ﴾: هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ قوي، من المِرَّة: القوة، أو دائم[*].

[٣] ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ النبي ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من تاء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿حِكْمَةٌۢ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مزدجر» ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ تامة ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم.

[٦] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ هو إسرافيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» بَعْدُ ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ بضم

(*) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصرًا.

---

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالقصر: ﴿النشأة﴾. (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قالون كذلك، لكنه يأتي بهمزة ساكنة بعد اللام.

(٣) بالتنوين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرانيق الباطلة، والتي سبق التنبيه على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢).

(٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضًا من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة؛ فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [٦/١٧٧].

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾
كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ
﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

الكاف وسكونها(١)؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿[خَٰشِعًا]﴾ أي: ذليلًا، وفي قراءة(٢): ﴿خُشَّعًا﴾ بضم الخاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: الناس ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدثر: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

[٩] ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ انتهروه بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بالفتح؛ أي: بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾.

[١١] ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بالتخفيف والتشديد(٤) ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ مُنصَبٍّ انصبابًا شديدًا. [١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ حال ﴿قَدْ قُدِرَ﴾ قضي به في الأزل، وهو هلاكهم غرقًا. [١٣] ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي: نوحًا ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دِسار؛ ككتاب. [١٤] ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا(٥)؛ أي: محفوظة ﴿جَزَآءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انتصارًا ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح عليه السلام، وقرئ(٦): ﴿كَفَرَ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقابًا لهم. [١٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ معتبر ومتعظ بها؟ وأصله: مذتكر؛ أبدلت التاء دالًا مهملة، وكذا المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حَمْلُ المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه ـ تعالى ـ بالمكذبين لنوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحفَظُ من كُتب الله عن ظهر القلب غيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هودًا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] وقد بينه بقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم، أو: قويُّهُ، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر(٧). [٢٠] ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم من حُفَر الأرض المندسِّين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدقُّ رقابهم، فتُبِينُ الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذَكَّرَ هنا وأَنَّثَ في الحاقة ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(٨)؛ مراعاة للفواصل في الموضعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟ [٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا﴾ منصوب على الاشتغال ﴿مِّنَّا وَٰحِدًا﴾ صفتان لـ«بشرًا» ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا نتبعه ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن اتبعناه ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَءُلْقِىَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه(٩) ﴿ٱلذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحي إليه ما ذكر ﴿أَشِرٌ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال ـ تعالى ـ: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخرة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحًا. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوا ﴿فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَّهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

---

(١) بالسكون قراءة ابن كثير.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: ﴿خاشعا﴾ وهي القراءة المفسرة.

(٣) المدثر: ٩، ١٠.

(٤) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٥) وفيها إثبات صفة العين له ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق به.

(٦) أي شذوذًا.

(٧) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح لثبوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٨) الحاقة: ٧.

(٩) راجع التعليق على الآية (٨) من سورة ص.

وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾

[٢٨] ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ﴾ مقسوم ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شِرۡبٖ﴾ نصيب من الماء ﴿مُّحۡتَضَرٞ﴾ يحضره[1] القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك، ثم ملّوه، فهمّوا بقتل الناقة.

[٢٩] ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾ قُدَارًا؛ ليقتلها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾ به الناقة؛ أي: قتلها موافقة لهم.

[٣٠] ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [٣١] وبيّنه بقوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ هو الذي يَجْعلُ لغنمه حظيرة، من يابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ ريحًا ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلكوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السَّحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تَسمُّحًا. [٣٥] ﴿نِّعۡمَةٗ﴾ مصدر؛ أي: إنعامًا ﴿مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء ﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ أنْعُمَنا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله[2] وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ خوفهم لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف؛ لِيَخْبُثُوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ أعميناها، وجعلناها بلا شَقٍّ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُواْ﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري وتخويفي؛ أي: ثمرته وفائدته. [٣٨] ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾. [٤١] ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ قومه معه ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ أي: التسع التي أوتيها موسى ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بالعذاب ﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾ قوي ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾ قادر، لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ يا قريش ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعذَّبوا؟ ﴿أَمۡ لَكُم﴾ يا كفار قريش ﴿بَرَآءَةٞ﴾ من العذاب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي؛ أي: ليس الأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش: ﴿نَحۡنُ جَمِيعٞ﴾ جمع ﴿مُّنتَصِرٞ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[3] فهزموا ببدر، ونُصِر رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ بالعذاب ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَدۡهَىٰ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمَرُّ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا.

[٤٧] ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعُرٖ﴾ نار مسعَّرة بالتشديد؛ أي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم.

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ بتقدير، حال من «كل»؛ أي: مقدرًا، وقرئ[4]: ﴿كُلُّ﴾ بالرفع؛ مبتدأ خبره: ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾(*).

(*) ما جاء في نزول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾. مسلم ـ كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضر».

(٢) في نسخة الصاوي: «ورسوله»، والمثبت من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤ رقم ١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قائل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضًا الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ مما نزل أيضًا بمكة ، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: «وفي رواية أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قال عمر: أي جمع يُهزم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يتثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾ ...» فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن يتلوها الرسول ﷺ في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقال: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما ببدر، والله أعلم.

(٤) أي: شذوذًا.

[٥٠] ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ أمرة ﴿وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: ادَّكروا واتعظوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ كتب الحفظة.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنب، أو العمل ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ أريد به الجنس، وقرئ[2]: بضم النون والهاء جمعًا؛ كأَسَد وأُسُد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأثيم، أريد به الجنس، وقرئ[3]: ﴿مَقَاعِدِ﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا، فقلَّ أن تسلم من ذلك، وأُعرب هذا خبرًا ثانيًا، وبدلًا، وهو صادق ببدل البعض، وغيره[4] ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو اللَّه - تعالى -، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله - تعالى[5].

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

[مكية، إلا: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ اللَّه - تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ النطق. [٥] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. [٦] ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. [١٠] ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق؛ الإنس

الجزء السابع والعشرون — سورة الرحمن

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلعها. [١٢] ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ التبن ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ الورق المشموم. [١٣] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول اللَّه ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوتًا!! لَلْجنُّ كانوا أحسن منكم ردًّا؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربَّنا نُكذب؛ فلك الحمد»[6]. [١٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نُقر ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [١٥] ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذًا.

(٣) أي: شذوذًا.

(٤) أي: وهو بدل الاشتمال؛ لأن الجنات مشتملة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو للَّه ﷻ؛ فهذه العندية مما استدل به السلف على إثبات العلو للَّه ﷻ.

(٦) أخرج نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد اللَّه كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، والسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾

[١٧] ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾ حاجز من قدرته ـ تعالى ـ ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيختلط به.

[٢١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٢] ﴿[يُخۡرَجُ]﴾ بالبناء للمفعول والفاعل[1] ﴿مِنۡهُمَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ﴾ السفن ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ المحدثات ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ كالجبال عِظَمًا وارتفاعًا. [٢٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَانٖ﴾ هالك، وعبر بـ«مَنْ» تغليبًا للعقلاء [٢٧] ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ ذاته[2] ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾ العظمة ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ للمؤمنين[3]؛ بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: بنطق، أو: حال[4]: ما يحتاجون إليه، من القوة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلَّ يَوۡمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾(ﻫ) أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأزل؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داعٍ، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الإنس والجن. [٣٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ تخرجوا ﴿مِنۡ أَقۡطَارِ﴾ نواحي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ﴾ أمر تعجيز ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنُحَاسٞ﴾ أي: دخان لا لهب فيه[5] ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[6]، والجان هنا وفيما سيأتي[7] بمعنى: الجني، والإنس فيهما بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(ﻫ) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين». ابن ماجه ـ المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

---

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالبناء للفاعل.

(٢) وهذا لا ينافي صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونثبتها له حقيقة على الوجه اللائق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب ـ تعالى ـ وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا».

(٣) قوله ﷻ: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ في الآية هي صفة لـ«وجه» وليس لـ«رب»؛ كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه ـ سُبۡحَانَهُۥ ـ ذو الجلال والإكرام كما أنه ـ سُبۡحَانَهُۥ ـ ذو الجلال والإكرام. فقول المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يلزم منه بقاء الذات.

(٤) أي: بلسان الحال.

(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو النحاس المذاب؛ يصب على رءوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما.

(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

[٤١] ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾. [٤٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قُدَّام، ويلقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانٍ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ«قاض».

[٤٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٦] ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٨] ﴿ذَوَاتَآ﴾ تثنية «ذوات» على الأصل[1]، ولامها ياء[2] ﴿أَفْنَانٍ﴾ أغصان، جمع «فنن»؛ كـ«طلل».

[٤٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوعان؛ رطب ويابس، والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو.

[٥٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿دَانٍ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٦] ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين، وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ العَيْن، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يفتضهن، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت[3] ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

[٥٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ صفاءً ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضًا.

[٥٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٢] ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: أي: الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾[*] أيضًا، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما.

[٦٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكِبْر على وجهه في جنة عدن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

---

(١) أي: على ما قبل حذف الواو؛ وبعد الحذف تصبح «ذات» فتثنى على «ذاتان». والفصيح في تثنيتها: «ذواتا»، كما في الآية.

(٢) أي لأن أصلها: «ذوي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفًا، فأصبحت: «ذوىٰ»؛ كـ «فتىٰ».

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٦]؛ أي: يجعلهن بعد الثُّيوبة أبكارًا.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

[٦٨] ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هما منها(١)، وقيل: من غيرها.

[٦٩] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنتين وما فيهما(٢) ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهًا.

[٧١] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من درٍّ مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالخدور. [٧٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَانٌّ﴾.

[٧٥] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجهن، وإعرابه كما تقدم ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ جمع رفرفة؛ أي: بُسُط، أو: وسائد ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٧٨] ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

[مكية، إلا ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ الآية، و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية](*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تُكذِّب؛ بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ حُرِّكت حركة شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ فُتِّتت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ غبارًا ﴿مُّنبَثًّا﴾ منتشرًا، و«إذا» الثانية بدل من الأولى. [٧] ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القيامة ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾. [٨] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤتَون كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

[٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّابِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم.

[١١] ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾. [١٢] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. [١٣] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ؛ أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة(٣). [١٥] والخبر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شبتَ؟! قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾». وسبق تخريجه في أول سورة هود.

---

(١) أي: النخل والرُّمّان من الفاكهة.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلًا من: «وما فيهما». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: ﴿فيهن﴾ يعني في الجنان الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين؛ البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة؛ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب؛ آنيتهما وما فيهما».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحكِ غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر؛ بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقربون في غيرهما أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم» اهـ.

ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثلة من الأولين﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وقليل من الآخرين﴾ أي: من هذه الأمة».اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. [١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح لا عُرىٰ لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عرىٰ وخراطيم ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبدًا.

[١٩] ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا [يُنْزَفُونَ]﴾ بفتح الزاي وكسرها(١)، من نُزِف الشارب وأنْزَف؛ أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾. [٢٢] ﴿وَ﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها(٢) ﴿عِينٌ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ لمجانسة الياء(٣)، ومفرده: عيناء؛ كحمراء، وفي قراءة(٤) بجر «حورٍ عينٍ». [٢٣] ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر؛ أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزيناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فاحشًا من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ما يؤثم. [٢٦] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قِيلًا﴾ قولًا ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ بدل من: ﴿قِيلًا﴾ فإنهم يسمعونه. [٢٧] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِى سِدْرٍ﴾ شجر النَّبْق ﴿مَّخْضُودٍ﴾ لا شوك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَّنضُودٍ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾(*) دائم. [٣١] ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ جارٍ دائمًا. [٣٢] ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾. [٣٣] ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بثمن. [٣٤] ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على السرر. [٣٥] ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها(٥)؛ جمع عَرُوب، وهي: المتحببة إلى زوجها عشقًا له ﴿أَتْرَابًا﴾ جمع تِرْب؛ أي: مستويات في السن. [٣٨] ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن» أو «جعلناهن».

[٣٩] وهم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾(**).

[٤١] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِى سَمُومٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ منعمين؛ لا يتعبون في الطاعة.

[٤٦] ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ﴾ الذنب ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الشرك.

[٤٧] ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين(٦).

[٤٨] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة(٧): بسكون الواو، عطفًا بـ«أوْ» والمعطوف عليه: محل «إنَّ» واسمها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ﴾.

[٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾.

(**) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ شق ذلك على المسلمين، فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ فقال: «أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسمونهم النصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجه على المسند (١٣٢/١٧) رقم (٩٠٦٩).

---

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الحدقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «عُيْن» بضم العين وسكون الياء.

(٤) لحمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقالون.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ بيان للشجر. [٥٣] ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿الْبُطُونَ﴾.

[٥٤] ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: الزقوم المأكول ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾.

[٥٥] ﴿فَشَارِبُونَ [شُرْبَ]﴾ بفتح الشين وضمها(1)؛ مصدر ﴿الْهِيمِ﴾ الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر، وهيمى للأنثى؛ كعطشان وعطشى. [٥٦] ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما أعد لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة. [٥٧] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ هلَّا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ تريقون من المني في أرحام النساء. [٥٩] ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه(2) في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: المني بشرًا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾. [٦٠] ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف(3) ﴿بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين.

[٦١] ﴿عَلَىٰ﴾ عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور؛ كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ [النَّشَاءَةَ](4) الْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة بسكون الشين ﴿فَلَوْلَا [تَذَّكَّرُونَ]﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال(5). [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتلقون البذر فيها؟ [٦٤] ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾. [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ نباتًا يابسًا، لا حب فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله: ظَلِلْتُم بكسر اللام، حذفت تخفيفًا؛ أي: أقمتم نهارًا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل؛ تعجبون من ذلك، وتقولون: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ نفقة زرعنا. [٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون رزقنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السحاب، جمع «مُزْنة» ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾. [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ ملحًا لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلَّا ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ كالمَرْخ والعَفار والكَلْخ(6) ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾. [٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَاعًا﴾ بُلْغَة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين؛ من: أَقْوَى القوم؛ أي: صاروا بالقِوَا، بالقصر والمد؛ أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزِّهْ ﴿بِاسْمِ﴾ زائدة(7) ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. [٧٥] ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بمساقطها لغروبها(8). [٧٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

---

(١) بالفتح قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿النَّشْأَةَ﴾ بسكون الشين.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الذال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٦) أنواع من الشجر سريعة القدح.

(٧) أي: الباء، وليس لفظة (اسم)؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وكما يجب تنزيه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُنزَّه أسماؤه التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ.

(٨) هذا قول قتادة، وقال عطاء: مواقع النجوم: منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

[٧٧] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: المتلو عليكم ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. [٧٨] ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ مكتوب ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مصون وهو المصحف[١]. [٧٩] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث. [٨٠] ﴿تَنزِيلٌ﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [٨١] ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون مكذبون؟

[٨٢] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر؛ أي: شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بسقيا الله حيث قلتم: مُطِرنا بنوء كذا؟[*].

[٨٣] ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزع ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ هو: مجرى الطعام. [٨٤] ﴿وَأَنتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إليه.

[٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من البصيرة؛ أي: لا تعلمون ذلك. [٨٦] ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلَّا ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين بأن تبعثوا؛ أي: غير مبعوثين بزعمكم.

[٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ تردون الروح إلى الجسد، بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما زعمتم، فـ«لولا» الثانية تأكيد للأولى، و«إذا» ظرف لـ«ترجعون» المتعلق به الشرطان، والمعنى: هلَّا ترجعونها، إن نفيتم البعث صادقين في نفيه؛ أي: لينتفي عن محلها[٢] الموتُ كالبعث. [٨٨] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾. [٨٩] ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وهل الجواب لـ«أما»[٣] أو لـ«إن»، أو لهما؟ أقوال. [٩٠] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾. [٩١] ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ أي: له السلامة من العذاب[٤] ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ من جهة أنه منهم. [٩٢] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾. [٩٣] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾. [٩٤] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾. [٩٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته. [٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ تقدَّم.

سُورَةُ الحَدِيدِ

[مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع وعشرون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ كلُّ شيء، فاللام مزيدة، وجيء بـ«ما» دون «مَنْ» تغليبًا للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه[٥].

[٢] ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، بلا بداية ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس[٦] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ ـ ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. مسلم ـ كتاب الإيمان (١) باب (٣٢) كفر من قال مطرنا بالنوء.

(١) أكثر المفسرين أن المراد الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، والمطهرون هم الملائكة، ولا يمسّه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.

(٢) أي: عن محل الروح، وهو الجسد.

(٣) أي: وجواب (إن) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيرًا.

(٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهو قريب من قول البخاري: مُسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين؛ ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ تعظيمًا لصاحب اليمين.

(٥) سبق التنبيه في سورة البقرة آية (١٢٩) على أن الأولى التعميم في مُتَعلَّق الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شئونه؛ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجزائه، وإرساله رسله، وإنزاله كتبه... إلخ. ونعيده هنا للتذكير والتأكيد.

(٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» فيكون اسمه الظاهر دالًّا على علوه، واسمه الباطن دالًّا على إحاطة علمه.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة[١] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الكرسي[٢] استواءً[٣] يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة[٤] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه[٥] ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٥] ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الموجودات جميعها.

[٦] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿آمِنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من مَال مَنْ تقدمكم، وسيخلفكم فيه مَنْ بعدكم، نزل في غزوة العُسْرَة، وهي غزوة تبوك[٦] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ إشارة إلى عثمان ﷺ[٧] ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ [أُخِذَ]﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء، وبفتحها ونصب ما بعده[٨] ﴿[ميثاقُكم]﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الذرِّ، حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٩] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مريدين الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ آيات القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بما فيهما؛ فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ لمكة ﴿وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة[١٠]: بالرفع؛ مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ وفي قراءة[١١] ﴿فيُضعِّفَهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضًا وإقبال.

---

(١) سبق الردُّ على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي هنا، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون مِن معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه؛ لأن الذي يرفع إنما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي المعية العام والخاص وحقيقتهما في آخر سورة النحل.

(٦) لم أقف على أحد من المفسرين غير المحلي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست مما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان ﷺ.

(٨) بالضم قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿أَخَذَ﴾، ونصب: ﴿ميثاقَكم﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

[١٢] اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَٰنِهِم﴾ ويقال لهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي: ادخلوها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ أبصرونا، وفي قراءة(١) بفتح الهمزة وكسر الظاء؛ أَمْهِلُونا ﴿نَقْتَبِسْ﴾ نأخذ القبس والإضاءة ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم استهزاءً بهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل: هو سور الأعراف ﴿لَّهُۥ بَابٌ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ على الطاعة ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ الأطماع ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان.

[١٥] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ بالياء والتاء(٢) ﴿مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أولى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

[١٦] ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحِنْ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ نزلت في شأن الصحابة، لما أكثروا المزاح(٣) ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا [نَزَّلَ]﴾ بالتشديد والتخفيف(٤) ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ القرآن؟ ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ معطوف على «تخشع» ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

[١٧] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، فكذلك يفعل بقلوبكم؛ يردها إلى الخشوع ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ من التصدق، أدغمت التاء في الصاد؛ أي: الذين تصدقوا ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة(٥) بتخفيف الصاد فيهما؛ من التصديق والإيمان ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعُطِف الفعل على الاسم في صلة «أل»؛ لأنه فيها حلَّ محل الفعل، وذِكْرُ القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له ﴿يُضَٰعَفُ﴾ وفي قراءة(٦): ﴿يُضَعَّفُ﴾ بالتشديد؛ أي: قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

---

(١) لحمزة؛ أي: ﴿أَنظِرونا﴾.

(٢) بالتاء قراءة ابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٣) يشير إلى ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦٠/١٤ رقم ١٧٥٦٤) عن ابن أبي رواد، وضعفه في الاستيعاب (٣٢٠/٣) لإعضاله. وأخرج مسلم في صحيحه (٣٠٢٧) عن ابن مسعود ﷺ قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية؛ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلا أربع سنين».

(٤) بالتشديد قراءة السبعة عدا نافع وحفص.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وشعبة.

(٦) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر بغير ألف مع تشديد العين، وقرأ بقية السبعة بالألف وتخفيف العين.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار.

[٢٠] ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ تزيين ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾ الزراع[1] ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ فُتاتًا يضمحل بالرياح ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السَّعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[٢٢] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالجدب[2] ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِّكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخبر - تعالى - بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْاْ﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر[3]: جاءكم منه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة[4] بسقوطه ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ عن غيره ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

---

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله ﷻ؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزينة الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأَوْلَى: أن يقول: كالجدب؛ ليكون ذلك على سبيل التمثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أخرجناه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب، من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال من هاء ﴿يَنصُرُهُ﴾ أي: غائبًا عنهم في الدنيا؛ قال ابن عباس: يَنْصرونه ولا يُبصرونه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلى النصرة، لكنها تنفع من يأتي بها.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ من قِبَل أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ﴾ مرضاة ﴿اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنبيين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: أعلمكم بذلك، ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَلَّا﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَاءُ﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(*).

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

* * *

(*) ما جاء في نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت ملوك بعد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة، قيل لملوكهم: ما نجد شتمًا أشدَّ من شتم يشتمونا هؤلاء؛ إنهم يقرءون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وهؤلاء الآيات، مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها. فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دورًا في الفيافي، ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به. فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدقوه، فقال الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾: أجرين: بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم. قال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ، قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يتشبَّهون بكم: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية. النسائي - كتاب آداب القضاة (٤٩) باب (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا».

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

سورة المجادلة

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿۞ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ تراجعك أيها النبي ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهِر منها، وكان قال لها: أنت علي كظهر أمي. وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار مُوجِبه فُرقة مؤبدة، وهي خولة[١] بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحدتها وفاقتها وصبية، صغارًا؛ إن ضمَّتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ تراجعكما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ عالم[٢].

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ [يَظَّهَّرُونَ][٣]﴾ أصله يتظهرون؛ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة[٤] بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى[٥]: كـ«يقاتلون»، والموضع الثاني[٦] كذلك ﴿مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء وبلا ياء[٧] ﴿وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ﴾ بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ كذبًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة.

[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ [يَظَّهَّرُونَ] مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: فيه؛ بأن يخالفوه بإمساك المظاهَر منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار، من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاقها عليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ بالوطء ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٤] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ﴾ عليه؛ أي: من قبل أن يتماسا؛ حملًا للمطلق على المقيد؛ لكل مسكين مُدٌّ من غالب قوت البلد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم[٠].

[٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ يخالفون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾ أذلوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ في مخالفتهم رسلهم ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

---

(٠) ما جاء في نزول الآيات (١ ـ ٤): أخرج أبو داود عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله؛ فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: «يعتق رقبة». قالت: لا يجد. قال: «فيصوم شهرين متتابعين». قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به صيام. قال: «فليطعم ستين مسكينًا» قالت: ما عنده شيء يتصدق به. قالت: فأُتي ساعتئذ بعَرَقٍ من تمر. قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بعَرَق آخر. قال: «قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينًا وارجعي إلى ابن عمك». قال: والعَرَق ستون صاعًا. أبو داود ـ كتاب الطلاق (١٧) في الظهار. حسن دون قوله: «والعَرَقُ ستون صاعًا». صحيح سنن أبي داود (١٩٣٤).

---

(١) ويقال لها أيضًا: «خُويلة» بالتصغير.

(٢) العلم غير السمع والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المرئيات، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ.

(٣) أي: ﴿يَظَّاهرون﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٥) وهي قراءة عاصم.

(٦) أي: في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ آية (٣).

(٧) انظر التعليق على كلمة (اللائي) في سورة الأحزاب، الآية (٢).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه[١] ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم؛ أي: تحدثهم سرًّا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من التحية، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيًّا؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي[٥].

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بغروره ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ﴾ هو ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾ توسعوا ﴿فِي [المَجْلِسِ][٢]﴾ مجلس النبي ﷺ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ [ٱنشِزُوا۟]﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿[فَٱنشِزُوا۟][٣]﴾، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ في الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

---

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام. فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «أو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم». فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسلم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

---

(١) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتهما في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿المجالس﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني لشعبة: ﴿انشُزوا فانشُزوا﴾ بضم الشين فيهما.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

[١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمناجاتكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم؛ يعني: فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه[1]؛ أي: خفتم من ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ لفقر ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ أي: داوموا على ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿۞أَلَمۡ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾ هم المنافقون ﴿قَوۡمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم﴾ أي: المنافقون ﴿مِّنكُمۡ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ من اليهود، بل هم مذبذبون ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه(*).

[١٥] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من المعاصي.

[١٦] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها المؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾ من الإغناء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾.

[١٩] ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ﴾ استولى ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ يخالفون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ المغلوبين.

[٢١] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ بالحجة، أو: السيف[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

(*) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلما رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فذهب فجاء بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأنزل الله ﷻ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ﴾ إلى آخر الآية. أحمد ـ المسند (١/ ٣٥٠). ونحوه في (١/ ٢٤٠) لكن فيه نزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في المسند (٤/١٧، ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأرناؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٤/٤٨).

---

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعًا.

[٢٢] ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ﴾ يصادقون ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ﴾ أي: المحادُّون ﴿ءَابَآءَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يقصدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم[١] ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يوادونهم ﴿كَتَبَ﴾ أثبت ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾ بنور ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته[٢] ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ يتبعون أمره، ويجتنبون نهيه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

سورة الحشر

[مدنية، أربع وعشرون آية][*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ، فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ«ما» تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم: بنو النضير من اليهود ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ هو: حشرهم إلى الشام[٣]، وآخره: أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر[٤] ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾ خبر «أنَّ» ﴿حُصُونُهُم﴾ فاعله، به تم الخبر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ لم يخطر ببالهم، من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها[٥]: الخوف؛ بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿[يُخَرِّبُونَ]﴾ بالتشديد والتخفيف[٦] من: «أَخْرَبَ» ﴿بُيُوتَهُم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها، من خشب وغيره ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

[٣] ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من الوطن[٧] ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾.

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس... سورة الحشر. قال: نزلت في بني النضير. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٦ب) باب (١).

---

(١) كأبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وعمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وعلي وحمزة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر.

(٢) كأن المفسر يريد تأويل رضا الله عن المؤمنين بالتوفيق إلى الطاعة، وهذا خلاف مذهب السلف في إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبته الله ﷻ لنفسه على الوجه اللائق.

(٣) اتفق المفسرون على أن «أول الحشر» هو: إخراجهم من المدينة.

(٤) هذا سبق قلم أو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «من خيبر»؛ حيث إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلاهم من خيبر وجميع جزيرة العرب، إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام. وتفسير الحشر الثاني بذلك؛ هو قول مرة الهمذاني. وقال الحسن: هو: إلى أرض المحشر يوم القيامة. وقيل غير ذلك.

(٥) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٦) بالتشديد قراءة أبي عمرو.

(٧) في نسخة القاضي «المواطن».

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

[٤] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟﴾ خالفوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ يا مسلمون ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: خيَّركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِىَ﴾ بالإذن في القطع ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد(*).

[٦] ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾ رد ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ إبل؛ أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خُمُس الخُمُس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار[١] لفقرهم.

[٧] ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يَنْبُع» ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى﴾ صاحب ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي؛ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خُمُس الخُمُس، وله الباقي ﴿كَىْ لَا﴾ «كي» بمعنى اللام، و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونَ﴾ الفيء؛ علةٌ لقَسْمِه كذلك ﴿دُولَةًۢ﴾ متداولًا ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾ أعطاكم ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا[٢] ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم.

[٩] ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ أي: المدينة ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي: ألفوه، وهم الأنصار ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدًا ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(**).

(*) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال: اللينة: النخلة. ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا، فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله - تعالى -: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصرًا.

(**) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله ﷻ - أو ضحك - من فلان وفلانة». فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

---

(١) هم: أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة، وسَهْلُ بن حُنَيف، والحارث بن الصِّمَّة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دُجانة وسهلًا.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، فالمعنى: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١١] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ﴾ وهم: بنو النضير، وإخوانهم في الكفر: ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم في الأربعة[1] ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خُذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ حذفت منه اللام الموطئة ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

[١٢] ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَٰرَ﴾ واستغني بجواب القسم المقدَّر، عن جواب الشرط، في المواضع الخمسة[2] ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: اليهود.

[١٣] ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ خوفًا ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ أي: المنافقين ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

[١٤] ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أي: اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ [جِدَارٍ][3]﴾ سور، وفي قراءة: ﴿جُدُرٍ﴾ ﴿بَأْسُهُم﴾ حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة خلاف الحُسبان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٥] مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ بزمن قريب، وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة.

[١٦] مثلهم - أيضًا - في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ﴾ كذبًا منه ورياءً.

وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

---

(١) وهي: ﴿لئن أخرجتم﴾، و﴿لئن أخرجوا﴾، و﴿لئن قوتلوا﴾، و﴿لئن نصروهم﴾.

(٢) هي: الأربعة المتقدمة المشار إليها في التعليق السابق، والخامس هو قوله تعالى: ﴿وإن قوتلوا﴾.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿جُدُر﴾.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

[١٧] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ[1]: بالرفع؛ اسم «كان» ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

[١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أن يقدموا لها خيرًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

[٢١] ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا﴾ متشققًا ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ المذكورة ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

[٢٢] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ المصدق رسله، بخلق المعجزة لهم[2] ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ من هيمن يهيمن؛ إذا كان رقيبًا على الشيء؛ أي: الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزّه نفسه ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ به.

[٢٤] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث[3]، و«الحسنى» مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ تقدم أولها.

* * *

(١) أي: شذوذًا.

(٢) وقيل: الذي يؤمِّن خلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصي تسعة وتسعين اسمًا منها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ﴾ توصلون ﴿إِلَيْهِم﴾ قَصْدَ النبي ﷺ غزوهم، الذي أَسَرَّهُ إليكم، ووَرَّى بحُنَيْن ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم؛ كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتابًا بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاستردَّه النبي ﷺ ممن أرسله معه، بإعلام اللَّه ـ تَعَالَى ـ بذلك، وقَبِلَ عذر حاطب فيه[1] ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ أي: لأجل أن آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا﴾ للجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله؛ أي: فلا تتخذوهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي: إسرار خبر النبي إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الهدى، والسواء في الأصل: الوسط[*].

[٢] ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّواْ﴾ تمنَّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣] ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ المشركون، الذين لأجلهم أسررتم الخبر، من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ [يُفْصَلُ]﴾ بالبناء للمفعول والفاعل[2] ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم، فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ [إِسْوَةٌ]﴾ بكسر الهمزة وضمها[3] في الموضعين[4]: قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: به، قولًا وفعلًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ جمع «بريء»؛ كـ«ظريف» ﴿مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أنكرناكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوًا[5] ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مستثنى من «أسوة»، فليس لكم التأسي به في ذلك؛ بأن تستغفروا للكفار، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه وثوابه ﴿مِن شَيْءٍ﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه[6]، وإن كان من حيث ظاهره مما يُتأسى فيه ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[7] واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكره في «براءة»[8]. ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ من مقول الخليل ومَنْ معه؛ أي قالوا[9]: [٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتنوا؛ أي: تذهب عقولهم بنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ملكك وصنعك.

(*) ما جاء في نزول الآية (١): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار... عن عبيد اللَّه بن رافع كاتب عليٍّ قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: بعثني رسول اللَّه ﷺ أنا والزبير والمقداد قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»، فذهبنا تَعَادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إني كنت امرأً من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأولادهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدًا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني، فقال النبي ﷺ: «إنه قد صدقكم». فقال عمر: دعني يا رسول اللَّه فأضرب عنقه! فقال: «إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل اللَّه اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». قال عمر بن دينار: ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة الممتحنة (٦٠) باب (١).

---

(١) قصة حاطب في الصحيحين وغيرهما من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) بالبناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ ابن عامر كذلك مع تشديد الصاد.

(٣) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) أي في هذه الآية، وفي الآية السادسة الآتية.

(٥) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدال الثانية واوًا، هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) قوله: «فهو مبني عليه» أي: «لأستغفرن لك» ومرتبط به، ولكنه مستثنى منه كما أفاده قوله بعد ذلك: «مستثنى...إلخ»؛ والمعنى: «اقتدوا به إلا في الاستغفار لكافر».

(٧) الفتح: ١١، والآية أتى بها المصنف على سبيل الاستدلال لقوله: «مما يُتأسى فيه»؛ فكأنه قال: بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

(٨) وهو قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [براءة: ١١٤].

(٩) في نسخة القاضي: «وقالوا».

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدَّر ﴿فِيهِمْ [إِسْوَةٌ] حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ بدل اشتمال من «كم»(١) بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من كفار مكة، طاعة لله ـ تعالى ـ ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ﴾ من الكفار ﴿فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط؛ أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين(*).

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين»؛ أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

[١٠] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ﴾ بألسنتهن ﴿مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُردُّ ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضًا لأزواجهن الكفار، ولا عشقًا لرجال من المسلمين، كذا كان ﷺ يُحلِّفُهُنَّ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ ظننتموهن بالحلف ﴿مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ تردوهن ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم﴾ أي: أعطوا الكفار أزواجهن(٢) ﴿مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَلَا [تُمَسِّكُوا۟]﴾ بالتشديد والتخفيف(٣) ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾ اطلبوا ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد، ممن تزوجهن من الكفار ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(**).

[١١] ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهاب ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغزوتم وغنمتم ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ من الغنيمة ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم(***).

(*) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قالت: أتتني أمي وهي راغبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ، آصلها؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأنزل الله ـ تعالى ـ فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾. البخاري ـ كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(**) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان والمسور بن مخرمة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ ـ وهي عاتق ـ فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾. البخاري ـ كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(***) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله ـ تعالى ـ أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكوافر ـ أن عمر طلق امرأتين: قريبة بنت أبي أمية، وابنة جرول. فتزوج قريبة معاوية، وتزوج الأخرى أبو جهم؛ فلما أبى الكفار أن يقروا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم أنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صداق نساء الكفار اللائي هاجرن. وما نعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري ـ السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

---

(١) أي في قوله: «لكم».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالتشديد قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

[١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ كما كان يُفعل في الجاهلية، من وأد البنات؛ أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملقوط، ينسبنه إلى الزوج، ووُصِفَ بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله؛ كترك النياحة، وتمزيق الثياب، وجزِّ الشعور، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يصافح واحدة منهن[١] ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أي: المقبورين، من خير الآخرة؛ إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

سُورَةُ الصَّفِّ

[مكية، أو مدنية، أربع عشرة آية](*)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نزّهه، فاللام مزيدة، وجيء بـ«ما» دون «مَنْ» تغليبًا للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه[٢].

[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إذ انهزمتم بأحد[٣].

[٣] ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿مَقْتًا﴾ تمييز ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟﴾ فاعل «كَبُرَ» ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ ينصر ويكرم[٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ حال؛ أي: صافين ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ملزق بعضه إلى بعض، ثابت.

[٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ قالوا: إنه آدر؛ أي: منتفخ الخصية، وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَد﴾ للتحقيق[٥] ﴿تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ الجملة حال، والرسول يُحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الكافرين في علمه.

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا بيننا، فقلنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؛ وهبنا أن يقوم أحد، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلًا، حتى جمعنا، فجعل بعضنا يشير إلى بعض، فقرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾. قال: فتلاها من أولها إلى آخرها. أحمد ـ المسند (٥/ ٤٥٢)، والترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦).

---

(١) كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «... فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات؛ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلامًا، ولا والله، ما مسَّت يدُه يد امرأة قط في المبايعة؛ ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك» البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦). وعند النسائي وغيره من حديث أميمة بنت رقيقة: «إني لا أصافح النساء»، وهو في صحيح سنن الترمذي (٣٨٩٧). فهذا الحديث دليل صريح على عدم جواز مصافحة المرأة الأجنبية؛ لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول ﷺ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(٢) سبق التعليق على ذلك بأن الأولى التعميم في متعلق الحكمة، وليس تخصيصها بصنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٣) يشير إلى ما جاء عن محمد بن كعب في سبب نزول الآية، قول طائفة من الصحابة بعد ما سمعوا مدح الجهاد؛ فقالوا: «لئن لقينا قتالًا لنُفرِّغنَّ فيه وسعنا» ففروا يوم أحد؛ فعيَّرهم الله بهذه الآية.

(٤) تفسير محبة الله لعباده بالنصر والإكرام والإثابة ونحو ذلك، من التأويل المذموم وصرف للفظ عن ظاهره، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها نصرة وإكرام وإثابة من يحبهم.

(٥) راجع التعليق على آية [١٠٣] من سورة النحل، في دخول «قد» على الفعل المضارع.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة(١) ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ جاء أحمدُ الكفَّارَ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ أي: المجيء به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة(٢): ﴿سَاحِرٌ﴾ أي: الجائي به ﴿مُّبِينٌ﴾ بيّن.

[٧] ﴿وَمَنْ﴾؛ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ منصوب بـ«أن» مقدرة، واللام مزيدة ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَٱللَّهُ [مُتِمٌّ](٣)﴾ مظهرٌ ﴿[نُورَهُۥ]﴾ وفي قراءة: بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك(*).

[١٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد(٤) ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدومون على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

[١٢] ﴿يَغْفِرْ﴾ جواب شرط مقدر؛ أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿وَ﴾ يؤتكم نعمة ﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والفتح.

[١٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ [أَنصَارًا لِلَّهِ](٥)﴾ لدينه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كَمَا قَالَ﴾ إلخ؛ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدال عليه: قال ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مَنِ الأنصار الذين يكونون معي، متوجهًا إلى نصرة اللّه؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلًا، من الحَوَر، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى(٦)، وقالوا: إنه عبد اللّه رُفع إلى السماء ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن اللّه رفعه إليه، فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ قوينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين.

* * *

(*) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تامًا. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث اللّه ريحًا طيبة فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم. مسلم ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.

---

(١) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على الجلالين ص (١٧٢): الأولى أن يقال: ناداهم بذلك تذكيرًا لهم بأبيهم يعقوب؛ ليستميل بذلك قلوبهم إلى سلوك منهج أبيهم...

(٢) لحمزة والكسائي.

(٣) لنافع وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «متمُّ نورِهِ».

(٤) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة؛ ﴿أنصارَ اللهِ﴾.

(٦) في نسخة القاضي: «بعيسى ابن مريم».

سورة الجمعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سورة الجمعة

[مدنية، إحدى عشرة آية](*)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ينزّهه، فاللام زائدة ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في ذكر «ما» تغليب للأكثر ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ المنزّه عما لا يليق به ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ في ملكه وصنعه.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ العرب، والأمي: مَنْ لا يكتب ولا يقرأ كتابًا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنهم ﴿كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن.

[٣] ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي: الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾ والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم ﴿يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ في السابقة والفضل[١] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه، وهم التابعون[٢]، والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم، ممن بعث إليهم وآمنوا به، من جميع الإنس والجن، إلى يوم القيامة؛ لأن كل قرن خير ممن يليه.

[٤] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ النبي ومَنْ ذُكر معه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[٥] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كُلِّفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها، من نعته ﷺ، فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ أي: كُتُبًا؛ في عدم انتفاعه بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ المصدقة للنبي ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هذا المثل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

[٦] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تعلق بـ«تمنوا» الشرطان على أن الأول قيد في الثاني؛ أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله، والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت؛ فتمنوه.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

[٨] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ﴾ الفاء زائدة ﴿مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

(*) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. مسلم ـ كتاب الجمعة (٧) باب (١٧) ما يقرأ في يوم الجمعة.

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾، قال: قلت: من هم يارسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا ـ وفينا سلمان الفارسي ـ وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء». البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) هذا قول عكرمة ومجاهد في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾، وقال آخرون: هم العجم. قاله ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليث عن مجاهد. ويشهد له حديث الصحيحين المتقدم. وقيل غير ذلك.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن﴾ بمعنى في ﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوا عقده ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر إباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكرًا ﴿كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير وضُرب لقدومها الطبل(١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلًا فنزلت.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله ـ تعالى(٢)(*).

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

[مدنية، إحدى عشرة آية](**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أضمروه، مخالفًا لما قالوه.

[٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ سترة على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم(٣) ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُبِعَ﴾ ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم، في ترك التفهم ﴿[خُشْبٌ]﴾ بسكون الشين وضمها(٤) ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ ممالة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تُصاح؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فإنهم يفشون سرَّك للكفار ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان؟!

(*) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعامًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلًا. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ البخاري ـ كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة.

(**) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي ـ أو لعمر ـ فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إليَّ النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد. البخاري ـ التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

---

(١) أخرج نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره البغوي في تفسيره عن مقاتل، وفسر مجاهد اللهو بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.

(٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على بابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل المجاز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.

(٣) في نسخة القاضي: «فيه».

(٤) بسكونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقنبل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين؛ ﴿خُشُبٌ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا﴾ بالتشديد والتخفيف[١]: عطفوا ﴿رُءُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرازق[٢] للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ عنوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾(*) عنوا به المؤمنين[٣] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الصلوات الخمس[٤] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ في الزكاة ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ﴾ بمعنى: هلّا، أو: «لا» زائدة، و«لو» للتمني ﴿أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد؛ أتصدق بالزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بأن أحج؛ قال ابن عباس ﷺ: ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت[٥].

[١١] ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء[٦].

***

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

(*) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أُبي: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾. وقال أيضًا: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أخبرت به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾. وتقدم بسياق أتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) في نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قائل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عنى بالأعز نفسه الخبيثة ومن معه من المنافقين، وبالأذل رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومناسبته، فراجعه.

(٤) هذا من التفسير بالمثال، والتنبيه للمطلوب بأهم جزئياته؛ لأن ذكر الله أعم من الصلوات الخمس، وكذا الإنفاق أعم من الزكاة، والصلاح أعم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالياء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

[مكية، أو: مدنية، ثماني عشرة آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ«ما» دون «مَنْ» تغليبًا للأكثر ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة، ثم يميتكم ويعيدكم على ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَؤُا۟﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ﴾ أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنهم ﴿لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٨] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يغبن المؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة، لو آمنوا ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة(١) بالنون في الفعلين ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

(١) لنافع وابن عامر؛ أي «نكفر»، و«ندخله».

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هي.

[١١] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ بقضائه ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ للصبر عليها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

[١٢] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ البين.

[١٣] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ أن تطيعوهم في التخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾(*).

[١٥] ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ فلا تفوّتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ناسخة لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[1] ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما أمرتم به سماع قبول ﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ في الطاعة ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ خبر «يكن» مقدرة؛ جواب الأمر ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بأن تتصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ وفي قراءة[2]: ﴿يُضَعِّفْهُ﴾ بالتشديد؛ بالواحدة عشرًا، إلى سبعمائة وأكثر ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ السر ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ العلانية ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه.

* * *

(*) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين عموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التغابن. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٢٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لابن كثير وابن عامر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان[1] ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ احفظوها؛ لتُراجعوا قبل فراغها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ منها، حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ زنا ﴿[مُّبَيَّنَةٖ]﴾ بفتح الياء وكسرها[2]؛ بُيِّنت أو بيِّنة، فيُخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلۡكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمۡرٗا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ لا للمشهود عليه، أوْ له ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ كافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ [بَالِغٌ أَمۡرَهُ][3]﴾ مراده، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدۡرٗا﴾ ميقاتًا.

[٤] ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين[4] ﴿يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككتم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ لصغرهن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفَّى عنهنَّ أزواجُهن، أمَّا هُنَّ فعدتهن ما في آية: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾[5] ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾.

---

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد اللّه بن عمر، ولفظه عند البخاري: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول اللّه ﷺ، فتغيَّظ فيه رسول اللّه ﷺ ثم قال: ليُراجعها، ثم يُمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر؛ فإن بدا له أن يُطلقها فليُطلقها طاهرًا قبل أن يمسَّها؛ فتلك العدة كما أمر اللّه ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: ﴿بالغُ أمرِه﴾.

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر بهمزة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الياء، وحقق الهمزة منهم قالون وقنبل، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالساكنين البزي وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي: سَعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ المساكن فيحتجن إلى الخروج: أو: النفقة، فيفتدين منكم ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ وبينهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ للأب ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولا تكره الأم على إرضاعه.

[٧] ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ﴾ ضُيّق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ أعطاه ﴿ٱللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتوح.

[٨] ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي: كاف الجرّ، دخلت على «أي»؛ بمعنى: «كم» ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخرة، وإن لم تجئ؛ لتحقق وقوعها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها[١]؛ فظيعًا، وهو عذاب النار.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسارًا وهلاكًا.

[١٠] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نعت للمنادى، أو بيان له ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

[١١] ﴿رَّسُولًا﴾ أي: محمدًا ﷺ، منصوب بفعل مقدر؛ أي: وأرسل ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها[٢] كما تقدم ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة[٣] بالنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعيمها.

[١٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

* * *

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التحريم

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ من أَمَتِكَ مارية القبطية؛ لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وشَقَّ عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام عليَّ» ﴿تَبۡتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ أي: رضاهن ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ غفر لك هذا التحريم.

[٢] ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ تحليلها؛ بالكفارة المذكورة في سورة «المائدة»[١]، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كَفَّر ﷺ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية، وقال الحسن: لم يكفِّر؛ لأنه ﷺ مغفور له ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

[٣] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ هي حفصة ﴿حَدِيثٗا﴾ هو تحريم مارية، وقال لها: «لا تفشيه» ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾ عائشة؛ ظنًّا منها أن لا حرج في ذلك ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيۡهِ﴾ على المُنَبَّأ به ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ﴾ لحفصة ﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾ تكرمًا منه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ أي: الله.

[٤] ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ أي: حفصة وعائشة ﴿إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ مالت إلى تحريم مارية؛ أي: سَرَّكما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تُقْبَلا، وأطلق «قلوب» على قلبين ولم يعبّر به؛ لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِن تَظَّٰهَرَا﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء[٢]، وفي قراءة بدونها؛ تتعاونا ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي: النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل ﴿مَوۡلَىٰهُ﴾ ناصره ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ أبو بكر وعمر[٣] ـ رضي الله عنهما ـ معطوف على محل اسم «إن»، فيكونون ناصريه ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ﴾ ظهراء؛ أعوان له في نصره عليكما(*). [٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿أَن يُبَدِّلَهُۥٓ﴾ بالتشديد والتخفيف[٤] ﴿أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ خبر «عسى»، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل؛ لعدم وقوع الشرط ﴿مُسۡلِمَٰتٖ﴾ مقرات بالإسلام ﴿مُّؤۡمِنَٰتٖ﴾ مخلصات ﴿قَٰنِتَٰتٖ﴾ مطيعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾(**).

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تتقد، بما ذكر، لا كنار الدنيا، تتقد بالحطب ونحوه ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ خزنتها، عدتهم تسعة عشر، كما سيأتي في «المدّثر» ﴿غِلَاظٞ﴾ مِن: غِلَظِ القلب ﴿شِدَادٞ﴾ في البطش ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ بدل من لفظ الجلالة؛ أي: لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم.

[٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار؛ أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

(*) ما جاء في نزول الآيات (١ ـ ٤): أخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلًا، فتواصيت أنا وحفصة أن أيَّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلتَ مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلًا عند زينب ابنة جحش، ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ إلى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ لقوله: شربت عسلًا. البخاري ـ كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨).

وأخرج النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ إلى آخر الآية. النسائي ـ كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغيرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن النسائي (٣٦٩٥). **قال الحافظ:** «وقد اختلف في الذي حَرَّم على نفسه وعوتب على تحريمه ... والراجح من الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن». انظر: [الفتح (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)].

وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل، وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى، فحلف ألا يشربه وأسرَّ بذلك إليهما، ونزلت الآية في الجميع. اهـ.

(**) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن» فنزلت هذه الآية. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

---

(١) الآية (٨٩).

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف؛ ﴿تَظَاهرا﴾.

(٣) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنويه بفضل الصاحبين خاصة، والله أعلم.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾

[٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمها[1]؛ صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ ترجيةٌ تقعُ ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ﴾ بإدخال النار ﴿النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[١٠] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين؛ إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح واسمها «واهلة» تقول لقومه: إنه مجنون. وامرأة لوط واسمها «واعلة» تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلًا؛ بإيقاد النار ونهارًا بالتدخين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لهما: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آمنت بموسى، واسمها (آسية)، فعذبها فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحى عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرق عنها من وُكِّل بها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكُشِف لها فرأته، فسَهُل عليها التعذيبُ ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب[2].

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عطف على: «امرأة فرعون» ﴿ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل، حيث نفخ في جَيْب درعها، بخلق الله ـ تعالى[3] ـ فعله الواصلَ إلى فرجها، فحملت بعيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكُتُبِهِ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ من القوم المطيعين.

***

(١) بالضم قراءة شعبة.

(٢) هذا من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح ثابت.

(٣) قوله: (بخلق الله تعالى): متعلق بـ «فنفخنا»، وكان المقام للإضمار بأن يقول: «بخلقنا»، و«فعله»: أي: فعل جبريل، وهو: النفخ. ومعنى: خلقه: إيصال أثره، وهو: الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها.

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سورة الملك

[مكية، ثلاثون آية][*]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿تَبَارَكَ﴾ تنزَّه عن صفات المحدثين[١] ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ في تصرفه[٢] ﴿الْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي: ما به الإحساس، والموت: ضدُّها، أو: عدمها[٣]؛ قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض، من غير مماسة ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ﴾ لهن: أو: لغيرهن ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾ صدوع وشقوق؟ [٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرَّة بعد كرَّة ﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلًا؛ لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ منقطع عن رؤية خلل.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾ مراجم ﴿لِّلشَّيَاطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل شهاب عن الكوكب، كالقبس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يخبله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار الموقدة.

[٦] ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[٧] ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتًا منكرًا كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقرئ[٤]: ﴿تتميَّز﴾ على الأصل تتقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غضبًا على الكافر ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ينذركم عذاب الله - تعالى -؟

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكفار للنُّذر.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾؛ أي: عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[١١] ﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا﴾ بسكون الحاء وضمها[٥] ﴿لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فبعدًا لهم عن رحمة الله.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في غيبتهم عن أعين الناس؛ فيطيعونه سرًّا، فيكون علانية أولى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الجنة.

(*) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

---

(١) هذه العبارة موهمة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل -؛ كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، و«تبارك»: على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاظم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل لصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: «﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه» كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده» أي]: «في تصرفه» يكون مضطربًا كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «تنزه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة». وهما ليسا في التصرف. فنؤمن بهذه الصفة لله ﷻ ونثبتها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوجد، وهو ضد الحياة، وذهب آخرون إلى أنه أمر عدمي؛ أي ليس شيئًا يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالخلق؛ يخلقه الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شذوذًا.

(٥) بضمها قراءة الكسائي.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسرُّوا قولكم لا يسمعكم إله محمد[١].

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون؛ أي: أينتفي علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه؟ لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سهلة للمشي فيها ﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ من القبور للجزاء.

[١٦] ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفًا[٢] ﴿مَّن فِى السَّمَآءِ﴾ سلطانه وقدرته[٣] ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ تتحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ إنذاري بالعذاب؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟.

[٢٠] ﴿أَمَّنْ﴾ مبتدأ ﴿هَٰذَا﴾ خبره ﴿الَّذِى﴾ بدل من «هذا» ﴿هُوَ جُندٌ﴾ أعوان ﴿لَّكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَنصُرُكُم﴾ صفة الجند ﴿مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُۥ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿بَل لَّجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ تكبر ﴿وَنُفُورٍ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾ واقعًا ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ معتدلًا ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى؛ أي: أهدى، والـمَثَل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًّا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّن الإنذار.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعزاه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة العلو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾ بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبَّر عنها بطريق المضي؛ لتحقق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: لا مجير لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء[١]، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن، أنحن، أم أنتم، أم هم؟

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرًا في الأرض ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ جار؛ تناله[٢] الأيدي والدلاء كمائكم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يبعثكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث[٣]، وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

سُورَةُ القَلَمِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿نٓ﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا ردٌّ لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ دين ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٥] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.

[٦] ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أبك أم بهم؟

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ له، و«أعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدُّوا۟﴾ تمنوا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلينون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهِنُ﴾ وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا»، قُدِّر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ حقير

[١١] ﴿هَمَّازٍ﴾ عيّاب؛ أي: مغتاب ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ ساعٍ بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿أَثِيمٍ﴾ آثم.

[١٣] ﴿عُتُلٍّۭ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ دَعِيٍّ في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، قال ابن عباس[٤]: لا نعلم أن الله وصف أحدًا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارًا لا يفارقه أبدًا، وتعلق بـ«زنيم» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه.

[١٥] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: كذَّب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة[٥]: ﴿ءَأَن﴾ بهمزتين مفتوحتين.

---

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تناله» وهو خطأ بيِّن.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المعصوم ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، قال: رجل من قريش، له زنمة مثل زنمة الشاة. والزنمة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشرّ كما تعرف الشاة بزنمتها.

(٥) لحمزة وشعبة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهمزة الثانية.

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

[١٦] ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ سنجعل على أنفه علامة، يُعَيَّر بها ما عاش، فخُطِمَ أنفه بالسيف يوم بدر.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في يمينهم بمشيئة الله ـ تعالى ـ، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[٢١] ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ غَلَّتِكُمْ، تفسير لـ«تنادوا» أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ مريدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[٢٣] ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارُّون.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ منع للفقراء ﴿قَٰدِرِينَ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا لما علموها: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثمرتها، بمنعنا الفقراء منها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا﴾ هلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين.

[٢٩] ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾.

[٣١] ﴿قَالُوا۟ يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن [يُبَدِّلَنَا]﴾ بالتشديد والتخفيف[1] ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيرًا من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيرًا منها.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ونزل لما قالوا: إن بُعثنا نُعطى أفضل منكم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[٣٥] ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: تابعين لهم في العطاء.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[٣٧] ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ﴿لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون؟.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ واثقة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متعلِّق معنًى بـ«علينا»، وفي هذا الكلام معنى القسم؛ أي: أقسمنا لكم، وجوابه: [٤٠] ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

[٤١] ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل لهم؟ ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَآءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفلون به لهم؟ فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء[2]؛ يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ امتحانًا لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصير ظهورهم طَبَقًا واحدًا.

---

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله ـ تعالى ـ صفة الساق التي ثبتت بالسنة الصحيحة، وإنما يثبتونها له ـ سُبْحَانَهُ ـ على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه ـ سُبْحَانَهُ ـ، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...» الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

[٤٣] ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ فلا يأتون به، بأن لا يُصلُّوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِى﴾ دعني ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلًا قليلًا ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق.

[٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك؟

[٤٧] ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟

[٤٨] ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًّا في بطن الحوت.

[٤٩] ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رُحِم فنُبِذَ غيرَ مذموم.

[٥٠] ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء.

[٥١] ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها[١] ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ ينظرون إليك نظرًا شديدًا، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدًا: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.

[٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يحدُث بسبب جنون.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أُنكِرَ، من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك.

[٢] ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الحاقة»[٢].

[٣] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، فـ«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرُها في محل المفعول الثاني لـ«أدرى».

[٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

[٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة.

[٦] ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَاتِيَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.

[٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالقهر ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء[٣] ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات، شُبهت بتتابع فِعْل الحاسم، في إعادة الكي على الداء كرَّة بعد أخرى، حتى ينحسم.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ساقطة فارغة.

[٨] ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدرة[٤]، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقٍ؟ لا.

---

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والخبر: خبر «الحاقة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يُصار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».

وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾

[٩] ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن [قِبَلَهُۥ](١)﴾ أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء؛ أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ أي: أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ بالفَعْلات ذات الخطأ.

[١٠] ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: لوطًا وغيره ﴿فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

[١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها، زمن الطوفان ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ﴾ يعني آباءكم؛ إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

[١٢] ﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ أي: هذه الفَعْلة وهي إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ﴾ عظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ ولتحفظها ﴿أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ حافظة لما تسمع.

[١٣] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.

[١٤] ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ دقتا ﴿دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

[١٥] ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.

[١٦] ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ ضعيفة.

[١٧] ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

[١٨] ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لَا تَخۡفَىٰ﴾ بالتاء والياء(٢) ﴿مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ من السرائر.

[١٩] ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خطابًا لجماعته لما سُرَّ به: ﴿هَآؤُمُ﴾ خذوا ﴿ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ تنازع فيه «هاؤم» و«اقرءوا»(٣).

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ تيقنتُ ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ مرضية.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾.

[٢٣] ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها ﴿دَانِيَةٞ﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

[٢٤] فيقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ حال؛ أي: متهنئين ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾.

[٢٦] ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾.

[٢٧] ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ القاطعة لحياتي، بأن لا أبعث.

[٢٨] ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾.

[٢٩] ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ قوتي وحجتي، وهاء «كتابيه» و«حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيه» للسكت تثبت وقفًا ووصلاً؛ اتباعًا للمصحف الإمام والنقل(٤)، ومنهم(٥) من حذفها وصلاً.

[٣٠] ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغُلِّ.

[٣١] ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾ أدخلوه.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ بذراع المَلَك ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

[٣٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾.

---

(١) وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَبْلَه﴾ بفتح القاف وسكون الباء.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) التنازع هو: توجه عاملين إلى معمول واحد. والعاملان هنا، هما: «هاؤم»، و«اقرءوا»، والمعمول هو: «كتابيه»؛ فأيهما أعملتَ، فيقدر للآخر مفعوله، وقد أعمل الثاني عند البصريين، والأول عند الكوفيين، وأُضمر في الآخر، وحذف لأنه فضلة.

(٤) أي عن النبي ﷺ.

(٥) أي السبعة، وهو حمزة، والعشرة، وهو يعقوب.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريب ينتفع به. [٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ صديد أهل النار أو شجر فيها. [٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ الكافرون. [٣٨] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من المخلوقات. [٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ منها؛ أي: بكل مخلوق [٤٠] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قاله رسالة عن الله ـ تعالى ـ. [٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾. [٤٢] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء والياء(١) في الفعلين، و«ما» مزيدة مؤكدة، والمعنى: أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكَّروها، مما أتى به النبي ﷺ، من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئًا. [٤٣] بل هو ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي: النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ بأن قال عنا ما لم نقله. [٤٥] ﴿لَأَخَذْنَا﴾ لنلنا ﴿مِنْهُ﴾ عقابًا ﴿بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة والقدرة(٢). [٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ نياط القلب، وهو عرق متصل به، إذا انقطع مات صاحبه. [٤٧] ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ هو اسم «ما»، و«مِنْ» زائدة لتأكيد النفي، و«منكم» حال من «أحد» ﴿عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ مانعين، خبر «ما»، وجُمِع؛ لأن «أحدًا» في سياق النفي بمعنى الجمع، وضمير «عنه» للنبي ﷺ؛ أي: لا مانع لنا عنه، من حيث العقاب. [٤٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾. [٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مُكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن، ومصدقين. [٥٠] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين، وعقاب المكذبين به ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: لليقين الحق. [٥١] ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزِّه ﴿بِاسْمِ﴾ زائدة(٣) ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ سبحانه.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[مكية، أربع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

[٢] ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ هو النضر بن الحارث(٤)، قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ﴾ الآية(٥).

[٣] ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متصل بواقع ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ مصاعد الملائكة، وهي السماوات.

[٤] ﴿تَعْرُجُ﴾ بالتاء والياء(٦) ﴿الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مهبط أمره من السماء(٧) ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بالنسبة إلى الكافر، لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا؛ كما جاء في الحديث(٨).

[٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: لا جزع فيه.

[٦] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ أي: العذاب ﴿بَعِيدًا﴾ غير واقع.

[٧] ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ واقعًا لا محالة.

[٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ متعلق بمحذوف أي: يقع ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كذائب الفضة.

[٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصوف؛ في الخفة والطيران بالريح.

[١٠] ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قريبٌ قريبَه؛ لاشتغال كُلٍّ بحاله.

---

(١) بالياء قراءة ابن كثير وابن عامر في الفعلين: «يؤمنون»، و«يذَّكرون».

(٢) تفسير اليمين بالقوة والقدرة خلاف ظاهر اللفظ وعدول به عنه، ولو قال: لأنها أشد في البطش، أو أقوى، لكان أوضح وأظهر، مع ما فيها من إثبات صفة اليمين لله ﷻ على الوجه اللائق به، وكلتا يديه سبحانه يمين. كما عند مسلم وغيره (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) أي: الباء، كما تقدم؛ وليس لفظة «اسم».

(٤) قاله ابن عباس، كما عند النسائي في تفسيره (٢/٤٦٣ رقم ٦٤٠)، وحسنه في الاستيعاب (٣/٤٥٧).

(٥) قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأنفال: ٣٢.

(٦) بالياء قراءة الكسائي.

(٧) وهذا من تأويل المعطلة الذين ينفون علو الله ـ سُبْحَانَهُ ـ بذاته على خلقه، وفي الآية إثبات عروج الملائكة إلى الله ـ سُبْحَانَهُ ـ.

(٨) حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد وغيره، وضعفه الألباني، وانظر التعليق على الآية رقم (٥) من سورة السجدة.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾

[١١] ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يبصر الأحِمَّاء بعضهم بعضًا، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى «أن» ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم وفتحها[1] ﴿بِبَنِيهِ﴾.

[١٢] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته؛ لفصله منها ﴿ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾ تضمه.

[١٤] ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يفتدي».

[١٥] ﴿كَلَّآ﴾ رَدٌّ لما يَوَدُّه ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿لَظَىٰ﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تتلظى؛ أي: تتلهب على الكفار.

[١٦] ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ جمع «شواة»، وهي جلدة الرأس.

[١٧] ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان؛ بأن تقول: إليَّ إليَّ.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.

[١٩] ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدرة، وتفسيره:

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مَسِّ الشرّ.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مسِّ الخير؛ أي: المال، لحق الله منه.

[٢٢] ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٢٣] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ مواظبون.

[٢٤] ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة.

[٢٥] ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال؛ فيُحْرَم.

[٢٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء.

[٢٧] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله.

[٢٩] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

[٣١] ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ وفي قراءة[2] بالإفراد؛ ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَٰعُونَ﴾ حافظون.

[٣٣] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم [بِشَهَادَتِهِمْ][3]﴾ وفي قراءة بالجمع ﴿قَآئِمُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها.

[٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها.

[٣٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

[٣٦] ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾ نحوك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ حال؛ أي: مديمي النظر.

[٣٧] ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾ حال ـ أيضًا ـ؛ أي: جماعات حِلَقًا حِلَقًا، يقولون استهزاءً بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم.

[٣٨] قال ـ تعالى ـ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

[٣٩] ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ كغيرهم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من نطف، فلا يُطمَع بذلك في الجنة، وإنما يُطْمَع فيها بالتقوى.

---

(١) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٢) لابن كثير.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالجمع: ﴿بشهاداتهم﴾.

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

[٤٠] ﴿فَلَآ﴾ «لا» زائدة ﴿أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾.

[٤١] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ نأتي بدلهم ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ بعاجزين عن ذلك.

[٤٢] ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾ اتركهم ﴿يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ﴾ يلقوا ﴿يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.

[٤٣] ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعٗا﴾ إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نَصۡبٍ[1]﴾ وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون.

[٤٤] ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

* * *

سُورَةُ نُوحٍ

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ﴾ أي: بإنذار ﴿قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

[٢] ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ بيّن الإنذار.

[٣] ﴿أَنِ﴾؛ أي: بأن أقول لكم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

[٤] ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يُغفَر به ما قبله، أو: تبعيضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك لآمنتم.

[٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ أي: دائمًا متصلًا.

[٦] ﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾ عن الإيمان.

[٧] ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني[2] ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ على كفرهم ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾ أي: بأعلى صوتي.

[٩] ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ﴾ صوتي ﴿وَأَسۡرَرۡتُ﴾ الكلام ﴿لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾.

[١٠] ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾.

---

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نُصُبٖ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «يبصروني».

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

[١١] ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر، وكانوا قد مُنِعُوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور.

[١٢] ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ جارية.

[١٣] ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا؟!.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ جمع طَوْر، وهو الحال، فَطَوْرًا: نطفة، وطورًا: علقة، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

[١٥] ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض؟.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن؛ الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

[١٧] ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إذ خلق أباكم آدم منها ﴿نَبَاتًا﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مبسوطة.

[٢٠] ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ [وَوُلْدُهُ][(١)]﴾ وهم الرؤساء، المُنْعَم عليهم بذلك، و«وُلْد» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول، قيل: جمع «وَلَد» بفتحهما؛ كـ«خُشْب»، و«خَشَب»، وقيل: بمعناه كـ«بُخْل»، و«بَخَل» ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفرًا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي: الرؤساء ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ عظيمًا جدًّا؛ بأن كذبوا نوحًا وآذوه ومن اتبعه.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا۟﴾ للسفلة: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ بفتح الواو وضمها[(٢)] ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟﴾ بها ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس؛ بأن أمروهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ عطفًا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحي إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[(٣)].

[٢٥] ﴿مِّمَّا﴾ «ما» صلة ﴿[خَطَايَاهُم][(٤)]﴾ وفي قراءة: ﴿خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء[(٥)].

﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي: غير ﴿ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ يمنعون عنهم العذاب.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: نازل دار، والمعنى: أحدًا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه.

[٢٨] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

* * *

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَلَدُه﴾ بفتح الواو واللام.

(٢) بالضم قراءة نافع.

(٣) هود: ٣٦.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿خطيئاتهم﴾ بالهمز.

(٥) أي في الدنيا؛ وهذا قول الضحاك؛ وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب. وقال ابن السائب: سيدخلون في الآخرة نارًا؛ فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق. وهذا قول الأكثرين. وقال آخرون: هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر.

سُورَةُ الجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سُورَةُ الجِنِّ

[مكية، ثمان وعشرون آية][*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح ببطن نَخْل[١] (موضع بين مكة والطائف)، وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية[٢] ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزَّه جلاله وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غلوّا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمَخُوفٍ، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بعوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: سُدْنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا إنس ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رُمْنا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ نجومًا مُحْرِقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل مبعثه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: نستمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أُرْصِدَ له ليُرمَى به.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعد استراق السمع ﴿بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ فِرَقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: إنه ﴿لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هاربين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير: «هو» بعد الفاء ﴿بَخْسًا﴾ نقصًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا؛ بالزيادة في سيئاته.

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

---

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩). و«بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليلتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ قصدوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقودًا، و«أَنَّا»، و«أَنَّهُمْ» و«أَنَّهُ» في اثني عشر موضعًا؛ هي: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استئنافًا، وبفتحها[١] بما يوجه به.

[١٦] قال - تعالى - في كفار مكة: ﴿وَأَ﴾ نْ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على «أنه استمع» ﴿لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ كثيرًا من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، عِلْمَ ظُهور ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿[نَسْلُكْهُ]﴾ بالنون والياء[٢]؛ ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقًّا.

[١٨] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح، والكسر[٣] استئنافًا، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ببطن نخل[٤] ﴿كَادُوا۟﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بكسر اللام وضمها[٥]؛ جمع لِبْدة؛ كاللِّبد في ركوب بعضهم بعضًا ازدحامًا، حرصًا على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿[قَالَ][٦]﴾ مجيبًا للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ إلهًا ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ غيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيرًا.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأً.

[٢٣] ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء من مفعول «أَمْلِكُ»؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على «بلاغًا»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ حال من ضمير «مَنْ» في: «له»؛ رعاية لمعناها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مُقدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ ابتدائية، فيها معنى الغاية لمقدَّر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعوانًا، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ غاية وأجلًا لا يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب به[٧] عن العباد ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسيِّر ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ ملائكة يحفظونه، حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الله عِلْمَ ظهور ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي: الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدَّر؛ أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ تمييز، وهو محول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

* * *

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الصواب: «نَخْلة» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسب حذف «به».

سُورَةُ المُزَّمِّل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُزَّمِّل

[مكية، أو: إلا قوله: ﴿إن ربك يعلم . . .﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ النبي، وأصله: «المتزمل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي له؛ خوفًا منه لهيبته.

[٢] ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ صلِّ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٣] ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من «قليلًا»، وقلّته بالنظر إلى الكل ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.

[٤] ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثلثين، و«أو» للتخيير ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ تثبت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرآنًا ﴿ثَقِيلًا﴾ مهيبًا، أو: شديدًا؛ لما فيه من التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِىَ أَشَدُّ [وِطَآءً](١)﴾ موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أبين قولًا.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ تصرفًا في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك(٢) ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ مصدر «بَتَّل»، جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] هو ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ موكلًا له أمورك.

[١٠] ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِى﴾ اتركني ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ التنعم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ من الزمن؛ فقُتلوا بعد يسير منه ببدر.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ قيودًا ثقالًا؛ جمع «نِكْل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا محرقة.

[١٣] ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يُغَصُّ به في الحلق، وهو: الزَّقوم، أو: الضَّريع، أو: الغِسلين، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا، زيادة على ما ذُكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تُزلزَل ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملًا مجتمعًا ﴿مَّهِيلًا﴾ سائلًا بعد اجتماعه، وهو من: هال يَهيل، وأصله: مَهْيُول؛ استُثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ شديدًا.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شِيبًا» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٨] ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾ ذات انفطار؛ أي: انشقاق ﴿بِهِۦ﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ - تعالى - بمجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات المخوفة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ طريقًا بالإيمان والطاعة.

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (وَطْئًا) بفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قراءة وقيامًا.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أعم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلًا ونهارًا، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.

[٢٠] ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ [وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ]﴾ بالجر عطف على «ثلثي»، وبالنصب[1] على «أدنى»، وقيامه كذلك، نحو ما أُمِرَ به أول السورة ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ عطف على ضمير: «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقيام طائفة من أصحابه كذلك، للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل، وكم بقي منه؛ فكان يقوم الليل كله احتياطًا، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر؛ فخفف عنهم قال - تعالى -: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ يحصي ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي: الليل؛ لتقوموا فيما يجب القيام فيه، إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ في الصلاة، بأن تصلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يطلبون من رزقه؛ بالتجارة وغيرها ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس[2] ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرْضًا حَسَنًاۚ﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مما خلفتم، و«هو» فصل، وما بعده[3] وإن لم يكن معرفة؛ يشبهها؛ لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ للمؤمنين.

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

[مكية، خمس[4] وخمسون آية][*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ النبي ﷺ، وأصله المتدثر، أدغمت التاء في الدال؛ أي: المتلفف بثيابه، عند نزول الوحي عليه. [٢] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ خوف أهل مكة النار، إن لم يؤمنوا. [٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظِّم عن إشراك المشركين. [٤] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصِّرها خلاف جر العرب ثيابهم خُيلاء؛ فربما أصابتها نجاسة. [٥] ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ فسره النبي ﷺ بالأوثان[5]. ﴿فَٱهْجُرْ﴾ أي: دم على هجره. [٦] ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ بالرفع حال؛ أي: لا تعط شيئًا لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب. [٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي. [٨] ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور، وهو: القرن، النفخة الثانية. [٩] ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي: وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله؛ المبتدأ، وبُنِيَ لإضافته إلى غير متمكن[6]، وخبر المبتدأ: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ والعامل في «إذا» ما دلت عليه الجملة؛ أي: اشتد الأمر. [١٠] ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين؛ أي: في عسره. [١١] ﴿ذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾ حال من «مَنْ»، أو: من ضميره المحذوف، من «خلقت»؛ أي منفردًا بلا أهل ولا مال، هو: الوليد بن المغيرة المخزومي. [١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ واسعًا متصلًا من الزروع والضروع والتجارة. [١٣] ﴿وَبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ يشهدون المحافل، وتُسمع شهاداتهم. [١٤] ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ بسطت ﴿لَهُۥ﴾ في العيش والعمر

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأنزل الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة. وهي الأوثان» البخاري - كتاب بدء الوحي (١) باب (٣).

---

(١) بالجر؛ قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب فيهما؛ ﴿نصفَه وثلثَه﴾.

(٢) أخرج مسلم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام النبي ﷺ وأصحابه حولًا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة.

(٣) وهو قوله تعالى: (خيرًا)، والمعنى: أن ضمير الفصل «هو» إنما جاز الإتيان به هنا بين معرفة ونكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين - إلا أنه جاز الإتيان به هنا؛ لأن أفعل التفضيل؛ «خيرًا» يشبه المعرفة.

(٤) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي بعضها: ست وخمسون آية. وهو صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢/٢٧٥) وصححه على شرطهما. وتفسير الرجز بالأوثان عند مسلم (١٦١) وأحمد (١٤٦١٧) من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) أي: إلى مُنَوَّن تنوين عِوض عن الجملة، وهو: «إذْ» في: «يومئذٍ». أي: يوم إذ نُقر في الناقور.

فقتل كيف قدر (١٩) ثم قتل كيف قدر (٢٠) ثم نظر (٢١) ثم عبس وبسر (٢٢) ثم أدبر واستكبر (٢٣) فقال إن هذا إلا سحر يؤثر (٢٤) إن هذا إلا قول البشر (٢٥) سأصليه سقر (٢٦) وما أدراك ما سقر (٢٧) لا تبقي ولا تذر (٢٨) لواحة للبشر (٢٩) عليها تسعة عشر (٣٠) وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر (٣١) كلا والقمر (٣٢) والليل إذ أدبر (٣٣) والصبح إذا أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥) نذيرا للبشر (٣٦) لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر (٣٧) كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨) إلا أصحاب اليمين (٣٩) في جنات يتساءلون (٤٠) عن المجرمين (٤١) ما سلككم في سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين (٤٣) ولم نك نطعم المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نكذب بيوم الدين (٤٦) حتى أتانا اليقين (٤٧)

والولد ﴿تمهيدا﴾. [١٥] ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾. [١٦] ﴿كلا﴾ لا أزيده على ذلك ﴿إنه كان لآياتنا﴾ القرآن ﴿عنيدا﴾ معاندًا. [١٧] ﴿سأرهقه﴾ أكلفه ﴿صعودا﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلًا من نار، يصعد فيه ثم يهوي أبدًا.

[١٨] ﴿إنه فكر﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وقدر﴾ في نفسه ذلك. [١٩] ﴿فقتل﴾ لُعِن وعُذِّب ﴿كيف قدر﴾ على أي حال كان تقديره. [٢٠] ﴿ثم قتل كيف قدر﴾. [٢١] ﴿ثم نظر﴾ في وجوه قومه، أو فيما يقدح به فيه. [٢٢] ﴿ثم عبس﴾ قبض وجهه وكلّحه؛ ضيقًا بما يقول ﴿وبسر﴾ زاد في القبض والكلوح. [٢٣] ﴿ثم أدبر﴾ عن الإيمان ﴿واستكبر﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. [٢٤] ﴿فقال﴾ فيما جاء به: ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلا سحر يؤثر﴾ ينقل عن السحرة. [٢٥] ﴿إن﴾ ما ﴿هذا إلا قول البشر﴾ كما قالوا: ﴿إنما يعلمه بشر﴾[1]. [٢٦] ﴿سأصليه﴾ أدخله ﴿سقر﴾ جهنم. [٢٧] ﴿وما أدراك ما سقر﴾ تعظيم لشأنها. [٢٨] ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ شيئًا من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان. [٢٩] ﴿لواحة للبشر﴾ مُحرقة لظاهر الجلد. [٣٠] ﴿عليها تسعة عشر﴾ ملكًا خزنتها؛ قال بعض الكفار وكان قويًّا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين[2].

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي: فلا يُطاقون كما يتوهمون ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ ذلك ﴿إلا فتنة﴾ ضلالًا ﴿للذين كفروا﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿ليستيقن﴾ ليستبين ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: اليهود صِدْقَ النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إيمانا﴾ تصديقًا؛ لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ من غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ شك بالمدينة ﴿والكافرون﴾ بمكة: ﴿ماذا أراد الله بهذا﴾ العدد ﴿مثلا﴾ سموه لغرابته بذلك، وأعرب حالًا ﴿كذلك﴾ أي: مثل إضلال منكر هذا العدد، وهدى مصدِّقه ﴿يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك﴾ أي: الملائكة؛ في قوتهم وأعوانهم ﴿إلا هو وما هي﴾ أي: سقر ﴿إلا ذكرى للبشر﴾.

[٣٢] ﴿كلا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿والقمر﴾. [٣٣] ﴿والليل [إذا]﴾ بفتح الذال ﴿[دبر]﴾[3] جاء بعد النهار، وفي قراءة: ﴿إذ أدبر﴾ بسكون الذال بعدها همزة؛ أي: مضى. [٣٤] ﴿والصبح إذا أسفر﴾ ظهر.

[٣٥] ﴿إنها﴾ أي: سقر ﴿لإحدى الكبر﴾ البلايا العظام. [٣٦] ﴿نذيرا﴾ حال من «إحدى»، وذُكِّر لأنها بمعنى العذاب ﴿للبشر﴾. [٣٧] ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من «البشر» ﴿أن يتقدم﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أو يتأخر﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. [٣٨] ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار. [٣٩] ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ وهم المؤمنون، فناجون منها. [٤٠] كائنون ﴿في جنات يتساءلون﴾ بينهم. [٤١] ﴿عن المجرمين﴾ وحالهم. [٤٢] ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿ما سلككم﴾ ما أدخلكم ﴿في سقر﴾. [٤٣] ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾. [٤٤] ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾. [٤٥] ﴿وكنا نخوض﴾ في الباطل ﴿مع الخائضين﴾. [٤٦] ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ البعث والجزاء [٤٧] ﴿حتى أتانا اليقين﴾ الموت.

= وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾. فقلت: أنبئت أنه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾ فقلت: أنبئت أنه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المدثر (٧٤) باب (١). قال الحافظ: «المراد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة المدثر» أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر والإنذار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة». [الفتح (٨/ ٥٤٦)]. وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: ﴿اقرأ باسم ربك﴾، كما صرح به في حديث عائشة.

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأشد أُسيد بن كلدة بن خلف الجمحي. كما في تفسير البغوي وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إذ أدبر﴾ بسكون الذال بعدها همزة.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

[٤٨] ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه[١] ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ؟ [٥٠] ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ وحشية. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: من الله ـ تعالى ـ باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾[٢].

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّآ﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء[٣] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بأن يُتقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

سُورَةُ القِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿لَآ﴾ زائدة في الموضعين ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: لتبعثن، دلَّ عليه: [٣] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ للبعث والإحياء؟ [٤] ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه بـ«أن» مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَامَهُۥ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ بكسر الراء وفتحها[٤]؛ دَهَش وتحيَّر، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه. [٩] ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضوؤهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ الفرار؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ يُتحصن به. [١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقر الخلائق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره. [١٤] ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطق جوارحه بعمله، والهاء للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ جمع «معذرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال ـ تعالى ـ لنبيه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ خوف أن ينفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قراءتك إياه؛ أي: جريانه على لسانك. [١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ استمع قراءته، فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها(*).

(*) ما جاء في نزول الآيات: (١٦ ـ ١٩): أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله. البخاري ـ كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبرًا؛ حُذف متعلقه وجوبًا، وانتقل ضميره إليه.

(٢) الإسراء: ٩٣.

(٣) بالتاء قراءة نافع.

(٤) بالفتح قراءة نافع.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿بَل [يُحِبُّونَ] ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا بالياء والتاء في الفعلين[١]. [٢١] ﴿[وَيَذَرُونَ] ٱلْآخِرَةَ﴾ فلا يعملون لها. [٢٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة مضيئة. [٢٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: يرون الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في الآخرة. [٢٤] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوس. [٢٥] ﴿تَظُنُّ﴾ توقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة، تكسر فقار الظهر. [٢٦] ﴿كَلَّآ﴾ بمعنى: ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ عظام الحلق. [٢٧] ﴿وَقِيلَ﴾ قال من حوله: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ يرقيه ليشفى؟

[٢٨] ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ فراق الدنيا. [٢٩] ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو: التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة. [٣٠] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي: السَّوْق، وهذا يدل على العامل في «إذا»، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها. [٣١] ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لم يصدِّق ولم يصلِّ. [٣٢] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان. [٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر في مشيته إعجابًا. [٣٤] ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل، واللام للتبيين؛ أي: وَلِيَكَ ما تكره ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك. [٣٥] ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ تأكيد. [٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ هملًا، لا يكلف بالشرائع؟ أي: لا يحسب ذلك. [٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أي: كان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ بالياء والتاء[٢]، تُصبُّ في الرحم؟ [٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المني ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّىٰ﴾ عدل أعضاءه؟ [٣٩] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ من المني الذي صار علقة، أي: قطعة دم ثم مضغة؛ أي: قطعة لحم ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. [٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الفعَّال لهذه الأشياء ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال ﷺ: «بلى»[٣].

سُورَةُ الإِنسَانِ

[مكية أو مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ﴾ قد[٤] ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة[٥] ﴿لَمْ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ كان فيه مصورًا من طين لا يذكر، أو: المراد بالإنسان الجنس، وبالحين: مدة الحمل. [٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط؛ أي: من ماء الرجل وماء المرأة، المختلطين الممتزجين ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو: حال مقدرة؛ أي: مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

[٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيَّنَّا له طريق الهدى، ببعث الرسل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من المفعول؛ أي: بيَّنَّا له في حال شكره أو كفره، المقدرة، و«إما» لتفصيل الأحوال.

[٤] ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقهم، تُشد فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا﴾ نارًا مسعرة؛ أي: مهيَّجة، يعذبون بها.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع «بَرٍّ» أو «بَارٍّ»، وهم: المطيعون ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ هو إناء شرب الخمر وهي فيه، والمراد: من خمر؛ تسمية للحالِّ باسم المحل، و«مِنْ» للتبعيض ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا﴾.

(١) أي: «يحبون» و«يذرون»، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالتاء قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) أخرج نحوه أبو داود (٧٥٣) وأحمد (٧٠٨٦) من حديث أبي هريرة، وأخرج الطبري (٨٢/٢٤) عن قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى». وأخرج أبو داود (٧٥٠) عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك فبلى، فسألوه عن ذلك. فقال: سمعته من رسول الله ﷺ. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٦).

(٤) أي: فليست هل للاستفهام. وقيل: إنها للاستفهام التقريري. والمقصود إلزام الخصم المنكر للبعث؛ لأن القادر على إيجاد الإنسان من عدم قادر على إعادته.

(٥) قيل: مرت عليه أربعون سنة، وكان مصورًا من طين لم يُنفخ فيه الروح.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

[٦] ﴿عَيْنًا﴾ بدل من: ﴿كَافُورًا﴾ فيها رائحته ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ منها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقودونها حيث شاءوا من منازلهم.

[٧] ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا.

[٨] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: الطعام وشهوتهم له ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا ﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يعني: المحبوس بحق. [٩] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ لطلب ثوابه[١] ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ شكرًا، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو: علمه الله منهم، فأثنى عليهم به؟ قولان.

[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه؛ أي: كريه المنظر لشدته ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديدًا في ذلك.

[١١] ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حُسْنًا وإضاءة في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾. [١٢] ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أُدخِلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ أُلبسوه.

[١٣] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من مرفوع: «أدخلوها» المقدَّر ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السُّرُر في الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ لا يجدون، حال ثانية ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ لا حرًّا ولا بردًا، وقيل: الزمهرير: القمر، فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر. [١٤] ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة، عطف على محل: «لا يرون»؛ أي: غير رائين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم ﴿ظِلَـٰلُهَا﴾ شجرها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أدنيت ثمارها؛ فينالها القائم والقاعد والمضطجع. [١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ فيها ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾[٢]. [١٦] ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: إنها من فضة، يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿قَدَّرُوهَا﴾؛ أي: الطائفون ﴿تَقْدِيرًا﴾ على قدر ريِّ الشاربين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألذ الشراب. [١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلًا﴾. [١٨] ﴿عَيْنًا﴾ بدل من: ﴿زَنجَبِيلًا﴾ ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساغ في الحلق.

[١٩] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بصفة الولدان، لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ من سِلْكِه، أو: من صَدَفِه، وهو أحسن منه في غير ذلك[٣].

[٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجدت الرؤية منك في الجنة ﴿رَأَيْتَ﴾ جواب «إذا» ﴿نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعًا لا غاية له. [٢١] ﴿عَـٰلِيَهُمْ﴾ فوقهم، فنصبه على الظرفية، وهو خبر لمبتدأ بعده، وفي قراءة: بسكون الياء[٤]؛ مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به للمطوف[٥] عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ حرير ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع ﴿[وَإِسْتَبْرَقٍ]﴾ بالجر[٦] ما غلظ من الديباج، فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما[٧]، وفي أخرى برفعهما[٨]، وفي أخرى[٩] بجرهما ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع ﴿مِن ذَهَبٍ﴾[١٠] للإيذان بأنهم يحلون من النوعين؛ معًا ومفرقًا ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ مبالغة في طهارته ونظافته، بخلاف خمر الدنيا.

[٢٢] ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن»، أو: فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ خبر «إن»؛ أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة.

[٢٤] ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة؛ قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر؛ أي: لا تطع أحدهما أيًّا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر.

[٢٥] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يعني الفجر والظهر والعصر.

---

(١) وفيها إثبات صفة الوجه لله ﷻ حقيقة على الوجه اللائق به، وقد أفاض ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في الرد على من قال إن لفظ الوجه مجاز، وبيَّن بطلان هذا القول من ستة وعشرين وجهًا في الصواعق المرسلة.

(٢) قرأ نافع والكسائي وشعبة بالتنوين في الموضعين، وقرأ ابن كثير بالتنوين في الأول وبغير التنوين في الثاني، والباقون بغير تنوين فيهما، وكلهم وقف على الأول بألف، إلا حمزة فوقف بغير ألف. ووقف نافع والكسائي وشعبة وهشام على الثاني بألف.

(٣) هذا جواب عما يقال: ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم؟ فأجاب بذلك.

(٤) لنافع وحمزة.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «للمعطوف» بدلًا من «المطوف»، والصواب المثبت.

(٦) لأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي وهو جرُّ ﴿خُضرٍ﴾، ورفع ﴿إستبرقٌ﴾ وهي قراءة ابن كثير وشعبة.

(٨) لنافع وحفص.

(٩) لحمزة والكسائي، وحاصل ما ذكر المصنف من القراءات أربع وكلها سبعية؛ رفع ﴿خضرٌ﴾، و﴿إستبرقٌ﴾، وجرهما، ورفع الأول وجر الثاني، وعكسه.

(١٠) كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣].

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثيه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ﴾ قوينا ﴿أَسۡرَهُمۡۖ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ﴾ جعلنا ﴿أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ في الخلقة بدلًا منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبۡدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إنْ» نحو: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾[1]؛ لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذًا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ طريقًا بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ بالتاء والياء[2]: اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في فعله.

[٣١] ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ جنته[3]، وهم المؤمنون ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدَّر؛ أي: «أوعد»، يفسره: ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ مؤلمًا، وهم الكافرون.

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

[مكية، خمسون آية][*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كعُرْفِ الفرس، يتلو بعضه بعضًا، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسلُ يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى -، وفي قراءة[4]: بضم ذال «نُذُرًا»، وقرئ[5]: بضم ذال «عُذُرًا».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ كائن لا محالة.

[٨] ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ مُحي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ شُقَّت.

[١٠] ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ فُتِّت وسُيِّرت.

[١١] ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ [وُقِّتَتۡ]﴾ بالواو، وبالهمزة[6] بدلًا منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ﴾ ليوم عظيم ﴿أُجِّلَتۡ﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ.

[١٣] ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم؛ أي: أهلكناهم.

[١٧] ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ممن كذبوا؛ ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

(*) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيتم شرها». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

---

(١) فاطر: ١٦.

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عنه.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فنثبتها له - سُبْحَانَهُ - على الوجه اللائق به.

(٤) لنافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٥) أي: شذوذًا.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أُقِّتَتۡ﴾ بالهمزة.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف، وهو المني.

[٢١] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ حريز، وهو الرحم.

[٢٢] ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نحن.

[٢٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ مصدر «كَفَتَ» بمعنى ضَمَّ؛ أي: ضامة.

[٢٦] ﴿أَحْيَآءً﴾ على ظهرها ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ في بطنها.

[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ جبالًا مرتفعات ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ عذبًا.

[٢٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٢٩] ويقال للمكذبين يوم القيامة: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

[٣٠] ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ هو دخان جهنم، إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لِعظمه.

[٣١] ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ كنين يظلهم من حر ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ يرد عنهم شيئًا ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ النار.

[٣٢] ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ من البناء، في عظمه وارتفاعه [٣٣] ﴿كَأَنَّهُۥ [جِمَالَاتٌ][1]﴾ جمع: «جمالة»، جمع: «جمل»، وفي قراءة: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ ﴿صُفْرٌ﴾ في هيئتها ولونها، وفي الحديث: «شرار النار أسود كالقير»[2]، والعرب تُسمي سود الإبل: صُفرًا؛ لشوب سوادها بصفرة، فقيل: «صفر» في الآية بمعنى سود؛ لما ذكر، وقيل: لا، و«الشَّرر» جمع: «شررة»، و«الشرار» جمع «شرارة»، والقير: القار[3].

[٣٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٣٥] ﴿هَٰذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على «يؤذن»، من غير تسبب عنه[4]، فهو داخل في حيز النفي؛ أي: لا إذن فلا اعتذار.

[٣٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٣٨] ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعًا.

[٣٩] ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ﴾ فافعلوها.

[٤٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ﴾ أي: تكاثف أشجار، إذ لا شمس يُظَلُّ من حرها ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعة من الماء.

[٤٢] ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب.

[٤٣] ويقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ حال؛ أي: متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان، وغايته إلى الموت، وفي هذا تهديد لهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾.

[٤٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يصلون.

[٤٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به؛ لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

***

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾.

(٢) ذكر البغوي في تفسيره أنه جاء في الحديث أن شرر نار جهنم أسود كالقير (٣٠٧/٨)، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) وهو الزفت. وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا ـ عند مالك والبيهقي في الشعب مختصرًا ـ: «أترونها حمراء كناركم هذه؟! لهي أشد سوادًا من القار و(القار): الزفت». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٠).

(٤) أي: ليست الفاء في «فيعتذرون» فاء السببية؛ ليقدر بعدها «أن»، وينصب بها الفعل المضارع؛ نحو: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦].

سورة النبإ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ
مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سورة التساؤل(١)

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعض قريش بعضًا.

[٢] ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره. [٣] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فالمؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. [٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. [٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيد، وجيء فيه بـ«ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. [٦] ثم أومأ - تعالى - إلى القدرة على البعث فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ فراشًا كالمهد.

[٧] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تثبت بها الأرض، كما تثبت الخيام بالأوتاد؟ والاستفهام للتقرير.

[٨] ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورًا وإناثًا.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم.

[١٠] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترًا بسواده.

[١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتًا للمعايش.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع «شديدة»؛ أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيرًا ﴿وَهَّاجًا﴾ وقادًا؛ يعني: الشمس.

[١٤] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر؛ كالمُعْصِر؛ الجارية التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صبابًا.

[١٥] ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالتين.

[١٦] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة؛ جمع: «لفيف»؛ كـ«شريف» و«أشراف».

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ وقتًا للثواب والعقاب.

[١٨] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن، بدل من «يوم الفصل»، أو: بيان له، والنافخ إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات مختلفة.

[١٩] ﴿[وَفُتِّحَتِ] السَّمَاءُ﴾ بالتشديد والتخفيف(٢)، شققت؛ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب.

[٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ ذُهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباءً؛ أي: مِثله في خفة سيرها.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ راصدة، أو: مرصدة.

[٢٢] ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَآبًا﴾ مرجعًا لهم فيدخلونها.

[٢٣] ﴿لَابِثِينَ﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرًا لبثهم ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾ دهورًا لا نهاية لها، جمع: «حُقْب» بضم أوله.

[٢٤] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نومًا(٣)، فإنهم لا يذوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما يُشرب تلذذًا.

[٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماءً حارًّا غاية الحرارة ﴿[وَغَسَاقًا]﴾ بالتخفيف والتشديد(٤): ما يسيل من صديد أهل النار، فإنهم يذوقونه.

[٢٦] جُوزوا بذلك ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ موافقًا لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

[٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث. [٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبًا. [٢٩] ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ كَتْبًا في اللوح المحفوظ؛ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.

[٣٠] ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم.

---

(١) وتسمى سورة النَّبَإ.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٣) سُمِّيَ النوم بردًا؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يذوقون فيها برد ريح، ولا ظِلٍّ نوم. فجعل البرد: بردَ كل شيء له راحة.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين، بدل من: «مفازًا»، أو: بيان له ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾ عطف على «مفازًا». [٣٣] ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جواري تكعبت ثُدِيُّهن، جمع «كاعب» ﴿أَتْرَابًا﴾ على سن واحد، جمع «تِرْب» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ خمرًا مالئة محالَّها، وفي سورة «القتال»: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾[1]. [٣٥] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لَغْوًا﴾ باطلًا من القول ﴿وَلَا [كِذَٰبًا]﴾[2] بالتخفيف؛ أي: كذبًا، وبالتشديد؛ أي: تكذيبًا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَآءً﴾ بدل من «جزاء» ﴿حِسَابًا﴾ أي: كثيرًا، من قولهم: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلتُ: حَسْبي. [٣٧] ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع[3] ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كذلك[4]، وبرفعه مع جر «رب»[5] ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خِطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفًا منه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ«لا يملكون» ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولًا ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى. [٣٩] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ مرجعًا؛ أي: رجع إلى الله بطاعته؛ ليسلم من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكلُّ آتٍ قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ«عذابًا» بصفته ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿لَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله - تعالى - للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني ترابًا[6].

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، ست وأربعون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ نزعًا بشدة.

[٢] ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ الملائكة تَنْشَطُ أرواح المؤمنين؛ أي: تَسُلُّها برفق.

[٣] ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره - تعالى -؛ أي: تنزل.

[٤] ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

[٥] ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا؛ أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف؛ أي: لتبعثن يا كفار مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء؛ أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة[7]، والجملة حال من «الراجفة»، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية. [٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة قلقة. [٩] ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة؛ لهول ما ترى. [١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار استهزاءً وإنكارًا للبعث: ﴿أَءِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين[8] ﴿لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: أنرد بعد الموت إلى الحياة؟! والحافرة: اسم لأول الأمر، ومنه رجع فلان في حافرته: إذا رجع من حيث جاء. [١١] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ وفي قراءة[9]: ﴿نَاخِرَةً﴾ بالية متفتتة نُحيا؟ [١٢] ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي: رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذًا﴾ إن صَحَّتْ ﴿كَرَّةٌ﴾ رجعة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ ذات خسران. [١٣] قال - تعالى -: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي: الرادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾ نفخة ﴿وَٰحِدَةٌ﴾ فإذا نفخت. [١٤] ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: كل الخلائق ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ بوجه الأرض أحياء، بعدما كانوا ببطنها أمواتًا.

[١٥] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ عامل في:

---

(١) محمد: ١٥. (٢) بالتخفيف قراءة الكسائي. (٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: بالجر والرفع، والرفع قراءة السبعة عدا ابن عامر وعاصم. (٥) وهي قراءة ثالثة سبعية. لحمزة والكسائي.

(٦) كما في حديث أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يقضي الله بين خلقه؛ الجنَّ والإنس والبهائم، وإنه لَيُقِيدُ يومئذٍ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا». أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٧، ١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٦٦) (٦٠٦/٤).

(٧) الأولى عدم التعيين؛ وإنما يقال: «أربعون» فقط كما في الحديث.

(٨) أي: وتركه، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف. (٩) لحمزة والكسائي وشعبة.

ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادي، بالتنوين وتركه[1]، فقال: [١٧] ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ أدعوك ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ وفي قراءة[2] بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك؛ بأن تشهد أن لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته ببرهان ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ فتخافه.

[٢٠] ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعونُ موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله ـ تعالى.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ في الأرض بالفساد.

[٢٣] ﴿فَحَشَرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَىٰ﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لا رب فوقي.

[٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[3]، وكان بينهما أربعون سنة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ الله ـ تعالى ـ.

[٢٧] ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه[4]؛ أي: منكرو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أشد خلقًا؟ ﴿بَنَىٰهَا﴾ بيان لكيفية خلقها.

[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سمتها في جهة العلو رفيعًا، وقيل: سَمْكها: سقفها ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب.

[٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها.

[٣٠] ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دَحْوٍ.

[٣١] ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخرجًا ﴿مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة.

[٣٢] ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن.

[٣٣] ﴿مَتَٰعًا﴾ مفعول له لمقدر؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي: تمتيعًا ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

[٣٤] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ النفخة الثانية.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَىٰ﴾ في الدنيا من خير وشر.

[٣٦] ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أظهرت ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ لكل راءٍ، وجواب «إذا»: [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ كفر. [٣٨] ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ باتباع الشهوات. [٣٩] ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ مأواه.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمّارة ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المُردي باتباع الشهوات. [٤١] ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة.

[٤٢] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى وقوعها وقيامها؟

[٤٣] ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: ليس عندك علمها حتى تذكرها.

[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره.

[٤٥] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾ يخافها.

[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية؛ لما بينهما من الملابسة؛ إذ هما طرفا النهار، وحَسَّنَ الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

* * *

(١) بترك التنوين قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعية. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ عَبَسَ

[مكية، اثنتان وأربعون آية](*)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿عَبَسَ﴾ النبي؛ كَلَح وجهه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض، لأجل. [٢] ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ عبد الله بن أم مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به، ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذي(١) هو حريص على إسلامهم، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه: علمني مما علمك الله. فانصرف النبي ﷺ إلى بيته؛ فعُوتِبَ في ذلك بما نزل في هذه السورة؛ فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»(٢) ويبسط له رداءه. [٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي؛ أي: يتطهر من الذنوب، بما يسمع منك. [٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال؛ أي: يتعظ ﴿[فَتَنفَعُهُ] ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ العظة المسموعة منك، وفي قراءة(٣) بنصب «تَنْفَعَهُ» جواب الترجي. [٥] ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ بالمال [٦] ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ وفي قراءة(٤) بتشديد الصاد؛ بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تُقْبِلُ وتتعرَّض. [٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ يؤمن.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ حال من فاعل «جاء». [٩] ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله، حال من فاعل «يسعى»، وهو الأعمى. [١٠] ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ فيه حذف التاء الأخرى في الأصل؛ أي: تتشاغل؟ [١١] ﴿كَلَّآ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ أي: السورة أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق. [١٢] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ حفظ ذلك، فاتعظ به. [١٣] ﴿فِى صُحُفٍ﴾ خبر ثانٍ لـ«إنها»(٥)، وما قبله اعتراض ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله. [١٤] ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ منزهة عن مس الشياطين. [١٥] ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ. [١٦] ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ مطيعين لله تعالى، وهم الملائكة. [١٧] ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لُعن الكافر ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ استفهام توبيخ؛ أي: ما حمله على الكفر؟ [١٨] ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ استفهام تقرير. [١٩] ثم بينه فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ علقة ثم مضغة، إلى آخر خلقه. [٢٠] ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: طريق خروجه من بطن أمه ﴿يَسَّرَهُۥ﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ جعله في قبر يستره. [٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ للبعث. [٢٣] ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ لم يفعل ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ به ربه. [٢٤] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ كيف قُدِّر ودُبِّر له. [٢٥] ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا﴾. [٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا﴾. [٢٧] ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير. [٢٨] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ هو القَتُّ الرَّطْبُ. [٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾. [٣٠] ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ بساتين كثيرة الأشجار. [٣١] ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ ما ترعاه البهائم، وقيل: التِّبن. [٣٢] ﴿مَّتَٰعًا﴾ متعة، أو: تمتيعًا، كما تقدم في السورة قبلها ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ تقدم فيها أيضًا. [٣٣] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ النفخة الثانية. [٣٤] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. [٣٥] ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾. [٣٦] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ «يوم» بدل من «إذا»، وجوابها دل عليه: [٣٧] ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ حال يشغله عن شأن غيره؛ أي: اشتغل كل واحد بنفسه. [٣٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة. [٣٩] ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة، وهم المؤمنون. [٤٠] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبار. [٤١] ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ ظلمة وسواد. [٤٢] ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ أي: الجامعون بين الكفر والفجور.

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج الترمذي عن عائشة قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى؛ أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا»، ففي هذا أنزل. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٣) ومن سورة عبس. (صحيح الإسناد)، صحيح سنن الترمذي (٢٦٥١).

---

(١) كذا في أكثر المطبوع، وفي حاشية الصاوي قال: «نعت لأشراف قريش، وكان المناسب التعبير بالذين». وفي حاشية الجمل قال: «... فكأنه جاء على الاستعمال القليل من استعمال «الذي» في الجمع؛ على حدِّ: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩]».

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨٥، وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص(١٨١): ذكره الثعلبي بلا إسناد. وأخرجه الديلمي في الفردوس (٦٨٠٥) من حديث أنس، من غير إسناد. وهو في مسند أبي يعلى (٤٣١/٤) رقم (٣١٢٣) عن أنس بإسناد ظاهره الصحة بلفظ: «... فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه».

(٣) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم بالنصب.

(٤) لنافع وابن كثير.

(٥) والخبر الأول: «تذكرة».

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفِّفت وذهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ انقضَّت وتساقطت على الأرض(١). [٣] ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذُهِبَ بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباءً منبثًّا. [٤] ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راعٍ، أو: بلا حَلَب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جُمِعت بعد البعث؛ ليقتص لبعض من بعض، ثم تصير ترابًا. [٦] ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ [سُجِرَتْ]﴾ بالتخفيف والتشديد(٢)؛ أوقدت فصارت نارًا. [٧] ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قُرنت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ تبكيتًا لقاتلها. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ(٣) بكسر التاء حكايةً لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلتُ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد(٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجلد عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ﴾ النار ﴿[سُعِرَتْ]﴾ بالتخفيف والتشديد(٥)؛ أججت. [١٣] ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾. [١٦] ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد تَخْنُسُ ـ بضم النون ـ؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذْ كَرَّ راجعًا إلى أوله، وتكنِس بكسر النون: تدخل في كِناسها؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. [١٧] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدبر. [١٨] ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ امتد حتى يصير نهارًا بيِّنًا. [١٩] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله ـ تعالى ـ، وهو جبريل، أضيف إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: الله ـ تعالى ـ ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المُقْسَم عليه ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خُلِق عليها ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ البيِّن، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿[بِظَنِينٍ](٦)﴾؛ أي: بمتَّهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: ببخيل، فينتقص شيئًا منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَّجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الخلائق، استقامتكم عليه(٧).

* * *

(١) النجوم لا تتساقط على الأرض، وإنما تتفتت وتتناثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذًا ﴿قُتِّلَتِ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بضنين﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٢٦١): «التعميم في متعلَّق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئًا من خير أو شرٍّ، إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل في ذلك الاستقامة دخولًا أوليًّا للآية السابقة، وبذلك تدل الآية على مشيئة الله الكونية خلافًا للمعتزلة» اهـ.

سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ انشقت.

[٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ انقضَّت وتساقطت.

[٣] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُتح بعضها في بعض، فصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالملح.

[٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قُلب ترابها، وبُعث موتاها.

[٥] وجواب «إذا» وما عطف عليها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال ﴿وَ﴾ ما ﴿أَخَّرَتْ﴾ منها، فلم تعمله.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ حتى عصيته.

[٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّاكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة، سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف والتشديد[1]؛ جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء؛ ليست يد أو رجل أطول من الأخرى

[٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا﴾ صلة ﴿شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

[٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله ـ تعالى[2]ـ ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِالدِّينِ﴾ بالجزاء على الأعمال.

[١٠] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم.

[١١] ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَاتِبِينَ﴾ لها.

[١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جميعه.

[١٣] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة.

[١٤] ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الكفار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ نار محرقة.

[١٥] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويُقاسُون حرّها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء.

[١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ بمخرجين.

[١٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ تعظيم لشأنه.

[١٩] ﴿يَوْمُ﴾ بالرفع[3]؛ أي: هو يوم ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لا أمر لغيره فيه؛ أي: لم يُمكِّن أحدًا من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

* * *

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

[مكية، أو: مدنية، ست وثلاثون آية][*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى﴾ أي: من ﴿النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيل.

[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.

[٤] ﴿أَلَا﴾ استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾.

[٥] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة.

[٦] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل «ليوم»؛ فناصبه: «مبعوثون» ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه.

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلًا، فأنزل الله ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. ابن ماجه ـ كتاب التجارات (١٢) باب (٣٥) التوقي في الكيل والوزن. (حسن) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠٨).

---

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) قول المحلي: «ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى» يفيد أنه ذهب إلى أن جواب الإنسان الكافر على سؤال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ في الآية السادسة هو: غرّه كرم الله. وهذا قول ضعيف مردود، والكافر إنما غرّه جهله بربه وبصفاته. وقد يتوجه هذا الجواب ويقبل لو حُمل على أن السؤال موجه إلى المؤمن العاصي. لكن الخطاب في الآية للكافر.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يومَ﴾ بالفتح.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.

[٨] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ما كتاب سجين.

[٩] ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مختوم.

[١٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[١١] ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء، بدل، أو: بيان «للمكذبين».

[١٢] ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد ﴿أَثِيمٍ﴾ صيغة مبالغة.

[١٣] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سطرت قديمًا، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.

[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فغشيها ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونه.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ لداخلو النار المحرقة.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا﴾؛ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.

[١٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتاب عليين؟.

[٢٠] هو ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مختوم.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة.

[٢٢] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة.

[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ السُّرُرِ في الحِجَال[1] ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أُعطوا من النعيم.

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة التنعم وحُسْنُه.

[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَّخْتُومٍ﴾ على إنائها، لا يَفُكُّ خَتْمَهُ إلا هم.

[٢٦] ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.

[٢٧] ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ أي: ما يُمزج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾، فُسِّرَ بقوله:

[٢٨] ﴿عَيْنًا﴾ فنصبه بـ«أمدح» مقدرًا ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ منها، أو: ضُمِّن «يشرب» معنى: يلتذ.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعمَّار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾؛ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير المجرمون إلى المؤمنين، بالجفن والحاجب استهزاء.

[٣١] ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا [فَاكِهِينَ]﴾ وفي قراءة[2]: ﴿فَكِهِينَ﴾: معجبين بذكرهم المؤمنين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

---

(١) جمع: «حَجَلة»، وهي: القبة فوق السرير.

(٢) للسبعة عدا حفص وابن عامر بخلاف عنه.

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ في الجنة ﴿يَنظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

[٣٦] ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ جوزي ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ نعم.

سُورَةُ الانشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية](*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع.

[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سعتها، كَمَا يُمَدُّ الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنه.

[٥] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَىٰ﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ هو المؤمن.

[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث الصحيحين، وفيه: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ»(١) وبعد العرض يُتجاوز عنه.

[٩] ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.

[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، تُغَلُّ يمناه إلى عنقه وتُجعَل يسراه وراء ظهره؛ فيأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه.

[١٢] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة(٢) بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرًا باتباعه هواه.

[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَّن يَحُورَ﴾ يرجع إلى ربه.

[١٥] ﴿بَلَىٰ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالمًا برجوعه إليه(٣).

[١٦] ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جَمَعَ ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.

[١٨] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبونَن» حذفت نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، والواو؛ لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالًا بعد حال، وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ﴾؛ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أي مانع من الإيمان، أو: أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟

[٢١] ﴿وَ﴾ مالهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ يخضعون؛ بأن يؤمنوا به لإعجازه.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث وغيره.

[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صحفهم، من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا يُمَنُّ به عليهم.

* * *

(*) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾». الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) من سورة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. (٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكسائي؛ ﴿يُصَلَّىٰ﴾.

(٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله ـ سُبْحَانَهُ ـ.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِۭ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

[مكية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ الكواكب اثنا عشر برجًا تقدمت في الفرقان[1].

[٢] ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث[2]؛ فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صَدْرُهُ، تقديره: لقد.

[٤] ﴿قُتِلَ﴾ لعن ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ الشق في الأرض.

[٥] ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ ما توقد به.

[٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ﴾.

[٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى مَنْ ثَمَّ فأحرقتهم[3].

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المحمود.

[٩] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقتهم، كما تقدم.

[١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسب إرادته.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلق ﴿وَيُعِيدُ﴾ فلا يعجزه ما يريد.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ المتودِّدُ إلى أوليائه بالكرامة.

[١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه[4] ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بالرفع؛ المستحق لكمال صفات العلو[5].

[١٦] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيء.

[١٧] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾.

[١٨] ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن أتباعه، وحديثهم أنهم أُهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن؛ ليتعظوا.

[١٩] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ لا عاصم لهم منه.

[٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ عظيم.

[٢٢] ﴿فِى لَوْحٍ﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ بالجر[6]، من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما[7].

* * *

---

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعًا، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) الله ﷻ خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجر في قراءة حمزة والكسائي.

(٦) وهي قراءة السبعة غير نافع.

(٧) تحديد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المعصوم ﷺ.

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أصله: كل آتٍ ليلًا، ومنه النجوم لطلوعها ليلًا.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدأ وخبر، في محل المفعول الثاني لـ«أدرى»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿النَّجْمُ﴾؛ أي: الثُّرَيَّا، أو: كل نجم ﴿الثَّاقِبُ﴾ المضيء؛ لثقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ [لَـمَا] عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ بتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وبتشديدها(1) فـ«إن» نافية، و«لمَّا» بمعنى «إلا»، و«الحافظ» من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ذِي انْدِفَاقٍ من الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، في رَحِمِهَا. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ﴾ فإذا اعتبر أصلَه عَلِم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ تُختبر وتُكشف ﴿السَّرَائِرُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿فَمَا لَهُ﴾ لمنكر البعث ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المطر؛ لعَودِه كلَّ حين. [١٢] ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ الشَّق عن النبات. [١٣] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ باللعب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكايد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون. [١٧] ﴿فَمَهِّلِ﴾ يا محمد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيد، حسَّنه مخالفة اللفظ؛ أي: أنظرهم ﴿رُوَيْدًا﴾ قليلًا، وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل، مصغر: «رُودًا»، أو: «إِرْوادًا» على الترخيم، وقد أخذهم اللَّه ـ تعالى ـ ببدر، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

سُورَةُ الأَعْلَى

[مكية، تسع عشرة آية](*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزِّه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد(2) ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة لـ«ربك»(3). [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ مخلوقَه؛ جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أنبت العشب. [٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ جافًّا هشيمًا ﴿أَحْوَىٰ﴾ أسود يابسًا. [٦] ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾ ما تقرؤه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكأنه قيل له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى ولا تُتعب نفسك بالجهر بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما.

[٨] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ للشريعة السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ مَنْ تُذَكِّرُهُ، المذكور في: «سيذكر»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعُها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ يخاف اللَّه ـ تعالى ـ كآية ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(4). [١١] ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذكرى؛ أي: يتركها جانبًا لا يلتفت إليها ﴿الْأَشْقَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطَّهر بالإيمان. [١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ مكبرًا ﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة مُعرضون عنها.

(*) فائدة: أخرج النسائي عن أُبي بن كعب قال: كان رسول اللَّه ﷺ يوتر بـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. النسائي ـ كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٣٣).

---

(1) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(2) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

(3) الأعلى اسم من أسماء اللَّه ﷻ، وهو يشتمل على إثبات صفة العلو للَّه ـ تعالَى ـ، ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتًا وقهرًا وشأنًا.

(4) ق: ٤٥.

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿بَلْ [تُؤْثِرُونَ]﴾ بالتحتانية والفوقانية[1] ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.

[١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

سورة الغاشية

[مكية، ست وعشرون آية][*]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها.

[٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة.

[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ذاتُ نَصَب وتَعَب، بالسلاسل والأغلال.

[٤] ﴿تَصْلَى﴾ بفتح التاء وضمها[2] ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.

[٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.

[٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لخُبثه. [٧] ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

[٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ حسنة.

[٩] ﴿لِسَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.

[١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حِسًّا ومعنى.

[١١] ﴿لَا [يُسْمَعُ]﴾ بالياء والتاء[3] ﴿فِيهَا [لَاغِيَةٌ]﴾ أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.

[١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء؛ بمعنى: عيون.

[١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتًا وقدرًا ومحلًا.

[١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أقداح لا عُرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

[١٥] ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجنب بعض، يستند إليها.

[١٦] ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بُسُطٌ طنافس لها خَمْلٌ[4] ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة.

[١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

[١٨] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. [١٩] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

[٢٠] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بسطت، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووحدانيته، وصُدِّرت بالإبل؛ لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سطح؛ وعليه علماء الشرع، لا كرة؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع[5].

[٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾هُم نِعَمَ اللهِ ودلائلَ توحيدِهِ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

[٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ [بِمُسَيْطِرٍ]﴾[6] وفي قراءة بالصاد بدل السين؛ أي: بمسلَّط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٢٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالقرآن.

[٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

[٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم بعد الموت.

[٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

* * *

(*) فائدة: أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأبي عمرو. (٢) بالضم قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تصلى﴾ بالفتح.

(٣) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالتاء مع ضمها؛ مبنيًا للمجهول؛ ﴿تُسمع﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَسمع فيها لاغيةً﴾ للفاعل مع نصب ﴿لاغية﴾.

(٤) «زرابيّ»؛ جمع: «زُرْبِيَّة» بتثليث الزاي. و«طنافس»؛ جمع: «طنفسة» بتثليث الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجادة. والـ «خَمْل»: الـ «هُدْب».

(٥) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينه ثقات من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لتباعد أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجملتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

(٦) لهشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني لخلاد.

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الفَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم.

[٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة.

[٣] ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾ الزوج ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ بفتح الواو وكسرها[١]؛ لغتان: الفرد.

[٤] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ مقبلًا ومدبرًا.

[٥] ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ﴾ القسم ﴿قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتُعَذَّبُنَّ يا كفار مكة.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

[٧] ﴿إِرَمَ﴾ هي عاد الأولى، فـ«إرم» عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف؛ للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أي: الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع[٢].

[٨] ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ في بطشهم وقوتهم.

[٩] ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟﴾ قطعوا ﴿ٱلصَّخْرَ﴾ جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتًا ﴿بِٱلْوَادِ﴾ وادي القُرى.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ كان يَتِدُ أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي مَنْ يُعذبه.

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟﴾ تجبروا ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾.

[١٢] ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ القتل وغيره.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها.

[١٥] ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾.

[١٦] ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾.

[١٧] ﴿كَلَّا﴾ ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانةُ بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَل لَّا [يُكْرِمُونَ] ٱلْيَتِيمَ﴾ لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] ﴿وَلَا [يَحُضُّونَ]﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي: إطعام ﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾.

[١٩] ﴿[وَيَأْكُلُونَ] ٱلتُّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: شديدًا، لِلَمِّهِمْ نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه أو: مع مالهم.

[٢٠] ﴿[وَيُحِبُّونَ] ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيرًا فلا ينفقونه، وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة[٣].

[٢١] ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ زلزلت، حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره[٤] ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.

[٢٣] ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك[٥] لها زفير وتغيظ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

* * *

(١) بالكسر لحمزة والكسائي.

(٢) هذا من الإسرائيليات التي لا تصح، وتتنافى مع ما صح عنه ﷺ من تناقص الخلق من لدن آدم عليه السلام، والذي كان طوله ستون ذراعًا فقط، ومعنى ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: أي: ذات الأبنية المرفوعة على العَمَد، أو: البناء المرتفع. وقال مجاهد وقتادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي: لخيامهم، واختاره ابن جرير، ووافقه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولًا بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالتاء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿تحضُّون﴾. وقرأ بقيتهم: ﴿تحاضُّون﴾.

(٤) تأويل المجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والمجيء صفة من صفات الفعل الثابتة لله ﷻ على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». والزمام: هو: الخُطام الذي يقاد به البعير.

وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابَهُ﴾ أي: اللَّه ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يكله إلى غيره. [٢٦] ﴿وَ﴾ كذا ﴿لَا يُوثِقُ﴾ بكسر الثاء ﴿وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة[1] بفتح الذال والثاء، فضمير «عذابه» و«وثاقه» للكافر، والمعنى: لا يُعذَّب أحد مثلَ تعذيبه، ولا يُوثَق مثلَ إيثاقه. [٢٧] ﴿يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة، وهي المؤمنة. [٢٨] ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت؛ أي: ارجعي إلى أمره وإرادته[2] ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند اللَّه بعملك؛ أي: جامعة بين الوصفين، وهما حالان، ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

* * *

سُورَةُ البَلَدِ

[مكية، عشرون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ مكة.

[٢] ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بأن يُحَلَّ لك فتقاتل فيه، وقد أنجز اللَّه له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذريته، و«ما» بمعنى «مَنْ».

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نَصَب وشدة؛ يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قريش، وهو أبو الأشد ابن كَلَدة، بقوته ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ واللَّه قادر عليه.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ كثيرًا بعضه على بعض. [٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَن﴾ أي: أنه ﴿لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟ واللَّه عالم[3] بقدره، وأنه ليس مما يُتكثَّر به، ومجازيه على فعله السيئ.

[٨] ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾ استفهام تقرير؛ أي: جعلنا ﴿لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾.

[٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيَّنَّا له طريق الخير والشر.

[١١] ﴿فَلَا﴾ فهلَّا ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ جاوزها.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها؛ تعظيمًا لشأنها، والجملة اعتراض.

[١٣] وبيَّن سبب جوازها بقوله: ﴿[فَكُّ رَقَبَةٍ][4]﴾ من الرق بأن أعتقها.

[١٤] ﴿أَوْ [أَطْعَمَ][5] فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مجاعة.

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ لُصوق بالتراب؛ لفقره، وفي قراءة بدل الفعلين[6]؛ مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة[7]، وينون الثاني[8]، فيقدر قبل العقبة: اقتحام[9]، والقراءة المذكورة[10] بيانه.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على «اقتحم»، و«ثم» للترتيب الذكري، والمعنى: كان وقتَ الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة على الخلق. [١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الشمال.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله[11]، مُطْبَقة.

---

(١) للكسائي.

(٢) وهذه طريقة نفاة الصفات بزعم تنزيه اللَّه ﷻ عن مشابهة خلقه، والصواب أن الرجوع إلى الله: لقاؤه ـ سُبْحَانَهُ ـ يوم القيامة، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء، على ما يليق بجلاله، أو يكون المراد بالنفس: الروح، ولقاؤها ربَّها حين خروجها من الجسد ساعة الموت.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها؛ وصنيع المفسر جريًا على طريقته في تأويل الصفات كما هي طريقة أهل التأويل.

(٤)، (٥) للكسائي وابن كثير وأبي عمرو. (٦) أي: قوله: «فَكَّ» و«أَطْعَمَ». (٧) أي: ﴿فَكُّ رقبةٍ﴾.

(٨) أي: ﴿إطعامٌ﴾. (٩) أي: «وما أدراك ما اقتحام العقبة؟».

(١٠) أي: بالمصدرين المرفوعين؛ ﴿فكُّ﴾، و﴿إطعامٌ﴾. وقوله: «بيانه»؛ أي هذه القراءة بيان لمعنى الاقتحام المقدَّر؛ أي: اقتحام العقبة هو: فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ.

(١١) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

سُورَةُ الشَّمْسِ

[مكية، خمس عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ضوئها. [٢] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ تبعها طالعًا عند غروبها. [٣] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ بارتفاعه. [٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يغطيها بظلمته، و«إذا» في الثلاثة لمجرد الظرفية(١)، والعامل فيها فعل القسم. [٥] ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾. [٦] ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ بسطها. [٧] ﴿وَنَفْسٍ﴾ بمعنى نفوس ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ في الخلقة، و«ما» في الثلاثة مصدرية، أو بمعنى «مَنْ». [٨] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ بيَّن لها طريق الخير والشر، وأخَّر التقوى؛ رعاية لرؤوس الآي. [٩] وجواب القسم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام ﴿مَنْ زَكَّاهَا﴾ طهرها من الذنوب. [١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ أخفاها بالمعصية، وأصله: دسَّسها؛ أبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحًا ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ بسبب طغيانها. [١٢] ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ واسمه قُدَار، إلى عقر الناقة برضاهم. [١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: ذروها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ شربها في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتَّب عليه نزول العذاب بهم، إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها. [١٥] ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أي: الدمدمة عليهم؛ أي: عمَّهم بها، فلم يفلت منهم أحد. [١٦] ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء(٢) ﴿يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ تبعتها.

سُورَةُ اللَّيْلِ

[مكية، إحدى وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

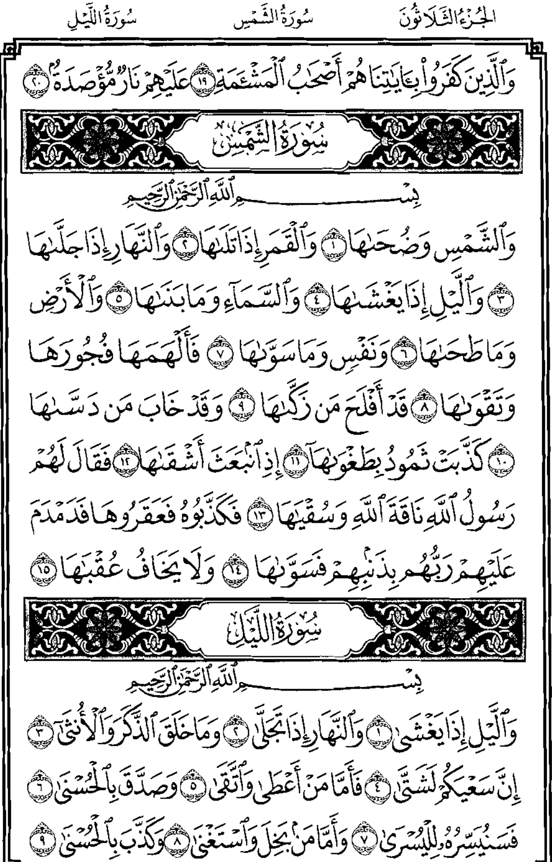
[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بظلمته، كلَّ ما بين السماء والأرض.

[٢] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ تكشَّف وظهر، و«إذا» في الموضعين لمجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم.

[٣] ﴿وَمَا﴾ بمعنى «مَنْ» أو: مصدرية ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ آدم وحواء، وكلَّ ذكر وكلَّ أنثى، والخنثى المُشْكِل عندنا ذكر أو أنثى عند الله - تعالى - فيحنث بتكليمه مَنْ حلف لا يكلم ذكرًا ولا أنثى.

[٤] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾ مختلف؛ فعامل للجنة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية.

[٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حق الله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الله.



الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ — سُورَةُ الشَّمْسِ — سُورَةُ اللَّيْلِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾

[٦] ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بلا إله إلا الله، في الموضعين(٣).

[٧] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ للجنة.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بحق الله ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عن ثوابه.

[٩] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾.

[١٠] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ نهيئه ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ للنار.

[١١] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ في النار.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ لَتبيين طريق الهدى من طريق الضلال؛ ليُمتَثَل أمرُنا بسلوك الأول، ونَهْيُنا عن ارتكاب الثاني.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا؛ فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

[١٤] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقرئ(٤) بثبوتها؛ أي: تتوقد.

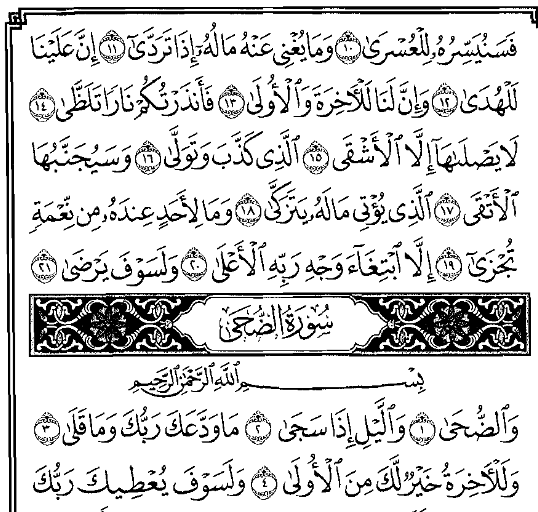
---

(١) أي: فلا تفيد الشرطية.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالواو.

(٣) أي: في هذه الآية، والآية التاسعة من نفس السورة.

(٤) أي: شذوذًا.


فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾

[١٥] ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ يدخلها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول؛ لقوله - تعالَى -: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] فيكون المراد الصَّلْيَ المؤبد. [١٧] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يبعد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ بمعنى التقي. [١٨] ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ متزكيًا به عند الله - تعالَى - بأن يخرجه لله - تعالَى - لا رياء ولا سمعة؛ فيكون زاكيًا عند الله، وهذا نزل في الصديق ﷺ لما اشترى بلالًا المعذب على إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليدٍ كانت له عنده فنزلت: [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: طلب ثواب الله[٢]. [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بما يُعطاه من الثواب في الجنة[٣]، والآية تشمل مَنْ فعل مثل فعله رضي الله - تعالَى - عنه، فيبعد عن النار ويُثاب.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبَّر ﷺ آخرها فسُنَّ التكبير آخرها[٤]. وروي[٥] الأمر به خاتمَتَها وخاتمَةَ كلِّ سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ غطى بظلامه أو سكن. [٣] ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يومًا: إن ربه ودعه وقلاه[٦](*). [٤] ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلًا ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ به، فقال ﷺ: «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار»[٧] إلى هنا تم جواب القسم بـمُثْبَتَيْنِ بعد مَنْفِيَّيْنِ. [٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو: بعدها ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ بأن ضمَّك إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

(*) ما جاء في نزول الآيات (١-٣): أخرج البخاري عن جندب بن سفيان ﷺ قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك؛ لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إثبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرج نحوه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضًا الآجري في الشريعة (٣/ ٥٤ رقم ١٣٥١)، وإسناده ضعيف لانقطاعه كما في الاستيعاب (٣/٥١٨، ٥١٩). وفي الطبري (٣٠/١٤٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/٣) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ. دون ذكر قصة بلال وإعتاقه له، ولا قول الكفار عن ذلك. وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣٨): «رواه البزار، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ البزار لم يسمعه». وأخرجه الحاكم (٢/٥٢٥) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٣/٥١٧).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.

(٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البزي المقري عن أبي بن كعب مرفوعًا [الدر المنثور (٦/٦٠٨)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥) ثم قال: «هذا حديث غريب، وهو مما أُنكر على البزي، قال أبو حاتم: منكر»، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان ﷺ؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة. شعب الإيمان (٢/١٦٤). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢١) في معرض الرد على من يحتج ويتكل مثل ذلك؛ قال: «ومنهم من يغتر بفهم فاسدٍ، فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فاتكلوا عليه؛ كاتكال بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمته، وهذا من أقبح الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرّين =

ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾

عَآئِلًا﴾ فقيرًا ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها، وفي الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[1]. [٩] ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بأخذ ماله، أو غير ذلك. [١٠] ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تزجره لفقره. [١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوة وغيره ﴿فَحَدِّثْ﴾ أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل.

سُورَةُ الشَّرْحِ

[مكية، ثمان آيات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ استفهام تقرير؛ أي: شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها. [٢] ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾. [٣] ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾ أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ وهذا كقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾[2]. [٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بأن تُذكر مع ذكري، في الأذان والإقامة، والتشهد والخطبة، وغيرها. [٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الشدة ﴿يُسْرًا﴾ سهولة. [٦] ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم. [٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَٱنصَبْ﴾ اتعب في الدعاء. [٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ تضرع.

سُورَةُ التِّينِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان آيات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾؛ أي: المأكولين، أو: جبلين بالشام، يُنْبتان المأكولين. [٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي كلم الله ـ تعالى ـ عليه موسى، ومعنى: «سينين»: المبارك، أو: الحسن بالأشجار المثمرة. [٣] ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ مكة؛ لأمن الناس فيها جاهلية وإسلامًا. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل لصورته. [٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره؛ لقوله ـ تعالى ـ: [٦] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع، وفي الحديث: «إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ»[3].

[٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾ بعدَ مَا ذُكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم ردِّه إلى أرذل العمر، الدالِّ على القدرة على البعث ﴿بِٱلدِّينِ﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب؛ أي: ما يجعلك مكذِّبًا بذلك، ولا جاعل له؟!.

[٨] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: هو أقضى القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك، وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»[4].

سُورَةُ العَلَقِ

[مكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء. رواه البخاري](*)[5]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱقْرَأْ﴾ أوجد القراءة، مبتدئًا ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ الخلائق. [٢] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. [٣] ﴿ٱقْرَأْ﴾ تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في «اقرأ». [٤] ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾ الخط ﴿بِٱلْقَلَمِ﴾ وأول من خط به إدريس عليه السلام[6]. [٥] ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قبل تعليمه؛ من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. [٦] ﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

(*) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. فقلت: أنبئت أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. فقلت: أنبئت أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. سبق تخريجه والتعليق عليه في أول سورة المدثر.

= على الكبائر، فحاشا رسوله أن لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى».

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم من قوله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «إذا مَرِض العبد أو سافر، كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعًا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤).

(٥) البخاري (٤٩٥٣).

(٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

لَيَطْغَىٰٓ﴾. [٧] ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ أي: نفسه ﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، و«رأى» عِلْمية[1]، و«استغنى»: مفعول ثان، و«أن رآه» مفعول له. [٨] ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاغي بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ﴾. [١١] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ المنهي ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾. [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم[2] ﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾. [١٣] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ عن الإيمان. [١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ما صدر منه؛ أي: يعلمه[3] فيجازيه عليه؛ أي: اعجب منه يا مخاطب؛ مِنْ حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى آمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متولٍ عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ لنجرَّن بناصيته إلى النار. [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وَصْفُها بذلك مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أي: أهل ناديه، وهو المجلس يُنْتَدَى، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر ناديًا مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلًا جُردًا ورجالًا مُردًا. [١٨] ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا»[4]. [١٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَٱسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَٱقْتَرِب ۩﴾ منه بطاعته(*).

سُورَةُ القَدْرِ

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجيب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قضاه الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، و«مِنْ» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ خبر مقدم ومبتدأ[5] ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرها[6]، إلى وقت طلوعه، جُعلت سلامًا؛ لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تَمُرُّ بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلَّمت عليه.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات](**)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ﴾ للبيان ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي:

(*) ما جاء في نزول الآيات (٦- ١٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا» قال: فأنزل الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ زاد عبيدالله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ يعني قومه.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبوجهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فتهدده النبي ﷺ، فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي ناديًا. فأنزل الله ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾. قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه لأخذته الزبانية. أحمد ـ المسند (١/ ٣٢٩). وأخرجه الترمذي، وفيه: «فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٨٥) سورة اقرأ باسم ربك. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٦٨).

(**) فائدة: أخرج أحمد عن أبي حبة البدري قال: لما نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، قال جبريل عليه السلام: يا محمد، إن ربك يأمرك أن تقرئ هذه السورة أبي بن كعب، فقال النبي ﷺ: «يا أبي، إن ربي ﷻ أمرني أن أقرئك هذه السورة» فبكى وقال: ذكرت ثمة؟ قال: «نعم». أحمد ـ المسند (٣/ ٤٨٩)، وصححه الأرناؤوط في تخريجه على المسند (٢٥/ ٣٨١) رقم (١٦٠٠٠).

(١) أي: تنصب مفعولين.

(٢) قال الصاوي في حاشيته: «الأولى أن يقول: بمعنى الواو». فهو ﷺ على الهدى وآمرٌ بالتقوى.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مرارًا.

(٤) أخرج نحوه الترمذي (٣٣٤٩) وأحمد (٢٣١٧) موقوفًا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٥٥٧).

(٥) أي: مبتدأ مؤخر.

(٦) بالكسر قراءة الكسائي.

عَبَدَة الأصنام، عطف على «أهل» ﴿مُنفَكِّينَ﴾ خبر «يكن»؛ أي: زائلين عما هم عليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ أي: الحجة الواضحة، وهي محمد ﷺ. [٢] ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بدل من «البينة»، وهو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ من الباطل. [٣] ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة؛ أي: يتلو مضمون ذلك، وهو القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. [٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: هو ﷺ، أو: القرآن الجائي بـه معجزة لـه، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاءه، فحسده من كفر به منهم. [٥] ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ في كتابيهم التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: أن يعبدوه، فحذفت «أن» وَزِيدَتِ اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفَاءَ﴾ مستقيمين على دين إبراهيم، ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به؟! ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ الملة ﴿الْقَيِّمَةِ﴾ المستقيمة. [٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدَّرة؛ أي: مقدَّرًا خلودهم فيها من الله ـ تعالى ـ ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾. [٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الخليقة. [٨] ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته[1] ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ خاف عقابه فانتهى عن معصيته ـ تعالى.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ حُرِّكت لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمتها. [٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ كنوزها وموتاها، فألقتها على ظهرها. [٣] ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ﴾ الكافر بالبعث: ﴿مَا لَهَا﴾ إنكارًا لتلك الحالة. [٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تخبر بما عُمِل عليها من خير وشر. [٥] ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها بذلك، وفي الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»[2]. [٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين؛ فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جزاءها؛ من الجنة أو النار. [٧] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملةٍ صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ يرَ ثوابه. [٨] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يرَ جزاءه[*].

***

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

[مكية، أو: مدنية، إحدى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ الخيل تعدو في الغزو، وتضبح ﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أجوافها إذا عَدَتْ. [٢] ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ الخيل، توري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها؛ إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل. [٣] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ الخيل، تغير على العدو وقت الصبح، بإغارة أصحابها. [٤] ﴿فَأَثَرْنَ﴾ هَيَّجْنَ ﴿بِهِ﴾ بمكان عَدْوِهِنَّ، أو: بذلك الوقت ﴿نَقْعًا﴾ غبارًا، بشدة حركتهن. [٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من العَدُوِّ؛ أي: صرن وسطه، وعُطف الفعل على الاسم؛ لأنه في تأويل الفعل؛ أي: واللاتي عَدَوْن فأَوْرَين فأَغَرْنَ.

[٦] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ لكفـور؛ يجحد نعمته ـ تعالى ـ. [٧] ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بصنعه. [٨] ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ الحب له، فيبخل به. [٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ أُثير وأُخرج ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من الموتى؛ أي:

(*) فائدة: سمى الرسول ﷺ هذه الآية: «الجامعة الفاذة» كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عندما سُئل عن زكاة الحمر فقال: «ما أنزل عليّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذّة»: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. ومعنى «الفاذّة»: الوحيدة الفريدة في أحكامها. البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).

(١) إن كان مراد المفسر أن الرضا حصل لهم بسبب طاعتهم لله ـ سُبْحَانَهُ ـ فهذا حق، وإن كان يقصد تفسير الرضا بالتوفيق إلى الطاعة فيكون من تأويل صفة الرضا لله ﷻ ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به ـ سُبْحَانَهُ ـ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣) وأحمد (٨٦٥٠) عن أبي هريرة مرفوعًا، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٣٤).

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨

بُعثوا. [١٠] ﴿وَحُصِّلَ﴾ بُيِّن وأُفرز ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾ لعالم؛ فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعًا نظرًا لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم»؛ أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» بـ«يومئذ» وهو - تعالى - خبير دائمًا؛ لأنه يوم المجازاة.

سُورَةُ القَارِعَةِ

[مكية، ثمان آيات[1]]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها.

[٢] ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر: خبر القارعة.

[٣] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لـ«أدرى».

[٤] ﴿يَوۡمَ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة»؛ أي: تقرع ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يموج بعضهم في بعض للحَيْرة، إلى أن يُدْعَوْا للحساب.

[٥] ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رِضًى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ فمسكنه ﴿هَاوِيَةٞ﴾. [٩] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ أي: ما هاوية؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلًا ووقفًا، وفي قراءة[2] تحذف وصلًا.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

[مكية، ثمان آيات](*)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾ شغلكم عن طاعة الله ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ بأن متم فدفنتم فيها، أو: عددتم الموتى تكاثرًا.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾. [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند النَّزع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ علمًا يقينًا، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، وحُذِفَ منه لام الفعل وعينه وأُلْقِيت حركتها على الراء[3].

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عاين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ حُذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

***

(*) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾. (حسن الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(١) كذا في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٢) وهي قراءة حمزة.

(٣) أي مِن: «لترون»، وأصله: «لترءيون» بوزن: «تفعلون»؛ فحُذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهمزة والياء من أصل الفعل: «رَأَيَ»، ثم أُلقيت حركة الهمزة، وهي الفتحة، على الراء قبلها، فسقطت الهمزة، وتحركت الياء وانفتح ما قبلها؛ فقُلبت ألفًا؛ فالتقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحُذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، وحركت الواو بالضمة؛ فصارت «لترونَّ».

سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سُورَةُ العَصْرِ

[مكية : أو : مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ في تجارته[1].

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

[مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد[2] ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه وجعله عُدَّة لحوادث الدهر[3].

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ جعله خالدًا لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليُطرحنَّ ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ التي تحطِم كل ما ألقي فيها.

[٥] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسعَّرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ القلوب فتحرقُها، وألمها أشدُّ من ألم غيرها للطفها.

[٨] ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى «كلّ» ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدله[4]: مطبقة.

[٩] ﴿فِي [عُمُدٍ]﴾ بضم الحرفين، وبفتحهما[5] ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العَمَد.

سُورَةُ الفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بَنى بصنعاء كنيسة؛ ليَصْرِفَ إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها ولطَّخ قِبْلَتَهَا بالعَذِرَة احتقارًا بها؛ فحلف أبرهة ليهدمنَّ الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير، وقيل: واحده «أبُول»، أو: «إبَّال»، أو: «إبِّيل»؛ كعُجُول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته؛ أي: أهلكهم الله ـ تعالى ـ كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة، وأصغر من الحِمِّصَة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض[6]، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

* * *

(١) أي في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخسران: ذهاب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدّه مرة بعد أخرى حبًّا له وشغفًا به. وقيل: جعله أصنافًا وأنواعًا؛ كعقار، ومتاع، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ المَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [٢] ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد. [٣] ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَ﴾ رحلة ﴿الصَّيْفِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة. [٤] ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به لـ«إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾. [٥] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

* * *

سُورَةُ المَاعُونِ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَٰلِكَ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه.

[٣] ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.

[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.

[٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقِدر والقَصْعة.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات][*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَانْحَرْ﴾ نسكك.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مُبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل[1]؛ سمَّى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

* * *

(*) فائدة: أخرج مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليَّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾». مسلم- كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة.

(١) أخرجه الواحدي بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان ص (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البزار عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية؟! فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كلَّ من أبغض النبي ﷺ.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

[مكية أو مدنية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [٣] ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو اللَّه - تعالى - وحده. [٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾. [٥] ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم اللَّه منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على اللَّه على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وقفًا ووصلًا، وأثبتها يعقوب[1] في الحالين.

سُورَةُ النَّصْرِ

[مدنية، ثلاث آيات][*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبسًا بحمده ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان اللَّه وبحمده أستغفر اللَّه وأتوب إليه[2]، وعُلِمَ بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمانٍ، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

سُورَةُ المَسَدِ

[مكية، خمس آيات][**]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[3]. فقال عمه أبو لهب: تبًا لك ألهذا دعوتنا؟[4] نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعبر عنها باليدين مجازًا؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّ﴾ خسر هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه اللَّه وقد هلك. [٢] ولما خوَّفه النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا؛ فإني أفتدي منه بمالي وولدي، نزل: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: وكسبه؛ أي: ولده، و«أغنى» بمعنى: «يغني». [٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلهُّب وتوقد، فهي مآل تكنيته؛ لتلهُّب وجهه إشراقًا وحمرة. [٤] ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ عطف على ضمير «يَصْلَى»، سوَّغه الفصلُ بالمفعول وصفته، وهي: أم جميل ﴿[حَمَّالَةُ]﴾ بالرفع والنصب[5] ﴿الْحَطَبِ﴾ الشوك والسَّعدان، تلقيه في طريق النبي ﷺ.

[٥] ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: ليف، وهذه الجملة حال من «حمالة الحطب» الذي هو نعت لـ«امرأته»، أو: خبر مبتدأ مقدر.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

(*) فائدة: أخرج مسلم عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ قال النبي ﷺ: «أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبًا، والإيمان يمان، الفقه يمان، الحكمة يمانية». أحمد - المسند (٢/ ٢٧٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضًا عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ قال: قرأها رسول اللَّه ﷺ حتى ختمها وقال: «الناس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد - المسند (٣/ ٢٢، ١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(**) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

---

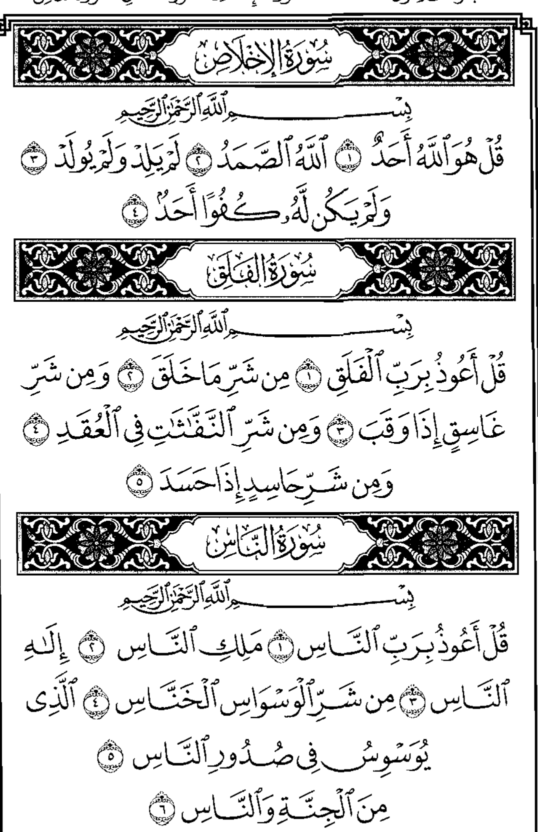
(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر اللَّه والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك: اللهم اغفر لي».

(٣) سبأ: ٤٦.

(٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.



سُورَةُ الإِخْلَاصِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات](*)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] سُئِلَ النبي ﷺ عن ربه؛ فنَزَلَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فالله خبر هو، و«أحد» بدل منه، أو: خبر ثانٍ. [٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي: المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتفاء الحدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: مكافئًا ومماثلًا، و«له» متعلق بـ«كفوًا» وقُدِّم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

سُورَةُ الفَلَقِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات](**)

نزلت هـذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهوديُّ النبيَّ ﷺ في وَتَرٍ به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحله(١)، فأُحضِر بين يديه ﷺ وأُمِرَ بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خِفَّة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نُشِط من عِقال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح. [٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسمِّ وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِى ٱلْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري معه(٢) كبنات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكرُ الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبةً للاستفادة من شرِّ المُوَسْوِسِ في صدورهم.

[٢] ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

[٣] ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيَّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

(*) ما جاء في نزول السورة: أخرج الترمذي عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٣٤)، وحسَّن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٣/٥٨٠).

(**) فائدة: أخرج الترمذي عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليَّ آيات لم يُر مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ إلى آخر السورة. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصرًا.
وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية بالمعوذتين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: «إن رجلًا من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان»، قال: فأرسل عليًّا فجاء به. قال: فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١/٢٤٧)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه - دون ذكر النزول بالمعوذتين - النسائي في المجتبى (٤٠٨٠)، وأحمد في المسند (٤/٣٦٧)، وصححه في الاستيعاب (٣/٥٨٩).
وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيتان؛ بَعُدَ أن يكون سحر الرسول ﷺ سبب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول للآية، أو السورة، أو السور» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النفث قولان.

[٤] ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث[١] لكثرة ملابسته له ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ لأنه يَخْنُسُ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكِر الله.

[٥] ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي؛ كقوله ـ تعَالَى ـ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[٢]، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كلٍّ يشمل شَرَّ لبيد وبناته المذكورين. واعترض الأول بأن الناسَ لا يوسوس في صدورهم الناسُ؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّه ـ تعَالَى ـ أعلم.

[واللَّه أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللَّه على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تَسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم][٣].



خاتمة

(نسأل اللَّه حسنها)

يقول مُراجعه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجميل ستره وحسن لقاه



كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّه أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

* * *

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملابسته له»؛ أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بمتعين؛ فإن الوَسوَاس ـ كما يستعمل في المصدر ـ يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المعقوفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها ختم تفسير المحلي، والإشارة إلى فراغه وانقضائه، ويبْعُد جدًا أنها من كلام المحلي؛ لما عرفتَ سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتدأه بالفاتحة، وأنه اخترمته المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى اللَّه على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة المحلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، ويدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

فهرس الكتاب


تم بحمد الله



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com